

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

تناكا إيبيه

رائد الدراسات الإسلاميّة في اليابان ورحلاته إلى الجزيرة العربيّة وبلدان آسيا

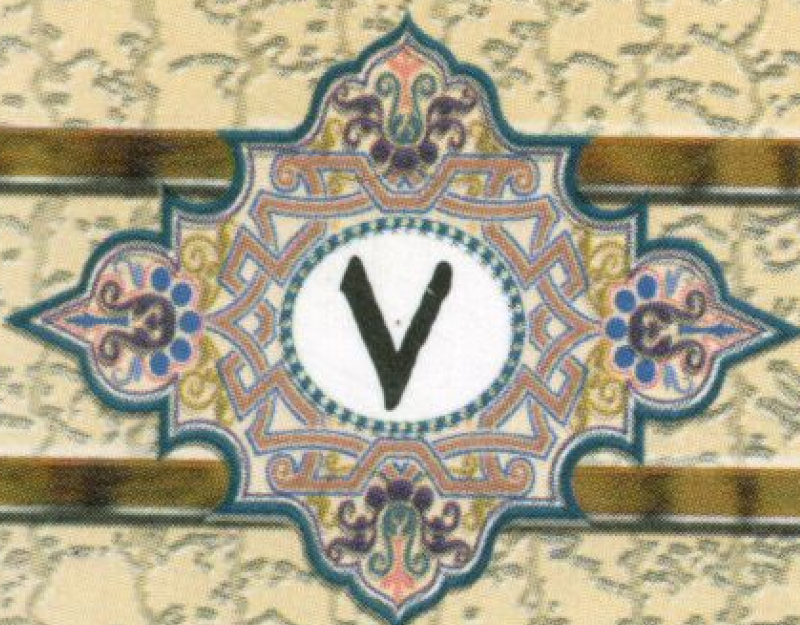
تحرير

نخبة من أساتذة جامعة تاكشوك

ترجمة

سمير عبد الحميد إبراهيم

سارة تاكاهاشي



كتب مترجمة

تناكا إيبيه

رائد الدراسات الإسلاميّة في اليابان ورحلاته إلى الجزيرة العربيّة وبلدان آسيا

تحرير

نخبة من أساتذة جامعة تاكشوك

ترجمة

سمير عبد الحميد إبراهيم

سارة تاكاهاشي

١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م

ح مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٢٧هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
إبراهيم، سمير عبدالحميد
تناكا إيبيه.. رائد الدراسات الإسلامية في اليابان ./ سمير عبدالحميد
إبراهيم .ـ الرياض، ١٤٢٧هـ.
٤٤٠ ص؛ ١٧×٢٤ سم (كتب مترجمة؛ ٧)
ردمك: ٣-٥٠- ٨٩٠-٩٩٦٠
١ ـ تناكا إيبيه، نور محمد ٢ـ الإسلام أ. العنوان
ديوي ١, ٩٢٢ ١٤٢٧/١٦٨

رقم الإيداع: ١٦٨/ ١٤٢٧
ردمك: ٣-٥٠-٨٩٠-٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م

أصل هذا الكتاب باللغة اليابانية

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
ص . ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣
هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ /فاكس ٤٦٥٩٩٩٣


بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويـــــات

تصدير

يسر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أن يقدم لقراء العربية، ضمن سلسلة إصداراته المتميزة كتاب: «تناكا إيبيه رائد الدراسات الإسلامية في اليابان»، الذي هو في الأصل نتيجة جهد كبير قامت به لجنة تحرير تضم نخبة من أساتذة جامعة تاكشوك اليابانية التي تهتم بالدراسات الإسلامية منذ تأسيسها قبل أكثر من مئة عام، فقاموا بجمع ما كتبه تناكا إيبيه أو الحاج نور محمد، من رحلات ومقالات تتعلق بالإسلام والعالم الإسلامي بما في ذلك الصين، وبلاد جنوب شرق آسيا، بالإضافة إلى بعض ما كتب معارفه وغيرهم عنه، مع مقدمة بحثية للأستاذ نور الدين موري أستاذ العلاقات الدولية بالجامعة.

ونظراً إلى أهمية هذا الكتاب الذي صدر بمناسبة مرور مئة عام على تأسيس جامعة تاكشوك، وما يتضمنه من معلومات مفيدة، تلقي الضوء على تاريخ الجزيرة العربية، وتاريخ المسلمين في بلدان آسيا، فقد رأى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أن يكون ضمن إصداراته بمناسبة مرور خمسين عاماً على إقامة العلاقات الديبلوماسية بين المملكة العربية السعودية واليابان، خدمة للقراء العرب، واستمراراً على النهج الذي يتبعه المركز في نشر مثل هذه الأعمال التي تثري المكتبة العربية، وتخدم الباحثين والقراء على حدٍّ سواء.

والله نسأل أن يوفق الجميع إلى ما فيه خدمة البلاد والعباد، إنه على كل شيء قدير.

مقدمة رئيس جامعة تاكشوك باليابانية

「イスラーム日本の先駆・田中逸平」アラビア語訳刊行によせて

拓殖大学とイスラーム世界との交流は西暦1900年に本学が台湾協会学校として創立されたときから始まったと言っても過言ではない。それは、日本人として二番目にマッカ巡礼を果した本学1期生の田中逸平の存在に由来する。田中は1924年1月11日、中国のイマームのもとでイスラーム教徒となり、その足でマッカ巡礼を挙行したのである。田中は10年後にも二度目のマッカ巡礼を行い、その三ヵ月後に他界した。

田中はイスラーム教徒として行を重視する宗教人であったが、同時に、イスラーム研究者としても中国人イスラーム学者からイスラーム学を修得し、日本において数多くのイスラーム論考を発表した。そして、日本全国を行脚してイスラーム理解の啓蒙に努め、一方多くの門下生を輩出した。拓殖大学の中でも、田中に薫陶を受けた学友によるイスラーム・アラブ・中東の研究、調査、交流活動等が連綿として続けられてきた。拓殖大学は1962年という非常に早い時期から外国語科目としてアラビア語を設け、イスラーム研究の一助としてきた。さらに、拓殖大学におけるイスラーム研究の新たな時代の幕開けとして、2002年12月にイスラーム研究センターが拓殖大学に設立された。イスラーム世界との交流の系譜は第一期生・田中逸平から始まり、100年の歳月を経てここに結実したといえる。

拓殖大学は、創立100周年を記念して2002年に田中逸平のイスラーム論集「イスラーム日本の先駆・田中逸平」を出版し、先人が残した知的遺産を後進に明らかにすることができた。そして、ここに同論集のアラビア語訳の出版の機会に恵まれ、アラブの人々にも日本のイスラーム先駆の遺産を紹介することができたことは望外の喜びである。

本論集アラビア語訳出版はファイサル国王イスラーム研究センター（在リヤード・ファイサル国王慈善財団付属）の好意によって実現したものである。この出版は今後、同センターと拓殖大学との実りある協力の始まりとなることであろう。昨年、同センターを訪問した際、多くの方々から熱い歓迎を受け、今後の相互協力を約して帰国した。本書の出版がこれからの日本とアラブの人々との知的交流の架け橋の一つとなるであろうと確信する。

ここに、「イスラーム日本の先駆・田中逸平」アラビア語訳の出版を行ってくださったファイサル国王イスラーム研究センターに心からの謝意を表する。また、同書の翻訳の労をとってくださったＤｒ．サミール・アブドルハミード・イブラーヒーム教授並びに高橋サーラ氏に心から御礼申しあげる。

2004年1月20日　東京

学校法人　拓殖大学

理事長　　藤渡辰信

ترجمة مقدمة رئيس جامعة تاكشوك

منذ تأسيس جامعة تاكشوك قبل أكثر من مائة عام، وهي تتبع نهجا يهدف إلى عقد صلات قوية مع مسلمي العالم، والدليل الواضح على ذلك هو صاحب هذا الكتاب الحاج نور محمد تناكا إيبيه، الذي كان من خريجي الدفعة الأولى لجامعة تاكشوك التي كانت تعرف قديما باسم " معهد جمعية تايوان "، وقد برز تناكا إيبيه بين أقرانه، فكان باحثا ومحققا ومترجما نشطا، قدم الفكر الإسلامي والعقيدة الإسلامية للشعب الياباني من خلال محاضراته ودراساته وترجماته ومشاهداته في العالم الإسلامي، وقد أسلم في الصين في يناير عام ١٩٢٤م ثم أدى فريضة الحج لأول مرة عام ١٩٢٤م وبعد عشر سنوات ذهب للحج ثانية، وبعدها بثلاثة أشهر انتقل إلى رحمة الله، وقد أسهمت جهود تناكا في تكوين جيل من المسلمين اليابانيين الذين قدموا من بعده خدمات جليلة لحركة الدعوة الإسلامية في اليابان، من خلال تواصلهم مع الجامعة التي تخرج فيها تناكا إيبيه.

وقد بدأت جامعة تاكشوك تدريس اللغة العربية منذ عام ١٩٦٢م مما ساعد في دعم الدراسات الإسلامية في اليابان، وفي ديسمبر عام ٢٠٠٢م أنشأت الجامعة "مركز دراسات الشريعة الإسلامية " لتبدأ عهدا جديدا في مجالات الدراسات الإسلامية.

وهكذا فإن العلاقة التي بدأت مع العالم الإسلامي عن طريق تناكا منذ مائة عام، قد أتت بثمارها، وهكذا رأت جامعة تاكشوك وهي تحتفل بمرور مائة عام

على تأسيسها أن تجمع أعمال تناكا إيبه التي نشرت من قبل، وتعيد نشرها في كتاب، حتى يتعرف الشعب الياباني هذه الأيام على ما كتبه المفكر الياباني المسلم عن الإسلام والمسلمين في تلك الفترة من الزمان، وهكذا صدر كتاب تناكا إيبيه رائد الدراسات الإسلامية في اليابان الذي نسعد كثيرا اليوم بظهور ترجمته إلى اللغة العربية حتى يتعرف القراء في بلدان العالم العربي على تناكا إيبيه، وعلى فكره الإسلامي.

ولا شك بأن نشر هذا الكتاب عن طريق مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - مؤسسة الملك فيصل الخيرية بالرياض، سيكون بداية تعاون مثمر بين جامعة تاكشوك ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الذي شرفت بزيارته في العام الماضي، وحظيت بالترحيب الحار من القائمين عليه، وناقشنا مسألة التعاون بين جامعة تاكشكوك ومؤسسة الملك فيصل، وأنا على يقين من أن نشر هذه الترجمة سيكون حلقة في سلسلة من الأعمال العلمية تمثل جسرا للتبادل العلمي والثقافي بين الشعب الياباني والشعوب العربية.

وإنني إذ أشكر القائمين على مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية على نشر الترجمة العربية لكتاب تناكا إيبيه رائد الدراسات الإسلامية، أشكر من أعماق قلبي البروفسر الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم، والسيدة سارة تاكاهشي على اهتمامهما بترجمة هذا الكتاب وتحريره، وآمل أن يتبع هذا العمل أعمال أخرى في المستقبل القريب.

رئيس جامعة تاكشوك

تاتسونوبو فوجيتو

طوكيو ٢٠ يناير ٢٠٠٤م

مقدمة

نحمد الله على توفيقه لنا في اختيار هذا الكتاب الذي تضمن لأول مرة مجموع ما كتبه المسلم الياباني الحاج نور محمد تناكا إيبيه عن رحلته إلى الحج ورحلاته إلى بلدان آسيا، ومقالاته المتعلقة بالإسلام والمسلمين، وما قاله عنه زملاؤه، فضلاً عن البحث القيم الذي كتبه الأستاذ نور الدين موري، ومقدمة رئيس لجنة تحرير الكتاب الأستاذ إيكيدا نوري هيكو، والمقدمة – التي أثبتناها هنا–، والتي كتبها الأستاذ يوسف إيموري أصلاً باللغة العربية، وقد تخرج على يديه في هذه الجامعة عدد كبير من الباحثين والأساتذة.

وإذا صح القول بأن هذا الكتاب ما كان ليرى النور لولا جهود جامعة تاكشوك، فإنه يمكن القول أيضاً إن هذه الترجمة ما كانت لترى النور لولا اهتمام مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بإصدار هذا الكتاب خدمة للمكتبة العربية، ولولا موافقة جامعة تاكشوك لنا على الترجمة، بل والمساعدة في الإجابة عن أي استفسار يتعلق بمحتوى الكتاب، والرد على أسئلتنا الكثيرة فيما يتعلق بمواضع عديدة، استعصت علينا ترجمتها، نظراً لمرور أكثر من نصف قرن على لغة هذا الكتاب، فقد كتب المرحوم نور محمد تناكا إيبيه محتويات هذا الكتاب ما بين سنتي ١٩٢٠م (أو ما قبلها) و ١٩٣٤م، وكانت رحلته الأولى إلى الحج عام ١٩٢٤م بينما كانت رحلته الثانية التي التقى فيها مع المغفور له الملك عبد العزيز سنة ١٩٣٤م، وفي السنة نفسها وبعد عودته إلى اليابان انتقل الحاج نور تناكا إلى الرفيق الأعلى.

لا نشير هنا إلى صعوبة الترجمة، بل نشير إلى أن الكثير من الأسماء التي وردت

في الترجمة العربية يمكن أن تنطق بطريقتين، وقد حاولنا ـ بقدر الإمكان ـ اعتماد النطق المتعارف عليه في اليابان، بعد استشارة بعض الأساتذة، الذين أسهموا في تحرير الكتاب الأصلي، ونود الإشارة أيضًا إلى أن ترتيب المحتويات في الطبعة العربية، يختلف قليلاً عن ترتيبها في الطبعة اليابانية، وعلى سبيل المثال فالطبعة اليابانية جعلت مقدمة الأستاذ نور الدين موري والآخرين في نهاية الكتاب، بينما رأينا أن تكون المقدمة في بداية الكتاب كما يتضح من فهرس المحتويات.

وأخيراً ؛ نتوجه بالشكر والتقدير إلى القائمين على مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وجميع من أسهم في ظهور هذه الطبعة العربية لكتاب « تناكا إيبيه رائد الدراسات الإسلامية في اليابان ».

وندعو الله أن يوفقنا إلى ما فيه الخير.

سمير عبد الحميد إبراهيم

سارة تاكاهاشي

الرياض العاشر من رمضان ١٤٢٤هجرية

الرابع من نوفمبر ٢٠٠٣م

مقدمة(*)

بقلم: البروفسر يوسف كاسوكي إيموري الأستاذ بجامعة تاكشوك

إيبيه تناكا في جامعة تاكشوك

تخرج تناكا مع أول دفعة في معهد جمعية تايوان (جامعة تاكشوك حاليًا)، وكان من أنشط الشخصيات المسلمة في بداية تاريخ الإسلام باليابان، فهو ثاني مسلم ياباني يؤدي فريضة الحج عام ١٩٢٤م، وبعد ١٠ سنوات ذهب للحج للمرة الثانية عام ١٩٣٤م، وكان قد سبقه إلى الإسلام في عهد الإمبراطور ميجي (١٨٦٨ - ١٩١٢م) كوتارو ياماوكا (أول حاج ياباني) وتوراجيرو يا مادا وبونباتشيرو أريغا وغيرهم، ورغم أنه لم يمهله العمر زمنًا طويلاً كإخوانه المسلمين اليابانيين الأوائل إلا أنه ترك من بعده إنجازات أعظم وآثاراً أعمق من غيره.

ولم يذع صيت تناكا إلا بين قليل من مسلمي اليابان، بسبب أن الدراسات الإسلامية خلال فترة الحرب العالمية الثانية، كانت تتعلق بسياسة إدارة المستعمرات اليابانية، مما جعل باحثي ما بعد الحرب يغضون أبصارهم عن الدراسات الإسلامية خلال فترة ما قبل وأثناء الحرب، والآن بعد مرور ٥٠ عاماً على الحرب تخلص هذا المجال من لعنة الحرب، وبدأ الباحثون اليابانيون في عمل دراسات إسلامية عن الفترة أثناء وقبل الحرب العالمية الثانية.

بعد عودة تناكا من الحجة الأولى أخذ يراوده الفكر فيما يتعلق بموضوع العلاقات بين اليابان ودول العالم الإسلامي؛ وتمهيداً لذلك، ومن أجل تكوين فكرة سليمة عن الإسلام في اليابان، قام تناكا بإلقاء سلسلة من المحاضرات بجميع أنحاء اليابان، وهي محاضرات ساعدت في تكوين نشء من الشخصيات والجمعيات الذين خدموا في حركة الدعوة الإسلامية.

(*) هذه المقدمة باللغة العربية، وقد نقلناها هنا بنصها كما نشرت في الكتاب الأصلي، المترجمان.

وكان تناكا يقول دائمًا: «لا تعتقد أن الأمور الدينية والعمل بها أمر سهل، إنه يتطلب تضحيات عظيمة، أي يجب العمل من صميم القلب وبإخلاص». هكذا كان يصور لنا مدى قوة العزيمة التي تولدت لديه، والتي خرجت من بين طيات تقاليد الجامعة وإلى الجامعة حتى أصبحت هذه الروح تقليدًا سائدًا بين دارسي العلوم الإسلامية بجامعة تاكشوك.

بعد الحرب العالمية الثانية اتسعت رقعة الدراسات الإقليمية بجامعة تاكشوك لتشمل الدول العربية والإسلامية، وتأثرًا بالروح التي خلفها تناكا قام الدارسون بالذهاب للدراسة في دول عربية وإسلامية فأسلموا، ثم عادوا قابضين على إيمانهم، يعيشون في اليابان ملتزمين بتعاليم دينهم، حيث أصبح اسم الإسلام هو قوت أرواحهم، جاء الأستاذ عبد الكريم سايتو (جامعة تاكشوك الدفعة ٣٠) مكملاً للرسالة، حيث كان ممن اعتنقوا فكر تناكا تجاه الإسلام، وتأثر به تأثرًا كبيرًا، كما عمل على تطوير المجتمع الإسلامي في اليابان، وقد التقى الأستاذ سايتو في شبابه مع تناكا في كابول عاصمة أفغانستان عام ١٩٣٤م، عندما كان الثاني أمير فوج للحجاج وفي طريقه للحج للمرة الثانية.

وأفنى الأستاذ سايتو حياته جاهدًا في تربية الجيل الثاني من حاملي الراية بجامعة تاكشوك، حيث حاضر الأستاذ سايتو عن علوم شئون الشرق الأوسط، وبذل جهوده بفتح الفصل الليلي لدراسة اللغة العربية بالتعاون مع سفارة مصر لدى طوكيو، ومن خلال ذلك بدأ تيار الدراسات الإسلامية وعلومه، مما أسفر عن إسلام العديد من طلابه الذين يخدمون حاليًّا في اليابان والعالم العربي والإسلامي، ثم جئت من بعده لأكون أحد مؤسسي مجال الدراسات العربية والإسلامية بالجامعة. تخرجت في جامعة شينشو عام ١٩٦٠م، وكنت قد أسلمت وأنا بالصف الثالث من الجامعة ١٩٥٨م، ثم ذهبت إلى جامعة تاكشوك لدراسة اللغة

العربية بالمعهد الليلي، وفي عام ١٩٦٢م التحقت بجامعة الأزهر بمصر، ودرست في كلية اللغة العربية قسم التاريخ والحضارة، وتخصصت في الحضارة الإسلامية بالعصور الوسطى، وبعد التخرج عدت إلى اليابان في شهر مارس عام ١٩٦٩م.

التحقت بجامعة تاكشوك في شهر أكتوبر عام ١٩٧٠م كمحاضر، ومنذ اللحظات الأولى لي في الجامعة تولَّد لدي اهتمام كبير بتناكا، ومن خلال عملي في تدريس اللغة العربية واشتراكي بالدعوة الإسلامية مع الأستاذ سايتو، عرفت منه أشياء كثيرة فيما يتعلق بتناكا، وكلما تعمقت في البحث بمجال تاريخ الإسلام في اليابان وجدت اسم تناكا أمامي.

كنت قد عزمت على إجراء دراسة مستفيضة عن حياة وإنجازات تناكا، ذلك الرائد بين المسلمين اليابانيين الأوائل، حتى يعرف طلاب جامعة تاكشوك الكثير عن زميلهم الأستاذ إيبيه تناكا من رئيس المدراء للجامعة السابق موكونوكي (الدفعة ٣٤)، فتعرفت أكثر على شخصية تناكا وعلى إنجازاته، وتأثرت كثيراً بأسلوبه في الحياة، وإيمانه القوي بالله، بعد قراءتي لهذا الكتاب، وفهمت الدافع وراء اهتمام موكونوكي بموضوع تناكا، فقررت أن أجري دراسة عن تناكا وأنشرها في كتاب، إلا أن مشاغل العمل حالت دون تحقيق ذلك.

وأخيرا ؛ تحقق الحلم الذي راودني كثيراً بنشر كتاب مجموعة أبحاث الأستاذ تناكا بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس جامعة تاكشوك، وهنا لا يسعني إلا أن أتقدم بعظيم شكري على هذا المجهود الكبير الذي أفاض عليّ سعادة بالغة، لم يكن لها مثيل منذ أن اعتنقت الإسلام، وعكفت على دراسة علومه، ثم عملت بتدريسه إلى جانب اللغة العربية في جامعة تاكشوك، حيث يعتبر هذا الكتاب خير باعث على تواصل حركة الدراسة والبحث بمجال العلوم الإسلامية في جامعة تاكشوك، كما أنه مرجع غني يفيدنا بأسرار أسلوب الأستاذ تناكا في الدراسة والبحث في العلوم الإسلامية.

يضم الكتاب مجموعة من كتابات الأستاذ تناكا في الدراسات الإسلامية التي لم ينشر غالبيتها من قبل، مما يعطي لنا المدلول الواضح لمفهوم الإسلام والإيمان عند الأستاذ تناكا، بالإضافة إلى التعرف على جذور العلاقات بين اليابان ودول العالم الإسلامي حتى الآن.

كان البروفسر نور الدين موري قد نشر بحثا عنوانه: «مقدمة تاريخ تأسيس مدرسة العلوم العربية والإسلامية في جامعة تاكشوك»، يلقي فيه نظرة على تاريخ العلاقات بين جامعة تاكشوك ودول العالم الإسلامي بعد الحرب العالمية الثانية، ويعتبر هذا البحث تمهيداً جيداً يستعان به على فهم مجموعة أبحاث تناكا، كما أن البروفسر نور الدين أردف بهذا الكتاب كلمة أوضح فيها العديد من جوانب شخصية تناكا وحماسه الشديد للإسلام.

سيرة مختصرة للحاج نور محمد تناكا إيبيه

هذه السطور المختصرة التي تلقي الضوء على سيرة حياة تناكا إيبيه، مأخوذة مما كتبه « كنكو نوبورو » بعنوان « مذكرات الأستاذ تنشو » تناكا إيبيه (Tenshu Tanaka ippei Tsuituroku) وقد نشرت المذكرات سنة ١٩٣٧م الموافق للسنة الثانية عشرة من تقويم شوّا، وصدرت عن قسم الدراسات الآسيوية (Ashiabu) في دايتو بونكا كاكّو إن شيدوكاي (DaitoBunka Gakku in Shedokai)، وقد ركز محررو كتاب (تناكا إيبيه رائد الدراسات الإسلامية) الذي أصدرته جامعة تاكشوك على إثبات المعلومات الضرورية فقط، مع إضافة بعض المعلومات التي توافرت لديهم من مقالات أخرى، تناولت ضمنيّاً سيرة حياته، ورغم الاختصار، فإن من يقرأ هذه السطور يشعر بأن بدايات حياته، كانت تبشر بما وصل إليه تناكا إيبيه من مكانة متميزة، وبما قدمه من خدمات جليلة لتعريف الشعب الياباني بالإسلام وتعاليم الإسلام .

سيرة تناكا إيبيه(*)

– في الثاني من شهر فبراير ١٨٨٢م (عام ١٥ من سنة ميجي) ولد تناكا إيبيه في قرية بوشيو كوجانيه – بجيم قاهرية(وهي الآن مدينة كوجانيه – بجيم قاهرية) فكان ترتيبه الرابع بين أبناء السيد / ساداجورو (بجيم قاهرية) والسيدة / أوكوماشي.

– في أبريل سنة ١٨٨٨م (سنة ٢١ ميجي) وحين كان في الثامنة من عمره التحق بمدرسة توكوروزاو الابتدائية، وكان أحيانًا يذهب إلى كنيسة « فوكو إين كيوكاي – أوتسوبو بوكشي سيكّيو جو » وهي كنيسة تابعة لبعثة أوتسو النصرانية التي كانت تقوم بشرح النصرانية لليابانيين.

* تناكا : هو اسم العائلة ويذكر عادة قبل الاسم الأول.

– في سنة ١٨٩٢م (سنة ٢٥ ميجي) كان في العاشرة من عمره حين بدأ يعمل مع أمه في أحد المحلات في «ناكانو ماتشي» وانتقل بعد ذلك إلى «هونجوموتو ماتشي» (بجيم قاهرية) وبدأ يهتم بالتجارة، وخلال هذه الفترة تعلم كيف يمكنه أن يقرأ نوعاً من الأدب الصيني.

– في أبريل ١٨٩٣ م (سنة ٢٦ ميجي) التحق بالمدرسة الابتدائية – الفصول المتقدمة – هونجو (بجيم قاهرية).

– في أبريل ١٨٩٥م (سنة ٢٨ ميجي) حين كان في الرابعة عشرة التحق بالمدرسة الثانوية «شيريتسو إكُوبوك كان».

– في أبريل ١٨٩٦م (سنة ٢٩ ميجي) حين كان في الخامسة عشرة من عمره قام برعايته أوميز تاكيه جيرو، وحصل على اسم عائلة أوكوموتو، وهكذا تغير اسم عائلته إلى أوكوموتو وليس تناكا.

– في أبريل سنة ١٨٩٧م (سنة ٣٠ ميجي) التحق بالمدرسة الثانوية كيوتو فوريتسو، وفي ديسمبر من السنة نفسها انتقل السيد والسيدة أوميزو إلى طوكيو وهكذا عاش وحده.

– في سنة ١٨٩٨م (سنة ٣١ ميجي) حين كان في السابعة عشرة من عمره ترك مدرسة كيوتو فوريتسو وهو في الصف الثالث، وانتقل إلى طوكيو وفي العام نفسه وفي شهر يوليو تخلى عن اسم العائلة أوكوموتو وعاد إلى اسم عائلته السابق تناكا، ثم التحق بمدرسة «إيكوبون كان» الثانوية.

– في أبريل سنة ١٩٠٠م (سنة ٣٣ ميجي) حين كان في التاسعة عشرة من عمره التحق بمدرسة تايوان كيوكاي جاكو (بجيم قاهرية وكاف مشددة) (الآن جامعة تاكشوك).

- في سبتمبر ١٩٠٢م (سنة ٣٥ ميجي) تتلمذ على يد أستاذ الثقافة الصينية وآدابها "هاتّوري أونوكيتشي" (الذي صار فيما بعد رئيسًا للجامعة الإمبراطورية في سيول)، وبعد ذلك سافر إلى بكين، في تلك الأثناء توفي والده "ساداجورو" (بجيم قاهرية).

- في مايو ١٩٠٤م (سنة ٣٧ ميجي) كثَّف دراساته وتتلمذ على يد شيويا سيئي زن، وعاد ليلتحق مرة أخرى بمدرسة تايوان كيوكاي جاكّو (بجيم قاهرية)، وتطوع للمشاركة في الحرب حين عمل متطوعاً في الكتيبة الخامسة مشاة، كما عمل في الوقت نفسه مراسلاً لمجلة «كُوكُو مين شنبون».

- في مارس ١٩٠٥م (سنة ٣٨ ميجي) أصيب بمرض شديد وأرسل إلى مستشفى هيروشيما، وبعد ذلك ترك العمل في المجال العسكري وعاد إلى طوكيو، وفي شهر أكتوبر من العام نفسه تلقى أمرًا من إدارة الفرقة الرابعة (التي شكلت مؤخرًا) وعين مسئولاً عن منغوليا، فسافر إلى هناك، وفي نوفمبر التقى بسكرتير المالية كامي باياشي كيه جيرو، وتم تعيين تناكا باحثًا لجمع المعلومات عن منطقة منشوريا.

- في سنة ١٩٠٦م (سنة ٣٩ ميجي) حين كان في الخامسة والعشرين أكمل عمله في جمع المعلومات من منشوريا وعين في وظيفة مؤقتة في (كانتو شومين سيه شيو)، وظل تابعاً للفرقة الرابعة عشرة مسئولاً عن منغوليا، لكنه ترك العمل بعد فترة وعاد إلى اليابان.

- في سنة ١٩٠٧م (سنة ٤٠ ميجي) وحين بلغ من العمر ستة وعشرون عاماً صار أستاذاً في المدرسة العليا «هاكّودائى شئيوجيوجاكّو» (بجيم قاهرية)، وكان يحاضر أيضاً في مدرسة هاكوداتيه العسكرية.

- في أبريل من سنة ١٩٠٨م (سنة ٤١ ميجي) تزوج من «أوريكو» الابنة

الكبرى لشيوتاني توكيتويشي، وفي أكتوبر من العام نفسه ماتت أمه عن سبعين سنة.

– في صيف سنة ١٩١١م (سنة ٤٤ ميجي) ترك التدريس وعاد إلى طوكيو ليعيش في " كو إيشي كاوا أوتسكا كوبو ماتشي " وهنا عمل على تفعيل حركة بعث الشنتو مع أودابيه زين أيتشيرُوا الذي كتب كتاباً فيما بعد بعنوان «(جنكيزخان) هو يوشيتونيه (الساموارئي الأعظم)».

– في سنة ١٩١٤م (السنة الثالثة من عهد تايشو) حين كان في الثالثة والثلاثين انضم إلى صف الألمان في الحرب.

– في سنة ١٩١٥م (السنة الرابعة من عهد تايشو) عُين رئيس فريق الباحثين في القسم العسكري في «شين تاو» (الصين)، وكان منصب رئيس الباحثين يعني أيضاً رئيس المعلمين.

– في ربيع سنة ١٩١٦م (السنة الخامسة من عهد تايشو) استقبل زوجته وأطفاله من طوكيو، والتقى سرًّا بالجماعة الثورية في القسم الجنوبي من الصين، وعمل على تفعيل نشاط الثوار، وسافر إلى «شنغهاي»، وكان برفقة الصيني «سون بون»، لكن نظراً لخطورة الوضع هناك عاد في يونيو إلى شين تاو، ثم أرسل زوجته وأطفاله إلى اليابان، وعين في السنة نفسها مستشاراً لهيئة «سانتو وان كانتو».

– في سنة ١٩١٧ (سنة ٦ تايشو) أصدر جريدة «سايناان نيبّو» (Sainan Nippo) مع ناكاني شي ماساكي وكوهيسيه.

– في مايو من سنة ١٩١٩م (سنة ٨ تايشو) حين كان في السادسة والثلاثين ترك إصدار الجريدة سابقة الذكر، واسس شركة طباعة عرفت باسم «ريكًا شوئين».

– في ديسمبر من سنة ١٩٢٣م (سنة ١٢ تايشو) حين كان في الثانية

والأربعين من عمره قدم طلبًا للسفر إلى « سيه إيكي » (في الصين)، فغادر طوكيو إلى « ساي نان »، وهنا ارتبط بمسجد « سيه شين نان داي جي ».

– في الحادي عشر من يناير سنة ١٩٢٤م (١٣ تايشو) درس الإسلام على يد إمام المسجد (أهون – بمعنى إمام – سوفرين)، وصار اسمه الإسلامي « نور »، وفي الحادي عشر من يونيو سافر إلى مكة للحج ودخل مكة عن طريق جدة، وأدى مناسك الحج، ووصل إلى منى في ٨ يونيو ومنها إلى عرفات، وفي شهر نوفمبر ركب السفينة وعاد إلى شين تاو (الصين) ، وبعد ذلك قام بنقل شركة الطباعة « ريكّا شئيون » إلى ريكي زان، وبدأ حلقة تدريس التلاميذ الصغار.

– في سنة ١٩٢٥م (سنة ١٤ تايشو) زار طوكيو يرافقه الإمام – أهون– تشو تو كو جيون إمام مسجد هو سين سيه شين جي، وقربان علي التتاري (اللذان بذلا جهداً كبيراً في سبيل بناء مسجد طوكيو). وأقام ثلاثتهم مصلى للصلاة في منطقة « ميجرو » بجيم قاهرية، وفي الثاني عشر من ديسمبر أقيمت لأول مرة صلاة إسلامية للمسلمين اليابانيين في منطقة كويشي كاوا سيئودو باتاماتشي Koishi Kawa Suidubata Matchi.

– في سنة ١٩٢٦م (سنة ١٥ تايشو) حين كان في الخامسة والأربعين من عمره صار محاضراً في معهد « دايتو بونكا كاكّوئين » (الآن جامعة تاكشوك) بتوصية من عميد المعهد إينونيه تيتسوجيرو.

– في يونيو ١٩٢٧م (السنة الثانية من عهد شوا) انضم إلى جماعة كوهو كوكيوريو تايشي كوتان كان « البوذية »، وفي الشهر نفسه ألقى محاضرة في مؤتمر جماعة سابورو كو آ جاكّاي (بجيم قاهرية) مع قربان علي وكوتشيدا ياسونوبو.

– في يناير سنة ١٩٢٩م (السنة الرابعة من عهد شوا) زار مع ابنه مزار إيسيه الذي يمثل الشنتوية اليابانية.

- في يونيو من سنة ١٩٣٠م (السنة الخامسة من عهد شوا) قام بإرسال «إيبو سيه إتشي» إلى موسكو، وفي ديسمبر من العام نفسه حضر الاحتفال بالذكرى الثلاثين لجماعة اليمينيين السياسية.

- في ١١ فبراير من سنة ١٩٣١م (سنة ٦ شوا) قام بمحاولة جمع الديانات الخمس في اليابان في ظل ديانة واحدة، وبدأ في يونيو يعمل بالتدريس بوصفه أستاذاً غير متفرغ في «دايتو بنكو جاكو إين» (بجيم قاهرية) قسم الدراسات الآسيوية.

- في يوليو من سنة ١٩٣٢م (سنة ٧ شوا) حين كان في الحادية والخمسين من عمره، قاد جماعة تتكون من عشرة تلاميذ من تلاميذ هذا المعهد إلى الصين.

- في السابع من ديسمبر سنة ١٩٣٣م (سنة ٨ شوا) قرر أن يسافر للحج مرة أخرى، وفي ٩ ديسمبر سافر إلى مزار إيسيه، ثم غادر كوبيه في الرابع عشر من ديسمبر.

- في يناير من سنة ١٩٣٤م (سنة ٩ شوا) وصل إلى كابول مروراً بكولومبو، ودهلي، وبيشاور، وفي فبراير وصل إلى طهران عبر هراة، ومشهد، وفي مارس وصل إلى السويس عابراً همدان، وبغداد، ودمشق، فالقاهرة، وفي ٢٥ مارس وصل إلى جدة، ومنها بالسيارة إلى مكة حيث أدى مناسك الحج، وفي ٢٧ مارس التقى بالسلطان ابن سعود والقادة الآخرين، وفي ١٥ مايو وصل إلى شنغهاي، وقد مرض كثيراً خلال هذه الرحلة، وفي ٢٣ مايو مر بمزار إيسيه، ومنه إلى المستشفى حيث انتقل إلى الرفيق الأعلى في الساعة الخامسة من فجر يوم ١٥ سبتمبر بعد أداء مناسك الحج بستة أشهر تقريباً، وقد دفن في مقابر جوشيوجي وبناءً على وصيته نقلت رفاته إلى مقبرة معبد كي يومي «أوتيرا»، وفي عشرين أكتوبر أقيمت له أول جنازة إسلامية لياباني، وذلك في «آوياما سايجو»، وقد حضر الجنازة خمسة أو ستة آلاف، وقد قام بقراءة القرآن الشيخ إبراهيم التتاري أكبر معمر مسلم في اليابان آنذاك.

الحاج نور محمد تناكا
نظرة تحليلية

بقلم: البروفسر نور الدين موري

أستاذ العلاقات الدولية ورئيس قسم دراسات الشريعة

بجامعة تاكشوك

١

كان فهم تناكا إيبيه للإسلام من خلال تعرفه على الإسلام في الصين، وبخاصة من خلال مطالعته لمؤلفات العالم الصيني المسلم ريوكايكو (وينطق الاسم أيضًا ليوتشيه) المكتوبة باللغة الصينية، فقد اكتسب تناكا إيبيه معلوماته عن الإسلام من خلال كتاب السيرة النبوية التي كتبها ريوكايكو، وحين تعرف على شخصية النبي محمد ﷺ، وعلى سيرة حياته استطاع أن يقف على هذا المثال الرائع في الحياة، وعلى الطريقة التي تقود الناس إلى التعرف على الله والإيمان بالله.

كان لدى تناكا شعور بالعطش الروحاني قبل بلوغه سن الأربعين، ظل يبحث عن الحقيقة في كل وقت، لكنه لم يقتنع بشيء، ومثل هذا العطش الروحاني لم يكن قاصراً على شخص تناكا فقط، بل كانت اليابان كلها تعاني منه أيضًا، إن لم يكن العالم أجمع.. ولإطفاء هذا العطش اعتنق تناكا الإسلام.

قرر تناكا أن يكون مسلمًا، ولم يكن السبب هو المعرفة التي نالها بل كما اعتاد دائمًا أن يقول: إذا أردت حقًا أن أمضي على الطريق الصحيح، فيجب أن أتبع الإمام المعلم، وهذا يعني الإيمان بالدين الصحيح، وهذا لا يتحقق إلا من خلال اتباع جميع تعاليم المعلم، كما يجب على الناس أن يتكون لديهم شعور بالإحساس بقبول الدين، ويجب أن يكون لديهم شعور قوي تجاه تعاليم المعلم.

لقد كان لدى تناكا معرفة كافية، وكان لديه شعور ديني وإحساس قوي تجاه الدين، منذ أن كان فتى صغيراً، ثم شاء القدر الإلهي أن يكون له معلم، وشيخ، وهو الإمام "سو هو رين" وقد ذكر تناكا نفسه بأنه كان لديه شعور تجاه الإسلام.

وهكذا ففي يوم ١١ يناير ١٩٣٨م الموافق لعام ١٣ تايشو وفي مسجد "نان داي جي" في مدينة سابنان بمحافظة سانتون شو الصينية أعلن تناكا الإسلام على يد الإمام سو هو رين، وكان تناكا آنذاك في الثالثة والأربعين من عمره، وكان التحول إلى الإسلام بالنسبة لتناكا إيماناً حقيقيًّا بالدين الإسلامي، وكان نتيجة للبحث عن الحقيقة، ويتضح هذا من سلوك تناكا بعد دخوله في الإسلام.

لقد طبق تناكا تعاليم الإسلام، وأدى فرائضه كاملة فأعلن الشهادة أمام الجميع، وكان يواظب على الصلاة ويؤدي الزكاة ويتصدق، ويصوم رمضان، كما أنه أدى فريضة الحج ، وبينما كان يؤدي فريضة تلو الأخرى، كان يشعر بأن عقله وروحه يتطهران، وكان يشعر بالتقوى تعمر فؤاده.

أدرك تناكا ـ كما ذكر ـ أن الصلاة في الإسلام هي أكمل أشكال الصلاة، وكان دائماً يؤمن بأنه إذا صلى الصلوات كاملة وبطريقة صحيحة، فإنه بلا شك ينال الثواب من الله، وهكذا كان تناكا يركز كثيراً على الصلاة، وشعر بأنه في كل مرة يصلي يشعر بأنه يقترب أكثر وأكثر من ربه.

ومن خلال الزكاة والصدقة كان يشعر بمشاعر الأخوة، وبمشاعر الحب التي تجمع بين البشر، ورغم صعوبة الصوم مع أداء فريضة الحج إلا أنه وجد في أداء هذين الفرضين سعادة غامرة ومتعة ما بعدها متعة ، ورقيًّا لمشاعر التقوى بداخله.

وكان تناكا يعتقد أن طريقة الإسلام وطريقة الشنتو في الاقتراب من الخالق متشابهتان، لهذا كان يفكر في أن التعرف على الله من خلال الإسلام والشنتو معاً

أمر ممكن، وأن الإنسان الذي يعتقد في الشنتوية، يمكنه أن يؤمن بالإسلام ويعيش مسلمًا من خلال إيمانه بالله بالمفهوم الإسلامي على أن يؤدي فرائض الإسلام ويلتزم بتعاليمه، وشعر تناكا بأن الشنتو والإسلام لهما الروح نفسها، وكان يحاول الوصول إلى إمكانية لتوحيد هذه التعاليم الموجودة في الشنتو والإسلام ، وكان تناكا يفكر بأن الله في الإسلام وأن «أماميه نو ميناكا نوشي نو كامي» في الشنتو هما الشيء نفسه، يحملان مفهوم الإله الواحد الخالق ، وأن " أماميه نو ميناكا نوشي نو كامي" غير معروف : هل هو هو أم هل هو هي، وهو دائمًا واحد، وهو مخفي لا يراه أحد .

ويقول تناكا إن الله في الإسلام واحد وقد ورد في كتابه إنه : «واحد أحد، لم يلد ولم يولد» ، وظل تناكا يحاول إيجاد تشخيص تعاليم الإسلام وسمات هذه التعاليم في الشنتوية .

وحين رأى وضع الإسلام في الصين تأكد له أن من المحتمل وجود إمكانية لتوحيد الشنتوية والإسلام في اليابان، واضعًا أمله في العقلية اليابانية، والعبقرية اليابانية التي تتقبل جميع المعتقدات والأديان، ومع هذا فهم تناكا جيدًا أن الإسلام لا يمكن أن تتغير تعاليمه أبدًا، حتى إذا وجد وسط الثقافات المختلفة، ومن هنا فكر تناكا في أن يجعل الخطاب الإسلامي في اليابان موجهًا إلى اليابانيين من خلال مدخل أسس البوذية اليابانية، كما أكد على أن الحركة الإسلامية في اليابان يجب أن تقوم على هذه الأسس، أو أن تمضي من هذا المنطلق. كانت السياسة التي ترمي إلى إقامة " آسيا الكبرى" تعني توحيد آسيا، وكان تناكا يرى أن سياسة آسيا الكبرى يجب أن تقوم على أساس نظرية الأمة الإسلامية، وإذا تم امتصاص الشنتوية داخل الإسلام فإن اليابان بالتالي يمكنها أن تؤثر على آسيا عن طريق روح اليابان، البلد الذي سيكون مركز نهضة آسيا الموحدة .

وقد وضع تناكا أمله في أن الشخص الذي يمتلك طموحًا لإقامة آسيا الكبرى يجب أن يمتلك أيضًا روح الإسلام، وإذا كان مؤمنًا بالإسلام، فإنه سيحقق ما يصبو إليه، وأكد تناكا على أن دراسة الإسلام في الصين يمكن أن تؤدي إلى أسس حركة حضارية ثقافية، يمكن أن تنتشر في ربوع العالم، وبهذه الطريقة يمكن تشكيل نظام إمبراطوري ياباني.

كان تناكا يؤمن بالشنتوية، العقيدة القومية لليابان، وفي الوقت نفسه كان يؤمن بالإسلام ويفهم الإسلام جيداً، ويؤمن بتعاليمه، ويؤدي فرائضه كاملة ويحرص على أدائها، وقد عاش مسلمًا في جميع مراحل حياته، مما جعله يحتل مكانة في تاريخ الإسلام في اليابان، فقد ظهر له تلاميذ دخلوا في الإسلام، وأخذوا عنه شخصيته، وطريقة حياته، وتأثروا به، وكان معظمهم يعمل أثناء الحرب العالمية الثانية في إندونيسيا وماليزيا وما جاورها، كانوا قادة سياسيين، يقودون الحركة السياسية الإسلامية، وبعد الحرب عمل هؤلاء بجد ونشاط في مناطق عديدة، وأثروا كثيراً في نشر الإسلام في اليابان.

٢

فهم تناكا إيبيه الإسلام من خلال تعاليم الإسلام ذاته، وقد حصل على هذه المعرفة من الكتب، وأدرك في الوقت نفسه أن الإيمان ليس فقط في نيل المعرفة وحدها، بل يجب على من يريد ممارسة تعاليم الإسلام أن يتبع شيخًا مسلمًا يأخذ عنه، كما يجب أن يكون لديه شعور أو إحساس، لا يمكن أن يجده مكتوباً في الكتب.

تعلم تناكا الإسلام على يد الأئمة المسلمين في الصين، فأثناء سفر تناكا إلى شمال الصين التقى بالأئمة المسلمين الصينيين، ومن خلال لقاءاته بهم أحس بعظمة الشخصية المسلمة ، وبعد الاطلاع على أحوال المسلمين في الصين فكر تناكا في أن الشنتوية اليابانية يمكنها أن تذوب بتعاليمها في الإسلام، رغم وجود

اختلافات في أمور صغيرة، إلا أنه فهم أن الأفكار الأساسية في العقيدتين لا اختلاف بينها..! هكذا كان يعتقد انطلاقاً من أن كل شيء في الكون من خلق الله، وكل شيء يحيا بقدرة الله.

لقد فهم تناكا إيبيه الإسلام من الكتب، ومارس تعاليم الإسلام على يد معلمه الشيخ الإمام الصيني، وأكد إيمانه بتعاليم الإسلام من خلال أدائه للواجبات والفروض طبقًا لتعاليم الإسلام، فكان مسلمًا يعيش حياته ملتزمًا، فلم يؤمن فقط باللسان أو بالقول، بل طبق ما آمن به بالعمل.

وسوف نعرض في الصفحات التالية أفكاره تجاه الإسلام، لكن يجب أن نتذكر أن كلمات تناكا لها معان خبرها وجربها بنفسه على أساس من إيمانه، وعلى أساس من عقيدته، لذا يجب أن نتذكر هذا الأمر فقد طبق تناكا عمليًا ما آمن به فكريًا، وقرن القول بالعمل، مما جعله يحتل مكانة مهمة في تاريخ الإسلام في اليابان.

كيف تعرف تناكا على الإسلام؟ وكيف فهم الإسلام؟

في سبتمبر سنة ١٩٠٠م / عام ٣٣ ميجي دخل تناكا إيبيه مدرسة «تايوان كيوكاي جاكّو» (بجيم قاهرية) (حاليًّا جامعة تاكشوك)، وكان ضمن أول دفعة تخرجت في هذه المدرسة، وقد درس الصينية والكونفوشية، وفي سبتمبر سنة ١٩٠٢م عام / ٣٥ ميجي ذهب إلى بكين للدراسة مع الباحث " هاتّوري " المتخصص في الأدب، وهناك درس لمدة سنتين ونصف السنة، وفي سنة ١٩٠٥م / عام ٣٧ ميجي عاد ليدرس في مدرسة تايوان كيو كاي جاكو، إلا أن الحرب بين اليابان وروسيا بدأت في فبراير من تلك السنة، فذهب تناكا إلى منشوريا ليعمل مترجمًا، وكان السيد واكي كوزو زميلاً له، وطبقًا لما جاء في مذكرات تناكا، فإنه ودع واكي كوزو حين دخل المناطق الروسية، وفي الخامس من سبتمبر عام ١٩٠٥م/ عام ١٨ ميجي انتهت الحرب، في وقت كان تناكا يعمل ضمن وفد

لدراسة إمكانية البحث عن الثروة المعدنية في منشوريا، وظل يعمل ضمن هذا الوفد مدة ثلاث سنوات، ورغم انتهاء عمله إلا أنه لم يرجع إلى اليابان، ومكث في ساينان في مقاطعة سان تون، واستمر يدرس الثقافة الصينية.

وفي أغسطس ١٩١٤م السنة الثالثة من عهد تايشو، وحين بدأت الحرب العالمية الأولى كان تناكا في الثالثة والثلاثين من عمره، انتقل إلى منطقة شين تاو ليعمل ضمن قوات المشاة، وبعد الحرب مكث في شين تاو، وهنا زاد اهتمامه أكثر فأكثر بالكونفوشية، وفي ساينان بدأ يمارس نشاطات عدة منها إلقاء الخطب والمحاضرات، وفي فبراير من عام ١٩١٧م / عام ٦ تايشو أسس مؤسسة صحفية باسم ساينان نيبوشا، وأصدر مجلة ساينان نيبو، وفي مايو ١٩١٩م / سنة ٨ تايشو ترك المؤسسة الصحفية ساينان نيبوشا، وقد أشار إلى ذلك في مذكراته:

«كنت أعمل مع العسكريين أو بمعنى أدق كنت أعمل ضمن الحركة الثورية، وقد أسست مؤسسة صحفية، وكنت أكتب بعض المقالات، كما أسست مدرسة، وحاولت القيام بالتدريس، إلا أن مثل هذه الأعمال كلها لم تكن ترضيني أو تقنعني.. ربما كان هذا خطأ أو ربما كان سوء حظ.. فقد طلبت مني الشرطة العسكرية أن أغادر المنطقة، كما عاملتني الخارجية اليابانية معاملة غير متوقعة.. ولهذا فقد انتهت حياتي هنا...». كان تناكا رجلاً مستقيمًا يتصف بالنزاهة، وكان ينسى نفسه ويفكر دائمًا في الآخرين، رغم أنه في الحقيقة لم يكن بطبيعته اجتماعيًّا، ولم تكن علاقته بالأشخاص تؤثر على رأيه فيهم سلبًا أو إيجابًا، وكانت شخصيته تجره أحيانًا إلى الوقوع في المتاعب، وكل من عقد صداقة مع تناكا انجذب إلى شخصية تناكا، وأعجب بثقافته وذكائه، ورئيس الوزراء ـ المرحوم ـ يوشيدا شئيجئير (بجيم قاهرية) يتذكر تناكا دائمًا فقد كان يوشيدا قنصلاً في ساينان، وقد كتب عنه في سنة ٦ تايشو ما يلي:

«في تلك الأيام أسس (أي تناكا) مؤسسة ساينان نيبوشا مع السيد ناكاني شي، كان مجتهداً ونشيطًا وجادًّا، لكنه اصطدم بالسيد ناكاني شي، الذي كان بدوره صديقًا لي.. حين التقيت بتناكا أول مرة كنت بالطبع بارداً تجاهه، لذا كان غاضبًا وثائراً.. ووقف وأراد مغادرة المكان، في هذه اللحظة اكتشفت شيئًا ممتعًا، في رؤيته وهو يغضب، فحاولت أن أتحدث معه فوجدته رجلاً جذابًا .. بعد هذه الحادثة ربطتنا علاقات قوية حين كنت في ساينان " .

بعد ذلك قام تناكا بافتتاح مدرسة في ساينان، وكان يقوم بالتدريس لعدد قليل من التلاميذ الصينيين، وكان يركز على القراءة وزيارة آثار العظماء القدماء، وكان يقضي معظم وقته في التفكير والتدبر.

موقفه من الدراسات الصينية: لم يقتنع تناكا بالقراءة فقط، ورأى أن يعيش ويختلط مع الناس في هذه المنطقة ويجب أن يتعلم على يد معلمي هذه المنطقة، وقد أشار هو نفسه إلى هذا:

"يجب أن أدرس الصينية من خلال الكتابات الصينية نفسها... ومن أجل دراسة الثقافة والمعارف الصينية يجب أن يكون لي معلم، فنحن نشاهد الكثيرين من دارسي المعارف الصينية، يدرسون دون معلم صيني، وهذا أمر محزن... وفي الصين يمكن أن تجد كثيراً من المعلمين العظماء لهم قيمة عظيمة .

كيف دخل الإسلام؟ كان تناكا يدرس عن المفكرين الصينيين أثناء إقامته في الصين، ومن خلال الدراسة بدأ يهتم بالإسلام، وبخاصة أن ساينان كانت مملوءة بالمسلمين الصينيين، ونتيجة لاتصاله بهم بدأ يشعر بضرورة فهم الإسلام، وفي الوقت نفسه لم يكن مقتنعًا بدراسة أفكار المعتقدات الشرقية مثل: الشنتوية والكونفوشية والطاوية وغيرها، فقد شعر أنه يفتقد شيئًا ما، وقد أشار تناكا إلى لقائه بكثير من المسلمين:

« حين أتذكر صيف سنة ٣٥ ميجي، أتذكر حين ذهبت إلى بكين يحدوني طموح كبير ، إلا أن إقامتي في بكين لم تكن مريحة على الإطلاق، وكنت أحيانًا كلما وجدت فرصة، أزور مسجداً بجوار بيتي، في ذلك الوقت كنت أشعر بنوع من الراحة، نتيجة إحساسي بأنني في جو من الألفة والأخوة والصداقة . . كنت أبحث عن دربي مدة عشرين سنة . . لكنني فشلت في كل شيء للأسف، فشعرت بالضعف يدب في مفاصلي، كما شعرت بأنني لا أجد من أثق به، في ذلك الوقت التقيت بمحمد النبي، وجدت سيف محمد، ووجدت القرآن الكريم الذي نزل على محمد، ومن هنا عادت إلي قوتي، وثقتي بنفسي، كنت كلما فكرت في بوذا والبوذية يأتي على ذهني محمد النبي . . . » .

درس تناكا الشنتوية في صغره، كما تعلم بعضًا من النصرانية وكان يقرأ « دراسات في الكتاب المقدس » الذي كتبه أوتشي مورا كانزو، وكانت أسرة تناكا تنتمي إلى جماعة « رين زاي رين » البوذية كما درس المعارف الصينية، ودرس الطاوية في الصين ، لكنه بعد أن درس الإسلام، بدأ عقله يعمل بجد، وبدأ ذهنه ينشط لفهم تعاليم الإسلام التي جاء بها محمد ﷺ، وهكذا حين كان تناكا يفكر في حضارة الصين القديمة وثقافتها التي تعتمد على الطاوية، كان في الوقت نفسه يفكر في الله طبقًا للمفهوم الذي بلغه محمد النبي للناس، كما أمره الله عز وجل، وفي الوقت نفسه كان يفكر في الله بالمفهوم الياباني الشنتوي، وكان يفكر بأن هناك علاقة بين الكونفوشية والزن وبين الكونفوشية والإسلام، وبين الإسلام والشنتوية وهكذا، وتعد الفترة منذ كتابته مقاله بعنوان « مشاكل الصينيين وقضاياهم » وحتى دخوله الإسلام، مرحلة من مراحل دخوله الإسلام وقد كتب في أثنائها ما يلي :

« إن معالجة المشاكل الدينية ليست بالأمر السهل، يجب أن نكون جادين كما

لو كنا نموت من أجل هذا ».

وأشار تناكا إلى ضرورة دراسة الإسلام والمسلمين في الصين:

«إن دراسة الصين تستوجب فهم عالم الإسلام في الصين، فمن يريد ملاحظة مشاكل الصينيين، يجب عليه أن يلاحظ مشاكل هذا البلد السياسية والدينية، بالإضافة إلى التطلع جيداً إلى تطور الإسلام في الصين».

وظل يحذر الدارسين اليابانيين والمثقفين اليابانيين ويحثهم على ضرورة دراسة عالم الإسلام في الصين، وتجدر الإشارة إلى أن تحذيره هذا لا يجد اهتمامًا من المفكرين والمثقفين اليابانيين حتى أيامنا هذه، وقد أشار تناكا إلى سمات مسلمي الصين:

«المسلمون الموجودون في عموم الصين متطورون مع ثقافتهم الصينية، ومع الكونفوشية، إلا أن معتقداتهم الدينية لا تزال ثابتة على ما هي عليه، قائمة على أسس الإسلام المتينة، فهم لا يزالون يؤمنون بالتعاليم التي جاء بها محمد النبي، وهذا الدين أي الإسلام ليس مثل النصرانية أو أي دين آخر يعتمد على الشكل أو المظهر فقط، إنه قوة دينية، وقوة الإيمان قوة عظيمة، لا تساويها قوة أخرى.»، ويقول تناكا: «من أجل إقامة علاقات خارجية مع الصين نحتاج إلى دراسة الإسلام في الصين، وسوف يساعد هذا كثيراً في دعم العلاقات مع الصين.. إن اليابان لا تعطي أي نوع من الاهتمام بالإسلام في الصين هذه الأيام .. المسلمون في الصين يقولون بأنهم يمثلون جماعة تفوق في عددها أي جماعة مسلمة في العالم ؟!».

وقد أبرز تناكا أهمية الدراسات الإسلامية في الصين مشيراً إلى أن الأمر لا يقف عند حد الصين فقط بل ينطبق أيضًا على العالم أجمع.

تأثير ريوكايكو (وينطق أيضًا ليوتشيه ليان) على تناكا: يرى تناكا أن سبب انتشار الإسلام في الصين هو وجود تشابه بين تعاليم الكونفوشية وتعاليم

الإسلام، وقد كتب تناكا:

« بالمقارنة بالبلاد الأخرى نلاحظ أن الناس في الصين أقبلوا على تعاليم الإسلام بكثرة مع عقيدتهم الأصلية وهي الكونفوشية، فهم يفكرون بأن الطريق الذي رسمه النبي محمد ﷺ هو نفسه الطريق الذي بينه كونفوشيوس، وأنه لا اختلاف في ذلك ، فالفكرة الصينية القديمة كانت تعتمد عقديًا على السماء، وهذه الفكرة تتناسب مع ما جاء به الإسلام، ولهذا السبب تحول كثير من المثقفين إلى الإسلام » (الفصل الأول من كتاب تطور الصين وريوكايكو) .

وقد اختار تناكا « ريوكايكو » كواحد من الدارسين المهتمين بالكونفوشية في عهد شين، وهو يمتدح جهوده في تاريخ الإسلام في الصين:

« بدأ ريوكايكو يدرس جيداً حين كان في الخامسة عشرة، بذل كل جهده في القراءة والدراسة والكتابة طول حياته، وبدأ يدرس الإسلام حين كان في الثلاثين، قرأ معجم كتب الشرق والغرب، وقارن بين الكونفوشية والبوذية، وبعد ذلك ومن خلال هذه الدراسة أوضح النظرية الإسلامية، وقد كتب وألف باللغة الصينية، ونشر كتاباته في جميع أنحاء الصين، وهذا جهد يستحق الثناء والشكر، ويجب أن نقدر عمله العظيم هذا في تاريخ الإسلام، كما أنه حين ندرس الكونفوشية يجب أن نعدّ كتابه هذا مصدراً مهمًّا لنا، سوف نرى أساس الثقافة الصينية من خلاله، ويمكن أن تتضح لنا بجلاء. » (الفصل الثاني من الكتاب السابق)

ومن الجدير بالذكر أنه في مارس سنة ١٢ تايشو وأثناء رحلته إلى الحج، مر تناكا يرافقه الإمام الصيني بقبر ريوكايكو، وهناك قرأ الفاتحة، وقرأ قليلاً من القرآن ترحماً على روح ريوكايكو، كما لو كان تناكا يريد أن يثني على ريوكايكو، ويستشعر روحه.

مؤلفات ريوكايكو: اختار تناكا من بين مؤلفات ريوكايكو التي تبلغ قرابة مئة كتاب هذه الكتب:

١- تين بو تين ريه.

٢- تين بو سين ريه.

٣- تين بو شيسيه جيتسو روك نينبو.

الأول كتاب عن التعريف بالإسلام، بينما الثاني عن التعريف بالإيمان والثالث عن السيرة النبوية، وقد شعر تناكا بأهمية الكتاب الثالث، واختياره لهذه الكتب، يعني أنها المصدر الأساس لمن يريد أن يتعرف على الإسلام، ومن الجدير بالذكر أن كتاب السيرة النبوية ترجم إلى الإنجليزية في سنة ١١ تايشو الموافق لعام ١٩٢٤م، إلا أن تناكا إيبيه ذكر بأن الترجمة فيها أخطاء كثيرة، وفيها حذف كثير في مواضع عديدة، كما تغافل المترجم عن إثبات النصوص العربية التي وردت في الأصل، وهكذا كان نقد تناكا لترجمة كتاب السيرة النبوية الذي ألفه ريوكايكو.

ونشير هنا إلى أن كثيراً من الناس يريدون أن يدرسوا المعارف الصينية بشكل عام، معتمدين على الكتب المترجمة إلى الإنجليزية، إلا أن تناكا أشار بوجوب أن يقرأ الناس الكتب التي كتبت بأقلام دارسين وباحثين مثل ريوكايكو، وتجدر الإشارة إلى وجود باحث مسلم آخر بالإضافة إلى ريوكايكو، لكن تناكا ذكر بأن ريوكايكو لا مثيل له في مجال الدراسات الإسلامية التي كتبت بالصينية.

كيف فهم تناكا الإسلام قبل أن يصبح مسلماً: كتب تناكا في سنة ١٩٢٤م الموافق سنة ١٢ تايشو مقالاً بعنوان «المسلمون وقضايا الإسلام»، وتوضح الأفكار التي وردت في هذا المقال كيف فهم تناكا الإسلام قبل أن يصبح مسلماً، ويتضح للقارئ أن تناكا فهم الإسلام بنفس وجهة النظر الإسلامية، التي يفهمها الإنسان

المسلم، وقد شرح تناكا في مقاله كيف يمكن لغير المسلمين فهم المسلمين، وأشار إلى أن الناس إذا لم يفهموا كيف يكون الإسلام فإن هذا الجهل بالإسلام يشكل مشكلة دولية!

ولا شك بأن وجهة نظر تناكا صحيحة تمامًا، وهذا مثال نسوقه عن مشكلة حدثت في إندونيسيا هذه الأيام تتعلق بشركة «آجي نو موتو» اليابانية التي أضافت إلى منتجاتها بعض أجزاء من شحم الخنزير، فمثل هذا الجهل الذي نشاهده اليوم، لم يتغير منذ عهد تناكا، فهو لا يزال كما هو في هذه الأيام، وقد أوضح تناكا ملامح الدين وسماته حين كتب:

«الإسلام دين واضح وبسيط، إن المسلمين يفضلون تناول طعام قليل وبسيط، ولا يأكلون لحم الكلب أو الخنزير أبداً، وهم في كل يوم يطهرون أنفسهم بالوضوء أو الغسل، ولهم عقلية جادة، فهم يطيعون الله الواحد الأحد.. ويمكن أن نقول باختصار إن الإسلام دين الطهارة والتطهر».

نشرت الصحيفة الصينية «طوهو» التي تصدر في منطقة «هوتين» مقالاً جاء فيه: «هذه السنة سنة الخنزير البري، وعلى المسلمين أن يكسروا قواعدهم هذه السنة، فيأكلون لحم الخنزير. سوف تعقد حفلات لتناول لحم الخنزير، وسوف يدعى عشرة من كبار الطباخين من بكين، وفي المسجد في هوتين سوف نتناول طعام العشاء، وللنساء الذين أسلموا مؤخراً.. من فضلكن أنتن مدعوّات للحضور!».

لكن هذا المقال مقال زائف تمامًا، وقد انتقدت جميع الصحف الإسلامية ما نشر في هذا المقال وشجبته بشدة، وناقشوا هذا الأمر عدة مرات، وهذا يدل على أن الصراع بين المسلمين وغير المسلمين في هذه المنطقة، صار صراعًا خطيراً، ويثير مشاعر عداء متزايدة.

كان المسلمون الصينيون يظنون بأن صحيفة «طوهو» يمتلكها يابانيون، لأن الصينيين يطلقون على أي صحيفة يابانية تصدر في الصين اسم «طوهو» ، وكان تناكا إيبيه قلقًا جدًّا بسبب مثل هذه القضايا، أي إثارة مشاعر العداء تجاه اليابانيين من خلال مثل هذا المقال الزائف، والحقيقة أن صحيفة «طوهو» لم تكن صحيفة يابانية يصدرها يابانيون، وقد كتب تناكا بهذا الشأن إلى مسجد ساينان، وهكذا قضى على الشك الذي ساور المسلمون هناك تجاه اليابان، ويقول تناكا:

«إذا ناقش أحدهم مسألة أن المسلمين لا يأكلون لحم الخنزير فهذا ليس من شأنه، إنه شأن المسلمين أنفسهم، مشكلتهم هم، لا يجب على غير المسلمين التدخل في هذا الأمر» (المسلمون وقضايا الإسلام الفصل الثاني) ويكتب تناكا أيضًا:

«هذه الأيام لدينا حركة قومية واسعة النطاق من أجل تأسيس آسيا الكبرى، لذا فتكوين صداقة مع المسلمين أمر مهم للغاية لتحقيق فكرة آسيا الكبرى، فإذا تجاهلنا طريقة حياة المسلمين فسوف يكون هذا من الخطورة بمكان، لذا يجب على اليابانيين أن يهتموا بهذا الأمر جيداً. (المصدر السابق) وهذه الفكرة التي أوضحها تناكا قبل أن يصبح مسلمًا، توضح أن تناكا فهم الإسلام كما لو كان واحداً من المسلمين أنفسهم، كما أنه اعتنق فكرة الحياة الإسلامية، والسلوك الإسلامي، والمشاعر الإسلامية.

تناكا يقرر الدخول في الإسلام: إعلان الإسلام على يد معلمه: استمر تناكا نحو أربعين سنة يعاني من القلق الروحي، كان يبحث عن الحقيقة دون أن يقتنع بشيء، كان يائسًا من الوضع في اليابان وفي أول سبتمبر عام ١٩٢١م الموافق لعام ١٢ شوا حدث الزلزال الكبير في طوكيو ـ وطبقًا لما ذكر تناكا ـ لذا قرر أن يرحل جهة الغرب بعد أن شهد هذا الزلزال الرهيب، وقد عبر عن مشاعره تجاه هذا الزلزال بكلمات قليلة هي الحكمة ذاتها، قال:

« لا أستطيع أن أقول إن الأمر كان مفرحًا، ولكن هذا ليس بضحكات الفظاعة تسخر منا، وليس هذا بصوت اللعنة، تنزل علينا، ليس هذا بنهاية وطني ! إن إله هذا الوطن قادر على أن يعيد بناء اليابان الحقيقية.. هذا نداء الفرح ! ».

كان تناكا يتوقع أن تحدث ثورة في عهد تايشو، لكنه أصيب باليأس، لأن مثل هذه الثورة لم تحدث، إلا أنه بعد الزلزال، ظهرت شخصية الشعب الياباني بشكل أوضح، وصار اليابانيون أكثر نشاطًا، وشعروا بأن النهضة يمكن أن تتحقق بالاعتماد على النفس، وهكذا عبر تناكا عن شعوره بعبارة: هذا نداء الفرح أي ما يدعو إلى الفرح والسرور، بعدها شعر برغبة في السفر ناحية الغرب.. لكن لماذا قرر السفر ناحية الغرب؟.

بعد الزلزال قرأ تناكا كتاب « دايتو ساي إيكيكيا » بقلم جنسو هوشي (بجيم قاهرية)، وكتاب ساي يوكي بقلم ناجا هرو ما ساكو (بجيم قاهرية)، وكتاب حياة جنكيزخان (بجيم قاهرية) لذا قرر أن يتجه غربًا، ثم إنه كان قد عاش في منطقة "سان تون" لمدة عشر سنوات، وكان يفكر طوال الوقت في أن هذه المنطقة ستأخذه ذات يوم إلى الطريق المؤدي إلى تركيا، وزادت رغبته في السفر غربًا دون ما سبب، فقط كان يريد السفر غرباً، ربما لإطفاء عطشه الذهني.. كان عليه أن يفعل ذلك..

ربما بقي تناكا في اليابان إذا لم يحدث الزلزال، وربما كان قد وجد نفسه يدعو إلى ثورة من نوع ما، تعتمد على الشنتوية، لكن الزلزال حدث، لهذا حطم الثقافة الضحلة (غير العميقة، غير الأصيلة) التي لا معنى لها، كما بث روح التعاطف بين الناس، لكن من ناحية أخرى، برز الطموح الذي هو سمة لليابانيين من هنا وهناك، لذا فكر تناكا في أن ينمي هذا البرعم الذي ظهر للنبتة الجديدة، وأن يعمل على رعاية هذه النبتة حتى تنمو وتثمر.. كان تناكا يدرك تماماً أن هذا من

واجباته.. وبعدها أدرك أن نهضة اليابان تعتمد أساسًا على الناس الموجودين في اليابان، وأكثر من هذا أدرك أن أهم شيء هو أن تحتل اليابان مكانة رفيعة على المستوى العالمي، وذلك عن طريق الناس الذين يعيشون خارج اليابان.

إن القلق الروحي أو اليأس الروحي الذي كان يعتريه لم يكن قلقًا أو يأسًا على المستوى الشخصي، لكنه أيضًا كان قلقًا أو يأسًا يصيب كل ياباني، أو على المستوى العام، وهذا اليأس يمكن أن يكون تجاه العالم، وكان السبيل إلى التخلص من هذا اليأس هو الدخول في الإسلام.

تناكا وشيخه: لماذا أراد تناكا أن يصبح مسلمًا؟ لم يكن هذا بسبب القراءة أو الدراسة أو المعلومات أو المعارف، فالناس لا يؤمنون بالدين إذا لم يوافقوا على أساس هذا الدين ومبادئه، وليس فقط عن طريق المعلومات يمكنهم الدخول في الدين، وقد أشار تناكا إلى هذا:

«إذا أردت حقيقة أن أنال الحق لا بد أن يكون لي معلم».

نال تناكا معلوماته عن الإسلام من قراءته لكتب ريوكايكو، ثم تعلم الإسلام على يد معلمه الشيخ والإمام سو إمام مسجد تان داي جي.

إن الإيمان بالدين يحتاج إلى معرفة، لكن الإيمان لا يأتي بالمعرفة فقط، يجب على المرء أن تكون لديه الموهبة التي تساعده على قبول الدين، ثم لا بد أن يكون لديه الشعور والرغبة للتعلم، كان تناكا لديه معلومات كافيه ومعرفة غزيرة، كما كان منذ صغره لديه موهبة لتقبل تعاليم الأديان ، وبعدها جاء دور المعلم الإمام سو، فعلاقته بالإمام جعلت عواطفه ومشاعره تجاه الإسلام تزداد يومًا من بعد يوم، كما أنه التقي بمسلمين طيبين، وبشيوخ مسلمين طيبين أيضًا.

ثم صار واثقًا من نفسه ومن مشاعره، وأحس أنه يمكن أن يكون مسلمًا صادقًا

مع الله ومع نفسه وهكذا شرح الإسلام:

«الإيمان هو الفرض الأول على المسلم، فيجب عليه أن يعلن الشهادة بالإيمان بالله الواحد الأحد، وبأن محمداً رسول الله، والنطق بالشهادة يعني أن هذا الإنسان صار مسلماً».

وأشار تناكا إلى أن الرسول محمد ﷺ بشر وليس بإله، كما أن المسيح واحد من الرسل وليس بإله، كما أوضح تناكا فكرة الإسلام تجاه النصرانية، فقد جاء محمد بعد عيسى، وقد ورث التعاليم الإلهية، وجاء ليصلح ويكمل الدين ويتمم مكارم الأخلاق.

ومحمد يدعو إلى ترك عبادة الأصنام، تلك التي اتخذها بعض النصارى واليهود من دون الله، كما أن الإسلام يرفض الأصنام التي يقدسها البوذيون أو عبدة النار، ومحمد نبي الإسلام ليس بعدو للنصارى، وقد ورد هذا بوضوح في القرآن الكريم.

والإسلام يدعو المسلم إلى الإيمان بالله وإلى الصلاة والصوم والزكاة والحج، كما أن كونفوشيوس أو جين رين جوتن (الجيم الثانية جيم قاهرية) أي الطريق (يقصد زعيم الطاوية) يدعو الإنسان إلى احترام ولاة الأمر، واحترام الوالدين والزوج والزوجة، واحترام الأخوة واحترام الأصدقاء، ويشير تناكا إلى تشابه التعاليم التي يدعو إليها الإسلام والكونفوشية وكذا سلوك الشنتوية وأخلاق الشنتوية، فهناك تطابق بين هذه الأديان الثلاثة.

ويشير تناكا إلى أن الإسلام يدعو إلى: الإيمان بالله وبالملائكة وبالرسل وبالقدر خيره وشره وبيوم البعث. كما يؤكد على واجبات هي: إعلان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت.

والإسلام يؤكد على البعث وحساب يوم القيامة، فالإنسان إذا عمل صالحًا دخل الجنة، وإذا ارتكب الذنوب دخل النار، وهذا يوضح الخوف من عقاب الله، إلا أنه فيما يتعلق بفهم تناكا للإسلام فإننا نلاحظ أنه يفتقر إلى القسم الخاص بالحياة بعد الموت، وربما لم يشر إلى هذا عمداً، لكن لا يوجد في كتاباته ما يشير إلى موضوع الحياة بعد الموت.

ترى ما السبب؟ لعل السبب يرجع إلى أن تناكا لم يشأ أن يشير إلى الله الذي يخاف الإنسان منه فقط، فهو يكتب عن الله الحق، خالق كل شيء، فبعد دخوله الإسلام وصل إلى هدفه، ووجد ما يصبو إليه، الإيمان بإله واحد خالق كل شيء، الله الحق ، وكان مقتنعًا من خلال إيمانه بالله أنه وجد ردوداً على تساؤلاته، بعد أن شعر بوجود الله، واستطاع أن يعرف الطريق إلى الإيمان بالله، واقتنع بهذا، فهو لا يريد أكثر من هذا، فلم يكن تناكا أساساً يريد أن يشعر بضرورة لفهم الحياة بعد الموت.

والشخص الذي يريد أن يعلن إسلامه يعلنه أمام الإمام وأمام شاهدين مسلمين، فينطق بالشهادتين خلف الإمام فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وبعدها يشهد الشهود على ذلك، وهكذا فإن مراسم إعلان الإسلام مراسم سهلة وبسيطة ، ولكن هذا الإعلان يتطلب ممن أسلم الالتزام بالأمور الأخرى المتعلقة بالإسلام، والتي يوافق عليها ويؤمن بها.

بعد هذه المراسم يصبح الشخص مسلماً، ويصبح عضواً في جماعة المسلمين، وقد كان إعلان تناكا للإسلام في مرحلة تالية على مرحلة الإيمان بكل شيء، وبعد أن مارس عمليًّا أموراً تتعلق بالإسلام، وهكذا ففي الحادي عشر من يناير في سنة ١٣ تايشو، وفي مسجد ساينان في مقاطعة سانتون، أعلن تناكا إسلامه على يد الإمام سو، وكان دخوله الإسلام نتيجة طبيعية لسلسلة متواصلة من بحثه عن

الحقيقة، فقد كتب:

«تحولي إلى الإسلام لم يكن نوعًا من اللعب أو الهواية أو الغواية، كما لم يكن لسبب سياسي، أو لسبب يتعلق بإجراء أبحاث أو دراسات، وحديثي عن سبب إسلامي له قصة يطول شرحها...».

«حين شاهدت الزلزال، تفتحت عيون قلبي، على الله وعلى الحياة !».

البحث ودراسة الإسلام: استقبل تناكا ذات مرة أول ياباني مسلم(١) فقال له تناكا:

«إذا حافظت على اتصالك بأمور الدين فلا يجب أن تفكر في التجارة أو السياسة، يجب أن تقوم بهذا باسم الله ومن أجل الله، وأن تجعل الشرير يشعر بالذنب ويأسف على اقترافه للذنب، وهذا واجب عظيم، فإذا استطاع الياباني أن يفعل هذا الأمر مع المسلم الياباني مستقبلاً فإن هذا سيحقق مكاسب طيبة.».

كانت هذه نصيحة يوجهها تناكا لمن يدرسون الإسلام ويبحثون في الإسلام، ويوجهها لنفسه أيضًا فقد كان يعمل بحق طبقاً لهذه النصيحة.

بعد أن أعلن تناكا الإسلام كان يصر على أن الأمر الضروري هو اتباع الإسلام، والعمل طبقا لتعاليمه، ويذكر أن الناس يطلقون على الإسلام بالصينية اسم «كاي كيو»(٢). لكن ليس هذا هو المعنى الصحيح للإسلام، فحين نترجم كلمة إسلام في اليابانية فإنها تعني «سيه شين»، وهذا يعني الطاهر النقي، ويعني النقاء والصفاء، ومن يؤمن بالإسلام، نطلق عليه كلمة مسلم، ومؤمن، كما أن الناس يقولون بالإنجليزية «محمدي» وهذا غير صحيح لأن الإسلام ليس بالدين الذي ينسب إلى شخص محمد.

---

(١) لم يكتب اسمه – المترجمان.

(٢) كاي بمعنى الدوران، ويقصدون بذلك طواف المسلمين حول الكعبة المترجمان.

ويشير تناكا إلى وجوب فهم الناس لكيفية حياة المسلمين طبقًا لتعاليم الإسلام، لقد صار تناكا فردًا من أفراد المجتمع الإسلامي، يعيش حياته طبقًا لتعاليم الإسلام، وهذا النمط من الحياة مستقبلاً سيقيم بينه ارتباطًا ليس فقط مع مسلمي الصين بل أيضًا مع جميع مسلمي العالم، ويشير أيضًا إلى أن الشخص الذي يريد أن يدرس فقط الإسلام من أجل هدف سياسي، دون فهم حقيقي لهذا الدين سوف يفشل..

ويشير تناكا أيضًا إلى أنه في قوات المشاة العسكرية يركزون دائمًا على المشكلة الصينية، لكن من لا يهتم من بين هؤلاء العاملين في الإدارة بالمسلمين الصينيين، عليه أن يدرس الإسلام بعناية فائقة، وإلا فلن تكون هناك نتيجة متوقعة للعلاقات بين اليابان والصين، كما أن تجاهل المسلمين بخاصة سوف يؤثر تأثيرًا سيئًا على اليابان (من كتاب الإسلام والقضايا الإسلامية، المدخل)

مكانة الرسول ﷺ في قلب تناكا: تسمى تناكا باسم إسلامي هو نور محمد، وكان هذا الاسم بالنسبة لتناكا يحمل مغزى كبيرًا، فقد ظل حبه للنبي يموج في قلبه منذ فترة طويلة، وكانت سيرة النبي ماثلة دائمًا في ذهنه وفي خياله، بينما كان يدرس الإسلام، وكان يتخيل الرسول ﷺ في طفولته وفي صباه وفي جميع مراحل حياته، وعبارته هذه توضح كيف كان يفكر عن النبي ﷺ:

«كان من بين رفاقي أناس يعملون في الداخل من أجل حركة نهضة اليابان، لكنني كنت أريد أن أعمل من خارج اليابان من أجل تحقيق آسيا الكبرى، أنا ضعيف وصغير، لكنني أؤمن بالله وأعشق شخصية محمد نبي الله وأحترمها، وحين أفكر فيه أصبح رجلاً شجاعاً، يجب أن أكمل واجبي المفروض عليّ.».

وقد ذكر تناكا بأنه ترجم كتاب ريوكايكو عن السيرة النبوية (تن بو شيسيه جيتسو روك نينبو) الذي يتألف من ٢٠ جزءًا، والكتاب يحكي عن حياة النبي محمد، وقد اكتشف تناكا وجود الله من خلال اتباعه لسنة محمد ﷺ، ورأى أنه

يمكن إطاعة الله، إذا ما اتبع سنة محمد ﷺ، والتعاليم التي جاء بها لهداية البشر، وهو بهذا سينال الهداية من الله، الذي سيرشده إلى الطريق القويم.

وهكذا فكر تناكا بأنه باتباعه سنة محمد ﷺ فإنه يطهر نفسه، وذهنه وعقله وجسده، وفكر بأنه باتباعه لتعاليم الإسلام فإن الله يهبه الهداية والرشاد، ويمكنه أن يؤدي واجبه تجاه ربه.. لقد كان مصيبًا، فقراءته لسيرة الرسول ﷺ جعلته يكتشف ويدرك تماماً أن محمداً رسول حقيقي، أرسله الله لهداية العالمين..

وآمن تناكا بأن محمداً ﷺ كان محاطًا بالرعاية الإلهية، وهكذا استطاع أن ينشر الدين الحنيف، وأن يشكل المجتمع الإسلامي، وقد حفظ الله محمداً ﷺ ورعاه، ووفقه إلى إقامة دولة الإسلام.

لقد شعر تناكا بوجود الله في حياة محمد ﷺ، لهذا أكد أكثر من مرة، وتأكد هو أيضًا بأن محمداً ﷺ هو النبي الحقيقي المرسل من الله، لكن حين كان تناكا يفكر في وجود الله، كانت تسيطر عليه فكرة الإله في الشنتوية، كان يفكر في الله في الشنتوية، والله في الإسلام.. كان لديه صراع فكري، وصراع ذهني.. كان هذا واجب وفرض ومسألة ظل يفكر فيها طوال الوقت، لكنه لم يكن يشك أبداً في نبوة محمد ﷺ، وأنه إذا سلك الطريق الذي سلكه محمد ﷺ، واتبع سنته فإنه سينال عون الله، كان هذا هو التفكير الذي يطغى على عقله باستمرار.

اعتقد تناكا بأن محمداً ﷺ ما زال موجوداً في هذا العالم، من خلال وجود سنته التي يتبعها المسلمون في أرجاء المعمورة، وحين يصلي في المسجد يقول بأنه يكتشف روح محمد ﷺ من حوله، ويذكر بأن محمداً ﷺ هو الرسول الذي يحمل روح التسامح والعطف مع الالتزام بتعاليم الله، وكان تناكا يشعر بوجود النبي طوال الوقت، فكان حين يصلي صلاة العشاء يشعر من داخله بوجود النبي ﷺ، وهو يمضي على سنته، يصلي الصلاة طبقًا لما علمها محمد ﷺ للمسلمين، وكان

تناكا يبكي طوال الليل من التأثر بعد أن يرق قلبه وهو يتذكر سيرة النبي ﷺ.

الصلاة وأثرها في إيمان الفرد: الصلاة فرض من فرائض الإسلام والصلاة قيام وركوع وسجود؛ ويقال إن كل مخلوق في العالم، له صلاة وتسبيح، والصلاة بشكلها هذا تحمل معان منها: أن السجود يحمل معنى كمال الطاعة لله وهكذا، والصلاة خمس مرات في اليوم: الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، وقد أشار تناكا إلى تأكيد الإسلام على إقامة الصلاة، والمسلم يتوضأ قبل الصلاة، وطريقة الوضوء للصلاة في الإسلام شبيهة بطريقة الوضوء في الشنتو القديمة، ويرى تناكا أن الصلاة في الإسلام هي الصلاة المثلى لكل صلاة، وأن الناس إذا واظبوا على إقامة الصلاة نالوا الثواب من الله.

وهكذا حرص تناكا بعد أن دخل الإسلام على أن يقضي حياته مصلياً، مشيراً إلى أن الصلاة بالنسبة له تعني أنه يدرس نفسه، ومنطقة ساينان في معظمها منطقة مسلمة، وهكذا شعر تناكا بالمجتمع المسلم، وبالبيئة المسلمة، فكان إذا مشى في الشارع أقبل عليه الناس يحيونه بتحية الإسلام: السلام عليكم، وكان تناكا سعيداً بالأجواء التي تحيط به في ساينان، وقد عاش مسلماً بين المسلمين، ولم يشعر أبداً بالغربة بينهم، كان ينهض كل صباح في الخامسة والنصف للصلاة في المسجد، فيصلي في جماعة خلف الإمام... إلا أن اليابان كانت طول الوقت ماثلة في ذهنه كوطنه الأم.

كان كثيراً ما يستقبل التلاميذ أو عامة المسلمين بين أوقات الصلاة، فيتبادل معهم الأحاديث في موضوعات شتى، وهكذا كان جميع زائريه معلمين له، وقد خبر مراسم الجنازة، وحضر احتفالات الزواج، وغيرها من الاحتفالات الإسلامية، وتعلم ماذا يفعل المسلمون في هذه الاحتفالات، وطبيعة سلوكهم والعادات والتقاليد التي يمارسونها. كان تناكا يعطف على المتسولين والشحاذين الذين

يتجمعون حول المسجد عند كل صلاة، وبخاصة عند صلاة الجمعة، فكان هؤلاء الشحاذون يتكلمون بعض الكلمات العربية، وكانوا يعيشون على الطريقة الإسلامية.

وكان تناكا في نهاية اليوم وبعد صلاة العشاء يواظب على حضور درس الإمام سو الذي كان يعقد في كل ليلة، هكذا كان يقضي حياته مشيراً إلى الفرق بين الصلاة في البوذية والإسلام:

« في البوذية نقول إنهم يركزون على الصلاة وعلى الاستغراق في التفكير midetition وفي الإسلام يركزون على الصلاة فقط، وهذه هي السمات الأساسية للإسلام» (الإسلام وقضايا الإسلام الفصل الثاني).

أُعجب تناكا كثيراً بالأذان، وهو نداء الصلاة يقول: « ... وصوت الأذان (بانك نماز) ينطلق على لسان الشيخ المؤذن، من فوق المئذنة، لا يمكن أن يشعر بجماله وروعته إلا من يسمعه، لا يوجد صوت آخر مثل هذا الصوت يطهر داخل البشر.. في ليلة هادئة ساكنة يطلع فيها الهلال على صفحة السماء الصافية، حين وقف الشيخ الذي يرتدي الملابس البيضاء ليؤذن من فوق المئذنة، شعرت كأننا في الجنة، حين سمعت صوته بعد أن رفع الأذان !!... وحين يسمع المسلمون صوت المؤذن يسرعون إلى المسجد، حيث يقفون في صفوف متراصة متجهين إلى القبلة، بشكل منتظم وثابت، يفوق كثيراً ما نفعله نحن اليابانيين حين نسمع نشيدنا القومي» (الإسلام وقضايا الإسلام الفصل الثاني)

الوضوء قبل الصلاة: وصف تناكا الوضوء هكذا: الوضوء في الإسلام يشبه الوضوء في الشنتو القديمة، وفي الشنتوية يجب أن يتوضأ الإنسان قبل الصلاة ويسمى هذا «ميسوجي» (بجيم قاهرية)، وهذا الوضوء لا يطهر فقط الجسم بل يطهر الروح أيضاً، ويمكن أن نقول الشيء نفسه فيما يتعلق بالوضوء في الإسلام،

وهناك في الإسلام تطهر آخر يطلق عليه الغسل، وتطهر عن طريق التيمم، فالوضوء للصلاة يكون بغسل اليدين والمضمضة والأنف... إلخ بينما الغسل للجسم كله، والتيمم يكون بالتراب في حالة تعذر وجود الماء وله طريقة خاصة، وهكذا فالوضوء من ناحية أخرى يخلص الإنسان من الأفكار السيئة، ويجعله مستعداً للدخول في الصلاة.

وإذا شعر الإنسان بالغضب فيمكن أن يتوضأ، فيذهب عنه الغضب طبقًا لما جاء في الحديث.

مناسبات إسلامية خاصة: الإسراء والمعراج حضر تناكا الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج في نانكو (الصين)، والمعراج يعني صعود محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء، وقد عرف تناكا أن هذا اليوم له معنى خاص عند المسلمين، والمسلمون يحتفلون به بإقامة الصلاة والدعاء لله، وقد صلى تناكا مع المسلمين في هذا اليوم في مسجد صغير في حضن الجبل، وقد مشى مسافة طويلة على قدميه ليصل إلى هذا المسجد الصغير، يقول تناكا:

«إن الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج في نانكو كان مؤثراً جداً في حياتي كمسلم».

لكن إقامة الصلوات في هذه الليلة ليست بالأمر الواجب أو المفروض، فلم يأت بها أي نص لا في القرآن ولا في الحديث، لكنها عادة تتبعها جماعة المذهب الحنفي.

الاحتفال بليلة النصف من شعبان في ساينان: يطلقون على هذه الليلة شب برات أي ليلة البراءة من الذنوب وطلب المغفرة، والدعاء إلى الله ليغفر لهم جميع الذنوب والأعمال التي مضت طوال العام، وفي هذه الليلة يقوم المسلمون بدعوة

الشيوخ بشكل فردي قبل ذلك بأسبوع، فيذهب الشيوخ إلى البيوت ويصلون ويدعون الله، وقد قام تناكا بدعوة الشيخ الإمام سو، وثلاثة من التلاميذ، وقد صلوا معًا ودعوا الله، وعن هذا الاحتفال كتب تناكا[1]:

« يمكن القول بأن هذا الاحتفال شبيه بالاحتفال الذي يقام في الشنتو في ٢٣ ديسمبر (السنة القمرية)، وعلى كل حال ففي هذا اليوم نطلب من الله أن يستمع إلى تقرير كامل عن أعمالنا طوال السنة، وندعو الله أن يتقبل منا صالح أعمالنا » .

بعد شهر واحد على دخوله الإسلام ذكر تناكا أن حياة المسلم ليست بالشيء السهل، لكنه شعر بكل تأكيد بأنه وصل إلى أعماق (Core) الإسلام، وهو يحاول أن يجعل من نفسه شخصية لها قيمتها مستقبلاً، وذلك من أجل الأمة الإسلامية، وهو يأمل من ناحية أخرى أن يظل مقيمًا على هذه الحياة الإسلامية .

تطهير العقل والجسم بالتهجد والعبادات: الصوم والإكثار من العبادة في رمضان: صوم رمضان فرض على كل مسلم ومسلمة، ويبدأ الصوم في الشهر التاسع من السنة الهجرية، وحين يرى المسلمون هلال شهر رمضان يستعدون للصيام من الفجر حتى غروب الشمس، ويمسك المسلم عن الطعام والشراب، ولا يعاشر زوجته وهو صائم، ولا يشعر بشهوة إلى طعام أو شراب، ولا يشعر بشهوة جنسية .

في شهر رمضان يصلي المسلمون صلاة التراويح بعد صلاة العشاء، حين دخل تناكا الإسلام صام أول رمضان له أثناء سفره، ورغم أن المسافر ليس عليه حرج، ويمكنه ألا يصوم، لكن تناكا سافر وهو صائم وذكر الصوم هكذا: « على كل مسلم أن يصوم في رمضان، ولا يوجد مثل هذا الصوم في أي دين آخر، وأنا أحاول أن أصوم رمضان وأنا مسافر، كنت مسافرًا عبر الصين وأيضًا في جزيرة العرب، وكان أمرًا صعبًا لا يمكن تخيله . » (الإسلام وقضايا الإسلام الفصل الثالث) .

« لا يأكل المسلمون الطعام الذي يعده غير المسافرين حتى أثناء السفر – فقد يكون فيه ما هو محرم أكله، وإذا لم نستطع أن نطهو الطعام بأنفسنا، فعلينا أن نتحمل ونصبر على الجوع، وقد تدرب المسلمون بطريقة جيدة على هذا، إن شهر رمضان وصيامه فرض على كل مسلم ، وهو من أصعب الفروض التي يجب على المسلم أداؤها » .

عندما يحين وقت الإفطار يشرب تناكا الشاي ويأكل قليلاً من الحلوى، ويصلي المغرب ثم يتناول بعد ذلك طعام الإفطار، وكان أثناء سفره إذا ما وجد مسجداً ذهب إليه لصلاة العشاء والتراويح، حيث يتجمع المسلمون، وكان تناكا يصلي في مسجد شنغهاي:

« إن المسجد الذي يطلق عليه اسم " جاي (بجيم قاهرية) كوك جي " يقول الناس بأنه صورة مصغرة لسكان مدينة شنغهاي، ففي هذا المسجد يمكن أن تشاهد أجناسًا بشرية مختلفة، حيث يتجمع ٥٠٠ أو ٦٠٠ من المصلين، وهذه إحدى المعجزات التي يمكن أن نشاهدها في شنغهاي » .

« ومن بين هذه الأجناس يمكن أن تشاهد عدداً قليلاً من الكوريين واليابانيين، وهم يصلون صلاة التراويح عشرين ركعة كل ليلة مدة شهر رمضان، وهذا أمر جدير بالملاحظة » .

أعلن تناكا عن شعوره الغامر بالسعادة عندما أكمل صوم شهر رمضان :

« قال رفيقي : يا أستاذ! غداً يوم العيد . . . لاحظت أن وجنتيه صارتا أعلى من ذي قبل لأنه فقد كثيراً من وزنه هذا الشهر، كان هذا نتيجة صوم شهر رمضان أثناء سفرنا، كان الأمر صعبًا، ولا أحد يستطيع أن يغير وقت رمضان، فهو يبدأ مع هلال الشهر التاسع وينتهي حين يظهر هلال الشهر الجديد أي شهر شوال، وحين

شاهد رفيقي هلال الشهر الجديد من فوق السفينة قال لي: غداً العيد! كان تعبيره ممزوجًا بالجدية والفرح والشكر لله، كان شعوره هذا هو شعور جميع المسلمين على وجه الأرض».

وشهر رمضان شهر مبارك، فيه أنزل القرآن، وخلال هذا الشهر يحرص الناس حتى من لا يهتمون بتعاليم الإسلام، على الالتزام بالصوم، ولأنه شهر مبارك تكثر فيه العبادات، وأثناء صلاة التراويح يحرصون على تلاوة القرآن بأكمله، ويشعر الناس بأنهم تطهروا من ذنوبهم عن طريق الإكثار من العبادة وبخاصة في العشر الأواخر من رمضان، ففيها ليلة القدر، يتضرع الناس إلى الله أن يغفر لهم وأن يصلح من حالهم، وهكذا يشعر المسلمون بعد شهر رمضان بالسرور والسعادة، وينسون جميع متاعب الصوم ومعاناته، ولا يمكن لغير المسلم أن يشعر بمثل هذا الشعور الذي شعر به تناكا وتلميذه.

فريضة الحج: كتب تناكا عن أهمية الحج إلى مكة: «الحج فريضة من فرائض الإسلام الخمس، والمسلم يكمل فرائض الإسلام بأدائه لفريضة الحج، ومن هنا تكمن أهمية هذه الفريضة، وإذا أكمل المسلم الحج فهذا له شرف عظيم يدخل على قلبه الفرح والسرور، وهذا أمر لا يمكن لغير المسلمين تصوره» (الإسلام وقضايا الإسلام، الفصل الرابع).

والحج فريضة صعبة فالإعداد لسفر الحج يستلزم نفقات يوفرها المسلم من بين مكاسب حياته، كما أن الطريق إلى مكة صعب جداً، فقد بدأ تناكا سفره في ٢٨ مارس سنة ١٣ تايشو، وكان ذلك في يوم الجمعة، فذهب لصلاة الجمعة والتقى بالإمام كون فوكو دو الذي كان في الثانية والثمانين من عمره، وبينما كان الإمام يدعو الله أن يحفظ تناكا في سفره هذا كان تناكا يبكي، بعد ذلك أعلن الإمام سو للناس بأن الأستاذ تناكا مسافر الآن للحج، فليودعه كل منا الآن، وقد ذكر تناكا أنه:

«من بين كثير من الناس الذين قدموا لوداعي لم أجد يابانيًا واحدًا، لكن مثل هؤلاء المسلمين الصينيين قدموا جميعا من أجل ياباني واحد.. كم كان هذا جميلاً!».

وعبارته هذه تدل على أن المجتمع الصيني المسلم كان بعيداً عن اليابانيين الذين كانوا يعيشون في الصين، ورغم هذا كان تناكا يحمل بداخله ثقة في المجتمع المسلم فقد صار واحداً منهم، وقد صار مثله مثل أي مسلم صيني، ويفهم أيضًا أنه لم ينل أي مساعدة من أي ياباني كما أنه لم يكن له أي هدف سياسي، فقد رغب تناكا فقط في أن يكمل فريضة الحج، وقد عبر تناكا نفسه عن ذلك بقوله:

«أنا لست شخصًا يريد أن يحاول ممارسة أي نشاط ثقافي في الصين، الآن فقط أريد أن أكون مسلمًا جادًّا، مسلمًا حقيقيًّا، أريد أن أتبع الإمام المسلم، أحترم شيخي المسلم الذي أتعلم منه كيف أمضي على سنة محمد النبي، فأنا أريد أن أمضي على الطريق الصحيح، وعلى الدرب الذي يقودني إلى الله، لقد شاهدت فعلاً الضوء على دربي، وأنا على يقين من أنه يمكنني أن أكمل هذا الفرض في أمان، وأن أمضي كما لو كنت سحابة بيضاء، أترك الرياح الشرقية تطير بي، تحملني حيث تشاء».

انتظر تناكا السفينة في سنغافوره مع ٥٩ مسلمًا صينيًّا، كان يصلي معهم الصلوات الخمس كل يوم، وكانوا يقومون بالدعاء إلى الله معاً، حتى يوفقهم في أداء فريضة الحج بأمان، وقد مرض تناكا وهو في طريقه إلى مكة، مما جعل رحلته أصعب وأصعب، كما أنه دفع تكاليف سفر رفيقه الصيني، مما جعله ينال احترام المسلمين الصينيين وشكرهم، وفي مثل هذا الجو الأخوي لم يساوره أي شعور بالقلق أو عدم الراحة أو ما شابه ذلك.. كانت صحته فقط على غير ما يرام، لذا

كان يجلس في صمت، أو يرقد في هدوء وسكينة، يصلي كل يوم ويدعو الله، ويتأمل في مخلوقات الله.

حين رأى تناكا المسلمين الذين قدموا من بلدان آسيا أو بلدان العالم الآخر، وهم يسمعون الأذان فينهضون ويقفون في اتجاه الكعبة، حينها كان يشعر أن في السماء قمراً منيراً، وأن هناك جدية حقيقية في أذهان هؤلاء الناس.

في السفينة كان تناكا يعد الطعام بنفسه، وكان أحيانًا يأكل كسرة خبز ويشرب قليلاً من الماء، وفي الطريق مرض كثيرون، وأصيب كثيرون بالدوسنتاريا، ومات أحد حجاج جاوه، فألقوا بجسمانه في البحر، وكثير أصابهم دوار البحر، لكن تناكا لم يصب بشيء رغم أنه لم يكن متمرسًا على السفر بالبحر.. لكنها قوة الروح الممزوجة بقوة الإيمان.

لقد خاض تناكا تجربة السفر بالسفينة، وكان يفكر فيمن سافروا إلى أوربا بالسفينة بعد ثورة ميجي.

ملابس الإحرام والشعور الإيماني: في ١٤ يونيو وصلت السفينة إلى مرفأ جدة، كان تناكا مع رفيقه بملابس الإحرام، وقد شرح تناكا وجود اختلاف بين أصحاب المذاهب فيما يتعلق بأماكن ارتداء الإحرام:

المسلمون الصينيون ينتمون إلى المذهب الحنفي، حين يقتربون من جدة وقبل النزول على أرض جدة يرتدون ملابس الإحرام، وهي تتكون من قطعتين كبيرتين من القماش، واحدة لتغطية الكتف وأخرى لتغطية الخصر، ولا غطاء للرأس ولا حذاء في القدم، بل خف غير مخيط.

لكن المسلمين الذين جاءوا من جنوب المحيط ممن ينتمون إلى المذهب الشافعي، يقومون بارتداء الإحرام قبل خروجهم من جدة متجهين إلى مكة، وقد غير تناكا

ورفيقه ملابسه وارتدى ملابس الإحرام قبل وصوله جدة، حيث ذهبوا إلى جزيرة صغيرة في جنوب جدة تسمى «الجزيرة»، قال تناكا إنه «حين وقف بالقرب من شاطئ البحر بملابس الإحرام شعر بقوة الإيمان وبمشاعر مباركة..

كل من يرتدي ملابس الإحرام يشعر بهذه المشاعر فلا زينة ولا زخارف، كل ما هو مصطنع يختفي من الذهن الذي يصفو تمامًا وتسيطر عليه مشاعر الإيمان المقدسة، فجميع الحجاج في ملابس الإحرام سواسية، وهم أمام الله متساوون لا فرق بين أحد، ولا تمييز بين أحد، وإن وجد فهو في عمق الإيمان بالله، وهذا الموقف يمكن أن يعبر عن وحدة البشرية...».

تم حجز تناكا في قرنطينة هذه الجزيرة الصغيرة، لكنه لم يكن يشكو أي شيء، فهو يقبل كل شيء لأنه يمضي في سبيل العبادة، كان الجميع يعانون من التعب والإرهاق، بعد رحلة طويلة، وتذكر تناكا المصائب التي حدثت على ظهر السفينة أثناء الرحلة، ومواقف ضباط السفينة وملاحيها غير العادلة، ورغم ذلك كان تناكا يضع قدميه في ماء البحر، وهو يجلس على صخرة قريبة من الساحل، بينما ملابس الإحرام ترفرف بفعل الرياح التي تهب، وضوء القمر يسطع في السماء.. وقد رق قلبه وسط هذا الجو الهادئ فانسابت الدموع من عينيه.. ربما كان يتذكر المتاعب التي مر بها وهو في طريقه لأداء مناسك الحج، وشعر الآن بأنه يقترب من الطريق إلى الله، وربما كان يتضرع إلى الله أن يجازي هؤلاء الناس على ما عانوا في رحلتهم من متاعب، وأن يقبل منهم خالص الأعمال. وانطلق تناكا مع رفيقه على ظهر البعير، وكان رفيقه خائفاً فنصحه تناكا بأن لا يخاف لأنه إمام وهو شيخ، وقال له:

- إذا أرادوا حياتك فاعطها لهم، يجب أن تتأهب لهذا !!

وقد تأثر تناكا بمنظر الحجاج المحرمين المتجهين من جدة إلى مكة فكتب:

«تحت ضوء القمر يمكن أن أرى هذا المشهد الفني أو الاستعراض الفني الذي لا يمكن أن يرى في أي مكان آخر إلا هنا».

كانت الرحلة من جدة إلى مكة صعبة جداً، وفي أيام تناكا كان ما يقرب من ٦٠٠ ألف حاج قد تجمعوا في هذا المكان في وقت واحد، زحام لا يمكن تخيله في جو حار جداً يجعل الأمر صعباً بالنسبة لهؤلاء الحجاج، وبخاصة أن الحرارة كانت تصل في النهار إلى ٥٠ درجة مئوية، وقد جرب تناكا هذه الحرارة وعبر عنها بقوله إنه وجد نفسه كأنه في قدر طهي !!

وفي الطريق إلى مكة مات عدد من الحجاج الصينيين، كان في الفندق حوالي ٧٠ حاجاً مات منهم خلال نصف شهر ثلاثة كما عانى تناكا من الحمى، ولكنه أشار إلى جلده وصبره وعدم خوفه من الموت بقوله: «إن الرجل الياباني لا يمكن أن يموت على قارعة الطريق، أنا أضع الملابس البيضاء، اغمسها في الماء، ثم آكل الثوم، وهذا فقط دوائي، وهكذا تحملت الألم».

ويتحدث أيضاً عن مشاعر المسلمين: «الناس الذين يموتون هنا لا يحزن عليهم أحد، كما أنهم لا يصابون بالخوف من الموت هنا، فإذا مات المسلم في مكة فهذا شرف كبير، والموت في مكة أمر مرغوب جداً لدى كثير من المسلمين، فهم يؤمنون بأنهم إذا ماتوا في مكة فإنهم ذاهبون إلى الجنة التي كانوا يتمنونها».

الحج والأمم القديمة: درس تناكا عن العمرة من قراءته لكتاب العالم الصيني المسلم ريوكايكو، فكتب تناكا بأن «العمرة تعني قيام الشخص بشكل فردي بالذهاب إلى مكة والذهاب إلى الكعبة للطواف ثم السعي وتقديم الشكر لله والدعاء بأن يوفقه في أداء مناسك الحج.

ومكة هي مركز العالم والكعبة هي المركز لكل هذا، وزيارة الكعبة تعني زيارة

قلب البشرية »، وقد فصل تناكا أعمال العمرة، ومن بين ما كتب :

« ... بين الصفا والمروة طريق مملوء بالأحجار الصغيرة وهي ساخنة جداً وبجوار الطريق محلات ودكاكين صغيرة كثيرة جداً تبيع أشياء متنوعة وكثيرة، ويجعل الزحام الأتربة تتصاعد، كما كان الناس يقرأون القرآن والأدعية بأصوات عالية، بعد الانتهاء من السعي نقصر شعرنا وهكذا تكتمل العمرة، ومن لا يمتلك قوة جسمية وذهنية، يمكنه أن يتوقف قليلاً في الطريق ثم يكمل بعد ذلك سعيه ».

وقد أشار تناكا إلى أن الإسلام هو المتمم لجميع الأديان وهو خاتمها ومحمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء، وأشار تناكا إلى أن « زيارة الكعبة فرض قام بأدائه العرب قديماً، وهو لم يبدأ مع الإسلام »، وأشار تناكا إلى أن مناسك الحج وشعائره تجديد لطريقة الحج القديمة.

« العرب القدماء يقدسون آدم فهو أبو البشر، وكذا يؤمنون بإبراهيم فهو أبو الأنبياء، وقد جاء محمد بعد عيسى وأكمل الرسالات السابقة، ولهذا نال احترام الناس ومحبتهم، فمحمد لم يخترع ديناً، ولم يقل بأنه إله، فقد أعاد تجديد التعاليم التي جاء بها الأنبياء من قبل وهو لم يخلق ديناً جديداً. فحين ولد محمد كان الناس يعبدون آلهة متعددة أصنامًا من دون الله، وكانوا يعبدون النجوم والكواكب وغيرها، وكانت هناك علاقات محرمة تسود ما بين الرجال والنساء وبين الكهنة وتابعيهم، وكان اليهود يفسدون في الأرض، لهذا كان المجتمع مجتمعًا فاسداً، فجاء محمد وأرشد الناس إلى عبادة الله الواحد، وأصر على تحطيم الأصنام، وأصر على استعادة الكعبة من المشركين، وهكذا طهر الناس من رجس الشرك، ورسم طريق الدين الصحيح، وهذا يعني إعادة الناس إلى الصواب وإلى دين إبراهيم ».

وانطلاقًا من هذه الفكرة كان تناكا يظن بأنه لا فرق بين تعاليم الإسلام وتعاليم

الشنتوية اليابانية القديمة، فطريقة الصلاة في الإسلام وطريقة الصلاة في الشنتوية، بينهما وجه شبه، فيما يتعلق بالشعور بالله، وهذا يشكل الطريقة القديمة التي علمها الله للبشرية من خلال الرسل والأنبياء، وهذا التشابه بين الإسلام والشنتوية، يمكن أن يوحد بينهما كما ظن تناكا، وهو يفكر في أن الطريقة القديمة للحج كانت على يد آدم أو إبراهيم، فيوم التاسع من شهر ذي الحجة هو الهدف الأصلي من رحلة الحج، أي الوقوف على عرفة، فالحج عرفة، وهنا في عرفات التقى آدم بحواء بعد انفصالهما، بعد خروجهما من الجنة.

هنا في عرفة يظل المسلمون يدعون الله ويرجون مغفرته حتى غروب الشمس، والدعاء في مثل هذا المكان يجعل من شعور الإنسان شعوراً غير عادي، ويقال إن الله يقبل دعاء الناس في عرفات، ويغفر لهم، ويحقق لهم ما يريدون.

أما رمي الجمرات التي التقطت في المزدلفة ورجم الشيطان فهو رمز لقصة إبراهيم الذي أمره الله بأن يذبح ولده إسماعيل، فأخذ الشيطان يوسوس له بأن يعصي أمر الله، فأخذ إبراهيم يرجم الشيطان حتى يتخلص منه، وهكذا فهنا نتذكر هذه الوقعة، وقد وسوس الشيطان لهاجر عند الجمرة الوسطى، ووسوس لإسماعيل عند الجمرة الصغرى.. وقد ذكر تناكا أن معنى رجم إبليس هو التخلص من الذهنية الشيطانية أو التفكير الشيطاني وبيان قوة الإيمان.

وبعد الانتهاء من رجم الجمرة الأولى يتحلل الحجاج من الإحرام، ويرتدون الملابس العادية ويغتسلون ويذبحون الأضاحي، ويسمى هذا اليوم يوم عيد الأضحى، وقد وصفه تناكا هكذا:

«هذا اليوم هو أسعد أيام المسلمين جميعًا وهو أسعد يوم في السنة، ويحتفلون به كما لو كان اليابانيون يحتفلون بعيد الأوبون والسنة الجديدة وقد جاءا معا[1]».

(١) الأوبون في اغسطس والسنة الجديدة في يناير- المترجمان.

وبعد طواف الإفاضة وقبل مغادرة مكة يطاف طواف الوداع لتكون نهاية ما يقوم به الحاج هنا.. ويشعر الناس الذين عانوا مشقات السفر، وأكملوا شعائر الحج بأنهم تخلصوا من الذنوب وأنهم عادوا كما ولدتهم أمهاتهم، وسيطلق على من أدى فريضة الحج لقب «حاج»، وهكذا عاد الحاج تناكا من مكة إلى جدة، وقد مات ٢٩ مسلمًا صينياً من بين ٨٩، وفي الغرفة نفسها التي أقام فيها تناكا مات أربعة من سبعة، لقد ضمت الغرفة ثلاثة فقط بعد أن كانوا سبعة، ومعظم من بقي على قيد الحياة كان يعاني المرض والإرهاق الشديد، إلا أن الله حفظ تناكا من كل سوء.

قبل رحلة الحج لم تكن صحته على ما يرام لكن كلما اقترب من مكة تحسنت صحته، تحت أشعة الشمس المحرقة لم يصبه المرض، وأكمل جميع شعائر الحج، وهذا يعني أنه تحمل كل الصعوبات، وهو يرى أن الحج وسيلة لتطهير الجسد والروح، ومن هنا كان تناكا على استعداد لقبول مصاعب أكثر وتحمل مشقات أكثر من أجل تعميق الإيمان بداخله، كان يبحث بنفسه عن كل صعب ونتيجة لكل هذا قال: إنني أشعر بنشاط أكثر بعد كل هذه الصعوبات والمتاعب.

الإسلام في الصين: كان تناكا يرى أن الإسلام جاء إلى الصين من خلال اتباع سنة محمد ﷺ والعمل بها، وقد تعلم تناكا ذلك من مطالعته لكتاب ريوكايكو، ولما كان جميع مسلمي الصين ينتمون إلى المذهب الحنفي لذا فقد كان تناكا يعتقد بأنهم جاءوا إلى الصين في العصور القديمة عن طريق البر، كما أن الدعوة إلى الإسلام في الصين لم تكن بالقتال أو بالسيف بل عن طريق قبائل الإيغور، تلك القبائل التي أسلمت وقبلت تعاليم الإسلام وحافظت أيضًا على تقاليدها وموروثاتها، وبالتدريج انتشر الإسلام عن طريق هذه القبائل عبر مناطق الصين المختلفة، ولم ينتبه تناكا إلى أن الإسلام وصل الصين من الجنوب عن طريق البحر، عن طريق بلدان جنوب شرق آسيا، ورأى تناكا أن المسلمين الصينيين يحافظون

على تقاليدهم، كتب تناكا:

«إن أسلوب حياة المسلمين هنا هو أسلوب خاص بهم رغم أنهم يعيشون بين جنس الخان، فهم يحتفظون بأسلوب حياتهم دون أن يتخلوا عن أي شيء ، وهذا يعني أن إيمانهم عميق لا يتغير، ورغم محاولة الجنس الأبيض تحويلهم إلى النصرانية، لكن أحدا لم يتحول على الإطلاق من الإسلام إلى النصرانية» (الإسلام في الصين، الفصل الثاني)

وكتب أيضًا: «إن نحو ٣٠٠ مليون في العالم يطلقون على انفسهم اسم مسلم، ودينهم هو الإسلام، لكن المسلمين الصينيين يسمون أنفسهم «هوي هوي» ويسمون دينهم هوي كيو أي دين الهوي أو «سيه شين كيو» أي دين سيه شين ، ومعناه الدين النقي الطاهر الجاد، ويمكنني القول بان الإسلام في الصين يظل متميزاً عن أي ثقافة أخرى في الصين، لا يندمج فيها، لكنهم رغم ذلك تاقلموا مع الثقافة الصينية وأيضًا مع تعاليم الكونفوشية».(الإسلام والكونفوشية كاي جويوزوكيو – الفصل الأول).

وقد أشار تناكا إلى أن انتشار الإسلام في الصين كان أساسًا بسبب البحث عن التعاليم المشتركة في الإسلام والكونفوشية مشيراً إلى أن: «ريوكايكو (أو كما ينطق بالصينية: ليو تشيه ليان) هو الأساس key person الذي يرجع إليه فضل انتشار الإسلام في الصين، فقد التقط نظرية الكونفوشية والبوذية، وبخاصة تنقية أفكار الكونفوشية، وجعل قواعد الإسلام واضحة، وكتب كتابًا بالصينية، وهو عمل عظيم في تاريخ الإسلام في الصين» (المصدر السابق الفصل الثالث).

المسلمون في الصين على المذهب الحنفي السني، ومن بين مسلمي الصين من هم على مذهب خاص بهم، يطلق عليه «شين شين» ويعني الإيمان الجديد، أما «كو شين» فيعني الإيمان القديم، وهناك أيضًا جماعة يطلق عليها «كيوسين ها»

وهي جماعة تؤكد على شرح تعاليم الإسلام أو بعبارة أخرى ضرورة تأويل النصوص الخاصة بتعاليم الإسلام بشكل متغير طبقًا للعصر، لذا فصورة الإسلام عند هذه الجماعة صورة متطورة بمعنى متغيرة، أو على ما يعتقد البعض صورة حديثة، وإذا ما قورنت الجماعات الأخرى بالفرق والجماعات الموجودة في البلدان الإسلامية، فنلاحظ أنها تتخذ طابع الكونفوشية، وعلى سبيل المثال فهم يسمون القرآن « تين كيو »، ويسمون الحروف العربية « كيو جي »، والحروف الصينية « كان جي » أما عن الترجمة الصينية للحديث، فيقولون لها « كان كتاب »، ويسمون الله « شين شو » أو « شين ساي »، وطبقاً لعقيدتهم فإن الإسلام يرفض التماثيل والأصنام كلية، وفي هذه الحالة فهم لا يمكن أن يأخذوا أبداً جانب البوذية أو الطاوية، لكنهم في مراسم الزواج والجنازات يمكن أن يكونوا مع الكونفوشية، وهناك عناصر من تعاليم الإسلام والكونفوشية، يمكنها أن تمضي معًا جنبًا إلى جنب.

ديانات خمس في الصين: كان تناكا يتأسف كثيراً لأن الظروف في اليابان غير مهيئة على الإطلاق لقبول التعرف على الإسلام، وكان يفكر في إمكانية التعريف بالإسلام في اليابان عن طريق إيضاح أنه مقبول في الصين، وبالتالي يمكن قبوله في اليابان من خلال قبول الثقافة الصينية والحضارة الصينية، وحتى يوضح ذلك حاول أن يشرح فكرة وحدة الديانات الخمس في الصين: « الصين تقوم على أساس حضارة الإمبراطورية وثقافتها، وقد ألفوا ما بين الكونفوشية (كوشي)، والطاوية (روشي)، والبوذية (شاكا) ومزجوها معًا ، وقد وافقوا مؤخراً على تعاليم المسيح، كما قبلوا التعاليم التي جاء بها محمد رسول الإسلام ، وهكذا فإن تطورهم في المجال الأكاديمي تطور سريع جداً » (مقدمة تناكا، نظرة على الإسلام في الصين وحركة توحيد الديانات الخمس).

كما كتب تناكا: « منذ سنة ٥٦ من عهد« مين كوكو » انتشرت حركة توحيد

الأديان الخمسة في عموم الصين، وضعوا السماء وسموها الإله الأصلي وتحت هذه السماء يوجد كونفوشيوس (الكونفوشية)، ورروشي (الطاوية)، وشاكا (البوذية) والمسيح (النصرانية) ومحمد (الإسلام)، وضعوا هؤلاء الأنبياء ودعوا الناس إلى الإيمان بهم، كما دعوا الناس إلى أن يصلحوا من أنفسهم، كما قاموا بأعمال خيرية تطوعية في المجتمع» (كتاب موجاشي نو زاكي - الفصل الأول).

كان تناكا يفكر في توحيد الثقافتين الصينية واليابانية، طبقًا لحركة توحيد الديانات الخمس في الصين، وربما كانت اليابان مستعدة لتقبل طريقة التفكير هذه، لكن هناك مشكلة على الجانب الياباني عبر عنها تناكا هكذا:

«في اليابان هناك استعدادات لقبول الإسلام، لكن معظم الناس ليس لديهم أدنى فكرة عن الحضارة الإسلامية، ولهذا فالناس يجهلون تمامًا المعلومات المتعلقة بالإسلام، والآن حان الوقت لأن ندرس عن الإسلام والمسلمين في الصين، ويجب أن نحل المشاكل بين دول آسيا.» (المصدر السابق).

كان تناكا يركز دائمًا على الإسلام، وأثناء حديثه عن الديانات الخمس، لم يشرح أبدًا عن المسيحية، لقد خبر تناكا التفرقة العنصرية في العالم المسيحي، وسمع أو رأى هذه الحقيقة في هونغ كونغ أو في سنغافوره، وكان يحمل للبريطانيين النصارى الكراهية، وزاد هذا الشعور لديه كثيراً، لهذا لم تكن لديه رغبة في أن يكتب عن النصرانية.

الإسلام والشنتوية: أشار تناكا إلى الحج بانه إحدى المعجزات، وذكر أن جميع المسلمين في جميع أنحاء العالم يصلون متجهين إلى الكعبة، وهذه هي الحياة في الإسلام، والإسلام فيه نوع من الفكر الجاد يفوق ما هو موجود في النصرانية أو في البوذية، هنا في الحج يجتمع أناس من جميع الأجناس، نحو ٥٠٠ ألف يصلون معًا، يتضرعون إلى الله بالدعاء في خشوع وجدية، وهذا المنظر وحده في حد ذاته

منظر عظيم ومهيب، يشاهد حتى اليوم هناك في جنوب غرب قارة آسيا، رغم صعوبة المواصلات ورداءة الطقس، يتجمع هؤلاء في بلدة صغيرها محاطة بالجبال، ومنذ عصور قديمة لا يزال الناس يأتون لأداء فريضة الحج، يجددون كل عام هذه المعجزة.. وهنا أجد نفسي أفكر في بلدي.. البلد الموجود هناك في أقصى شرق آسيا منذ ٢٦٠٠ سنة، فحتى الناس الذين لا يؤمنون بأي نوع من الأديان يجب أن يفكروا في صدق القدرة الإلهية أمام هاتين الحقيقتين أي الكعبة والحج (الحج إلى مكة: ٥) وهذا يعني أنه حين نرى معجزتين لمكانيين مقدسين فيجب أن نفكر في خالق الخلق.

وأثناء الحج قال تناكا بأنه شعر بوجود الله، وشعر أن الله واحد سواء هو إله الشنتو أو إله الإسلام، ثم أشار تناكا إلى أن هناك معجزتين في العالم: واحدة روحية تتمثل في الشخصية العظيمة التي لا حدود لها للنبي محمد ﷺ، ومعجزة الميراث الإمبراطوري الذي نتناقله في اليابان عبر العصور.

وهذا يدل على أن تناكا كان يفكر طول الوقت في التوحيد بين الإسلام والشنتوية القديمة في اليابان، وهنا يجب أن نفكر بأن ما جعله يربط بين الإسلام والشنتوية، هو الإسلام الذي شاهده وخبره وتعلمه في الصين، فقد تحدث تناكا عن التوفيق أو (التوليف) بين تعاليم الإسلام وتعاليم الكونفوشية:

«الإسلام أقرب إلى الكونفوشية منه إلى النصرانية يجب أن نتأقلم مع الحضارة الإسلامية التي هي شبيهة بحضارتنا الشنتوية القديمة، ويجب أن نمزج بينهما قبل إعادة تشكيل آسيا العظمى، واليابان قادرة على ذلك».

والشيء العجيب هو أن تناكا كان يشعر بوجود جبريل - الروح الأمين - وذكر أنه مثل ملك من ملائكة الشنتو، وهو يجمع بداخله ٨ ملايين ملك معًا في وقت واحد!! وذكر بأن: «محمداً كان يوحى إليه عن طريق جبريل، وكان جبريل هو الواسطة بين الله ومحمد، وبالإضافة إلى جبريل هناك ملائكة وشياطين، وبعض

النصارى يذكرون أن الشنتوية بها آلهة (ملائكة) كثيرون بالإضافة إلى الإله الأساس، ويقولون بأن الشنتوية لا تؤمن بإله واحد بل بآلهة كثيرة، لكنني أعتقد أن هذه فكرة غبية. » (الإسلام وقضايا العصر- ٣). يريد تناكا القول بأن الشنتوية القديمة نوع من الدين، يؤمن بإله واحد، ففي الكوجيكي نلاحظ أن « أميه نو مثيا كا نوشي نو كامي » : إله هو الإله الأصل أو الأساس في السماء والأرض، ويعدّ هذا هو الإله الذي يجلس على العرش في مركز الكون، وهم يقولون بأنه هو الإله الأساس للكون أو أصل الآلهة (genealogy of Goddess) (كتاب بقلم كواجوتشي (بجيم قاهرية) كنجي).

ولا يوجد تمييز بين هذا الإله حتى الجيل الخامس من الآلهة « كوتو أناتسو كامي » من حيث كون الإله ذكرًا أو أنثى، فهو واحد وهو مخفي لا يراه أحد، بينما في الإسلام فلله صفات، فالله موجود بنفسه، لا يلد ولا يولد، فقد ورد في القرآن قوله: ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد ﴾.

ويمكن أن يكون تناكا قد حاول المقارنة، ووجد أن الإله في الشنتوية موجود بنفسه، وهو واحد أحد، ومن خلال تجربته في الحج وجد أن الإسلام يعيد تأسيس الطريقة القديمة في العبادة، ليجدد طريقة إبراهيم أبو الأنبياء، فظن أن هناك احتمال لتوحيد الشنتوية القديمة مع الإسلام، ورأى أن الشنتوية القديمة - والإسلام- تحمل التعاليم التي أعطاها الله للناس، ليشعروا بوجود الله، ومن هنا فهناك تشابه بين العقيدتين، فهما تقيمان العبادة على أساس الطريقة التي أعطاها الله للإنسان منذ القدم، وظلت البشرية تتوارثها دون توقف، وسوف تظل تتوارثها، وربما ظن تناكا أن هذا التشابه يمكن أن يؤدي إلى توحيد العقيدتين معًا!!

ويذكر تناكا أن الأصل في الأديان هو عبادة إله واحد، إلا أنه نظرًا لاختلاف الجغرافيا أو المكان، واختلاف الزمان صار الدين الأصلي دينًا جديدًا يختلف

باختلاف شخصية كل أمة آمنت به، وعلى سبيل المثال هو في الهند البوذية التي ظهرت هناك، وفي اليابان الشنتوية، وفي الصين يعبدون العالم المشهود الحاضر (ليس قبل الحياة وليس بعد الحياة) ثم ذكر تناكا بأنهم يسمون الإله في الشنتوية كامي، وفي البوذية هو تو كيه، وفي النصرانية God، وفي الإسلام الله، وفي الطاوية تين، وفي الشنتوية الجديدة كامي؛ وهكذا فرغم وجود خلاف في الاسم الذي يطلقونه على الله لكنهم جميعًا يؤمنون بإله واحد." (الإسلام في الصين؛ الفصل الرابع).

لهذا السبب آمن تناكا بإمكانية توحيد الشنتوية اليابانية القديمة والإسلام، وهنا تجدر الإشارة إلى أن البوذية صارت بوذية يابانية، والكونفوشية خضعت للميراث الإمبراطوري الياباني كما صارت النصرانية نصرانية على الطريقة اليابانية، كما أن الكونفوشية الجديدة ذابت في الشنتوية، ولهذا كان تناكا يتوقع أن تكون الثقافة اليابانية قادرة على تقبل كل هذا، ومن ناحية أخرى كان تناكا يفهم جيداً بأن الإسلام لا يمكن أن يغير أصوله أو يبدل من تعاليمه وقواعده، ومن هنا فكر في أن الإسلام في اليابان، يمكنه أن يحتوي أو يمتص قواعد البوذية وأصولها، وهذا أمر مهم بالنسبة للحركة الإسلامية في اليابان. (مقالات عن الإسلام – مقال بعنوان إسلام زاكي).

رؤية نقدية للعالم الإسلامي: كتب تناكا بحثًا بعنوان «بعد الرحلة في العالم الإسلامي أو نتيجة الرحلة داخل العالم الإسلامي» في أكتوبر ٩ شوا ، وقد ذكر في هذا البحث أنه شرح وضع العالم الإسلامي بعد الحرب العالمية الأولى، وقد شرح ما رآه بعينيه خلال سفره عبر هذه البلاد، وقد تساءل تناكا كيف صار الإسلام أكثر قوة بعد الحرب؟! ولماذا تطورت الحضارة الغربية تطوراً سريعًا بينما تأخرت الحضارة الإسلامية عن ركب التطور ؟!

وقد لخص تناكا الأسباب فيما يأتي :

١- التفوق الجغرافي لأوربا .

٢- المناطق الإسلامية في معظمها قريبة من المنطقة الاستوائية لهذا لا يحتاج الناس لما يدفعهم للنشاط والحركة أو العمل الجاد للحصول على الطعام أو الملبس .

٣ - سيطرة رجال الدين وتحكمهم في الناس .

والسبب الثالث بصفة خاصة يجعل المسئولية تقع على الباحثين المسلمين .

يرى تناكا بأن المذاهب الأربعة ظهرت بين الأمة الإسلامية ، وبدأ الباحثون في منتصف القرن يركزون على دعم آرائهم، لكنهم لم يتحمسوا لخلق رأي إسلامي يتطابق مع التيارات الحديثة التي تمضي وتتقلب من عصر إلى آخر، وقد أثر عدم الاجتهاد تأثيراً كبيراً على عموم الناس، فانتشرت البدع والخرافات بينهم، وابتعد الناس عن الإسلام، وهذا هو سبب ضعف الإسلام أكثر فأكثر، ويمكن القضاء على هذا الضعف بالوسائل التالية :

١- يحمل الإسلام بداخله روح التسامح ويمكن الاستفادة من ذلك .

٢- هناك فرصة للاستفادة من هذا الأمر، وهذه الفرصة تتمثل فيما يلي : « ظهرت الجماعة الوهابية في وسط الجزيرة العربية ومع ظهور هذه الجماعة برز دور آل سعود في الحكم، وقد أعاد آل سعود تيار الإسلام إلى عهود السلف ، أي إلى البساطة الإسلامية ، وهكذا عاد للإسلام بساطته عن طريق حركة آل سعود وروح حركة آل سعود »(نتائج الرحلة إلى العالم الإسلامي - الفصل الخامس) .

لكن من ناحية أخرى ظهر كمال باشا في تركيا وأعاد بناء تركيا الحديثة التي فصلت بين الدين والسياسة ، وقد قال تناكا : « إذا أردنا إيجاد مثال من اليابان فإن كمال باشا مثل « ساتسوما » في محافظة كابوشيما كين ومثل « تشوشو » في محافظة

ياماكوتشي كين، كما أن جهود آل سعود مثل مثقفو ميتو في محافظة إيباراكي كين[١].

وقد أعجب تناكا بالملك عبد العزيز آل سعود الذي أعاد توحيد الجزيرة العربية، وأسس المملكة العربية السعودية الحديثة، كتب تناكا:

«المملكة العربية السعودية التي تأسست حديثًا، إنها تنافس بريطانيا وهي تطور قوتها القومية وهذا أمر عظيم ومشهود».

وكتب عن الملك عبد العزيز:

«إنه البطل الذي ظهر في جزيرة العرب ليوحدها بعد محمد النبي».

لقد أعجب تناكا بصفة خاصة بأسلوب الملك عبد العزيز الذي وحد الأمة على أساس الدعوة إلى تنقية الإسلام من البدع والخرافات والعودة إلى طريقة السلف الصالح، وهو ما دعت إليه حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية.

كان تناكا قلقًا على مصير ٣٠٠ مليون مسلم، ورثوا الإسلام منذ بعثة محمد ﷺ، ولمدة تزيد على ٩٠٠ سنة، فقد تخلص كمال باشا من شيوخ الدين وأئمة الدين، وغير من النظام، ولهذا لا يوجد ما يجمع الناس سوى روح القرآن، وإلا فالناس هناك مثل قطيع الغنم، ودول العالم الإسلامي تحاول كل منها أن تقيم حركة وطنية، إلا أن كرسي قيادة العالم الإسلامي[٢] لا يزال حاليًا خاليًا من القائد.. وإنني أتساءل: هل يمكن لابن سعود في ظل حركة الإصلاح التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن يتبوأ هذا المقعد، وأن يملك زمام قيادة العالم الإسلامي مستقبلاً؟!

وإنني أتساءل:

هل ستتطور أمة الإسلام كأمة حديثة متمدينة دون الحفاظ على مفاهيم الفكر

---

(١) ذكر المنطقتين لأن ثورة ميجي ظهرت من المنطقتين- المترجمان.

(٢) يقصد الخلافة - المترجمان.

الإسلامي السلفي؟! إلى أين سيتجه الإسلام؟ هل سيمثل هذا عالمًا غامضًا في المستقبل؟! (المصدر السابق، الفصل العاشر).

إن الإجابة عن تساؤلات تناكا تجعلنا نتطلع إلى أحوال العالم الإسلامي ونتساءل بدورنا:

هل ينكفئ كل بلد من بلاد العالم الإسلامي اليوم على نفسه، ويهتم فقط بمنافعه الخاصة أو بمصالحه الشخصية؟!

وهل يفتقد الناس في بلدان العالم الإسلامي، مشاعر الأخوة والوحدة، وهم مبعثرون هكذا، فرادى ليسوا متحدين كالبنيان المرصوص؟!

دور اليابان: إن فكرة آسيا الكبرى الموحدة التي كان يفكر فيها تناكا تعني أن اليابان تستعيد بذلك فكرة آسيا القديمة، وتستعيد الثقة طبقًا للنظرية القديمة لأجناس آسيا، والمهم من كل هذا هو استعادة اليابان لنفسها[1]، وإقامة علاقة قوية مع بلدان آسيا، ويعتقد تناكا أن أساس سياسة آسيا الكبرى يجب أن يكون الإسلام والمسلمين، وهو يفكر في توحيد الإسلام والشنتوية القديمة.

ظل تناكا يفكر لأكثر من خمس عشرة سنة بانه إذا انتشرت روح اليابان بين شعوب آسيا، فإنهم سينشطون، ويمكنهم إعادة بناء بلدانهم وتطويرها وهو يتوقع تأسيس بناء حساس لثقافة جديدة. (مقال إسلام زاكي مقالات عن الإسلام ١١).

وهكذا يرى تناكا أن توحيد تعاليم الإسلام والشنتوية القديمة يمكن أن ينشر روح اليابان في جميع بلدان آسيا، وهذه بداية استعادة أو نهضة شعوب آسيا، وكان تناكا يأمل بان يكون لدى الناس الذين يريدون تاسيس آسيا الكبرى إيمان بروح الإسلام، ويأمل ألا يأسف هؤلاء إذا ضحوا بانفسهم من أجل هذا الطموح، مثلما

(١) استعادة مصطلح بمعنى النهضة - المترجمان.

كان شعور أصحاب النبي محمد ﷺ، وهم ينشرون تعاليم الإسلام وروح الدين، لكنه أيضًا حذرهم ناصحًا إياهم بأن لدى الشباب الياباني هدف مثير، وهذا يعني روح الإسلام، والروح الإمبراطورية، وحركة آسيا الكبرى، والحركة الإسلامية pan Islamism ؛ وهذه فرصة عظيمة لتحقيق الأهداف المرجوة، لكن على الشباب ألا يظنوا بأن هذا الأمر مجرد طموح أو يفكروا بطريقة مادية، لأن الأمر جد خطير فهو يتعلق بالإيمان وبتطبيق أوامر الله خالق هذا الكون. (المصدر السابق، مقال رقم ٧).

خاتمة: حياة تناكا كمسلم: اعتنق تناكا الإسلام في الصين وظل يدرس الإسلام مدة عشر سنوات بحثًا عن الحقيقة بعد أن شاهد زلزال كانتو الكبير قبل أن يصير مسلماً، وقد أعلن إسلامه في الصين على يد شيخه، وبعد إسلامه كان يواظب على الصلاة، وقد حرص على زيارة الشيوخ الكبار في الصين وأئمة المساجد، يتفقه في الدين، ويفهم منهم الدين بطريقة جيدة، وكان يؤمن بأنه إذا واظب على أداء الصلاة بطريقة صحيحة، بعد أن يطهر جسمه وثيابه وذهنه فإن الله يتقبل صلاته، وقد صام رمضان، وأدى الزكاة ومنح الصدقات، وأتم أداء مناسك الحج، ولهذا يمكن القول بأن تناكا صار مؤمنًا صادقًا من أعماق قلبه، وبعد أن أتم الحج سافر إلى مدن اليابان، وشرح تعاليم الإسلام في عدد من المحاضرات، وركز على شرح شعوره الإيماني، ونقاء ذهنه وصفاء روحه، وتأثر السامعون بخطبه ومحاضراته، وصار له تلاميذ وأتباع، وفي طوكيو أسس مدرسة خاصة به كانت تسمى مدرسة (لئيه سويشا) وحاضر عن الإسلام في عدد من الجامعات والمراكز العلمية التي تحولت فيما بعد إلى جامعات. بعد مرور عشر سنوات على حجه الأول بدأ يشعر بعطش روحاني، وليطفئ ظمأ هذا العطش، قرر الذهاب إلى الحج للمرة الثانية، ورغم أن صحته لم تكن على ما يرام، إلا أنه أكمل الحج للمرة

الثانية، والحج فريضة صعبة يتوقع الإنسان أثناء أدائها الوفاة، ومن هنا قرر تناكا أن يكون بالقرب من الأماكن المقدسة فربما يلقى وجه ربه هناك، وفي حجته الثانية تمكن من لقاء الملك عبد العزيز أثناء الاحتفال الذي يقام في قصر منى.

وكان السلطان ابن سعود مهتمًا بمقابلة الياباني المسلم الفريد، وقد انتقل تناكا إلى رحمة الله بعد عودته من الحج بثلاثة أشهر ونصف الشهر، وذلك في يوم ١٥ سبتمبر سنة ٩ شوا عن عمر يناهز الثالثة والخمسين، وقد أقيمت الجنازة عن طريق أصدقائه القدامى الشيخ إبراهيم التتاري، فكانت أول جنازة إسلامية في اليابان.

يعدّ تناكا إيبيه علامة من علامات الطريق في تاريخ الإسلام في اليابان، وقد كتب كومورا في كتابه عن تاريخ الإسلام في اليابان أن أول من دخلوا الإسلام في عهد ميجي هم أريجا (بجيم قاهرية) بومباتشيرا، ويامادا تراجيرو، وياماوكا كوتارو، وتناكا إيبيه، فهؤلاء علامات بارزة في تاريخ الإسلام في اليابان في تلك الفترة، وهناك جماعة أخرى تضم ماتسوباياشي تورو، وميتا ريو إتشي، وسودا ماساتسوجو (بجيم قاهرية) كان هؤلاء أيضًا من أوائل اليابانيين الذين اعتنقوا الإسلام، وكانوا من الناشطين في حقل الدعوة الإسلامية. (تاريخ الإسلام في اليابان ص ٥٤).

أما أول من أدى فريضة الحج من اليابانيين فكان ياماوكا كوتارو والثاني هو تناكا إيبيه، وزاد تناكا بأنه أدى مناسك الحج مرتين، وقد أوضح تناكا إيبيه أن حج ياماوكا كان من ورائه أسباب سياسية، فقد كانت هناك خطة سياسية جعلت ياماوكا يسافر للحج، لكن حج تناكا كان نتيجة لإيمانه العميق القوي بالإسلام. وقد فهم تناكا في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الإسلام في اليابان تعاليم الإسلام بطريقة صحيحة مع الحفاظ على معتقداته تجاه الشنتوية، وخلال حياته مارس عملياً الحياة الإسلامية، كما طبّق تعاليم الدين الإسلامي، وكان وهو يدرس عن الإسلام في سبيل البحث عن الحقيقة، يركز على اداء شعائر الإسلام لتعميق إيمانه بالله.

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن تناكا عن طريق تدريسه للإسلام أسهم في تربية عدد من المسلمين اليابانيين، قاموا بالدعوة إلى الإسلام في مقاطعات مختلفة من مثل: كانيكو توبور، ومثل: ناكاجيما كيه نو سيه كي وغيرهما ممن كانوا يعملون في مراكز مرموقة، ويجب ألا ننسى أنه قد يكون هناك من دخل الإسلام لأسباب سياسية أو غير ذلك، لكن بعد أن صار مسلماً انجذب إلى الإسلام، ومضى يطبق تعاليمه، ويؤمن بها، ويعيش حياة إسلامية جادة.

إن الكشف عن جوانب حياة تناكا الإسلامية، يحتاج إلى مزيد من البحث، ويحتاج إلى جمع مادة علمية أكثر فأكثر، ربما نجدها في الصين، ونحن نتوقع بالفعل أن نجد الكثير مما سيلقي الضوء على حياة تناكا الإسلامية، ويمكن القول باختصار إنه حاول دائمًا أن يبحث عن الحقيقة، وأن يعمق إيمانه بالإسلام وتعاليمه، وأن يمضي طبقًا لسنة محمد ﷺ، فقد كان تناكا مؤمنًا بحق.

تساؤلات تركها تناكا حتى نجيب عنها: القرآن واللغة العربية يرى تناكا أن الدراسة يجب أن تكون عن قرب، فقد أكد على أن الباحث المتخصص في اللغة الصينية لابد أن يتصل بالصينيين أنفسهم، وهكذا أصر تناكا على تعلم العربية من أجل دراسة الإسلام، وهذا معنى مهم جداً فالقرآن هو دستور الإسلام، وهو مكتوب باللغة العربية، والقرآن هو كلام الله أنزله على محمد بلسان عربي، ولا يمكن أن يترجم إلى أي لغة أخرى، لكن يمكن أن تترجم معاني القرآن الكريم، وهذا نوع من التفسير، كيف يمكن أن يترجم القرآن إذن إلى اللغة الصينية أو إلى النطق الصيني، لا يمكن أن نشعر بأن القرآن كلام الله إلا إذا تلوناه باللغة العربية، لقد تأثر تناكا كثيراً بالقرآن حين كان يسمع الشيوخ يتلونه بالعربية في الصين، لكنه هو نفسه لم يحاول أن يتلو القرآن بالعربية.

لقد فهم تناكا الإسلام عن طريق اللغة الصينية في الصين، وطبقًا لشخصية تناكا،

لقد حاول تناكا كثيراً أن يدرس الإسلام عن طريق كتب ريوكايكو (ليو تشيه ليان)، وتحدى قصر الوقت وقصور الفهم وضعف الجسم، وهذا هو السبب الذي جعله ينجذب إلى اللغة العربية لغة القرآن، لكنه لم يجد فرصة لتعلم اللغة العربية نفسها.

لقد اهتم تناكا كثيراً بالثمار الداخلية للإيمان بالإسلام، وفهم أن الصلة الإيمانية يمكن أن توحد بين المسلمين، ليس فقط لدى مسلمي الصين، ولكن أيضاً في داخل الأمة الإسلامية على مستوى العالم، وأدرك أن أساس هذه الوحدة بين الأمة الإسلامية يمكن أن يكون القرآن. الشريعة والأمة الإسلامية: لم يذكر تناكا شيئا عن أهمية أو ضرورة الشريعة، لقد شرح الحياة العادية للمسلم مثل: الالتزام بالطعام الحلال، وعدم أكل لحم الخنزير، والامتناع عن شرب الخمر وغير ذلك، لكنه لم يذكر عن أسس وقواعد الشريعة التي تحكم الأمة الإسلامية.

لكن لماذا ؟ ما السبب ؟ لأن تناكا كان يعيش في منطقة إسلامية محلية، بين أمة غير مسلمة وهي الصين، والشريعة القانون الكلي يشمل كل شيء بما في ذلك العقيدة والأخلاق، والقوانين التي تنظم الأسرة والعمل والجريمة وغيرها من أمور الشريعة تعني أساسًا في العربية درب الماء وسط الصحراء، أو واحة خضراء وسط الصحراء، فهذا الطريق يمكن أن يكون هو الطريق لإنقاذ الحياة، وهكذا صارت هذه الكلمة تعني إنقاذ البشرية في الوقت الحاضر، وفيما بعد الموت، وتضع مثالاً للسلوك الذي يجب على الناس أن يسلكوه، وبالتدريج أخذت الكلمة معنى القانون الإسلامي.

... على اليابان إذا أرادت أن تكون لها علاقة مع العالم الإسلامي، ليس فقط في مجال التجارة لكن أيضًا بالمفهوم السياسي - عليها بل من المهم جدًا أن تتعرف على الشريعة، على مستوى الشعوب أو الناس، إذا تجاهلنا الشريعة في علاقتنا مع العالم الإسلامي فسوف ينتج هذا أحيانًا مشاكل صعبة، وفي الحقيقة حدثت أمثلة

على هذا، من خلال شركة يابانية تجاهلت الشريعة، وذلك في ديسمبر عام ١٩٩٩م وهي شركة توابل تسمى «أجي نو موتو»، كانت الشركات التابعة لهذه الشركة في إندونيسيا تنتج نوعًا من البهارات يستخدمون فيه إنزيمًا (enzyme) مصنوعًا من شحم الخنزير، ولهذا السبب فقد قرر علماء إندونيسيا سحب التصريح الخاص بهذا المنتج الذي يشير إلى أنه (منتج حلال)، وكان ذلك في الخامس من شهر يناير عام ٢٠٠٠م، وأمرت الحكومة بتجميع جميع منتجات الشركة من الأسواق واعتذرت الشركة للناس، ومن العجيب أن هذه الشركة كانت تعمل في الأسواق منذ سنة ١٩٦٠م، وكان على مسئوليها أن يعرفوا جيداً الشريعة الإسلامية وموقفها من الخنزير، لكن هذا الأمر حدث لأن هؤلاء المسئولين لم يكونوا على علم بالشريعة، أو كانوا يظنون بأن الأمر ليس بالجاد، إلا أنه في ١٩ يناير أعاد العلماء إعطاء تصريح «حلال» لأن الشركة قامت بإجراء تعديلات على المنتجات، ولم تعد تستخدم الإنزيم المستخرج من لحم الخنزير، وبدأت في استخراجه من فول الصويا، فكان في هذا حلاً للمشكلة.

كان تناكا دائم التحذير للمسئولين في الخارجية اليابانية، وكان ينصحهم بأن لا يكونوا قصار النظر وبأن لا يتجاهلوا هذه الأمور، لكن تناكا ترك لنا قضايا ومسائل يجب أن نبحث لها عن حلول وأهمها: فهم الشريعة هو السبيل لمعرفة الأمة الإسلامية وأعتقد يجب إيجاد حلول، للقضايا المتعلقة بالشريعة في المجتمعات الإسلامية إذا طورنا العلاقات بين البلدان الإسلامية سياسيًّا واقتصادياً وثقافيًّا، نحن بحاجة إلى أن ندرس الشريعة بجد، ولهذا نحتاج إلى أبحاث ودراسات تعيننا على هذا الأمر.

بعد الحرب ـ في جامعة تاكشوك ـ كان هناك تبادل علاقات مع العالم الإسلامي، وبالتدريج ظهر عدد من الخريجين المتخصصين في دراسة الشريعة ودراسة ثقافات الشعوب الإسلامية، وهذا يعني أننا ورثنا روح تناكا.

كلمة أخيرة: كنت قد التحقت بجامعة تاكشوك سنة ١٩٧٠م، وقررت أن أدرس اللغة العربية وكانت هذه بداية تعرفي على الإسلام، واعتدت الذهاب إلى مسجد طوكيو لدراسة اللغة العربية حيث يتجمع عدد كبير من العرب، وبعد فترة بدأت أهتم ليس فقط باللغة العربية ولكن أيضًا بالإسلام، وقد درست على يد المرحوم الإمام التركي (عينان صفا) وفي هذه الجامعة تتلمذت على يد الأستاذ سايتو والأستاذ إيموري كاسوكيه، درست عليهما الإسلام واللغة العربية، وفكرت في أن التعرف على الإسلام يقتضي مني أن أكون مسلماً، وحتى أسافر إلى البلاد الإسلامية يجب أن أكون مسلماً، لذا أعلنت إسلامي حين كنت في السنة الرابعة في الجامعة، وكان ذلك أمام الإمام عينان صفا وبشهادة الأستاذ سايتو . .

كان هدفي من دخولي الإسلام بسيطًا كما ذكرت، وبعد تخرجي في جامعة تاكشوك، وبمساعدة الأستاذ إيموري، سافرت إلى مكة حيث التحقت بجامعة أم القرى، وقد عشت حياة إسلامية حقيقية في جو حار جدًا، كانت درجة الحرارة تزيد أحيانا على الخمسين درجة مئوية، وكنت أصلي الصلوات الخمس كل يوم، كان هذه صعبًا جدًا، لم أستطع أن أتعود بسهوله على الحياة في الجامعة وعلى الحياة الإسلامية، ومع ذلك فقد كان رفاقي في الجامعة ينتظرون بهدوء. . حتى تمكنت من فهم الإسلام، وفي الجامعة كانت لدينا محاضرات يومية عن القرآن والحديث. . مضى شهر. . ومضى نصف عام. . وبدأت معاني كلمات القرآن تتضح لي بالتدريج، بدأت أفهم الإسلام، وبدأت أفهم ما معنى أن أكون معتمداً على الله في كل شيء من خلال الصلاة وبقية فرائض الإسلام، كنت أنطلق إلى الطريق الصحيح. . هكذا فكرت!!

قال لي الشيخ المسلم: لا يهم لماذا صرت مسلمًا، وإذا سألك الناس أن تعطيهم نقوداً حتى يصبحوا مسلمين فاعطهم، مهما حاول الناس دفع الآخرين ليصبحوا

مسلمين ، فبدون هداية الله لن يصبح هؤلاء مسلمين، هذا يعني أن الأهم هو مرحلة ما بعد التحول إلى الإسلام.. هكذا قال الشيخ .

من خلال كلمات الشيخ وضح لي الأمر، وانتهى تمامًا تفكيري في السبب الذي جعلني مسلمًا، وصفا ذهني أكثر فأكثر، بعدها تمكنت من التمتع بالحياة في مكة من تلقاء نفسي، كنت أصلي وحدي، وكثيراً ما كنت أذهب للطواف حول الكعبة، وكنت أقوم بأداء منسك الحج سنويًا ، رغم أن الحج فريضة على كل مسلم مستطيع مرة واحدة في العمر، لكن ربما يحسدني الآخرون على أدائي للحج سنويًا أثناء وجودي للدراسة في مكة، وبدأت أهتم بالدروس المتعلقة بالإسلام، وتخرجت في شعبة الدراسات الإسلامية، بعد أن قضيت في مكة تسع سنوات من عمري، فصارت مكة بمثابة وطن ثانٍ لي، وحين حان وقت رحيلي من مكة بدأت أشعر بالقلق لأنني سأغادر مركز العالم الإسلامي، فقد كنت قلقًا هل يمكنني أن أعيش حياتي في اليابان كمسلم ؟! وشعرت في الوقت نفسه بأن من واجبي أن أطلع الناس في اليابان على الإسلام.

غادرت مكة وودعني الكثير من أصدقائي، ورجعت إلى اليابان حيث عملت محاضراً للغة العربية في جامعة تاكشوك، وفي الوقت نفسه كنت أمارس نشاطات تتعلق بالإسلام، وتأكدت من أنه يمكنني أن أعيش في اليابان مسلمًا مثلما كنت أعيش في مكة..

والآن وبعد مرور ست عشرة سنة أجد نفسي أشارك في إصدار هذا الكتاب التذكاري عن تناكا إيبيه، أخبروني بذلك قبل رمضان بقليل، وفي رمضان كنت مشغولاً كل ليلة بصلاة التراويح، بعد صلاة العشاء، وبعدها كنت أقرأ عن مؤلفات تناكا لأفهم أفكاره ـ وكان لدي شوق لأفهم إسلام تناكا، وجذبتني قصة حياة تناكا وحياته كمسلم، كنت سعيداً وكأنني نلت بذلك ثواب صوم رمضان.

إن وصف تناكا لرحلة الحج يدل على أن الرحلة في تلك الأيام كانت أصعب بكثير مما هي عليه يوم أن أديت أنا فريضة الحج ، إلا أنه لا فرق بين الزحام في مكة وحرارة الجو المحرقة أيام تناكا وأيام أدائي أنا لفريضة الحج، وكنت أثناء قراءتي لما كتبه تناكا أخلط بين تجربتي وتجربة تناكا، أتذكر أنني حين أديت الحج قبل ٢٥ سنة، وحين قمت بالطواف حول الكعبة بملابس الإحرام، هزني شعور عميق، وسرى إلى عمودي الفقري، لكن أعتقد أن مشاعر تناكا العميقة كانت أكثر من مشاعري عمقًا.

وكما ورد من قبل هناك بعض اليابانيين أسلموا لأسباب خاصة، فبعد الحرب أسلم البعض ليتعلم اللغة العربية، أو ليسافر إلى البلاد العربية، لكن لا يمكن أن نقول بأنهم جميعا سيئون لأن بعضهم تجاهل قواعد الإسلام وشريعة الإسلام وسلكوا أحياناً سلوكاً غير طيب ، فلكل قاعدة شواذ.

تناكا من أول دفعة تخرجت من جامعة تاكشوك، وأنا من الدفعة رقم ٧٢ من خريجي جامعة تاكشوك.. لقد قرأت مذكرات حج تناكا وورثت طموح تناكا العظيم، ويجب أن أنقل هذا الطموح إلى زملائي، ومن يأتي بعدي، هذا قدري وواجبي.

تسمى تناكا باسم إسلامي هو نور محمد، وخلال رحلة الحج سافر من سنغافوره، ففضل أن يسمي نفسه محمد نور الدين بن آدم، ونور بمعنى ضوء، وذكر بأن الناس في سنغافوره أخبروه بأن نور الدين أفضل من كلمة نور فقط لهذا كتب نور الدين، وبعد الحج قدم نفسه هكذا الحاج نور محمد، والحاج لقب يناله من يؤدي فريضة الحج، وكان أحيانًا يقول عن نفسه: محمد نور بن آدم، وعلى كل حال فقد فضلنا أن نشير إليه باسم نور محمد، أما أنا فاسمي نور الدين، وأشعر بالصدفة العجيبة لأن تناكا استخدم اسم نور الدين لفترة من فترات حياته.

نور الدين موري (أبو عيسى)

٦ ذو القعدة ١٤٢٢هـ = ١٤ هيسيه/ ٢٠ يناير ٢٠٠٢م

وجود تناكا لا يزال ماثلاً أمام أعيننا

بقلم: رئيس لجنة التحرير

الأستاذ / إيكيدا نوري هيكو

١

لا يمكن عدّ تناكا شخصًا عاديًّا، فقد كان واضح الشخصية، صريحًا، وقد ذكر كل من التقى به أو صادفه ولو لمرة واحدة هذه الحقيقة، وأشار كل من ذكره أو كتب عنه إلى هذا الأمر، إلا أن هناك بعض الناس لم يتمكنوا من فهم نظرياته وأفكاره، ومنهم على سبيل المثال يوشيدا شيجيرو (بجيم قاهرية) من الخارجية اليابانية وغيره من المسئولين الرسميين اليابانيين الذين قال عنهم تناكا بأن لديهم قصر نظر، فيما يتعلق بالسياسة الخارجية تجاه العرب، كما أنهم يفتقرون إلى المعرفة فيما يتعلق بالعرب، وحتى الآن ليس لدى بعض الناس، ممن يوجهون سياستنا الخارجية، معرفة حقيقية بالإسلام.

وقد استخدم تناكا نفسه هذه التعبيرات « قصر النظر، ومعرفة غير كافية » في كتابه انتشار الإسلام في الصين وريوكايكو (الكتاب المذكور، ص ٧).

ففي العصر الحديث تحاول الحكومة اليابانية التركيز على الغرب، وبخاصة بعد خسارة اليابان في الحرب العالمية الثانية، واحتلال أمريكا لليابان، وقد تعمق هذا الاتجاه الذي يرمي إلى التركيز على الغرب أكثر فأكثر بين وزراء الخارجية اليابانية ووزراء المالية ووزراء التجارة، فلا يزال هناك من بداخله عقدة الغرب، ولا يمكن أن نتخلص بسهولة من هذا الاتجاه أو الموقف نظرًا لما يمليه « الدست،ر » الياباني.

ومن الأمثلة القريبة ما حدث من الضغط على اليابان لتسهم في إعادة إعمار أفغانستان، فالغرب يطلب من اليابان ذلك كما لو كان لليابان دور خاص في هذا، وقد لاحظنا أن الخارجية اليابانية نشطة جدًّا من أجل إعادة إعمار أفغانستان،

وبخاصة بعد يناير عام ٢٠٠٢م حين عقد في طوكيو مؤتمر الدول الكبرى المعنية بهذا الأمر، ونحن نتعجب : هل صحيح أن تفكر اليابان بأن لها دوراً خاصًا في هذا الأمر؟! وإذا كان فعلاً لها دور خاص، فمن ذا الذي أصدر هذا الحكم..؟! هذا أمر يثير العجب !! هناك من بين موظفي الخارجية اليابانية متخصصون على أعلى مستوى مثل (آراي هيتو) فكم من هؤلاء يمكنهم فهم طبيعة العالم الإسلامي؟ وما مدى علمهم بالعالم الإسلامي؟! وما معلوماتهم عنه؟! متى تصبح الإجابة عن هذه التساؤلات واضحة؟! ربما سيكشف التاريخ عن ذلك في القريب ويصدر حكمه!!

ونحن نتعجب هل هناك شخص واحد يمكنه أن يتصرف طبقًا لفكرة تناكا ؟! وهل موظفو الخارجية يتبعون تعليمات الغرب وما يمليه عليهم ؟! إذا كان هناك من شخص يحمل نفس أفكار تناكا، فإنه بالضرورة سيتم إقصاؤه من هذا المجال، أو يرى نفسه مضطرًا، لأن يعيش بمعزل عن هؤلاء.

٢

حوار الأديان، ظاهرة سلوكية لإعادة تنظيم الإنسان لنفسه:

بينما كنت أقرأ كتب تناكا أو مقالاته، شعرت كما لو كنت قد دخلت عالماً مجهولاً، لقد اختار تناكا أن يكون فريداً وحيداً، وهو في هذا يعبر عن شخصية رجل عظيم، في تلك الحقبة يمكن أن نقول بأن أي إنسان مثقف من بين طبقة الساموراي العليا، كان يمكن أن ينال احترام الناس في جميع أنحاء العالم، وحين نرى مؤلفاته أو ترجماته يتضح لنا هذا الأمر، فلا أحد يفكر في مسألة – لا أقول توحيد بل – حوار الأديان التي تؤمن بإله واحد مع الشنتوية، وقد فكر توينبي أيضًا في الديانات الخمس معتبراً إياها ديانات العالم، ورغم أن تناكا وصل إلى هذه الفكرة، إلا أنه لم يذكر ذلك عن نفسه، إلا أنه آمن بالدين، ودخل فيه بعمق، بل قفز إلى بؤرته بشكل يثير الجنون أحيانًا، وأقول الجنون رغم أن تناكا لم يذكر ذلك

عن نفسه، لكنه وصل إلى هذا الحد بالتزامه الشديد بتعاليم الدين، وإذا آمن الناس بتعاليم الدين إيمانًا عميقًا، والتزموا بفروضه التزامًا عمليًّا بشكل أو بآخر فهناك نوع من الجنون الهادئ في الذهن، وكلما زاد الإيمان أكثر فأكثر، وتعمق أكثر فأكثر، فإن درجة الجنون سوف تزداد، وسوف يشعر الآخرون بأن سلوكه غير عادي أو غير طبيعي على الإطلاق، لأن هناك علاقة بين الروح والتعبير الجسماني، هناك علاقة تجعل من سلوكه سلوكًا غير عادي.

في فلسفة عالم «التعددية» فإن موضة هذه الأيام هي توحيد أو إذابة الحضارات، وبعبارة أخرى ما يطلق عليه حوار الحضارات، حين نفكر في الفكرة أو المسلك في مثل هذا المجتمع، فإذا كان تناكا يريد توحيد الأديان، أو يريد تحاور الأديان فيما بينها، فإننا ندرك بأن فكرته ذاتها توضح الحاضر والمستقبل معًا، وتوضح سعيه الدؤوب في محاولته للوصول إلى الهدف المنشود، ورغم صعوبته، إلا أنه أمر يتطلبه تاريخ البشرية، لكني لا أدري المعنى الذي قصده تناكا من توحيد الأديان (أو حوار الأديان)، كما أنني لا أدري تفاصيل فكرة توحيد الأديان، ومستوى هذا التوحيد، أو درجته.

بعد الحرب اليابانية الروسية احتلت اليابان مكانة متميزة في تاريخ العالم، وشاهد الناس مكانة الغرب تتدهور، تلك التي ظهرت بعد الثورة الصناعية، هذا يعني أن «تنافس الحضارات» أو بالمصطلح السائد «صراع الحضارات» بدأ منذ ذلك الوقت بل منذ أبعد من ذلك الوقت أيضًا.

لقد جاء في كتاب ميتسوكاوا كامي تارو عن فلسفة التنوير الذي يقع في مجلدين، طبعتهما جامعة تاكشوك سنة ١٣ هيسيه (سنة ٢٠٠١م) وأيضًا كتاب «بعد التدخل من قبل الدول الثلاث»، أشار المؤلف إلى معنى تغيير الفترات التاريخية، كما التقط المؤلف ميتسوكاوا تناكا من بين ظلال خمسين شخصية

ماتت (فلسفة التنوير ،ص ٣١٧) وأثنى عليها كثيراً، ويعمل ميتسو كاوا أيضاً من أجل تطوير اليابان وتقدمها، لكن ليس من خلال استخدام القوة بل من خلال الثقافة والحضارة، فإذا شاهدنا التغيير في تركيبة قوى العالم الذي تحولت إلى القطب الواحد، أي تحكم قوة القطب الواحد، فهذا يعني بأننا دخلنا عصر الهيولي أي التشويش واستمرارية الفوضى وفقدان النظام.

فإذا ما فكرنا كما فكر تناكا بفكرة توحيد، أو تحاور الأديان الخمسة، فيمكن القول إن هذا النوع من التفكير، وهذا النوع من العمل يمكنه أن يعولم العالم، كما يمكن القول أيضاً بأنه وسيلة من وسائل إعادة تشكيل الإنسان لنفسه، وانطلاقاً من هذا يجب ألا نجعل من عمليات حرب أفغانستان التي تلت الحادي عشر من سبتمبر، سبباً في تحطيم حائط التاريخ البشري.

إذا كانت الحكومة اليابانية تود اليوم أن تتدخل في مثل هذه الأمور فهي بحاجة إلى تشكيل لجنة أو هيئة من المثقفين تضم مثل هؤلاء الناس« نيتوبيه إينازو » الذي عمل نائباً للأمين العام للأمم المتحدة، أو الفيلسوف برجسون « بجيم قاهرية » أو مدام كوري.

أما فيما يتعلق بقضية إعمار أفغانستان فيمكن أن نترك أمريكا أو بلدان الاتحاد الأوربي تتولى بنفسها هذا الأمر، لأنهم يفكرون عادة في الفوائد التي تعود عليهم من جراء ذلك على أي حال، ورغم أن المؤتمر الخاص بإعادة إعمار أفغانستان عقد في طوكيو إلا أننا لسنا بجيدين في إلقاء الخطب السياسية، فنحن فقط مضطرون لاتباع أمريكا أو دول أوربا.

٣

الطريق إلى الحج مع توقع الموت :

لقد تحسنت طرق المواصلات هذه الأيام من سكة حديد وطائرات وسفن سريعة

وغيرها، وكلها تنقل المسافرين إلى مكة لأداء الحج، لكن في أيام تناكا كان توقع الموت أثناء رحلة الحج شيئاً طبيعيًّا، وكما لاحظنا شهدت السنة التي حج فيها تناكا أول مرة عدداً كبيراً من الوفيات، وتناكا أتم رحلة الحج في أمان، رغم المصاعب التي تعرض لها، والتي زادت من عزيمته، وزادت من قوته الجسدية والذهنية.

أراد تناكا أن يدخل في الإسلام على أرض الصين، فقد كانت لديه خبرة في المعيشة في الصين، وقرر وهو في الصين أن يسافر إلى الحج مع المسلمين الصينيين، وزاره أثناء بداية رحلته كثير من المسلمين الصينيين، لكن لم يأت له أي ياباني.

وفي الحرم طاف مع المسلمين، وسعى، وصلى، وشعر وهو يفعل ذلك أنه ينتمي إلى المجتمع المسلم نفسه، نسي الجنس والعرق، ونسي الحدود الجغرافية، وتكونت له أثناء رحلته خبرة بالحياة الإسلامية وخبرة بالمجتمع الإسلامي..

كم من الناس يمكنهم تحمل مثل هذه المشقة خلال هذه الرحلة الصعبة ؟! لم تكن هناك أمة إسلامية آنذاك في اليابان أي لم يكن هناك مجتمع إسلامي في اليابان، والحقيقة كل من نال شرف أداء الحج في تلك الأيام، صارت لديه بعد عودته شخصية مستقلة، مختلفة ومنفصلة تماماً، ولفترة معينة على أقل تقدير.

تجربتي مع العالم الإسلامي في السودان:

كانت أول تجربة لي مع العالم الإسلامي منذ ثلاثين سنة تجربة بسيطة، وكنت وقتها متعباً، بعد أن ألغيت خطتي، وتحركت من الخرطوم عاصمة السودان، وهي مدينة جوها حار جدًّا، وجاف أيضًا، إلى مدينة القاهرة، وهي قريبة من البحر الأبيض المتوسط ومشبعة بالرطوبة، بعد وصولي بيومين فقط، عانيت من نزول دم في البول مع حمى شديدة لذا رقدت في الفندق، لم أستطع أن أفعل شيئًا، لم أتناول أي طعام، كنت أشرب فقط الماء الدافئ، وكنت أستيقظ من النوم لأنام مرة

أخرى حتى شفيت.

عملت في كينيا تحت إشراف السيد إيتادا تاكيه شيوهو عضو في «جماعة دراسات آسيا» التابعة لمنظمة JACV أقمت معه مدة شهر، كنا نضع على الكتف «بادج» كتب عليه ASG أي جماعة دراسات آسيا كما كتب عليه بالعربية «السلام عليكم»، بعدها وصلت السودان عبر أثيوبيا، وقد اشتكى عبدول وهو أحد طلاب جامعة الخرطوم، لأنني قطعت برنامجي بسبب حرارة الجو في الخرطوم، وعبدول ينتمي إلى أسرة متدينة، فهو من أسرة الشيخ (المهدي)، أراد أن يأخذني إلى قبيلته التي تعيش في الصحراء، كنت قد التقيت به في أوربا، وسافرنا معاً مرة من لندن إلى استوكهولم، وكنا متفاهمين تماماً، تناقشنا عن المهدي السوداني الذي هزم الجنرال جوردون (بجيم قاهرية)، وعبرنا معاً عن احترامنا وتقديرنا للإمام المهدي، ومنذ ذلك الوقت كان لدي شعور بأنني سأجد دائماً من يعاونني حيثما ذهبت، في تلك الأيام كان قد حدث انقلاب في السودان، وأردت الحصول على تأشيرة دخول فلم أستطع، كتبت خطاباً، وجاءني الرد من السفارة اليابانية في نيروبي، ومرفق به خطاب مكتوب باللغة العربية، وحين أخذته للسفارة أعطوني التأشيرة، كان موظفو السفارة في غاية الأدب معي، لكنني لم أستطع أن أفهم ماذا كتبوا باللغة العربية في الخطاب المرفق، في البداية أقمت في بيت الطلاب، وكنت أتبادل المعلومات والآراء مع كثير من الطلاب، كان صديقي السوداني عبدول يدرس التقنية (التكنولوجيا).

يقول الغربيون في هذه الأيام إن الإسلاميين سيئون، في تلك الأيام كان للطلاب اتحاد، وكانت لهم مطلق الحرية في التعبير عن آرائهم، وكانوا في غاية النشاط، لا يمكن أن أتخيل أنهم بعد ذلك سيصبحون في موقف لا يحسدون عليه، حتى في تلك الأيام، كانت لديهم مشاعر عداء شديدة ضد إسرائيل والصهيونية، وأثناء

النقاش ذات يوم سألني أحد الطلاب: هل زرت إسرائيل؟ فتجمدت.. ساد الصمت، لماذا سألني هذا السؤال؟! لأنني حين كنت أتحدث ذكرت نشاط حركة الخضر، وحركة تخضير الأرض، وقلت يجب أن نتعلم من إسرائيل..

وعلى كل حال أجبته بأنني لم أذهب بعد، لكن ربما أذهب في المستقبل من أجل تخضير الصحراء، فهم متقدمون عن بقية البلدان العربية، وقد رأيت الصور التي تدل على ذلك..

هكذا أجبت...

لم يكن هناك أي اعتراض..

كنت في الخرطوم بين النيل الأزرق والنيل الأبيض في وسط الصحراء.. وحين أخبرتهم بأنني لم اذهب بعد إلى إسرائيل بدت على ملامحهم علامات الراحة، تلك العلامات أو التعبيرات التي لا أزال أتذكرها حتى اليوم.. في تلك اللحظة شعرت بالهوة العميقة التي تفصل بين اليهود والمسلمين.. في الحقيقة كنت قد ذهبت إلى إسرائيل بعد عدة أشهر، وشاهدت نشاط حركة الخضر في مناطق الكيبوتس، كان شيئًا طيبًا أن أمر بتجربة مشاهدة الإسلام في السودان، لأنه يمثل حدود العالم الإسلامي، فالعالم الإسلامي يمتد جنوبًا وينتشر إلى القارة الإفريقية هذه الأيام، وقد قابلت الطلاب في الجامعة التي أسسها البريطانيون، وكان تأسيس هذه الجامعة من أجل تحديث السودان على الطريقة البريطانية.

تغير حركة العالم الإسلامي في جنوب غرب آسيا:

انتقلت بعد ذلك من القاهرة إلى إستانبول، ومن هناك إلى أنقرة، فتبريز وطهران ومشهد، ومنها إلى هراة وكابول وبيشاور.

التقيت بأناس كثيرين عرفني بهم أصدقائي، وكانوا في معظمهم من أساتذة

الجامعة أو رجال الأعمال أو موظفي الحكومة، وشاهدت في المناطق المحلية في المجتمع التركي مكانة كمال أتاتورك، وقد شاهدت مشهداً أثر في كثيراً، فعلى جانب الطريق السريع حيث تمضي السيارات الكثيرة، توقف رجل كان يقود دراجته، وبجوار الدراجة فرش سجادة قديمة ممزقة، ووقف يصلي تجاه القبلة..

أقمت أحياناً عدة أسابيع في مكان واحد مثلما حدث في طهران، وشعرت بأجواء اللحظات الأخيرة لنظام الشاه السابق.. يقولون الثورة البيضاء، كنت قد تعرفت على بعض الناس من خلال معرفتي للطلاب الإيرانيين الذين هاجروا إلى أوربا، لكني لم أتصل بأي إنسان يأخذ جانب الشاه!

كما مكثت في كابول أسبوعاً، كانت جامعة كابول تقع في إحدى الضواحي البعيدة عن مركز المدينة الحزينة، لم أكن متعوداً على تناول الطعام المطهي بالسمن، ولهذا صرت في حالة يرثى لها بعد وصولي إلى حدود الهند بعد عدة أشهر.

خططت للإقامة في الهند عدة أشهر لكني مكثت أسبوعين فقط، هربت من هناك، كنت آسفا ألوم نفسي، ومن الهند دخلت إلى جنوب غرب آسيا حيث شاهدت الغابات الاستوائية الخضراء.. حين شاهدت الخضرة، انهمرت الدموع من عيني، فقد شعرت بأنني رجعت إلى موطني، وشعرت بنوع من الاختلاف بين إسلام جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا، وإسلام جنوب شرق آسيا، ربما كان السبب الظروف الطبيعية.. هذا الانطباع ساعدني على فهم الفرق بين المناطق المختلفة التي زرتها.. أصبحت راهباً بوذياً وهذا الانطباع يعني أن نظريتي عن شخصية الإنسان البشر هذه النظرية أي العلاقة بين الذهن والجسم تعتمد على البيئة.

الحياة البيئية للمسلمين داخل آسيا:

بعد تقدم العمر في السنوات الأخيرة من حياتي زرت داخل آسيا وبخاصة وسط آسيا بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وقد نشرت نتائج الزيارة في كتاب عن وسط

آسيا والمنغول في المستقبل وقد طبع في سنة ٧ هيسيه (عام ١٩٩٥م).

في البداية دخلت طشقند عبر إسلام آباد، هذه المنطقة كانت تحت سيطرة الحزب الشيوعي الذي تزعمه كارل ماركس الذي قال قولته الشهيرة: الدين أفيون الشعوب، ورغم هذا لم يطرأ على الإسلام هناك داخل المجتمع تغيير، فقد ذكر زعيم المسلمين الأوزبك المفتي "بافروموف" إنه خلال العهد السوفيتي كانت هناك مدرستان إسلاميتان، وقد صار هناك الآن اثنتا عشرة مدرسة، وكان هناك ٨٠ مسجداً والآن يوجد ٢٠٠٠ مسجد، من ذهب للحج خلال العهد السوفيتي كان عددهم ٢٠ فقط، لكن الآن ذهب من منطقة الأوزبك فقط ٤٠٠٠ مسلم لأداء مناسك الحج، لقد تزايد عدد المساجد وانتشرت المساجد كما تنتشر النار في الهشيم، فالعدد الحقيقي أكثر مما يقدرونه عادة.

أسست جامعة طشقند الإسلامية سنة ١٩٩٨م، وقد زرت كازاخستان، وهناك شاهدت مساجد فقيرة جداً شيدت من الخشب، إنها مساجد فقيرة جداً إذا ما قورنت بكنائس الروس الأورثوذكس التي بنيت من الرخام الجميل، وأدركت كيف عوملوا بطريقة سيئة للغاية في العهد السوفيتي، كان ذلك في ربيع سنة ١٩٩٣م حين قدمت هبة حوالي ١٠ دولارات أمريكية للمساهمة في إنشاء مسجد، سوف يبنى من الحجر والخرسانة بدلاً من الخشب، عندها صفق لنا المسلمون الشيوخ من كبار السن..

لقد لمست عقيدتهم التي لم تتلاش أبداً، وإيمانهم الذي لم يضع، فعلى مر أكثر من نصف قرن لم يستطيعوا ان يؤدوا شعائر دينهم علناً مثلهم مثل النصارى الذين أخفوا عقيدتهم ذات يوم في اليابان، وهم يقولون إن الجماعة الصوفية التي كانت لديها اتجاهات خاصة، هي فقط التي تمكنت من البقاء، وأنا لا أدري إذا ما كان هذا حقيقيًا أم لا !

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أنه خلال العهد السوفيتي لم يكن هناك اتصال على الإطلاق بين دول وسط آسيا الإسلامية ودول العالم الإسلامي، وعاشت هذه الدول تحت ضغط الشيوعيين، الذين كانوا يرفضون الدين، وبعد سقوط الشيوعية وجدت هذه الدول العون من تركيا ومن المملكة العربية السعودية بخاصة، وهم الآن يؤسسون العديد من المساجد في مناطق كثيرة متفرقة، ويستعيدون عافيتهم بسرعة ملحوظة.

ويشعر الجيل الجديد بأن هذا الإيمان نوع من الاكتشاف الجديد للذات، ولهذا ينتشر هذا الشعور بين الشباب، والغرب يحاول بدوره نشر النصرانية، وأنا بدوري أتعجب كم من المساجد يمكن أن تبنى وتشيد ؟!

من الصعوبة ونحن نلقي بنظرة من الخارج أن نقول إذا ما كان هذا الإيمان بالإسلام إيمان أصيل، فمعرفة ذلك لا يأتي من الكتب فقط، فمهما قرأنا من كتب لفهم ذلك، فإنه سيكون من الصعوبة بمكان، إذ يجب أن يكون لدينا شخص يمكنه أن يتصل بنا، على أن تكون صلة من أعماق القلب، وقد قلت للفهم، وهذا لا يعني للتحليل..

العلمانية والموقف من التعددية:

هناك موجة إصلاح كبرى بدأت في المجتمع الصيني بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، بين عامي ١٩٩١ – ١٩٩٢م تمكنت من أن أشاهد تكتل خاص بالمسلمين في جامعة هاربين للتكنولوجيا، كنت أريد أن أقف على هذا في سنة ١٩٩٠م لكن المسئولين رفضوا، إلا أنني تمكنت من تحقيقي هذه الرغبة فيما بعد.

في بكين يمكنني مشاهدة الكثير من مطاعم المسلمين، حتى تحت سيطرة الحزب الشيوعي فإن نمط حياة المسلمين استمر كما هو، وشعرت بذلك من خلال مشاهدة

قائمة طعام مطعم الجامعة، حيث كان معظم الطلاب الذين ينتمون إلى جنس الخان، يتناولون هذا الطعام، كنت راضياً ومقتنعًا حين شاهدت هذا.

كان المرافق الذي أخذني إلى الجامعة من الحزب الشيوعي، وأراد أن يعرف إذا ما كنت مصرًّا على مشاهدة هذا المطعم، لأن عليه أن يكتب تقريراً إلى المسئولين، قال : إذا كنت تريد أن تأكل لحم الضأن فهناك مكان آخر، ومن خلال هذا الموقف المتصلب أدركت كيف أن الحزب الشيوعي يخشى الإسلام، وقد شاهدنا في الحقيقة ضغط حكومة بكين على الأويغور.

علاقة السيد واكي كوزو بتناكا :

دخل تناكا الإسلام في سانتون بمقاطعة سابنان في الصين في عهد تايشو، وأدى شعائر الحج مرتين، وأنا أحترمه وأقدره نظرًا لشجاعته التي تحدى بها شيئًا مجهولاً، وأيضًا لحبه الشديد للاستطلاع.. كان تناكا يبحث عن الحقيقة، حقيقة القرآن! كما لو كان (الراهب البوذي) جنسو هوشي (بجيم قاهرية) في الفترة المتأخرة.

تناكا من دفعة واكي كوزو وزميله في الدراسة، وقد ودع تناكا زميله واكي كوزو حين ذهب الأخير إلى منشوريا أثناء الحرب مع الروس، وكان هذا الوداع في بكين، كان واكي كوزو يتوقع الموت، لكن النتيجة كانت موتًا غير متوقع، وقد استقبل تناكا هذا الخبر بحزن شديد، ولم ينس تناكا زميله أبداً وظل يذكره طول الوقت، فقد كانا يعيشان معًا في عصر ميجي الذي كان يحمل مشاعر روحية تكفي لتغطية الكرة الأرضية !! هذه الروح أثرت على (تايوان كيوكاي جاكو) (بجيم قاهرية) المدرسة التايوانية (حاليًا جامعة تاكشوك)، ربما يظن البعض أن هذه الروح تلاشت هذه الأيام، لكن البعض يقولون بأنها باقية في الأصل من خلال بعض الشخصيات.. كيف يمكنك الحياة، وأنت تحمل بداخلك الاحترام لمن هم

أكبر منك؟! هذا سؤال مثير.

ميراث وصية تناكا ضاع بعد الحرب :

لم تكن أفكار تناكا مفهومة لدى الناس في تلك الأيام وحتى بعد وفاته أيضًا، قليل من الناس هم الذين فهموا أفكاره، وورثوا عنه وصيته، ومن بين هؤلاء على سبيل المثال خريجو جامعة تاكشوك الذين صاروا بعد الحرب حلقة وصل للمباحثات والتفاهم في إندونيسيا أو ماليزيا، وكان لهم تأثير كبير في هذه المنطقة، وكانت هذه الأمور تعتمد على التكتيك السري، وعلى مباحثات خاصة لم يكن من الواجب أن تمضي على المستوى الرسمي أو في العلن، ولم يكن من الواجب أن تدون أساسًا، وما لدينا هو مجرد تسجيلات شفاهية قليلة، لا توجد لدينا سجلات مكتوبة لجهود هؤلاء الناس.

لقد التحق ساتوريا إيشي بحركة القتال من أجل الاستقلال في إندونيسيا، وأثر كثيرًا على العسكريين الإندونيسيين، وقد كتب كتابًا يعتمد أساسًا على مبادئ «جاوه» ليدرس للجنود، وبعد الحرب حصل إيشي على الجنسية الإندونيسية ومات في جاكرتا.

لقد رغب إيشي في أن يتحقق الاستقلال لإندونيسيا، وكان يجتهد في تخريج طلاب يعملون ضد سياسة الاحتلال الغربي لبلادهم، لكن في الحقيقة انقطعت بعد الحرب وصية تناكا وطموح أتباعه، ونسي الناس كل شيءعنهم.

رغم أننا الآن في القرن الواحد والعشرين فحتى الآن صارت مشاكل العالم الإسلامي تمثل أهمية كبرى ليس فقط لليابانيين لكن أيضًا لبقية دول العالم.. لقد نسي الناس وجود تناكا، ترى ما السبب ؟

دعونا نفكر في هذا الأمر من ناحيتين :

بعد الحرب وفي اليابان صار المجتمع السياسي محدودًا ومنغلقًا على نفسه، وخلال احتلال أمريكا لليابان، تم رفض التاريخ السياسي للخارجية اليابانية بعد ثورة ميجي، وتم رفض كل من أدى دوراً في هذا التاريخ، وذلك بسبب رفضهم للاحتلال، ذلك لأن التاريخ الياباني المتأخر كان تحت سيطرة الدول التي انتصرت في الحرب، وفي قضاء محكمة طوكيو، جعلوا اليابان فقط هي المذنبة، هي المعيب عليها، وعند هذه النقطة انتهى التاريخ، لأنهم ذكروا فقط بأن اليابان (التي كانت تسعى لتحرير الشعوب من ربقة الاحتلال الغربي) كانت تسعى لنشر سياستها لتشكيل الإمبراطورية اليابانية، وقام البعض بالقضاء على السجلات والوقائع. . .

ومن هنا نتذكر طموحات تناكا تلك التي لم يفهمها الإنسان العادي في اليابان، والناس عادة يخافون من الأشياء التي لا يمكن أن يفهموها، ولا يخافون فقط، بل يريدون أيضًا تجاهلها لأن وجودها مقلق ومثير للمتاعب، هذا هو السبب الذي جعل الناس ينسون تناكا بسرعة، رغم أن أفكاره التي التزم بها، والتي تشكلت نتيجة التزامه وإصراره عليها، كان يمكن أن تؤدي إلى أمور محتملة كثيرة. . أنا على يقين من هذا.

شرح فكرة تناكا عن الإسلام :

قام البروفسر «نور الدين» نوبو موري - في مقدمته السابقة - بشرح حياة تناكا من أولها إلى آخرها، وهذا شيء طيب بالنسبة لتناكا لأن البروفسر نور الدين موري خبر الحياة الإسلامية جيداً، وهو مسلم يعرف العقيدة الإسلامية جيداً، وهو حتى الآن يطور نفسه على درب الإسلام، فطموح كل منهما يحمل السمات نفسها، هكذا أريد أن أفكر في الأمر، فيمكن لمن يريد أن ينال روح تناكا أن يستخلص هذه النتيجة، ويمكن لمن يريد أن يرث ما لتناكا من طموح أن يصل إلى هذه النتيجة، التي وصل إليها البروفسر موري في دراسته لحياة تناكا.

إن البروفسر موري يريد أن يضع أفكار تناكا عن الإسلام على محك أداء الشعائر الدينية والفرائض الدينية، وهكذا التقط النقاط التي لا يمكن للباحث العادي أن يشعر نحوها بشيء، والقراء الذين ليس لديهم حساسية يجدون فيها معلومات جديدة وكشفًا جديدًا.

إن الناس لا يمكنهم أن يفهموا جدياً الأمور التي ليس لديهم عنها معارف عامة مثل فرائض الإسلام، وإذا كان الكاتب يفهم هذا جيداً فإن القراء لا يمكنهم الفهم، وهذا يعني أنه لا أهمية للكتابة، وحتى أجد عبارة مناسبة أستعير عبارة البروفسر سيه يوميكيو مدير مركز أبحاث الثقافة الإنسانية وقد طلبت منه النصح وأثني على تعاونه.

إن طباعة هذا الكتاب كان بمناسبة مرور مئة عام على تاسيس جامعة تاكشوك، وأنا فخور جداً بطباعة مثل هذا الكتاب التذكاري الذي استغرق إعداده عدة سنوات، منذ أن بدأنا التخطيط لطباعته حتى مرحلة الانتهاء من طباعته، الكتاب الذي كشف لنا عن تاريخ وفكر أحد خريجي جامعتنا الذي ظل يبحث عن حقيقة الإسلام، وذلك قبل مئة عام تقريباً.!

مئة عام.. إن معنى المئة عام بالنسبة لإحدى الجامعات الخاصة في اليابان معنى عظيم.

ومن أجل تحرير هذا الكتاب طلبنا العون من السيد / مختار الطيب هيديومي موتو (الدفعة ٦٣ من خريجي هذه الجامعة) وهو تلميذ البروفسر ساتوسيكي هيه (من خريجي الدفعة ٣٠) والمحاضر السابق لشئون الشرق الأوسط، وهو من بين من أسسوا قسم الدراسات العربية بجامعة تاكشوك، الذي كان في الأصل قسم الدراسات الإسلامية، والسيد موتو الآن أحد مديري جمعية مسلمي اليابان، وهو من القلائل المتخصصين في الشريعة الإسلامية في اليابان المعترف بهم في العالم

الإسلامي رسميًّا، وحين طلبنا منه العون ذكر بأن هذا واجب عليه بصفته من خريجي هذه الجامعة، ولديه ثقة في السبب الذي جعله يدخل الإسلام، فقد كان ينتمي إلى جامعة تاكشوك ولا يزال.

وقد اتصل بالجامعة في خريف السنة الماضية، وكان سبب تأخره في الاتصال كثرة مشاغله، وقد أسهم معنا في تحرير هذا الكتاب، ومن خلال شخصيته أعرف أنه لا يريد أن يضع اسمه على هذا الكتاب، وأريد أن أشكره على إسهامه معنا في تحرير هذا الكتاب.

وقد طلبت لجنة التحرير من السيد تسوبو أوتشي تاكاهيكو إجراء التصحيحات المطبعية.

١٠ يناير سنة ١٤ هيسيه الموافق ٢٠٠٢م

رئيس لجنة تحرير

ايكيدا نوري هيكو

حفل تأبين الحاج نور تناكا
من واقع سجلات حفل التأبين الذي أقيم عند وفاته

كلمة إيسوتاي كوسكيه

ملازم أول بقوات المشاة

في الماضي والحاضر انعقدت أواصر الصداقة بيني وبين رجال كثيرين، خلال أسفاري في آسيا، ومن بين هؤلاء رجال فقدوا أرواحهم من أجل «نهضة آسيا»، في بداية هذا الخريف حين تذكرت أرواح مثل هؤلاء الرجال، أصابني الحزن الشديد، فمن بين هؤلاء تذكرت «تناكا» الذي لا يمكن أن يُنسى !

حين أذكر اسمه أتذكر كلمة «كوشي» التي تعني سمو الفارس ورفعته، فهذا اللقب يتناسب تمامًا مع شخصيته، فقد كان فارساً بحق، ونموذجًا للساموورائي النبيل.

في نهاية هذا القرن، كانت الأحوال في اليابان مضطربة ولم يكن أهل اليابان بأقل اضطراباً من بلدهم، في مثل هذه الظروف ظهر رجل مثل تناكا يتمتع بالرفعة والسمو، ووضع نصب عينيه هدفاً محدداً هو تغيير هذا العالم الذي يعمه الحزن، ويفتقد إلى السعادة، فكان بفكره الروحاني شعاعًا يضيء طريق الظلام، إن صورة تناكا ستظل ماثلة في أذهاننا على الدوام، وسوف تظل حية نابضة في شرايين ذكرياتنا، فهو الرجل الخبير في الدراسات الإسلامية كما يعرف الجميع، وهو الرجل الذي ظل مؤمنًا بالعقيدة متمسكًا بها.

كان يفكر في أن يوحد الديانات الكبرى في العالم في دين واحد، لكن طبقًا لتعاليم الإسلام فإن هذا أمر غير جائز شرعاً، كما انه يوجد حول العالم ما يقرب من ثلاثة بلايين مسلم، وهنا يصعب أن تتوحد أهل هذه الأديان، بما فيها أهل الإسلام أيضاً.

ومع هذا فقد اهتم تناكا بهذا الأمر، وهكذا سافر إلى الحج، وذهب إلى مكة، الأرض المقدسة، في جزيرة العرب، بوصفه مسلمًا يتوق إلى أداء فرض من فروض الإسلام.. لا أحد يمكنه أن يقوم بما قام به تناكا، وخاصة أنه هناك في جزيرة العرب التقى بالملك ابن سعود، وهذا مما يجب أن يسجل على صفحات تاريخنا الديبلوماسي.!

لقد جذبت خبرته هذه انتباه كثير من الناس في العالم، كما سجلت الصحف الرئيسة ذكريات رحلته إلى مكة المكرمة، لأن رحلة الحج رحلة مهمة في حياة المسلم، وقد قال محمد الرسول ﷺ: ما معناه «إن من يموت دون أداء فريضة الحج لن ينال ثوابًا ومثله مثل اليهود والنصارى»(١) .

فالحج بالنسبة للمسلمين ركن مهم جدًّا من أركان الدين، والحج أيضًا صعب جدًّا، ورغم هذا فقد أطاع تناكا ما أمر به الله، وعمل طبقًا لسنة محمد نبي الله، فأدى فريضة الحج قبل أن يموت.

يقولون إن الإسلام يعني السلام أي أن تسلم لله، ويعني أيضًا أن تتصدق في سبيل الله، ويعني أيضًا حب الآخرين واحترامهم، وقد مضى تناكا على هذا الدرب واتبع كل هذه الأمور، لأن إيمانه القوي وعقيدته المتينة تأثرت بالإسلام، ولا شك في ذلك أبدًا، فهو كمسلم جعل من حياته كإنسان ياباني علامة ثابتة لا تزول، ونبراسًا خالدًا بين أهل آسيا.

حين سافر لأداء شعائر الحج مع وفد من الباحثين في شئون الشرق الأوسط اليابانيين، قدمت له النصح فيما يتعلق بأمور عديدة، وعلى الرغم من تقدمه في العمر إلى حد ما، إلا أنه كان يمتلك عزيمة قوية، ومعرفة واسعة.. لا أزال أتذكر هذه الأمور!

---

(١) يشير إلى الحديث : من مات ولم يحج فليمت نصرانيًا أو يهودياً.. المترجمان .

ورغم أننا اليوم في وضع قلق، لكن حين أتذكره أستمد من ذكراه القوة والعزيمة.. آمل أن يكون من بين الدارسين الشباب الجدد من سيتأثر بروح تناكا القوية، وعزيمته الجبارة، وأنهم سيحترمون وصيته، وأن يتعهدوا الإسلام بالاهتمام أكثر فأكثر حتى تنعم روحه في جنة الخلد.

لا أملك إلا الشكر أقدمه

للسيد / كاساكي يوشي آكي - ممثل مؤسسة منشوريا

حين طلب مني أن أكتب شيئًا أقوله في حفل تأبين الأستاذ المربي تناكا إيبيه، كان كل ما بداخلي من مشاعر تجاهه هي الشكر والامتنان له..

وإنني هنا نيابة عن أعضاء مجلس مؤسسة منشوريا البالغ عددهم ٣٥٠ عضواً أقدم له الشكر الجزيل لخدماته الجليلة التي أداها من أجلنا، ولمواقفه الطيبة تجاهنا، لقد كان معينًا قويًّا لنشاطات مؤسسة منشوريا، طالما قال لنا: إنه لمن الصعب أن تحقق النجاح دون أن يكون لديك عزيمة قوية، تجعلك ترفض اليأس والاستسلام، وقد اعتاد أن يقدم لنا تجاربه، ويفصح لنا عن مشاعره، وبخاصة بعد أحداث منشوريا، كان يفكر في المستقبل، وكان يحاول جاهداً أن يجد أناسًا يعملون بجد، وأحياناً قدمني لأداء بعض الواجبات..

بعد تأسيس مؤسسة منشوريا انتقلنا إلى قسم آخر، لم أكن مؤهلاً لما أسند إلي، لكن رغم هذا بدأنا في سنة ٨ من عهد شوا بإصدار صحيفة "داي إيشيا" Dai Asia من طوكيو، وفي هذه المرة أيضًا قدم لنا كثيراً من النصائح في أمور مختلفة، وقام بنفسه فكتب مقالاً شهرياً عن الإسلام بعنوان (معلومات عن الإسلام).

بالطبع كان يفكر في أهمية منشوريا بالنسبة لليابان، منشوريا التي كان بها مليونان ونصف المليون مسلم.. حين سافر للحج في المرة الثانية أرسل لي رسالة، شعرت من الرسالة بعزيمته القوية، حين كان مسافراً للحج كان يقول لأصدقائه:

إذا رجعت آمنًا أريد أن أساعد بقدر استطاعتي « كاساموتو » ومؤسستنا (فقد كان يشعر بافتقادنا للخبرة) وحين سمعت هذا الكلام انخرطت في البكاء، كان الرجل يرغب في أن ينشر لطفه وعطفه بين أعضاء مؤسستنا.

حين كنت في طوكيو نظمت جماعة باسم « إنقاذ الهند » كنا نرغب في تكوين جماعة تسافر إلى الهند بأقل التكاليف، وبينما كنا نقوم بهذا دون طمع، كنا نشعر بأن المردود أي النتيجة ستكون رائعة.

وقد وافق تناكا إيبيه على هذه الفكرة، حين كنت أغادر مدينة « دايرين » في حفلة وداع، وكان يشجعنا كثيراً هو ورفيقه الأستاذ المرحوم « واتانابيه كاي كوك »، فكلاهما انتقل من هذه الدنيا إلى عالم الآخرة، ونحن نفتقدهما كثيراً.

وفي سنة ٧ من عهد شوا حين سافر إلى منشوريا وحين جاء إلى « دايرين » التقينا به، كان في حال جيدة، وودعنا بسرعة لأنه كان متجهاً إلى منطقة شنغهاي.. لا أزال أتذكر هيئته كان يقف على سطح السفينة مع مسافري الدرجة الثالثة مثل فارس شجاع.. لا أزال أتذكر، ولا يمكنني أن انسى أبداً ما حييت هذا المشهد.. أنهي بهذه الكلمات المختصرة حديثي عن الأستاذ المرحوم لكن الشكر له لا ينتهي أبداً!

ذكرى تناكا إيبيه

العقيد (مشاة) ياجيرو كيشي

تعرفت على صديقي تناكا حين كان يدير مؤسسة صحفية في « ساي نان » بالصين، ومنذ ذلك الوقت لا أزال أتذكر روحه العالية وعزيمته القوية.

في تلك الأيام كان الصينيون منعزلين، لا يحبون الاختلاط، كما كانوا غير أليفين، وكان من الصعب أن يقبلوا اي تاثير خارجي أو ثقافة خارجية، لكن تناكا دخل بين هؤلاء الناس ! ونظراً لأنه يتمتع بشخصية أليفة وصدوقة، فقد كسب

بسرعة ودهم وصداقتهم.

كنت أتأثر كثيراً حين أشاهده يذهب للصلاة، ويدعو للوطن، في مقال بمجلة Asia Buhu العدد الخامس أغسطس من سنة ٩ شوا كتب مقالاً بعنوان «الهدف الجديد للناس» جاء فيه:

«آمل أن تحقق اليابان مكانة أوسع تحت حكم الإمبراطور، ولا أقصد بهذا توسعًا سياسياً جغرافيًّا».

في هذا الوقت كنا بحاجة ليس فقط إلى دراسات وبحوث تتعلق بالأدب الصيني، بل أيضًا نحتاج إلى دراسات وبحوث عن آسيا ككل من أجل المستقبل، فنحن نحاول أن نمزج ثقافة آسيا مع فكرة الولاء للإمبراطور، أو نمزج فكرة النظام الإمبراطوري مع النظام الملكي لنكشف عن فكرة آسيا الكبرى، وكان علينا أن نجعل الناس في الصين يدركون أن الثقافة الصينية والأدب الصيني ليسا الشيء الوحيد بالنسبة لهم بل عليهم أن يتعرفوا على الثقافات الأخرى «أعتقد أن هذا سيكون هدف الأكاديميات الآسيوية، ومن أجل هذا الهدف حاولت أن أفعل ما يمكنني عمله فسافرت، وقمت فعلاً بتحقيق ما أريد إلى حد ما، ولسوء الحظ أصبت بالمرض في السفر، فعدت وحملوني إلى المستشفى قبل أن أكتب تقريراً عن دراستي أثناء سفري.. إن هذا الهدف الجديد من الجانب الياباني يعبر عن طريقتنا من وجهة النظر الجغرافية لآسيا، ونسمي هذا باليابانية «شين سيه» Shinse أي السر الإلهي.. علينا أن نتذكر هذا طول الوقت، من مزار إيسيه إلى مكة في أرض الحرمين هناك في غرب آسيا وضعنا «خط الإله» (الإسلام والديانات الأخرى) وعلينا أن نوجد حركة آسيوية جديدة توحد آسيا كلها» انتهى.

هذه هي فكرته، وهذه هي خلاصة عقيدته.. ليلة أمس زارني «كنكو تويورو» من «داي تو بونكا» وطلب مني أن أكتب شيئاً في تأبين الأستاذ المربي تناكا إيبيه،

وهكذا كتبت ما شعرت به، وكنكو يؤمن بفكرة «الإمبراطورية»، وهو الرجل الذي يمكن أن يخلف تناكا إيبيه، فهو يمثل الجيل الجديد الذي ظهر، ليرث أفكار تناكا، ولهذا فهم أيضًا مثله مفخرة لمدرسة داي تو بونكا كاكوين Daito Bunka Gakoen.

تناكا شخصية فذة

فوجيموتو هيسانوري

عرفت اسم تناكا إيبيه حين قرأت مقالاته العديدة التي كانت تنشر في صحيفة اليابان وغيرها من الصحف الأخرى، وحين التقيت به لأول مرة، عرفت من مظهره أنه هو نفسه الشخصية التي رسمتها له في مخيلتي من خلال كتاباته وعندنا مثل يقول «لكتابة هي الشخصية»(١).

فمقالاته فيها عمق، وكل كلمة على حدة تعطي الانطباع الخاص الذي يهدف إليه الكاتب، كان الناس يتلهفون على المجلة حين تصدر، ليتابعوا قراءة مقالاته، هكذا كانت لمقالاته جاذبية كبيرة لدى القراء، وكان تناكا يتمتع بجسم رياضي قوي فقد تدرب على رياضة «الكندو» العريقة الخاصة بالساموراي(٢)، أضف إلى شخصيته، ومظهره الطيب، اعتناقه الإسلام، وسفره إلى بلدان آسيا لعدة سنوات، ثم إلقائه لعدد كبير من المحاضرات، كل هذا يمثل إنجازات عظيمة، ومن المؤسف ألا يتمكن من تحقيق ما كان يصبو إليه، ولم يشاهد للحظة تحقيق هذا الهدف، إنني اليوم أشعر بالحزن من أجله!

(١) ومعناه قريب من المثل العربي: كل إناء ينضح بما فيه -- المترجمان.

(٢) وهي المبارزة والضرب بالعصا-- المترجمان.

ذكرى تناكا إيبيه

يوشيدا شيجرو (بجيم قاهرية) رئيس الوزراء

عرفت تناكا في سنة ٦ شوا حين عُينت قنصلاً في سايـنان (الصين) في تلك الأيام كان يدير مؤسسة صحفية مع ناكانيشي ماساكي، وكان نشطاً جداً، نسيت السبب الذي من أجله دار جدال بينه وبين ناكانيشي، نظراً لاختلاف في وجهات النظر، كان ناكانيشي صديقاً قديماً، ولهذا شعر تناكا بأنني آخذ جانب ناكانيشي، وأنني غير متعاطف معه، حين كان يغضب بشدة كنت أشعر بأنه رجل يستحق الاهتمام، بل كان فيه جاذبية عجيبة، ومن جهتي اتصلت به وتناقشنا في الأمر، واستمر هذا لفترات وصرنا صديقين حميمين، في تلك الأيام كان يناقش العديد من المشكلات.

ومن أقواله: «أحد أجزاء شين تاو يذهب إلى الإمبراطور، هناك خط لعبور آسيا يتمثل في سياسة الطريق!».

ومن أقواله أيضاً: «من أجل تحويل سياسة آسيا لأجل مستقبل النظام الإمبراطوري نحتاج إلى تضافر الشنتو والإسلام، الاثنان معًا يجب أن يتوحدا، هذه هي السياسة الأساسية».

وقد سمعت عن عقيدته وعن إيمانه بالقضايا الإسلامية، أنا لم أكن رجلاً متديناً، وبشكل ما وافقته على أفكاره، بعد ذلك سافر إلى الحج، وأكمل دينه بأداء فريضة الحج، وبعدها تكلمنا كثيراً عن هذا الأمر، وكان هذا آخر ما دار بيننا.

الآن نمر بحالة من عدم الاستقرار، إن فقدان شخص مثله شيء مؤسف من أجل آسيا ومن أجل الفكرة الإمبراطورية الرامية لتوحيد آسيا، ومؤخراً صارت القضايا الإسلامية قضايا مهمة، بدأ الناس يهتمون بقضايا الإسلام، وهذا مجرد فاتحة الطريق الذي مهد له بأفكاره، أظن أنه الآن قانع وراضٍ، ولهذا فروحه اليوم فرحة مسرورة في مرقدها.

مسافر
كسحابة بيضاء تطفو في السماء

الجزء الأول

ديسمبر ١٩٢٣م السنة ١٢ تايشو

مايو ١٩٢٤م السنة ١٣ تايشو

في اتجاه الغرب

تمهيد

على كل حال، لا بأس.. فإنني اتجه ناحية الغرب، سوف أغادر طوكيو المملوءة بجو الاستعداد للبدء من جديد في استعادة عافيتها، لبدء مرحلة الإصلاح أو مرحلة النهضة، سوف أغادرها وأمضي متجهاً غرباً.

حين كنت خارج اليابان، وقبل أن تصلني الأخبار عن الأحوال بها، كتبت تقريراً بعنوان إعادة تأسيس مبادئ (كان تشو) والثقافة الشرقية.

بعد ذلك تجولت داخل اليابان هنا وهناك، لكن بعد فترة غياب طويلة عن الوطن، وحين شاهدت كيف استعادت اليابان عافيتها، وأجرت إصلاحات عديدة ساعدت في نهضتها، غمرني السرور، وغطتني السعادة، إلا أن زلزالاً حدث فجأة في بداية سبتمبر في العاصمة اليابانية، لقد شاهدت بنفسي هذا الحدث الرهيب، وخضت بنفسي هذه التجربة المروعة.

لكني بعد وقوع هذا الزلزال أحسست بمشاعر من السعادة والفرح، لم يخامرني مثل هذا الشعور من قبل، لقد شعرت بالسعادة حقًّا بعد هذا الزلزال! فقد أدركت أن طريقي لم يتحطم، ومن الآن فصاعداً بدأت أشعر بأن هذه الاستعادة أو النهضة كانت هبة من الله، وأن الله أنقذ اليابان، هذا هو الإلهام الذي شعرت به آنذاك.

لقد كان تصرف الشعب الياباني تجاه الحدث أفضل بكثير مما كان يتوقع، وقد تحرك البرلمان بشقيه، للعمل معاً، وروح الاستعادة والنهضة تنبعث من داخل الشعب، لتقوده على طريق الإصلاح والتقدم ، إنني على يقين من أن اليابان لن تتحطم أبداً . .

ولهذا أغادر طوكيو، متجهًا صوب الغرب، ولا أدري إلى أين سيأخذني المطاف، لكن لا بد أن أشير إلى أن أحداً لم يطلب مني أن أمضي إلى حيث أنا ماض، لقد انطلقت من تلقاء نفسي، لم أجهز شيئاً لرحلتي، لكنني أخذت معي قدراً قليلاً من المال، مع غيار ملابس واحد فقط ، وكما لو كنت سحابة بيضاء تطفو في السماء، سأرحل. . .

قررت السفر حين كنت أشاهد مأساة الزلزال، وحين كنت أرعى بعض الناس، أقدم لهم الأرز ، وأشرح لهم كيف يعتمدون على أنفسهم، وفي تلك الأثناء قرأت كتابًا بعنوان « دايتو ساي إكيكي » كتبه كن هي هوشي ، كما شاهدت مسرحية « سايوكي » التي كتبها جوتشون شنتو، كما طالعت أيضًا يوميات جنكيزخان، وبعد كل هذه القراءات والمشاهدات، بدأت أفكر في وجوب السفر صوب الغرب . . قررت أن أسافر بأي شكل من الأشكال، وربما أستطيع أن أتدبر أمر نفسي بشكل أو بآخر، دعنا نرى ماذا يمكنني أن أفعل . .

لا توجد أي حسابات أو تفكير في الفائدة، كما لم يخطر على بالي أن يكون ذلك سعيًا وراء الشهرة، لا تفكير على الإطلاق في مثل هذه الأمور، لكن شعوراً بالألم أو إحساسًا بالقلق قد ينتابني !! أريد أن أضع نفسي فوق السحاب وأطفو هناك بالقرب من السماء، أريد أن اسافر ناحية الغرب كما لو كنت أسبح بين السحاب في الفضاء.

١

الرحيل من طوكيو

عند مغادرتي طوكيو قابلت السيد سوهو Soho التابع لجريدة « كوكومين » Kukumin فقال : لم تعد هناك ثورة، إن كل شيء تحت سيطرة « سيوكاي » Seyokai أخبرني بهذا حين ذهبت إلى شارع « جنزا (بجيم قاهرية) » وشاهدت الناس يتحركون في نشاط ومثابرة، من تلقاء أنفسهم، يدفعهم شعورهم بالمسئولية، مثل هذا الجو سوف يشيع في جميع أنحاء اليابان!

جاء صديق واحد فقط ليودعني في المحطة، كان هذا الصديق هو « كوجيما بونهاتشي » Kojima Bunhachi، وغادرت محطة طوكيو في ديسمبر من السنة الثانية عشرة من عهد تايشو، ركبت الدرجة الثالثة في القطار، حين وصلت إلى أوساكا، حضرت حفل نهاية العام في نادي « ناناشي أي » بدون اسم Nanashi حيث تجمع نحو خمسين شخصاً، معظمهم يعيشون في أوساكا، وكانوا يتبادلون فيما بينهم المعلومات، والحديث عن هواياتهم.

التقيت ذات يوم بمدير فرع شركة « كايجيما » Kaijima التجارية السيد / ياسودا سوجيرو ، أخبرني أن أوساكا أصيبت بأضرار تجارية بعد حدوث الزلزال، فلم تكن الحالة التجارية جيدة.

غادرت أوساكا ووصلت إلى هيروشيما، حيث ذهبت إلى مقبرة العسكريين المعروفة باسم « هيجي ياما » تخيلت بأنني ألتقي بأرواح كثير من الأصدقاء الذين ماتوا.

قمت بزيارة (يوؤي يا جيرو) الذي كان يعمل بالتدريس نهاراً في إحدى المدارس الابتدائية، بينما كان يدرس في الليل للكبار ، وقد قدم من كيوتو وصار من الرواد الديبلوماسيين في تاريخ اليابان، وهو الآن متقاعد، ويفضل أن يقضي وقته في القراءة والكتابة، كما أنه لا يريد أن يكون له تلاميذ أو أتباع، وبمعنى آخر لا يريد أن يكون قائداً لأحد!

تشتهر مدينة هيروشيما بفاكهة «الكاكي» اللذيذة، كما تشتهر أيضًا بمحار «الكاكي» المستخرج من البحر، لكن المحصول هذا العام ليس بجيد، سواء محصول فاكهة الكاكي أو محصول محار الكاكي، وأنا لا أحب فاكهة الكاكي كثيرًا، وعلى كل حال فما عدا فاكهة الكاكي ومحار الكاكي، فإن هيروشيما مشهورة بتصدير العمال إلى داخل اليابان وخارجها.

التقيت في هيروشيما بأحد الإقطاعيين، وطبقًا لقوله توجد هذه الأيام انتقادات كثيرة تصدر عن كثير من الناس تجاه النظام الأرستقراطي Peerage System ويقولون بوجوب القضاء على هذا النظام.

سوف أتجه الآن إلى موجي(١).

٢

شين تاو في توكوتان

في ٢٥ ديسمبر ركبت القطار، في الدرجة الثالثة، حيث اكتظت العربة بالركاب، كانت الساعة تقترب من العاشرة صباحًا، فوصلت إلى ميناء «موجي» حيث حصلت على تذكرة من شركة «هارادا كوئي سين» البحرية لأسافر على ظهر السفينة في الدرجة الثالثة، وانتظرت حتى تستكمل الإجراءات الجمركية، قاموا بفحص حقيبتي، لم يكن لدي أي شيء سوى حزمة من الكتب لا غير.

بدأ الرحيل تجاه شين تاو عند الساعة الواحدة بعد الظهر، كانوا قد قالوا بأن السفينة ستتأخر، ولهذا اشتريت بعض الخبز من محل موجود في مكان انتظار المسافرين، وبينما كنت أتناول الخبز كنت أشعر بالقلق على الوضع المستقبلي لليابان، وكنت قلقًا أيضاً فيما يتعلق بما سيحدث لي من الآن فصاعداً...

(١) تقع في جزيرة كيوشو -المترجمان.

مكان الدرجة الثالثة مكان واسع، هذا الربيع أخذت السفينة نفسها لكنني كنت قد اشتريت في الرحلة السابقة تذكرة للدرجة الأولى، ولهذا حين رآني هذه المرة الصبي الذي كان يهتم بخدمتي في ذلك الوقت، تغيرت تعبيرات وجهه هذه المرة، كنت أرتدي ملابس صينية بسيطة، واضع على رأسي قبعة، مظهر بسيط يدل على فقر صاحبه وعوزه، لكن الملابس الصينية كانت مبطنة من الداخل بفرو قرد، وهذا يكلف ١٥ ينًا(١)، وقد أهداها لي السيد / ياسودا.

كان من نصيبي في السفينة مساحة تساوي « تتامي » واحداً(٢) كان معي كثير من الصينيين، الذين ظنوا بأنني صيني مثلهم، لم يفكروا بأنني ياباني، وأصروا على ظنهم هذا، ولم أحاول أن أقنعهم بأنني ياباني، لكنني لمحت من بينهم أحد الطلاب اليابانيين، كان ينظر إلي باحتقار شديد، لأنه كان يعدّ الصينيين أدنى درجة من اليابانيين، وهكذا عدّني أيضًا أدنى حتى من هؤلاء الصينيين.

بعد مغادرة الميناء واجهنا عاصفة عاتية، وأمطاراً غزيرة، وعند جزيرة « إيكي » كان يجب علينا مغادرة السفينة، أصيب كل من كان على سطح السفينة بدوار البحر، لم نكن نستطع حتى رفع رءوسنا من شدة الدوار.

وفي الصباح التالي كنا نتحرك ناحية الجنوب الغربي، كانت الساعة الواحدة من صباح يوم الثامن والعشرين من ديسمبر حين وصلنا إلى ميناء « شين تاو ».

في شين تاو بدأت مرحلة فحص الجوازات، قدم بعض الضباط، وأخبرونا بأن الجو بارد جداً، لهذا لم يقوموا بعملهم كما ينبغي، وهكذا لم تتم مرحلة فحص المسافرين.. أكره مثل هذه السهولة المتعمدة.. سهولة شديدة جداً.. لقد كانوا يتطلعون فقط إلى ملامح وجوهنا..

(١) الين عملة يابانية ـ المترجمان.

(٢) نحو ٩٠ سم X ١٨٠ سم -المترجمان.

مثل هذا العمل طيب وجيد، لكني من ناحية أخرى أكره الطريقة اليابانية وأعني بذلك فحص كل شيء، والتدقيق في كل شيء، عن طريق عدد كبير من الضباط، فهذا أيضاً ليس بالعمل الجيد..

على كل حال كان كل متاعي «صرة» من القماش بها أعشاب بحرية مطهوة ومخللة أي مملحة[1]. كنت أخشى أن يفكر هؤلاء بأنني أهرب الأفيون داخل هذه الصرة، لكنهم لم يقوموا بالفحص بطريقة دقيقة.

في شين تاو يوجد حي ياباني أو مدينة يابانية، كان هنا ذات يوم ٣٠ ألف ياباني، لكن يوجد اليوم ١٠ آلاف فقط، ولهذا فالحي كله الآن أو المدينة كلها التي هي على النمط الياباني، صارت مثل مدينة الأشباح.. شعرت بالحزن والأسى.

بعد عدة مظاهرات قام بها الصينيون ضد اليابانيين كانت النتيجة هي:

رغم وجود شركات صينية ثرية وغنية من قبل، إلا أنها تواجه الآن الإفلاس، لأنها كانت أصلاً تقوم بالأعمال التجارية بشكل جيد أثناء وجود اليابانيين هنا..

شعرت بنوع من الأسى لأن هذه الشركات إذا ما أفلست، فلن تعود إلى سابق عهدها، ويلاحظ أن استعادة الشركات لعافيتها في طوكيو كان ملحوظاً أكثر من خلال النشاط المتزايد..

لا أريد أن أكتب كثيراً عن هذا الأمر..

في هذا اليوم زرت صديقي أوتسكا سينجيرو.

٣

رأي شخصي!

مسافر يمضي مثل سحابة تطفو فوق السماء، ومع هذا يشعر بأنه مشغول بعمل أشياء كثيرة!

---

(١) تسمى باليابانية كونبو- المترجمان.

بدلاً من إرسال خطابات إلى أصدقائي سوف أكتب هنا عن مشاعري، لأنني لا أريد إضاعة الوقت في كتابة الخطابات، فغداً، ومن جديد سأتجه مرة أخرى صوب الغرب.. تذكرت ا ذات مرة كنت ألقي محاضرة في مزار الشنتو في مقاطعة شين تاو (الصينية) كان عنوان المحاضرة: «مسئولية الشنتوية الإمبراطورية تجاه قارة آسيا»(١). حين كنت أتحدث عن هذا الموضوع، أعجب بعض الناس بهذه النظرية، هذه المرة وجدت نفسي أفكر في «شين تاو» فبرغم القوة اليابانية صارت شين تاو ضعيفة هذه الأيام، لكن مزار الشنتو لا يزال هناك يقبع في ركن من أركان المنطقة الجبلية في مقاطعة شين تاو، وهذا المزار ينقل رسالة مزارات الشنتو اليابانية إلى القارة الأم.. آسيا.

التقيت بالراهب المسئول عن المزار ويدعى «توياما»، وتحدثت معه عن اليابان، أخبرته أن اليابان آمنة، وبخير، وطلبت منه أن يمنحني البركة، وأن يدعو الله أن يمنحني السلام في رحلتي هذه.. هكذا طلبت منه ما تمنيت.

قبل هذا الربيع فكرت في أن أصنع «مجسماً» تذكارياً من الحجر أقدمه هدية للسيد «شو كو يو» الصيني، والجنرال «نوجي» (بجيم قاهرية) الياباني، وهكذا طلبت من الراهب أن يصنع لي هذا المجسم، وهنا لا يوجد احتفالات خاصة بعمل مثل هذه المجسمات التذكارية، لكننا قررنا أن نقيم احتفالاً بسيطاً في هدوء..

إنه يعدّني يابانياً أنتمي إلى اليابان، أُبجل وأقدر إلهي(٢) الذي يحفظ بلادي، وها أنا الآن أقف أمام الله لكن خارج اليابان، لهذا ينتابني شعور لا يمكنني التعبير

(١) يشير تناكا هنا إلى ربط الشنتوية بالإمبراطور بمعنى ان بلدان آسيا يجب ان تكون لها النظرية نفسها السائدة في اليابان -المترجمان.

(٢) يقصد إله الشنتو- المترجمان.

عنه... في غرفة التتامي الواسعة كنا معًا، اثنان فقط، نجلس في صمت دون أن ننطق بكلمة، نتناول الشراب الذي قدمناه قربانًا لله..

آمل أن تنتهي رحلتي بسلام وأمان.

شين تاو – الصين

٢٩ ديسمبر السنة الثانية عشر من عهد تايشو.

٤

الحكيم الصيني روزن دوشي

حين أكون في مقاطعة «سان تون» ينتابني شعور خاص يفوق شعوري بتذكر والدي، وهو شعوري تجاه صديقي «رو زن دو شي»، فقد مكثت هنا عشر سنوات من قبل، وخلال هذه الفترة لم أجد أي صديق من اليابانيين، لكني وجدت أصدقاء من الصينيين أحدهم ينتمي إلى العسكر، والآخر يقوم بدعم الحركات الثورية، وأسس مؤسسة صحفية، وثالث أسس مدرسة للتربية والتعليم، لكن حدث ذات مرة أن طلبت مني الشرطة العسكرية أن أغادر هذا المكان، وعندها انتهت حياتي الاجتماعية تماماً، كان هذا أمراً مقززاً بالنسبة لي، سبب لي مشاعر غضب شديد.

لقد قمت بتأسيس مدرسة صغيرة في منطقة «ساينان» حيث كنت أقوم بتدريس عدد من الأطفال الصينيين، وكنت أعيش حياة هادئة تمامًا، وكنت أقضي معظم وقتي في القراءة، والمشي بين الحقول، وزيارة الآثار ومدافن الحكماء والمعلمين.. بعيداً عن اليابان في هذا المكان كنت أشعر بالحياة الروحانية للمعلمين والحكماء، وقد شعرت فعلاً بحياة هؤلاء المعلمين الكبار زعماء مدارس الحكمة، في ذلك الوقت تمكنت من لقاء أحد الحكماء الصينيين، وكان من حكماء القصر،

كان قد قدم إلى «شين تاو» مبعوثًا من قبل الإمبراطور.. قبل أن تحتل ألمانيا شين تاو كانت القوات العسكرية اليابانية قد وصلت إليها، لكن نتيجة للحرب الأوربية، ونتيجة لفشل سياسة الخارجية اليابانية أو الديبلوماسية اليابانية، كان على اليابان أن تعيد شين تاو إلى الصين، وخلال تلك الفترة كان هذا الحكيم يقدم النصح والمشورة إلى الإمبراطور، وكانت نصائح الحكيم تتمثل في أن تكون الحياة بسيطة، وقائمة على الزهد، والتقشف.

عرفته في صباح يوم السابع من نوفمبر من السنة الثالثة من عهد تايشو، حين دخلت شين تاو مع القوات العسكرية اليابانية، كان عمره آنذاك سبعين عاماً، وبعد سنة ٦ تايشو كنت أزوره في منطقة سايتان مرتين أو ثلاث مرات كل شهر، وكان ينضم إلينا «تايكو اوشو» راهب معبد «سيه كن»، فكنا نحن الثلاثة نتكلم في أمور عامة، غير ذي أهمية، أي لم تكن أموراً جادة، وحين ياتي موسم تفتح الأزهار، كنا نتمتع بمشاهدة الأزهار، فكان من الممتع حقًّا ان نمضي معاً عبر الطريق وسط غابة شين تاو، في عربة يجرها حصان، في وقت تكون فيه أزهار الأكاسيا قد تفتحت وفاح أريجها.

حين كنت ألتقي بهذا الصديق العزيز، وحين كنا نتعانق، كنت أشعر بنوع من الشوق إليه أكثر من شعوري الذي قد ينتابني لو التقيت بمحبوبة أعشقها.. إنه أستاذ ومربٍّ، ومعلم، وحكيم، وهو إنسان عظيم جدًّا، وإنسان بريء تمامًا، ومجتهد ومجد، وهو رغم كل هذا يحمل بداخله روح القتال، والنضال، فقد كان أثناء الحرب بين اليابان والصين يخدم في البحرية، وقاتل ضد اليابانيين، وفي ذلك الوقت فقد زوجته وأطفاله، وشعر بالبؤس، فترك الحياة، واعتزل الناس، وقصد المناطق الجبلية في الغابة... لديه حفيد واحد يدعى «كوتشين».

في فصل الصيف منذ عامين، زارني فجأة في مدرستي، ومن الجدير بالذكر أن الطريق

من شين تاو حتى مدرستي يستغرق عشر ساعات، جاء مع حفيده، رجاني قائلاً:

- من فضلك! علمه جيداً الحياة، والنظام، واجعله إنسانًا عظيمًا !

هكذا قال لي هذه العبارة الوحيدة ثم خاطب حفيده قائلاً:

- لا يجب عليك أن تعود قبل أن تتعلم من هذا الأستاذ..

بعد ذلك قال:

- سوف أعود في قطار الليل.

بالطبع لقد جاء إلى هنا بالقطار في الدرجة الثالثة، كان في الثمانين من عمره تقريبًا، وحرارة الصيف بالنسبة له كانت شديدة جدًّا، ولهذا رأيت أن اقطع له تذكرة في الدرجة الثانية، كان سعيداً جداً جدًّا، رغم أن الدموع كانت تنهمر من عينيه.. يا لهذه البراءة والسذاجة والبساطة، فقد أعطى هذا الجد العجوز حفيده الحبيب إليه، إليّ، لأعلمه..! وهكذا كنت أعلمه كما لو كان ابني، فلذة كبدي، أو كما لو كان شقيقي! في عيد رأس السنة من العام الماضي مرض الجد، فطلب مني أن يرى حفيده، ولذا أرسلته إليه، وبعد ذلك قمت بزيارته، فأخبرني أن الوقت الآن هو وقت الرحيل عن هذا العالم، وبعد ذلك مات في الخامس عشر من يوليو! وحين زرت شين تاو ورأيت الإمبراطور، قلت له إن ذلك الحكيم قد مات.!

ورغم أن الآلاف من اليابانيين ماتوا في هذه المنطقة، لكن هذا لا يؤثر فيّ كثيراً، لكن موت هذا المعلم الحكيم كان بالنسبة لي مثار حزن وأسى، لأنه الآن ليس هنا.. ليس هنا للأبد!

لم يعرف أحد من اليابانيين الذين عاشوا هنا عن خبر وفاته، حتى الصحف التي يمتلكها اليابانيون، حوالي خمس أو ست صحف لم تذكر عنه شيئًا، ولو جملة واحدة.. كنت قد عرّفت بعض الزائرين اليابانيين على هذا الحكيم العجوز، آمل أن يكون بعضهم لا يزال يذكره، أو يتذكر أسلوب حياته الرائع، إنني أكتب هذا الصفحات في ذكرى هذا الحكيم، وربما ساكتب عنه فيما بعد بالتفصيل.

٥

منظر الشتاء في سايتو

أول يناير من عام ١٢ تايشو

في الصباح الباكر أخذت القطار مسافراً بالدرجة الثانية مع « يون سين سيه » الذي ينتمي إلى مقاطعة « سان تون »، وكنت قد أسست ذات يوم صحيفة تطبع بالحروف الصينية، لهذا عينته موظفًا في قسم التسويق، أما عن مستوى تعليمه، فيمكن القول بأنه كان يستطيع فقط أن يفك الخط أو يكتب اسمه فقط، لكن شخصيته كانت طيبة، وكنت أثق فيه، في الحقيقة ظل معي دائماً، وظل يرافقني مثل ظلي رغم تعرضي لحدوث مشكلات عديدة، وظل يعمل بإخلاص شديد معنا، فلمدة سنة كاملة، ظل يعمل حارسًا لمؤسستنا دون أجر، نظراً لأننا تعرضنا آنذاك لمشكلة مالية.. لم أكن أتوقع أن يأتي للقائي.!

رأيته بعد فترة طويلة.. كنت سعيداً لأنه كان بصحة جيدة، وبحالة طيبة.

أشعر بأنني قمت بأعمال طيبة حين كنت أقيم هنا لمدة عشر سنوات، ومن بينها أن مثل هذا الصيني كان معي، وهو الآن في العشرين من عمره! حين جاء عندي، كان مجرد صبي صغير في العاشرة من عمره، بالطبع هذه الأيام لا يوجد أي فرق بين نظام التعليم في اليابان أو نظام التعليم في الصين، لكن يوجد نوع من النبوغ بين الصينيين أكثر مما هو بين اليابانيين، حين كنت في "سان تون" كان لدي تلاميذ مخلصون، كنت سعيداً بهم طوال الوقت، إن الحياة السعيدة الطيبة هي في أن يكون لك تلاميذ جيدون.

كنت أرتدي الملابس التي أعطاني إياها الصيني "كان شي ميه" منذ فترة طويلة، وكان القطار يمضي عبر الحقول، نفس المناظر التي اعتدت مشاهدتها من

قبل، وصلنا بالقرب من هيشو[1]، وهذا المكان منذ فترة طويلة ميناء رئيس للتصدير والاستيراد، وهم يصدرون منه هنا الورق الصيني والبوص.

زرت صديقي «شو كو سيه» وقضيت معه عدة أيام، تمتعنا بتناول الطعام معًا، كنا نأكل «الدانجو» dango الكفتة المدورة وكعك الأرز، والقطائف المحشوة باللحم المفروم وغيرها من الأطعمة التي اعتاد عليها الناس، ففي العادة حين يأتي المسافرون اليابانيون إلى الصين، لا يقدمون لهم الطعام العادي، بل يقدمون لهم طعام علية القوم، الطبقة الأرستقراطية، وهذا يعني أنهم لا يتذوقون الطعام الصيني الحقيقي، ولا يعرفون نكهته، وعلى سبيل المثال في اليابان يمكن القول بأن (أوجيا) أي الشوربة المملوءة بالأرز هي أطيب وألذ طعام، مما يعني أن الطعام البسيط هو الأرز.

في الصين إذا لم تتذوق الطعام الصيني العادي في البيت، لا في المطعم، فإنك لا يمكن أن تكتشف الحياة الحقيقية هنا، وذات مرة تذوق أحد أصدقائي وهو ساكاموتو تسوجي نوسوكيه (بجيم قاهرية) كعك الأرز الصيني والقرع العسلي، عندها شعر بلذة، كما ذكر بأن تناول مثل هذا الطعام يعطي للصينيين القوة.

وذات مرة ألقى الدكتور شيراساوا محاضرة عن الفرق بين ما هو صحي من وجهة نظري، وبين ما هو صحي من وجهة نظر الصحة العامة للجسم، فقال بأنه من خلال طعام الشعب الصيني فإن الطريقة الصينية أفيد من الناحية الصحية من الطريقة اليابانية.

وقد رافق السيد / عويضة وفداً من اليابان، وحين رأى أن أحدهم لا يستطيع أن يتناول الطعام الصيني الريفي، قال له غاضبًا: إذا كنت تدرس الثقافة الصينية، وإذا لم تستطع أن تأكل الطعام الصيني فإنك لا شيء! وقد وافقته على هذا الرأي.

---

(١) ربما تنطق أيضًا سيشو- المترجمان.

تجنبت أن أتناول الطعام في مطعم القطار لأن أسعاره غالية، كما أن الطعام فيه غير لذيذ، وأنا أفضل تناول الأطعمة الشعبية... هذا البلد الواسع الذي تمتد جذوره في أعماق التاريخ، يمتلك نهراً واسعاً يمضي مسافات طويلة، ينساب ببطء عبر هذا البلد..

أتذكر بلدي الآن الذي يواجه هذه الأيام متاعب، بلدي الصغير الحجم، المزدحم بالناس، كم هو مختلف عما أراه الآن حيث أمضي عبر هذه الحقول والوديان.. أشعر بالفروق بين الشخصية والحجم، أشعر بالفرق بالطبع بين البلدين اليابان والصين، وهو فرق واضح تماماً، فاليابان حقيقة بلد الله، والصين هي البلد التي تقدس السماء.. كان القطار هذه المرة يتجه ناحية الغرب.. في عربة القطار التي كنت أجلس فيها، لم يكن هناك سوى ياباني واحد، يركب معي، بالإضافة إلى امرأة يابانية... شعرت بقوة اليابان تضعف أكثر وأكثر.. كان القطار يمضي بين الوديان، وكان المنظر يتغير بين الحين والآخر.. الجبال، والأنهار المتجمدة، وغيرها.. بينما القطار يمضي ناحية الغرب..، ويتحرك تجاه الغرب، وأنا أيضاً كنت أتجه صوب الغرب...

وهكذا وصلت إلى ساينان حيث أبلغت القنصل الياباني «فوجي إئي» بوصولي.

٦

كانت المدرسة التي أسستها في ساينان تسمى «ركّا شو إين» Rikkashoin وذات مرة أسست أيضاً مؤسسة صحفية، لكني لم أستمر بالعمل في الصحيفة، فقد أردت التركيز على المدرسة.. وكان قد مضى على ذلك ثلاث سنوات، المثل الهندي القديم يقول: «يجب على الناس أن يصبروا على الأقل ثلاث سنوات حتى لو كانوا في ظل الشجر أو فوق الصخور»، وكان قد مضى عليّ ثلاث سنوات،

لهذا قررت أن أقوم بهذه الرحلة.

من نهاية يناير عام ١٢ تايشو حتى ديسمبر تمكنت بعد فترة طويلة من البقاء في اليابان، ولكن إذا لم يحدث الزلزال[١] ، فقد كان من الممكن أن أبقى في اليابان فترة أطول، من أجل أن أشكل حركة ثورية من أجل «الشنتو» لكن هذا الزلزال دمر أفكار الناس، وغير فكرة الناس عن الرحمة، وبعد ذلك ومن مكان آخر فإن الطريقة اليابانية والحماس الياباني والغيرة اليابانية، كل هذا سيبدو فيما بعد في مظاهر مختلفة.. سوف نسأل الشخص الموجود في اليابان أن يعمل على إعادة بناء اليابان واستعادتها لعافيتها، وأن يعمل على نهضة اليابان، يجب أن نعمل على تطوير مكانة اليابان على مستوى العالم، فمن الداخل يقوم الناس بالمساعدة على أن تستعيد اليابان عافيتها، وتحقق من جديد نهضتها، وفي الخارج يقوم الناس بتحسين صورة اليابان عالميًا، فقد تدهورت مكانة اليابان كثيراً وأنا أشعر بالأسف الشديد على هذا الأمر.. يجب أن نوضح للآخرين من غير اليابانيين سمو روح اليابان، يجب أن نبين تفوق اليابان ورفعتها.

لا شك أن العالم مملوء اليوم بالبورجوازيين، والبرجوازية العالمية لديها القوة الآن خاصة في قارتنا، قارة آسيا، فهناك الكثيرون من البرجوازيين الذين لا يمكن أن نتحمل مواقفهم واتجاهاتهم...

وبينما كنت أفكر في هذا الأمر، كان القطار لا يزال يمضي متجهًا صوب الغرب..

سكان مقاطعة ساينان حوالي ٣٠٠ ألف نسمة، من بينهم ألف وخمس مئة ياباني، صارت حياتهم بائسة تدريجيًا مثل حياة اليابانيين الذين يعيشون في شين تاو.

---

(١) وقد حدث الزلزال أول سبتمبر-المترجمان.

بعد ثورة الديمقراطيين يمكن أن أقول إنني لا أستطيع أن ألاحظ أي فرق في العاصمة أو في الأماكن المحلية، من حيث التقدم أو التطور، فيمكن لبلد مثل اليابان أو إنجلترا أو أمريكا تطوير الصين وجعل أهلها أكثر سعادة، لكنهم وضعوا لهم سياسة ثقافية، فهم يقومون أساسًا بتربية التلاميذ الصينيين وتعليمهم .. في الحقيقة كانت هنا في هذه المنطقة (ساينان) هيئتان : هيئة تشرف على مستشفى ساينان، وهيئة تشرف على مدرسة توبون الثانوية، وكانت هاتان الهيئتان تدعمان ماديًا من اليابان، لكن الصينيين غير مهتمين بالتعليم، وحين لاحظت أن التلاميذ الصينيين غير شغوفين بالتعليم شعرت بأنه من الصعب العمل على رفع مستواهم الفكري.

قمت بزيارة القنصل « فوجي إي » لم أستطع أن أستفيد من آرائه عن الصين، فلم يقدم لي الكثير من الآراء عن الصين، كما قمت بزيارة السيد / تور الصيني، وهو رجل مسلم طيب، تمتعت كثيرًا بالحديث معه، كان حديثه مفيدًا جدًا.. كنا نقرأ الأشعار الصينية معًا أثناء الحديث، قام مساعده تشوو بون زن بإحضار لب البطيخ، فجلسنا نأكل اللب على حافة البحيرة المتجمدة مياهها.. وهكذا كان الهواء الذي يهب من فوق سطح البحيرة باردًا جدًا، لكنه كان هواء نقيًا.. شعرت وكأننا في الجنة!!

بعد ذلك زرت مكتبة لبيع الكتب القديمة، لكنني لم أجد كتابًا يمكن أن أشتريه، إلا أنني وجدت بعض العملات المعدنية القديمة، فاشتريت واحدة، ودفعت مبلغ « جين » واحدًا(١) ؛ كانت هذه أقدم عملة، ربما مر عليها ثلاثة آلاف سنة!

ذات يوم قضيت بعض الوقت في مقهى لأستمتع بغناء إحدى الفتيات، وإن لم تكن تعرف اللغة الصينية لكنك ستعجب كثيرًا باللحن الذي تغنيه هذه الفتاة،

(١) بجيم قاهرية ، عملة صينية – المترجمان.

وأثناء الغناء كنا نأكل اللب ونحن في سعادة غامرة بالاستماع إلى الغناء دون التفكير في أي شيء آخر، كما أن الاستماع إلى الغناء كان بالمجان، فلم ندفع شيئًا مقابل ذلك.. بعد ذلك ذهبنا إلى أحد المطاعم لتناول الطعام..

والسيد «لي» المدرس بمدرسة توبون الثانوية رجل عبقري في الموسيقا، والصين مشهورة بالموسيقا التي كانت تعزف في القصور الإمبراطورية، إلا أنه يمنع هذه الأيام أن تقدم هذه الموسيقا لعامة الناس، يقولون إنهم ليسوا بحاجة إلى مثل هذه الموسيقا، ومع هذا فالصينيون من عشاق الموسيقا، وهناك صينيون بارعون في الموسيقا لكن نظام التعليم للأسف سيئ جداً.

ذات يوم التقيت بصيني يدعى «ليو تشي آن» يدير مؤسسة صحفية، وهو صيني مسلم، مضى على لقائي الأول به سبع سنوات، نعم تعرفت عليه منذ سبع سنوات، ومنذ ذلك الوقت ونحن أصدقاء، ذهبنا معًا إلى مطعم يقدم لحم الغنم المسلوق، كان اللحم لذيذاً جداً، وهذا الطبق الذي تناولته يتناوله عادة المسلمون، فهو طبق إسلامي تقليدي.

ذات يوم شعرت بالمرض لهذا قررت الذهاب إلى مستشفى ساينان، عدّوني صينيًا لأني كنت أرتدي الملابس الصينية لهذا سميت نفسي "دين هيون"، دفعت ٣٠ سين[١]. ثم دخلت الغرفة للفحص، وبعد الفحص أعطوني دواء صينيًا، وحين ذهبت إلى مدير المستشفى السيد / شئو، ظل يضحك عليّ قائلا : أوه لقد أجدت تمثيل دور الصيني تمامًا!

كنت أتجول في المدينة دون ما هدف.. كان الجو رائعًا، لم تكن لدي علاقة بأي ياباني، ولم تكن لدي صلة بأحد من اليابان، وكان هذا مفيداً.. وهكذا قضيت بداية العام الجديد، وددت لو أكتب الكثير.. لكني سوف أتوقف هنا.

(١) عملة صينية فضية – المترجمان.

٧

حكاية تتجدد!

يوم العاشر من يناير، كنت أحضر حفل تأبين خاص بمرور أسبوع على وفاة «ناكاني شي ماساكي» وهو من أكبر المعمرين الذين درسوا عن الصين، وكنت قد أسست معه جريدة تصدر بالحروف الصينية، لكن فجأة حدث بيننا خلاف جعلنا ننفصل ونفض هذه الشراكة..

مات الآن السيد/ ناكاني شي ماساكي، وأقف الآن أمام قبره، لأعبر عن أسفي وحزني، زارتني أرملته وأخبرتني بما اعتاد أن يقوله المرحوم زوجها:

«أوه.. حقًّا! في ذلك الوقت تلبسني شيطان.. أرجوك لا تفكر، ولا تهتم بما حدث في ذلك الوقت».

لا أفكر.. ولا يهمني.. لكن ما حدث أضر بحياتي العامة.. لكن هل كان ما حدث في صالحي؟! حتى الآن لا أعرف الإجابة بالتحديد..

على كل حال سأفكر في أمر السيد «أوتشي مورا كانزو» فقد كانت له تجربة شبيهة بما حدث معي، وأنا أتفهم شعوره بالألم، وقلقه، وما تبع ذلك من تطورات من جراء ما حدث.. إن السيد/ أوتشي مورا رجل وطني، لكنهم يقولون عكس ذلك، لقد وُشي به من قبل بعض الباحثين الدارسين...

قد تعني الإصابة بالحزن والأسى السعادة بالنسبة للإنسان، وهذا الأمر لا يمكنني أن أشرحه الآن، لكن يمكن شرحه من وجهة نظر نصرانية، وهذه نظرية في دين النصارى.

بعد الزلزال سمعت حكاية ما حدث للسيد/ أوتشي مورا، ولهذا تعاطفت معه، أتمنى لو تمكنت من طباعة «اليابان واليابانيون» مرة أخرى، هذه المجلة كانت بالنسبة لي رئتي التي أتنفس بها، وكانت أيضًا مثل «دبري» الذي أخرج منه

الفضلات !! فإذا لم أمتلك هذين العضوين في جسمي فإنه لا يمكن أن أعيش ! سوف أموت سريعًا.

وعلى كل حال؛ فإن مقالات أو عبارات هذه المجلة التي يكتبها غير متخصص مثلي لا فائدة منها.. لكن هناك من الناس من تعجبهم كتاباتي، ولهذا استطعت أن أتعرف على من هم على شاكلتي من الناس، وممن يحملون الفكر نفسه، وأنا حقيقة أمتدح مثل هؤلاء الناس بل أنا ممتن كثيراً لهم لأنهم أعطونا الأمل، وقدموا لي شعاع الضوء وسط درب الظلام.. كان لي أصدقاء قدامي تعرفت عليهم من خلال «اليابان واليابانيون»!

آه! التاسع من يناير حين أمسكت بيدي مجلة "اليابان واليابانيون" التي طبعت من جديد، عندها.. انخرطت في البكاء، وتمنيت أن أستمر على الدوام أبذل جهدي من خلال هذه المجلة من أجل أصحابي الذين يدعمونني.

٨

سياحة ودراسة

في يوم من الأيام كان هناك أناس اهتموا بدراسة الصين، وكنا نسميهم «خبراء في الدراسات الصينية» لكن معظم هؤلاء الناس قد ماتوا، ولا يوجد منهم سوى عدد قليل جداً، لا يزالون على قيد الحياة، ويعيشون في اليابان، ولكنهم يعيشون حياتهم كرجال أعمال أو أنهم يقضون حياتهم دون تحديد هدف واضح لهم في الحياة، وفي العموم لا ينالون احترام اليابانيين ولا حبهم، بل يسخر منهم اليابانيون، وقد ظهر مؤخراً صنف آخر من خبراء الدراسات الصينية، وأشير بصفة خاصة إلى الشخص الذي يعمل مديراً لفرع مؤسسة صحفية، لكني أشعر بالأسف لأنه لا يوجد أناس لديهم معرفة حقيقية عن الصين، وبخاصة في وزارة الخارجية، وأحياناً

إذا حدثت مظاهرات في الصين فإنهم يتعجبون في اليابان، بل ويخافون، ويتصرفون في اليابان كما يتصرف البريطانيون والأمريكان تجاه الصينيين، ومن ناحية أخرى إذا أُعجب البريطانيون والأمريكان بالحضارة والثقافة الصينية فإن اليابانيين سيفعلون الشيء نفسه وسيغيرون من سياستهم بسرعة.

وقد كتبنا ذات مرة عن « ريو زن باكّوكو » واقترحنا على الناس أيضًا أن يقرأوا « سوئكو دين »[1]، حتى يتعرفوا على الصين وثقافتها وحضارتها، ولا بد هنا أن نشير إلى أن الوضع في الصين مؤخراً، شبيه بالوضع في عصر « سوو So » رغم أن السيارات تسير في شوارع شنغهاي أو تين شين، ورغم أن المباني المرتفعة على النظام الغربي قد شيدت، لكن الصين لا تزال كما هي الصين، منذ كانت في العصور الغابرة.

لقد كان « تشو سا كو رين» رجلاً شجاعًا، أما جو فيو ري (بجيم قاهرية) فيتولى حكومة بكين، إلا أن قوته فاقت قوة سوكو في ملحمة « سيو كي ديه إن » وأيضًا « رو سيو سين » أو سون بون، وهما يشبهان تمامًا شخصيات حكاية « سوئكو دين ».

إن الصين الكبرى لا تزال تعيش عصر الفلاحة، فمعظم أهلها يعملون بالفلاحة، وهناك موجة كبيرة تعيد للصين أمجادها القديمة العظيمة، والتعرف على الصين من خلال تقارير تاتي من بكين أو من شنغهاي هو مجرد التعرف على سطح البحر العميق ليس إلا!

يوجد في اليابان أشخاص متخصصون في دراسات الصين، بعضهم يركز حقيقة على دراساته للصين، إلا أن مثل هؤلاء يشعرون أنه لا فائدة من أن يتعلموا

---

(١) رواية طويلة مشهورة في عهد معين في الصين وهي عن ١٨٠ فارسًا شجاعاً تجمعوا في منطقة روزان باكو، ويقولون إنها من روائع الأدب الأسطوري الصيني - المترجمان.

من أساتذتهم أكثر مما تعلموه، لهذا يذهبون بأنفسهم إلى الصين لمتابعة دراساتهم هناك، وأنا أخبركم بوجود عدد من هؤلاء، بالإضافة إلى عدد آخر من المتخصصين في الدراسات الصينية.

لقد تطورت هذه الأيام وسائل المواصلات من قطارات وسفن، وصار السفر إلى الصين أكثر راحة وأكثر فخامة من السفر إلى أوربا، لدرجة أن المتخصصين في الدراسات الصينية صاروا يركزون فقط على التجوال والسياحة، وهو الأمر الذي لا يمكن أن يؤدي إلى الدراسة الجادة، فالسياحة - أو التجوال - لا يمكن أن تكون وسيلة للدراسة الجادة، وللأسف فعدد من يتبع هذا المنهج يتزايد، ومعارفهم الأساسية عن الصين تتناقص.. وأنا أتعجب: ماذا عن انطباع اليابان واليابانيين عن الصين هذه الأيام؟! أخشى أن يكون لديهم انطباع سيئ عن الصين من خلال سلوك هؤلاء الدارسين السياح..

هناك عدد من مراسلي مؤسسات الصحافة الذين يمتلكون معارف جديدة في بكين بالإضافه إلى بعض الطلاب اليابانيين الذين قدموا للدراسة هناك، ولكن يبقى هناك تساؤل: هل يمكن أن يشكل هؤلاء جماعة متخصصة في الدراسات الصينية بحق؟! ذات مرة، أرسلت اليابان في العصور القديمة نوعًا من الإرساليات للتعرف على الصين، وجمع معلومات عن الصين، لم يرسلوا هذه البعثات للتجول أو للسياحة، أرسلوها لأداء عمل محدد، أو مهمة محددة، وهي الدراسة ولا شيء غير الدراسة، ولهذا فقد كانت تلك البعثات جادة جدًا في ذلك الوقت، وعاد أفرادها من الصين، ونشروا ثقافة القارة الأم، القارة الكبرى وحضارتها، وجعلوا من اليابان الجزيرة الصغيرة بلدًا أعظم وأعظم.

لقد احتلت اليابان مقاطعة شين تاو، ودرست الكثير عن مؤسساتها، واستطعنا أن نستفيد كثيرًا منها، والشيء نفسه بالنسبة لشنغهاي وهونج كونج (بحجم

قاهرية) . . آه حين نقف فوق جبل « تاي سن» يمكن أن نكوّن فكرة أساسية عن التفكير الصيني، وحين نقف بجانب نهر « كوجا » (بجيم قاهرية) يمكن أن نعرف الحضارة القديمة للصين، وبعدها حين نشاهد نهر « يونسوكو » يمكن أن نشاهد العالم أجمع ! إن دراسة الصين لا تعني الدراسات الصينية فقط، لكن الدراسات الصينية يجب أن تتماشى مع ما يدور في العالم، وما يجري فيه من أحداث، ومن أجل الدراسات الجادة نحتاج إلى مدرسين مؤهلين تأهيلاً جيداً، وللأسف فإن معظم اليابانيين المتخصصين في الدراسات الصينية لا يجدون لهم أساتذة على مستوى عالٍ من الكفاءة.

عندي صديق يعمل أستاذاً في الدراسات الأدبية المقارنة، الصينية واليابانية، نتناقش عادة، ونتبادل الرأي عن الشعر الصيني، وعن الأدب الصيني، يمكن أن أقول إن طريقته في التعبير بالصينية أقل من مستوى تلميذ في الصف الابتدائي في المدارس الصينية، كنت أشعر بالأسى والحزن، لكن ماذا عساي أن أفعل؟! نحن اليابانيون القادمون من بلد الله! يجب أن نتعلم من الصين، ومن الصينيين، فإذا تعلمنا أمكننا أن ندفع بعجلة التقدم في اليابان إلى الأمام أكثر فأكثر، ويجب أن أذكر بأن الشخص الذي يريد أن يتخصص في الدراسات الصينية لا يجب أن يذهب للسياحة والتجوال، يجب أن يكون لديه أستاذ جيد، وإذا درس بجد ونشاط فلا شك أن الثقافة اليابانية أيضاً سوف ترقى وتتطور كثيراً.

كتب الدكتور (ناكاتسو سيه) كتب كتابا بعنوان « المذكرات الحقيقية لجنكيزخان » كتب في مقدمة كتابه : رغم أن الروس قد خسروا الحرب إلا أن معلوماتهم أكثر مما لدى اليابان من معلومات، ومعارفهم أكثر مما لدى اليابان من معارف، فلديهم معلومات جيدة جداً عن المناطق الشرقية هذا بلد عظيم يمكن أن يتحكم في كل مناطق آسيا كما فعلت « بريطانيا العظمى » .

لم تكن دراسته عن جنكيزخان وعن روسيا مجرد هواية أو غواية، تماماً مثلما أن دراسة مذكرات ماركوبولو وأفكار أوربا عن الشرق ليست مجرد متعة أو هواية، إن الأمر جد ومهم، لكنه لم يوضح جيداً الأمور المتعلقة بالجغرافيا ! ولهذا أشعر بالأسف.

١٠ يناير عام ١٣ تايشو

في حجرة السيد / بابا في ساينان.

٩

أصبحت مسلمًا !!

١١ يناير عام ١٣ تايشو

اصبحت مسلمًا على يد «اهون» أي الإمام سوفورين[١]، في مسجد «نان داي جي» في ساينان بالصين، وكوني أصبحت مسلمًا ليس مجرد لعبة أو مجرد قضاء وقت، وليس من أجل الدراسة أو من أجل السياسة.. لكن حكاية إسلامي حكاية طويلة...

أسترجع ذكريات الماضي..

في صيف عام ٣٥ من عهد ميجي سافرت إلى بكين، يحدوني هدف، وتسيطر علي قلبي رغبة، لكن زيارتي لبكين كانت زيارة تعيسة غير مريحة، كنت كلما وجدت متسعًا من الوقت أذهب إلى مسجد قريب من محل إقامتي، وهذا الوقت الذي كنت اقضيه في المسجد كان يمنحني قدرًا من الراحة، في جو كله ألفة وإخاء! مر على ذلك نحو عشرين سنة.. لم أحضر أي درس، ولم أستمع إلى أي محاضرة، لم أعد نفسي لأفعل شيئًا، ولم أحفز قلبي لأميل إلى شيء.. في ذلك الوقت كان كل ما حولي يدل على الفشل، وكنت اشعر بالضعف والخوار، لا

(١) ربما الأصل العربي الإمام سيف الدين - المترجمان.

يجب أن أعتمد على الآخرين في مثل هذا الوقت وفي مثل هذه الظروف.. عندها وفجأة بدأت أتخيل محمداً النبي ﷺ، وكنت كلما مررت بتمثال بوذا تخيلت محمداً وتذكرته، كنت أفكر هكذا، لا أدري لماذا..؟

كنت ذات يوم أدرس تعاليم الشنتو على يد والدي، وبعدها درست شيئًا عن النصرانية، وكنت أقرأ باستمرار وأدرس دون ملل لمدة عشرين سنة، درست ما كتبه «أوتشي مورا كانزو» عن الإنجيل بالإضافة إلى ما كنت أتعلمه من خلال «حلقة البوذية» التي تنتمي إليها أسرتي، والمعروفة باسم «رين زن شيو»، ورغم ذلك فقد كان هناك شعور بوجود خاص لمحمد ﷺ في أعماق قلبي، لم يفارقني هذا الشعور على الإطلاق، أنا نفسي الذي أنتمي إلى بلد الله[1]، بالصدفة أو قصداً أو عمداً - لا أدري - كنت معجباً بالنبي محمد ﷺ، لا أستطيع أن أنسى رغبتي الجامحة وشعوري القوي بأن أجعل اليابان أعظم وأعظم..

تسلقت جبل «تاي سن» اثنتي عشرة مرة، وكنت أفكر عن كونفوشيوس، وكنت حين أفكر في فكرة عقيدة «جيوكيو» الكونفوشية عن السماء، وهي التي تمثل أساس الحضارة الصينية القديمة، لا أتمكن وقتها من إزاحة التفكير في محمد النبي ﷺ من داخل أعماقي، ومن داخل فؤادي، وفكرت هل يمكن أن توجد علاقة مثل علاقة جيوكيو (الكونفوشية) وزن شيو (البوذية اليابانية - الزن) وما بين الجيوكيو وبين (الكاي كيو) الإسلام، كما وجدت أيضًا أنه يجب أن أفكر في العلاقة بين الإسلام وعقيدة الشنتو اليابانية.

قبل عدة سنوات كتبت كتاباً بعنوان «مستقبل (قضايا) المسلمين الصينيين

---

(١) يستلهم تناكا الأساطير اليابانية التي تقول بأن جزر اليابان بنات الله وأن الإمبراطور ابن الشمس أو أحد أحفاد الإله - المترجمان.

والشنتوية»، وبعدها كتبت أيضًا عن انتشار الإسلام في الصين والمفكر الصيني «ريوكاي كو»[١]. كما كتبت أبحاثًا ومقالات عن قضايا الصين، وفي الحقيقة كانت هذه كلها مقدمات أو إرهاصات لأن أصبح مسلمًا..

كانت مدرستي في ساينان هي محصلة كل هذا أو هي الدافع لكل هذا، فقد كنت لمدة ثلاث سنوات أفكر بعمق، وحين اقتربت من مسألة الدين، وجدت أنه يجب أن أكون جادًّا في هذا الأمر.. وبعد ذلك، حين شاهدت الزلزال العظيم في طوكيو، تفتحت أعين قلبي تجاه الله! وتجاه حياتي! إن استعادة طوكيو لعافيتها يفرض علينا أن نفكر في الوقت نفسه في أن يستعيد الوطن كله عافيته، ومع نهضة طوكيو يجب أن ينهض الوطن كله، من أجل هذا يجب أن نفكر في حياة الإمبراطور ميجي، بعد خمسين سنة من ثورة الإصلاح لم يكن لبلادنا دين، ولا توجد صلاة أساسية لعامة الشعب، حتى كونفوشيوس قال: «إذا أردت أن تنجح حتى في مجال السياسة، فيجب أن تفكر أولاً في أداء الصلاة، والتعليم دون صلاة نتيجته الفساد»، فساد البلاد، نحن يجب أن نعجب بالإمبراطور ميجي، فإن له شخصية سامية عليا، يراها البعض في صورة إله، أتعجب كثيرًا.. إلى أين تتجه اليابان؟! تلك البلد الذي يصنفه العالم ضمن ثلاثة بلاد كبرى وهي تأتي بعد أمريكا وبريطانيا!!

خلال الحرب ضد الصين وروسيا، كان معظم الشباب الصغار من الريف يحاربون من أجل وطنهم، وبسببهم كسبنا المعركة، والآن نريد أن نرد لهم الجميل، فنجعلهم سعداء، هذه مسئوليتنا، أنا نفسي أريد أن أضحي من أجل تحسين العلاقات بين اليابان والعالم الخارجي، حتى رغم أنني ضعيف جدًّا، لا

(١) وينطق أيضًا ليوتشيه ليان – المترجمان.

أساوي شيئًا، لكني الآن أتذكر شخصية محمد النبي، وأبجله، وتذكر شخصيته يجعلني على يقين من أنني سوف أصبح رجلاً شجاعًا ـ وأتمنى الآن أن أحقق هدفي، وأن أصل إلى مرامي، وسوف أذكر نفسي برغبتي هذه ما دمت حيًّا.

٢ فبراير عام ١٣ تايشو

مسجد سيه شين جي في ساينان

١٠

الدخول في الإسلام

لماذا أصبحت مسلمًا؟ لقد ذكرت هذا من قبل، وأود أن أضيف أنه لو أردت أن أعرف عن الإسلام فقط لمجرد حب الاستطلاع، لأمكنني فقط أن أقرأ الكتب، فعن طريق القراءة يمكن الحصول على فكرة، لكن إذا كنت حقيقة أود أن أعرف عن الإسلام جيداً فيجب أن يكون لي أستاذ جيد.

قبل أن أقرأ كتاب «ريوكايكو»، ومن خلال قراءة هذه الكتاب أيضًا تكونت لدي فكرة عن الإسلام، بعد ذلك عرضت تساؤلاتي، وقدمت استفساراتي إلى الشيخ سو إمام مسجد نان داي جي في ساينان، وينتمي هذا الإمام إلى منطقة «تشوكئيو ريه سؤوشو» وسؤوشو هو المكان الذي جرت فيه أحداث حكاية أو أسطورة سيو إي كو دين.

كان الإمام سو في الخمسين أو أقل قليلاً، ويدل مظهره على القوة والنشاط، ومظهره يفرض عليك احترام سلوكه وتصرفاته، وقد أصبحت مسلمًا على يديه، ونطقت الشهادة أمامه.

أريد أن أكتب الآن أو أقدم الآن نتيجة دراستي للإسلام إلى من لا يعرفونني، لكن أود أن أقول بأن بعض الناس هذه الأيام يكتبون عن الإسلام كتابات مختلفة،

أما أنا فأود أن أقدم للقراء معلومات جذابة ومشوقة، وأبدأ بشرح دخولي في الإسلام.

بصفة عامة فإن المسلم أو كما يقولون هنا في الصين «مسلمان» أو المسلمون الذين يؤمنون بالإسلام يجب عليهم قبل كل شيء أن يؤمنوا بوجود الله والإسلام معناه الإسلام لله، الله الواحد الذي لا إله إلا هو، وهكذا فالمسلم يجب أن يؤمن بأنه لا إله إلا الله وبأن محمداً هو رسول الله، وأيضًا على المسلم أن يؤمن بأن محمداً هو خاتم الأنبياء، ولا نبي بعده.

كانت بداية العام الجديد في يوم الجمعة، ويوم الجمعة عند المسلمين يوم مهم، ففيه يجتمعون عند الساعة الواحدة بعد الظهر، في مكان واحد لصلاة الجمعة، ويأتي الناس حتى من الأماكن البعيدة لصلاة الجمعة.

توضأت.. وذهبت إلى المسجد ، وهذا المسجد واسع تصل مساحته إلى ٥٠٠ تتامي[١]. وجلست مع الناس مثلما يجلس اليابانيون على الأرض، كان الإمام الشيخ سو يجلس بجوار «مبخرة» .. بدأ يرتل آيات من القرآن الكريم، ثم قال وهو يرفع ناظريه إلى السماء «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» فقمت بترديد هذه العبارة من بعده باللغة العربية، ومعناها باليابانية هو أنني أقر بوجود الله الواحد الأحد، وأقر بأن محمداً هو عبد الله ورسول الله، فالرسول محمد ﷺ هو إنسان، وهو ليس بإله، كما أن عيسى أيضًا أحد الرسل، وهو أيضًا ليس بإله، ومحمد النبي ﷺ جاء بعد عيسى عليه السلام، وقد جاء محمد ليكمل الرسالة الإلهية، فأنزل الله عليه القرآن، والقرآن يتكون من ثلاثين جزءاً، وقد ورد في القرآن عن عيسى أنه رسول الله، وأنه أتى بالمعجزات أمام الناس، وكان عظيماً.

---

(١) التتامي يساوي ٩٠ سم X ١٨٠ سم -المترجمان.

وقد جاهد محمد المشركين واليهود، ومحمد ليس بعدو للنصارى، وقد أوضحت آيات القرآن الكريم هذه المعاني.. وهكذا صرت مؤمنًا، لكن ماذا يعني هذا:

يعني الإيمان بالله ربًا وبمحمد نبيًا ورسولاً، وأن أقيم الصلاة، وآتي الزكاة، وأحج إلى البيت في مكة المكرمة.

وهنا أود أن أوضح أمورًا تتعلق بالأخلاق، فهناك تعاليم أخلاقية خمسة مشتركة بين الإسلام والكونفوشية وهي:

- احترام الكبير وتوقيره.
- الاحترام المتبادل بين الابن والأب.
- الاحترام المتبادل بين الزوج وزوجه.
- الاحترام المتبادل بين الأخ وأخته.
- الاحترام المتبادل بين الأصدقاء.

وهذه الأعمدة الخمسة مهمة جدًا بالنسبة للإنسان، ولا يمكن أن تستقيم الحياة إذا ما تجاهلناها، وفي الصين لا يمكن أن نعلم هذه التعاليم الأخلاقية الخاصة بكونفوشيوس، وفي الوقت نفسه لا يمكن أن نتكلم عن النظام الإمبراطوري ومكانته، ولكنا نحن المسلمين يمكن أن نتكلم ونتكلم عن هذه الأعمدة الخمسة التي يقوم عليها الإسلام، ومحمد ﷺ كان هو الإنسان الذي امتلك التسامح والرحمة للعالمين جميعًا، وقد أرسله الله رحمة للعالمين.. ولد يتيمًا، رباه جده، لكن جده يموت فيكفله عمه، قضى حياة لا يمكن أن نقول بأنها حياة سعيدة، لكن حين كان في الأربعين من عمره ظهرت صلاحياته الكامنة بداخله، تلك التي منحها الله إياه، فبدأ في جهاد المشركين، لقد قضى نصف عمره في صراع فكري مع نفسه، لكن النصف الآخر قضاه في صراعه مع المشركين..

أقام حركة كبيرة من أجل تشكيل دولة يسودها الدين الحق، دين رب العالمين، ولم يكن محمد النبي ﷺ شخصية تاريخية في الماضي، لا...بل لا يزال حيًّا بين المسلمين من خلال تطبيق سنته، فيمكنك أن تشعر بوجود السنن التي اتبعها، مع شعورك بوجود الله في كل مسجد ترتاده، تؤدي فيه الصلاة.. أنا نفسي حين كنت أصلى صلاة العشاء شعرت بنسمات محبة الرسول ﷺ تحفني.. وأنا أصلي في خشوع لله.. تعجبت كثيراً، وكنت في الوقت نفسه فرحًا مسروراً بهذا الشعور الإيماني، فانهمرت الدموع من عيني، وظللت ابكي وأنتحب طول الليل!!

أود هنا أن أشير إلى نقطة مهمة وهي أن الله لا يقبل الصلاة من عبد إلا إذا كان طاهراً، ولا يقبل منه صلاة غير صحيحة، وأول شيء بل أهم شيء في الصلاة هو أن يكون الإنسان طاهراً، وهذا الشيء نفسه فيما يتعلق بالتطهر في الشنتوية في بلادي اليابان، وهكذا فالتطهر في اليابان يعني هنا أن يتطهر الإنسان من الحدث الأكبر أو الحدث الأصغر.

قبل الذهاب للصلاة يجب أن تتوضأ، وقبل أن تدخل المسجد يجب أن تخلع نعليك، وبعد دخولك المسجد تجلس فيه على الطريقة اليابانية أي على الأرض، ثم ترتل بعض آيات القرآن الكريم ، وبعدها تقف لأداء الصلاة.

هناك قواعد للصلاة، فالصلاة تؤدى خمس مرات في اليوم وهي على الترتيب:

صلاة الفجر (مع السنن) أربع ركعات ٢ + ٢

صلاة الظهر عشر ركعات (مع السنن) ٤+٤+٢

صلاة العصر ثماني ركعات (مع السنن) ٤+٤

صلاة المغرب خمس ركعات (مع السنن) ٣+٢

صلاة العشاء تسع ركعات (مع السنن) ٤+٢+٣

أما صلاة الجمعة فهي ١٦ ركعة (الفرض ٢)[١].

والصلاة تنقسم بالنسبة لعدد الركعات إلى فرض وسنة، ويقوم الناس بما يريدون من الدعاء لله، ونحن نصلي في جو من العظمة والروعة، وحين نصلي يجب أن نقرأ آيات من القرآن الكريم، والقرآن ليس من السهل تعلمه، وأما بالنسبة للصلاة، فأنا أشعر بمشاعر أجواء متنوعة تموج في جو واحد من الخشوع، فأنا أشعر بروح الشنتوية، وبخشوع شبيه بخشوع النصارى، وأيضًا بخشوع صلاة أتباع « الزن » البوذيين.

وإذا ما انتهينا من الصلوات الخمس يوميًّا ننال من الله ثوابًا عظيمًا، ولا شك في هذا.

بعد أن أصبحت مسلمًا، بدأت أذهب كل يوم إلى المسجد لأصلي فيه الصلوات الخمس، أشعر أن هذه هي أفضل طريقة، وأحسن طريقة لأعرف بها نفسي.

١١

حياة المسلم

تعني كلمة (تشاو مين ـ بكسر التاء) في اللغة الصينية « مسلم »، لماذا نقول للمسلم (كاي كيو تو) لأن الإسلام دخل الصين في عصر (تو) وجاء الإسلام عن طريق (هوي جرو ـبجيم قاهرية) لا أدري متى؟ لكن بدأ الناس ينطقون (هوي جرو هوي) ثم قالوا هوي هوي، وفي النهاية نطقوا هذه الحروف هكذا (كاي كيو تو) وإذا شرحنا الإسلام من خلال الحروف اي الأشكال الصينية، وضعنا الشكل سيه + شين وسيه المقطع الأول بمعنى نظيف، بينما شين المقطع الثاني يعني طاهر، والمؤمن يأتي أساسًا من النطق الصيني (مو مين) والإيمان أو مو

(١) يشير المؤلف هنا إلى الفرض مع السنة طبقًا للمذهب الحنفي المتبع في الصين، حيث كان يعيش – المترجمان.

مين هنا لا يعني أن الكلمة لها علاقة بالمقطع الأول من كلمة (مو حمّد) كما يظن البعض[١] ، ونحن نسمي غير المسلم « كافر» والمسلمون في الصين يعيشون منفصلين عن غير المسلمين، وهم يشعرون أحياناً بأنهم غير صينيين، بالطبع هم يرتدون نفس الملابس التي يرتديها غيرهم من غير المسلمين، لكن المسلم يشعر منذ الوهلة الأولى بالفرق بين المسلم وغير المسلم.

وجدت ترحيبًا شديداً من قبل المسلمين الصينيين بعد أن أعلنت إسلامي، كنت أقيم في منزلي الصغير بالقرب من مسجد « نان داي جي »، والمسلمون يشعرون بأنهم أخوة، وبأنهم أسرة واحدة، وهم يشعرون بأنهم جماعة واحدة في مقابل غير المسلمين، ومثل هذا الشعور، ومثل هذه الروح يقال لها في الصين (را - بي - يا - تشي Ra Bi Ya Chi) وهي تعني أسرة الإسلام أو الجماعة المسلمة.

في مدينة ساينان يقيم في المنطقة الممتدة من حي « نان تو » إلى حي « ساي مون » حوالي ٣٠ ألف مسلم، ويوجد ما يقرب من ٤٥ مسجداً صغيراً فضلاً عن مسجدين جامعين كبيرين هما « مسجد نان داي جي »، ومسجد « هوكوداي جي » والأول هو المسجد الجنوبي والثاني هو المسجد الشمالي.. وهكذا فهناك ثلاثون ألف مسلم يصلون في هذه المساجد، بالطبع ليس هناك كثير من الناس يواظبون على أداء الصلوات الخمس في المساجد.

صار مستوى معيشة المسلمين في الصين هذه الأيام متدنياً، وعلى كل حال فمعظم المسلمين الصينيين يتبعون سنة محمد ﷺ في أمور حياتهم، ويعينهم في ذلك عون من الله الذي يجازيهم ويثيبهم على حسن أعمالهم.

إن أكثر ما يكرهه المسلمون هو النجاسة، وأكثر الأشياء نجاسة هي الخنزير،

---

(١) أي حرف الميم المضموم في اسم محمد النبي ﷺ - المترجمان.

والكلب ـ لكن عنصر « كهان Khan » يحبون استخدام لحم الخنزير في طعامهم ويستخدمون شحم الخنزير كثيراً، وهذا هو السبب في عدم الألفة بين المسلمين وبين عنصر الكهان Khan، فهم غير متحابين لهذا السبب.

ومن الأمور الأخرى المحرمة شرب الخمر والتدخين، ولهذا فحياة المسلمين حياة بسيطة، وهم يتمتعون بأجسام قوية ضخمة، وعددهم في تزايد مستمر، وأنا نفسي أشعر أن جسمي أفضل من أجسام اليابانيين، لكني حين أذهب إلى المسجد، وأشاهد أجسام المسلمين الصينيين، أتمنى أن يكون لي مثل جسمهم.

يتخيل الغربيون أن الأسرة الصينية تتكون من خمسة أفراد، لكن هذه الأيام تتكون أسرة المسلم من ستة أو سبعة أفراد، لكن في الصين يعدّ الصيني غير المسلم المسلمين الصينيين ضيوفاً! وعلى كل فالمسلمون يتزايدون أكثر فأكثر، وربما تكون النتيجة النهائية غير سارة بالنسبة للمسلمين !! معظم المسلمين الصينيين فقراء، فإذا أراد إنسان ما أن يدرس عن الفقر، فيمكنه أن يأتي إلى مناطق المسلمين الصينيين، ليس لدي وقت لدراسة هذا الموضوع، أركز فقط على حياتي كمسلم، لكن هذه الحياة ليست بالسهولة التي يتخيلها البعض، وليس من السهل على الإنسان أن يحياها كما ينبغي أن تكون، وهذه مشكلة بالنسبة للمسلمين الصينيين الذين يصل تعدادهم إلى أربعين مليون نسمة !

١٢

يوماً من بعد يوم

أنا الآن مسافر يطفو كالسحاب في السماء!! لكنني بدأت طريقي على درب الإسلام في هدوء وبسرعة . . أريد أن أنظم نفسي، وأكمل كل شيء في ساينان، ذات مرة استقبلت أول مسلم ياباني، وهو سين من الناس تعاطفت معه، بسبب

الحياة التي كان يعيشها، أعطيته بعض النقود من القليل الذي كان معي.. لقد ترك الاهتمام بتعاليم الإسلام الآن، وبدأ يركز على التجارة، كانت لديه طموحات كبيرة، وكان يسافر عبر مقاطعات عديدة، لكنه لم ينل شيئًا، لم يكسب شيئًا خلال سفره هذا، وطول الوقت كان يشعر بالغضب واليأس، أخبرته أن الناس دائمًا يسقطون بسبب تعثرهم في الحجارة على الطريق، لكن يجب أن ينهض الإنسان بعد ذلك، وقلت له إذا أردت أن تركز على أمر الدين، فلا يجب أن تفكر في التجارة أو حتى في السياسة، إنه لأمر عظيم أن ينفتح ذهن الإنسان، وأن ينفتح قلبه باسم الله ، فيتحول الإنسان من عمل الشر إلى عمل الخير، وأن يصحح الأخطاء.

وإذا تمكن المسلم الياباني أن يفتح عقول الآخرين وقلوبهم ليصححوا أخطاءهم، ويحولوا أعمالهم السيئة إلى أعمال خيرة، فإن هذا سيولد لديهم الطاقة والعزيمة.. وقلت له إنه يجب عليه أن يتذكر كلامي هذا.. هكذا نصحته!

وليس السيد / سين من الناس هو فقط الذي يجب أن يستمع إلى هذه النصيحة لكن هناك غيره، هناك أناس آخرون يعيشون حياة تعيسة من أجل الوطن، أو من أجل إخوانهم اليابانيين، أشعر بأنه يجب علي أن أحاول بقدر استطاعتي أن أؤدي خدمة للوطن وللناس، لكن هذه مسئولية جسيمة، ينتابني الأسى وأشعر بالحزن بالنسبة لحياة السيد / سين هذا.

وإذا ما قارنت نفسي به شعرت بأن حياتي أفضل من حياته كثيرًا، وسوف أحاول هنا أن أوضح لكم تطور حياتي بوصفي مسلمًا يومًا من بعد يوم..

ربما كنت الياباني الوحيد في منطقة سايتان، الناس من حولي كلهم مسلمون، نتقابل معًا عدة مرات في اليوم الواحد، نتبادل التحية ونكرر إلقاء عبارة السلام: السلام عليكم، عدة مرات حين أذهب إلى المسجد للصلاة، وحين أعود من المسجد بعد الانتهاء من الصلاة، وإذا مضيت في الطريق أقوم بجولة هنا وهناك،

يبادرني كل من يقابلني بتحية الإسلام «السلام عليكم» بطريقة كلها ود ومحبة.. هذا هو الشعور الحميم بين المسلمين، وإذا قام أحد بتحيتك بتحية الإسلام: السلام عليكم، فيجب عليك أن ترد عليه التحية بقولك: «وعليكم السلام».

لي بيت صغير أعيش فيه منذ فترة في هدوء وسكينة وفي سلام، ومن هذا البيت أتخذ طريقي إلى المسجد، وهو طريق ضيق، لكنه مرصوف بالحجارة، ويبلغ طوله خمسين قدمًا، عند بيتي توجد بوابة، وعند البوابة وضعت اسمي في ورقة حمراء هكذا (نيتّو دن مان)، وعلى البوابة ذاتها كتبت هذه العبارة بالحروف العربية (حظ طيب)، وإذا ما تخطيت البوابة وجدت شجرة قديمة يشبه شكلها شكل "الدراجون" - بجيم قاهرية، وفي الجهة الجنوبية من البيت توجد غرفة المعيشة واستقبال الضيوف، وفي الممشى المؤدي إلى المسجد، خصصت مكانًا ليكون مصلى صغيرًا لمن شاء أن يصلي، وهناك أشجار صغيرة تردها طيور كثيرة، تشقشق وتغرد في الصباح، والمساحة الكلية تصل إلى ١٥٠ تسوبو[١]. أما مبنى البيت فهو من الطوب اللبن، والسقف مغطى بالعشب الجاف، وهذا البيت الذي أقيم فيه له نكهة خاصة، ورائحة مختلفة عن أي بيت آخر!!

يوجد في الحديقة أيضًا بركة ماء صغيرة تغمرها المياه بشكل طبيعي، وإيجار البيت مع الحديقة.. كل هذا بمبلغ ١٦ جين[٢]، وهنا إذا كنت مسلمًا فلا يهم من أي جنسية تكون، كما لا توجد أي مراجعة تذكر من قبل الشرطة، وبشكل عام لا يمكن لليابانيين العاديين أن يعيشوا في هذه المنطقة، إلا أن المسلم الياباني يستثنى من هذا، وفي الصين أنا الوحيد الذي أتصل باليابانيين، وهذا شيء ممتع حقًّا..

(١) أي حوالي ٥٠٠ متر مربع - المترجمان.

(٢) وتنطق بجيم قاهرية، وهي عملة فضية - المترجمان.

التقي بتلميذي الصغير صباحًا ومساء، وهو الابن الثاني للإمام أهون[١] سو، يبلغ من العمر تسع عشرة سنة، وهو يعرف الحروف العربية لكنه لا يعرف الحروف الصينية ، إلا أن معرفتي باللغة الصينية تكفي للتعامل معه، اما أخوه البالغ من العمر أربع عشرة سنة فهو ذكي جداً، ويمكنه أن يرتل القرآن الكريم بصوت عذب، وبطريقة جميلة، كان يأتي عندي أحيانًا برفقة أبيه الإمام سو، حين يقوم الإمام نفسه بإعطائي دروسًا كل صباح، وذلك في الساعة الخامسة صباحًا.. كنت أستيقظ على تغريد الطيور، وعلى صوت من كان يناديني يوقظني بهذا النداء : انهض، وطهر نفسك واستعد للصلاة..

فانهض وآخذ حماماً واتوضأ.. كان هذا يريحني كثيراً.. بعد ذلك أستمع إلى المؤذن يؤذن للصلاة:

الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد ان لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، اشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح (الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم)، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله..

عندها أتوجه إلى المسجد للصلاة.. يأتي الإمام إلى المسجد، وعلى رأسه عمامة، ولا تستخدم هنا أي آلة موسيقية، فاللغة العربية نفسها تحمل بداخلها نغمات أجمل من نغمات أي آلة موسيقية.. وحين تبزغ الشمس تكون الصلاة قد انتهت.

بعد الخروج من المسجد نقوم بتحية بعضنا، ونتزاور فيما بيننا، وبعد العودة إلى بيتي، أقضي بعض الوقت في القراءة، ثم أعد الشاي، وأحيانا أتناول«الدانجو»

(١) كلمة اهون في الأصل اخوند بمعنى معلم، وهي لقب يطلق على الإمام في المسجد توضع عادة أمام الاسم كما كنا نضع عادة كلمة الشيخ امام ائمة المساجد احيانًا ـ المترجمان.

الحلوى اليابانية[١]. ثم أستمر في القراء في هدوء إلى نصف النهار، وأظل أفكر بعمق ثم أكتب هذه المذكرات في هدوء تام.

بعد ذلك أذهب إلى مدرستي، ثم أستريح قليلاً، ثم أتوجه لصلاة الظهر، وهنا يجب أن أتوضأ للصلاة، والصلاة بعد ذلك تجعلك مشغولاً لأنه بعد صلاة الظهر هناك صلاة العصر، ثم المغرب فالعشاء، وهكذا كنت أظل مشغولاً بهذه الصلوات.

كنت أستقبل أحياناً الضيوف، لغتي الصينية ليست جيدة، ومع هذا فيمكنني أن أتعامل معهم، بعض هؤلاء الضيوف الذين دأبوا على زيارتي، كانوا يستخدمون الكلمات العربية في محادثاتهم، كنا نتكلم ونتكلم دون توقف، كنا نتكلم عن أي موضوع، وفي أي اتجاه، وكان هذا أكثر فائدة من قراءة الكتب، وبخاصة في مثل هذه الموضوعات الدينية، التي لا يمكن فهمها من خلال قراءة الكتب، ولهذا فضيوفي هؤلاء الذين يزورونني، يمكن أن يكونوا في الوقت نفسه أساتذتي!

بعد صلاة العصر أقوم بتدريس اللغة اليابانية لطلاب الجامعة، وهؤلاء الطلاب قدموا من منغوليا ومن ننكين، ومن كيوساي أو من سان تون ، وهؤلاء يأتون بسبب الشيخ الإمام (أهون) سو، فهم يتعلمون القرآن الكريم وعلومه، ويتعلمون اللغة العربية، ومقارنة اللغة العربية واللغة اليابانية بالنسبة لهم شيء ممتع، وقد كنت أحاضرهم أحيانًا عن الشنتو، كما كنت أحدثهم عن الزلازل، وعلاقة اليابانيين فيما بينهم أي العلاقة بين الكبير والصغير، وبين الرئيس والمرءوس، كما كنت أحدثهم عن جيولوجيا اليابان، وعن الشخصية اليابانية، كما كنت أتحدث معهم أيضًا عن الموقف العدائي الأوربي تجاه بلدان آسيا.

كان معظمهم لديه معرفة قليلة عن المعارف العامة، وعدا القرآن الكريم كانت

---

(١) تسمى باليابانية دانجو، وهي عجين الأرز والسكر مع السمسم- المترجمان.

معرفتهم بالعلوم قليلة جداً، لهذا كانت محاضرتي بالنسبة لهم - على ما أعتقد أنا - ممتعة ومشوقة، المسلمون يريدون أن يكونوا أتباعًا للخليفة، ولهذا فهم يدركون مغزى مكانة الإمبراطور، لهذا حين حدثتهم عن زواج ولي العهد في اليابان، كانوا مبتهجين ومسرورين، طلبوا مني أن أبعث بالتهنئة إلى اليابان، عن طريق القنصل الياباني، وهكذا فعلت!

رغم حدوث هذا الزلزال من مدة إلا أن الإمام (أهون) سو طلب مني أن أرسل تعازيه عن طريق القنصل الياباني إلى أهالي من ماتوا من جراء الزلزال..

يعيش الطلاب الجامعيون على نفقة أهل الخير من المسلمين الذين يقدمون الهبات والصدقات، كما يحصلون على بعض الأموال حين يطلب منهم قراءة القرآن وترتيله في مناسبة من المناسبات، وهؤلاء سوف يحصلون على شهادة يسمونها شهادة kuhashiane التي تنطق بالصينية هكذا guazhang وذلك بعد عدة سنوات ، وترسل هذه الشهادة إلى بلدة الطالب؛ يقوم بإرسالها أستاذ الإمام سو أو تقوم الجامعة بإرسالها له، عندئذٍ يعقد في المسجد الكائن في بلدة هذا الطالب حفل بهذه المناسبة، وفي صلاة الجماعة يلقي الطالب خطبة الجمعة، وإذا وجد مكانًا شاغراً له تولى الإمامة على الفور، لكن يوجد نظام في المساجد يجعل الأمر يتم بالوراثة، فيقوم الوالد بتعيين ابنه في المنصب ذاته، ولهذا فليس من السهل على الطالب المتخرج أن يحصل على مثل هذه الوظيفة، لكن هؤلاء الخريجين كثيراً ما يقومون بعقد مراسم الزواج أو إتمام مراسم جنازة، وفي مقابل ذلك ينالون أجرًا عن هذا العمل.

حضرت ذات يوم تشييع جنازة أحد المسلمين.. رجل عجوز من أسرة «تشين».. المسلمون يدفنون موتاهم، ولا يحرقونهم - فيأتي الإمام ويصلي عليه صلاة الجنازة بعد تغسيل الميت وتكفينه بالأقمشة البيضاء، ويتم دفنه بعد ذلك،

ويحمل الناس الذين يحضرون هذه الجنازة البخور، ويتم تعريف أهل البيت عن طريق وضعهم لحزام من القماش الأبيض حول خصرهم، والشخص المسئول عن الجنازة يجب أن يرتدي الملابس البيضاء.

يقوم الناس الذين يودعون الميت من البوابة بتحية بعضهم، ويسلمون على بعضهم، ومن يذهب منهم إلى المقابر يجلس عند القبر، ويحمل كل منهم حفنة من التراب، يقرأون القرآن الكريم، كانت بوابة المقابر على شكل " آرش " أو قوس، وقد وضعوا قطعة من القماش على جانبي اللحد مكتوب عليها آيات من القرآن الكريم ، بعد أن يوضع الميت في القبر يهيلون عليه التراب، ثم يقوم كل شخص بوضع ما بيده من تراب على القبر، وبعد ذلك يسلمون على بعضهم، ويعودون من حيث جاءوا!

لكن هنا يبدأ الشخص المسئول عن الجنازة وأقارب الميت المقربين جداً منه بالبكاء والنحيب، وعند قبر الميت ولمدة أربعين يومًا سوف يأتي الإمام لقراءة القرآن، وبعد أربعين يوماً يقيمون حفل تأبين للميت، وكذلك بعد مرور مئة يوم، وبعد سنة وكذلك بعد سنتين، وفي كل مرة يطلبون الإمام ليقوم بقراءة القرآن على روح الميت ! وليس لديهم في البيت أي صنم، لا يوجد أي شيء في البيت، ليس مثل اليابان، ففي الإسلام الناس يموتون، وسوف يذهبون إلى الجنة، وينالون السعادة، ولهذا ينتهي كل شيء بعد الدفن، والجنازة نفسها بسيطة جداً، والطعام الذي يتناوله الناس في ذلك الحين نوع من «البقلاوة» الحلوة المصنوعة من دقيق القمح.

أما حفل الزواج، فيكون عادة في المساء، ويذهب والد العروس والعريس إلى الإمام، يطلبان منه كتابة عقد الزواج، فيقوم الإمام بترديد كلمات على العريس، ويرددها العريس من بعده، بينما العروس تجلس تنتظر في غرفة أخرى ، بعد العقد يقول الإمام للعريس باللغة الصينية أن يسعد بالزواج، وأن ينجب أطفالاً كثيرين حتى تكبر أسرته.

في يوم الجمعة يأتي عند المسجد كثير من الفقراء والمساكين والمحتاجين، ويبدأ هؤلاء يقولون بالعربية: أعطني حسنة، تنال الثواب من الله..

أحياناً يأتي هؤلاء إلى بيتي، ويرددون العبارة نفسها، وحين أهبهم بعض النقود يقولون بالعربية: «بارك الله.. شكرًا».

حين أصلي العشاء في ليلة باردة هادئة، أشعر بالتأثر الشديد، وبعد مغادرة الجميع للمسجد يظل الإمام جالسًا مفترشًا أرضية المسجد الباردة التي تجعل ركبة الإنسان وقدمه تتجمد.. فأجلس من خلفه، وأظل أدعو الله في خشوع وتضرع، في تلك اللحظات تنتابني مشاعر خاصة، وبعد فترة يقوم الإمام بإعطائي الدرس، فأظل أستمع إليه، ماذا ستتمخض عنه هذه العلاقة مستقبلاً ؟! لا أدري.. لكن حين أخرج من المسجد، وأتطلع إلى السماء يمكنني أن أشاهد كثيراً من النجوم الجميلة تتلألأ على صفحة السماء.. ويومًا من بعد يوم كانت الحياة تمضي هنا على هذه الوتيرة !!

١٣

ذكريات

الشيخ الإمام (أهون) سو سماني «نور محمد» بعد أن أعلنت إسلامي على يديه، وكلمة نور تعني الضوء، وإذا شرحت هذا بالحروف أو الأشكال الصينية فهذا يعني «موررون داوانو»، لقد كنت أفكر في محمد ﷺ من فترة طويلة، والآن أعطاني شيخي وأستاذي هذا الاسم نور محمد، وهكذا يجب أن أفعل شيئًا يتناسب مع هذا الاسم، وأشير هنا إلى أننا لا نعبد محمداً، ولا نصلي لمحمد، لكن عند مدخل المسجد كتبت عبارة تتعلق بسنة محمد وسيرته، وكنت كلما خرجت من المسجد بعد الصلاة أتوقف عند هذه العبارة باحترام وتبجيل، وهذا

يدل من ناحية أخرى على أن محمدا ﷺ لا يزال باقيًا بين المسلمين بسيرته العطرة، وسنته التي يتبعها المسلمون في حياتهم، وهذا ما لا نراه فيما يتعلق بكونفوشيوس، فلا نرى هذا الشعور تجاهه بين الناس بهذا الشكل، وتظل عقيدة كونفوشيوس مجرد بقايا كتابات (شي شو جوكيو - بجيم قاهرية).

لقد تقدمت مجالات العلوم في الصين هذه الأيام، ورغم هذا فالعلاقة بين الصينيين ليست كما كانت من قبل فيما يتعلق بالعقيدة أو الدين.. لقد قال محمد النبي ﷺ أنه لا يأتي بالمعجزات، ورغم ذلك فنحن نشاهد ما يشبه المعجزات، فسنته لا تزال حية باقية في عقول الناس وفي أفعالهم، ولهذا فمحمد بذاته معجزة في هذه الدنيا، وأنا أعتقد أن في العالم معجزتين، المعجزة الأولى محمد النبي ﷺ، والمعجزة الثانية إمبراطور اليابان.

أذكر هنا أن الإمام الشيخ مسموح له بأن يتزوج مثله مثل غيره من المسلمين، لكن النساء هنا لا يدخلن المسجد مع الرجال، فهن يأتين خلف الرجال، والمرأة تأتي بعد الرجل، وقد ورد في القرآن الكريم سبب ذلك: (الرجال قوامون على النساء... الآية)، والمرأة هي حقل الرجل (نساؤكم حرث لكم.. .الآية) ولهذا يتمتع الرجل بزوجته، لكن على المرأة أيضًا أن تكون لباساً لزوجها، والرجل أيضًا يجب أن يكون لباسًا لزوجته، وهذا يعني كيف شرح محمد النبي ﷺ ما جاء به من تعاليم عن البشر وعن الإنسانية جمعاء.

يصوم المسلمون شهر رمضان، وهو ثلاثون يومًا، والصوم فريضة صعبة، لكن محمداً شرح للمسلمين أيضًا، وبين لهم أنه حتى في شهر رمضان يمكن للرجل أن يتمتع بزوجته، بعد أن يفطر، لقد كان محمداً رسول التسامح مع التمسك الشديد بالأصول وتعاليم الدين.

تصلي المرأة المسلمة في البيت، وإذا لم يكن هناك في بيتها غرفة يمكنها الصلاة

فيها، فيمكنها أن تذهب إلى بيت آخر تكون فيه غرفة للصلاة، والمرأة تؤم النساء في الصلاة، كما أن المرأة تقرأ القرآن مع النساء، وهناك حزم في مسألة فصل المرأة عن الرجل غير المحرم.

يجب على المرأة أن تتوضأ قبل الصلاة مثلها مثل الرجل، وإذا ما كانت المرأة في غير طهارة أي في حالة الولادة أو الحيض فليس عليها صلاة، وقد ورد في القرآن الكريم ذكر مسألة الحيض وتأثيره على نفسية المرأة، كما ورد في القرآن ما قد تتعرض له المرأة من عقاب وعذاب إذا ما ارتكبت علاقة غير شرعية أو علاقة آثمة، وهذه التعاليم التي أوضحها محمد النبي ﷺ توضح شخصيته.

في ساينان يوجد مسجدان كبيران:

- مسجد نان داي جي، وهو مسجد خاص بالمسلمين السنة.

- مسجد هو كو داي جي، وهو مسجد خاص بأصحاب العقيدة السلفية الأصولية.

بالإضافة إلى هذين المسجدين توجد مساجد صغيرة أو مصليات أو زوايا يطلقون عليها بشكل عام اسم (ياو تاو تشاوي) وحين يقرأ المسلمون القرآن يتمايلون ويهزون رءوسهم، ويقول الناس إن من يقومون بهذه الحركات هم أتباع جماعة جديدة، لكن لا يوجد أي اختلاف جوهري كبير بين هذه الجماعات، فجميعهم ينتمون إلى المذهب الحنفي، ويذكر أن مسجد ساينان القائم الآن، والذي تم بناؤه في عهد «كئين» هذا المسجد كان قد أُعيد بناؤه على أساس المسجد القديم، وذلك في عهد «مئين».

لدي الكثير مما أود أن أكتب عنه، وأقدمه للناس في اليابان حتى يتعرفوا عليه..

الآن بعد أن غادرت طوكيو صرت متعبًا، ومريضًا، لكنني أحاول الآن أن أرقد

في الفراش، وإنه لمن المتعب بالنسبة لي وأنا على هذه الحال أن أستمر في الكتابة، لكني سأحاول أن أكتب بقدر ما أستطيع، وسأحاول أن أستمر أيضًا في التفكير في المستقبل، لا أريد أن أكون حزينًا حين أصاب بالمرض، وأنا أمضي على درب الطريق لتحقيق أمنيتي وللوصول إلى هدفي المنشود، ومن أجل هذا لا بد أن أركز على عبادة الله الواحد، ويجب أن أكون في ذلك مخلصًا وبريئاً، والآن أحاول أن أجد نفسي، أو بعبارة أخرى أحاول أن أدرس نفسي، أكثر من أي شيء آخر، لا أريد أن أقلد الآخرين لمجرد أنني أريد أن أتمتع بالسفر.

٤ فبراير سنة ١٣ تايشو

الحادي عشر من فبراير يوم جميل، وبارد جداً، رفع المؤذن الأذان ونادى لصلاة الفجر، فانطلقت إلى المسجد للصلاة، كانت طبقة من الجليد تغطي كل شيء من حولي، وأنا اليوم أصلي وأدعو من أجل بلدي، من أجل اليابان، لأن اليوم هو اليوم الوطني، ذكرى يوم نشأة اليابان[١] بقيت أصلي طول اليوم في سكينة وخشوع، وأخذت أدعو الله،وأنا جالس في المسجد أن يحفظ بلادي.

في هذه الليلة يعقد لقاء للأئمة المسلمين في إحدى المصليات، تسمى (شوكاريه هاي دو) حضر إليّ الإمام باشوتيه، وكذلك الإمام هو كيو كين، وطلبا مني أن ألقي كلمة أثناء اللقاء، ألقيت بعدهما كلمة باللغة الصينية، كان هناك عدد كبير من الناس، جاء في كلمتي أن: "معلوماتي التي اكتسبتها بعد أن دخلت في الإسلام أخذتها من ثلاثة كتب للأستاذ «ريوكايكو» الأول بعنوان «تين بوسيه ري» والثاني بعنوان «تن ري» والثالث بعنوان «تشي سيه جيتسو روكو» فمن خلال هذه الكتب تمكنت من التعرف على الإسلام، وعرفت كيف هو دين رائع، وأنه هو الدين الحق، أما عن البوذية في اليابان فيمكن التعرف عليها من

(١) هو يوم نشأة أو تأسيس اليابان طبقًا للكوجيكي ـ المترجمان.

موسوعة «كانجو كايشو» بجيم قاهرية Kango kaishu وفي اليابان يوجد فرقتان نصرانيتان تنتشران في البلاد عن طريق نشاطات البعثات النصرانية، ولهم طرقهم الخاصة بهم، أما حركة الدعوة للإسلام في اليابان فلا نشاط لها، وهي ليست مثل حركة البعثات التنصيرية.

منذ العصور القديمة تعلمت اليابان الدين من الصين، لكن الآن الدين في الصين تحول عن فكرته الأساسية، وهذا جعل هناك فرقاً بين عقيدتنا في اليابان والدين في الصين، لكن فيما يتعلق بالإسلام، فالإسلام كما هو، لم يتغير، التعاليم الأساسية لم تتغير، لهذا فالعلاقة بين الإسلام والدين علاقة ثابتة راسخة لا تتغير.

حضارتنا اليابانية تطورت بسرعة، لكننا أخذنا النموذج الغربي، من أوربا وأمريكا، وهكذا فبعد خمسين سنة من حكم ميجي بات الناس لا يخشون الله، ولا يخشون الرسول، ولا يخافون مما جاء به الرسل والأنبياء من تحذيرات.. لكن مرت بنا تجربة الزلزال الرهيب في طوكيو، وهي التجربة التي رأيتها بأم رأسي، عندها شعرت بالأسى والحزن على هؤلاء الناس الذين نسوا الله، ونسوا الأنبياء والرسل.

في الأيام الأخيرة أرى الموقف في الصين شبيه بالموقف في اليابان، لهذا فالمسلمون في الصين بحاجة إلى أن يفكروا بعمق، ويجب أن يكونوا أكثر نشاطًا تجاه الدين الإسلامي، فإذا ركز المسلمون على وضعهم حيث هم الآن فسوف ينالون السعادة لأهلهم، ويطوروا الحضارة العالمية وأنا على يقين من أن هذا سيتحقق.

بعد عدة أيام ساغادر ساينان، لذا دعاني القنصل الياباني «فوجي إي» لتناول طعام العشاء، أنا لا أشرب الخمر، ولا آكل لحم الخنزير، لذا كان طعام العشاء بسيطاً.. تكلمنا عما يدور في اليابان هذه الأيام، لأنني لم أطالع الصحف اليابانية لمدة طويلة.

مر شهر منذ أن أعلنت إسلامي، لم يكن هذا الشهر سهلاً بالنسبة لي، لكنني

كنت أحاول جاهداً أن أكون مسلمًا حقيقيًّا، كما أن الإمام «أهون» سو ساعدني في ذلك كثيراً.

تمكنت من أن أعد العدة لرحلتي الطويلة على درب الحياة خطوة .. خطوة .. أعتقد أن كلماتي، وسلوكي، وتصرفاتي، تعطي مسلمي اليابان انطباعًا خاصًّا، إنني أؤمن بديني، وأتمسك به، أحاول أن أركز أكثر فأكثر، وسوف أمضي غداً.. سوف أغادر هذا المكان..

١٤

الرحيل إلى الشمال

في الثالث عشر من فبراير غادرت متجهًا إلى الشمال، يصاحبني احد تلامذتي، ويدعى «شوجين ها» (بجيم قاهرية) كان الجو في غاية البرودة، كان الصبح لا يزال يتنفس، بينما كانت الدنيا مظلمة، ولم تفتح أبواب المحطة بعد للمسافرين، فوقفنا ننتظر، حتى سمح لنا بالدخول، فاشترينا تذكرة سفر في الدرجة الثالثة، وجلسنا داخل عربة مزدحمة جداًّ بالركاب، الذين كانوا في معظمهم من العمال، وكان بعضهم عائداً إلى مقر عمله بعد قضاء عطلة العام الجديد، بينما كان بعضهم الآخر، قادمًا من مكان عمله لقضاء الإجازة، وذكرني هذا الزحام بالزحام الذي شاهدته بعد زلزال اليابان الرهيب..

مضى بنا القطار على طول نهر «كوجا» (بجيم قاهرية) كان النهر متجمداً، وكان السكون يخيم على المنطقة، أشرقت الشمس حين كنا نمر بمقاطعة «هيه جين كين» (بجيم قاهرية) وهنا أتذكر الرجل الصيني الشهير الذي يدعى «كين شين كيو »(بجيم قاهرية) توجد بقايا قلعة في هذه المنطقة، وصلنا إلى محطة «تو كو شو»، وهو المكان الذي كان يعد هدفًا للقتال أثناء الحرب، فقد ضم معسكرًا حربيًّا، وكانت السيطرة عليه تعني السيطرة على منطقة «سن تون» باكملها، إلا

أن احتلال منطقة «سن تون» لم يكن بالأمر السهل، ولهذا فأنا أشعر أن الحرب ستنشب ثانية في المستقبل القريب، هكذا ينتابني الشعور بذلك!

وصلنا إلى محطة «ها كو تو تشين» وهي ميناء مهم جداً، يعيش هنا كثير من المسلمين، سمعت أن المسجد الجامع هنا كبير جداً، وفخم وعظيم، لكني لن أزور هذا المسجد، وبسرعة وصلنا إلى محطة «سو شيو» نزلنا في هذه المحطة، حيث تناولنا الطعام.. ويجدر بي أن أذكر أن المسلمين حتى وهم مسافرون لا يأكل أحدهم مع غير المسلم، إن لم يستطيعوا طهي الطعام بأنفسهم، فهم يفضلون الجوع على تناول الطعام مع غير المسلم، وهم في الحقيقة قد تدربوا، واعتادوا على هذا الأمر بشكل جيد، بسبب صوم رمضان، وبالمناسبة أنا وتلميذي الذي يرافقني تعودنا على تناول الطعام البسيط القليل جداً.

كانت محطة «سوشيو» بناءً مهمًا جداً من قبل، والناس هنا في هذه المنطقة مشهورون بالشجاعة، ومعروفون بالإقدام، قبل بناء خط السكة الحديد الجديد كان هنا وكلاء يمتلكون وسائل مواصلات، ومعظم وكلاء وسائل المواصلات كانوا ينتمون إلى منطقة «سوشيو» وهؤلاء الناس تفرقوا في مختلف مناطق الصين، ورغم ذلك فلا يزال الاتصال بينهم قائمًا بشكل قوي، اهتمامي بهذه المنطقة يتعلق بقصة «سيوي كودن» فحين أتذكر هذه القصة أشعر بالحنين إلى الماضي، وتمر الذكريات أمام مخيلتي، فبسبب هذه القصة بدأت دراستي عن الصين، وجعلتني هذه القصة أتعرف على الصين بوضوح تام، بالإضافة إلى أن هذا المكان هو مسقط رأس أستاذي وشيخي «أهون سو هو رين»، كان والده، مع والدته وأخوته في انتظاري منذ يومين، وكلما وصل قطار كان الوالد الذي يبلغ من العمر نحو ثمانين عامًا يدخل القطار يبحث ويفتش عني، أسفت على تعبهم بهذا الشكل، لكني كنت سعيداً.

أخذت أنا وتلميذي عربة يجرها حصان، مضت العربة على طريق ضيق، كنا نتطلع يمينًا وشمالاً، هنا وهناك، مررنا بحي للمسلمين يتكون من نحو ٢٠٠٠ بيت، وفي وسط هذا الحي يوجد مسجد جامع كبير له ثلاث مآذن عالية، بالإضافة إلى المسجد الجامع يوجد أربعة مساجد أخرى في هذا الحي، وتعيش أسرة شيخي «سو» بجوار المسجد الجامع الكبير، كان البيت واسعاً إلى حد ما.

أدى الإمام «أهون سو» فريضة الحج، لذا فالناس يحترمونه ويبجلونه، وعليه أن يهتم بوالده وبأسرته، كانت الأسرة كلها وعلى رأسهم العجوز في غاية الفرح بقدومي، ويرجع السبب الأساسي إلى أنني من مريدي أي من تلاميذ الإمام «سو»، وأنني ياباني، وأنني صرت مسلماً.

أخذني شقيق الإمام سو لزيارة المساجد، وأخذنا نتمشى على شاطئ النهر، وتناولنا الطعام معاً، وهنا أيضًا لا يشرب أحد الخمر، كما أن الطعام بسيط جداً، لكنه بالنسبة للمسافرين من أمثالنا طعام عملي جداً..

كنا متأخرين قليلاً عن برنامجنا الذي خططنا له، ربما تأخرنا يومين، كانوا يطلبون منا البقاء أكثر، إلا أنه كان علينا أن نسافر بسرعة، لهذا أخذنا القطار بعد المغرب وانطلقنا إلى «تين شين»، وكنا مسرعين قليلا.. لماذا ؟! لأن غداً يوم الجمعة، وكنا نريد أن نؤدي صلاة الجمعة في «تين شين».

١٥

حشد كبير ومشهد مهيب

وصلت إلى «سائيشيي» في تين شين، لم أسافر هذه المرة إلى منطقة «شيتشيك رين هيسو» سأزور فقط «ساي كاي كاو دي جاي» (بجيم قاهرية)، وهذه قرية تقطنها أغلبية مسلمة، نزلت في فندق صغير يسمى «أونشو كياكو رو» في «ساي كاي كاو داي جاي» (بجيم قاهرية)، وهذا الفندق الصغير لا يقدم الطعام

لنزلائه، وفي مقابل الإقامة ندفع ٢٥ سين من الفضة.

أقمت في غرفة صغيرة بالطابق الثاني، كانت تحتوي فقط على أريكتين من الخشب للنوم، بالإضافة إلى كرسيين بينهما طاولة، لقد بني هذا الفندق حديثًا، ولهذا فهو نظيف جداًّ، أخبرتني أسرة شيخي «سو» عن هذا الفندق، ونصحوني بالإقامة فيه، فصاحب الفندق مسلم يدعى «ساي شين توك»، وقد رحب بي كثيراً، المناخ في هذه المنطقة عادة ما يكون عاصفًا لمدة أربعين يومًا في مثل هذا الوقت من السنة، ولهذا كانت العواصف شديدة لدرجة أنه يصعب السير على الطريق أحيانًا.

زرت أحد المساجد بالقرب من الفندق، ويعد الأكبر في منطقة «تين شين»، تحدثت مع الإمام الشيخ «كُوكيُو» وهو شيخ في السبعين من عمره، لكن مظهره يوحي بأنه أصغر من ذلك بكثير.

أخذت «الترام» الذي أوصلني إلى «الحي الياباني» أو المدينة اليابانية، حين كنت أتاهب للنزول لم أسمع - كما اعتدت في اليابان - العبارة التي تخبر الركاب بالاستعداد للنزول، لكنني سمعت كلمة صينية فقط هي «شا وان راشيام» وهي تعني المعنى نفسه، ورغم سماع اليابانيين هنا لهذه الكلمة إلا أنهم اندفعوا لركوب الترام قبل نزول الركاب، إن سلوك مثل هؤلاء اليابانيين غير مهذب، ومثل هؤلاء اليابانيين لا يمكنهم أن يتعاملوا مع الصينيين، أو يتناقشوا معهم في الأمور التجارية، في منطقة مثل منطقة «شنغهاي» أو «تين شين» يجب أن نفكر في هذا الأمر بجدية.

زرت القنصل الياباني يوشيدا، وكان صديقًا لي، فقد ناقشت معه كل شيء حين كنت في سايتان، لم ألتق به منذ مدة طويلة، وبالإضافة إلى ما قد يقول الناس عنه بوصفه قنصلاً هنا، فقد كان يعمل بجد، وهو يدرس أحوال الصين من وجهة نظر عالمية، ولديه معرفة حقيقية بقضايا الصين ومشاكلها، أعتقد بأنه سيكون رجلاً

عظيمًا من رجال الدولة في الخارجية هناك في «كاسومي كاساكي» حيث يوجد البرلمان، وبخاصة أنه يمكن الاعتماد عليه فيما يتعلق بمشاكل الصين وقضاياها.

في الليل ذهبت إلى المسجد، توضأت في «ميضة» المسجد ثم صليت العشاء داخل المسجد، وكان الهواء يعصف في الخارج..

في الصباح الباكر من يوم الخامس عشر من فبراير، ورغم شدة العاصفة، ذهبت إلى مسجد «سيسيه شين هوكو جي» حيث زرت الإمام «أو تان زان» وهو شيخ عنده تسعون تلميذًا، قدمني إلى أخيه «أو سيه ساي» وهو رئيس الهيئة التعليمية في «تين شين»، قرأت معظم مؤلفاته، وقد قدم مؤخرًا من زيارة تفقدية للمسلمين في المنطقة الغربية، وهو يحاول العمل على رفع شأن الإسلام والمسلمين، كان هذا اللقاء مفيدًا جدًا بالنسبة لي، فقد كان كما لو أنه «أوتشي مورا كانزو» في اليابان -وهو أحد نشطاء التنصير- وعلى كل حال فقد قال -وهذا رأيه- إن المسجد هذه الأيام لا يؤدي رسالته الحقيقية من أجل الدعوة الإسلامية، وذكر أن المسجد ليس المكان الذي يقوم بالدعوة بين الناس، ولهذا يجب أن نتحرك هنا وهناك خارج المساجد، وهو يفضل أن يتحدث بحرية مع الناس، كما أنه يريد التعريف بتعاليم الإسلام ونشرها بين الناس، والعمل على دعم المسلمين ونهضتهم، وإيقاظهم من ثباتهم، وقد سألني عن رأيي، لكنني قلت له بأنني لا أزال في بداية الطريق فقد دخلت في الإسلام حديثًا، وأنا أبذل جهدي الآن ولهذا ليس لي الحق في إبداء الرأي في هذا الموضوع... لكنني سوف أتعاون معه في المستقبل، وأرى أن المسلم الصيني «أو سيه ساي» سيكون له مستقبل مشرق.

صليت الجمعة في مسجد «تن داي جي» وسط نحو ٦٠٠ مسلم يؤدون الصلاة، ويمكنني أن أرى بعض الهنود أو بعض المسلمين من جزر الهند الشرقية (إندونيسيا) وقد صلينا معًا جميعًا خلف إمام المسجد، كان المشهد رائعًا وعظيمًا،

لم أشاهد مثل هذا المشهد العظيم المهيب في عموم الصين إلا هنا في «تين شين» !!

مرت ستة أيام منذ وصلت هنا، كنت أتناول طعاماً إسلاميًّا بسيطًا جدًّا، لأسدّ رمقي لا أكثر، وحتى أبقى على قيد الحياة، متجنبًا الموت جوعًا، كنت أحيانًا ما أقابل رجلاً عجوزًا يدعى «ساي سن» فيحكي لي عن أوضاع المسلمين في شمال الصين، أو عن خبرته في مجال التجارة والأعمال، أخذني مرة إلى الضواحي حيث توجد قريته، فزرت المسجد الموجود هناك، وهو مسجد نظيف جداً، مما جعلني أشعر بالبهجة والسرور، حين عدنا من القرية أخذنا زلاجة وعدنا بها على مجرى مياه النهر المتجمدة، كان في هذا متعة ما بعدها متعة، بعد ذلك ذهبنا إلى مسجد صغير بالقرب من النهر، وهناك أقمنا الصلاة مع أهل المنطقة، بعد الصلاة أخذنا نتحدث عن موضوعات متنوعة، شعرت بأننا أصدقاء حميمين، وأننا معًا مثل الصينيين العاديين من أهل البلاد.

يمتلك الرجل العجوز «ساي سن» مطعمًا إسلاميًّا، ذهبت إلى المطعم، وهناك تحدثنا، وتناولنا الطعام، وشاهدنا الناس يمرون من أمام المطعم، شعرت فعلاً بأن هذه «تين شين» بزحامها وبهجتها.. لم ألتق تقريبًا بأي ياباني، لكن سكرتير «عويضه ماساؤ» قدم إليّ وأخبرني بأن «إي شي هارا» يدعوني إلى وليمة يابانية فخمة في فندق «ياماتو»..

وهناك جلسنا على التتامي، بينما قامت امرأة يابانية شعرها مرتفع على رأسها على طريقة بنات الجيشا (بجيم قاهرية) بخدمتنا أثناء تناول الطعام، شعرت بأن هذا عالم مختلف تمامًا، ومن ناحية أخرى فقد كنت أنا نفسي أرتدي ملابس صينية قذرة ينقصها الهندام.. أوه مثل هذا الشخص ـ الذي هو أنا ـ يتناول العشاء مع ياباني يرتدي ملابس في غاية الهندام في فندق خمس نجوم !! كان هذا المنظر عجيبًا.. بل كان حتى يدعو للسخرية!.

تجولنا معاً أنا وعويضه ماساؤ، كانت تلك هي الليلة الأخيرة لي في «تين شين»، وكان منظر الليل في تين شين يوحي بدلالات خاصة، وقد مرت الليلة في هدوء شديد.

كان «ساي» صاحب الفندق يعمل مع بعض اليابانيين في تجارة تصدير البقر إلى اليابان، ولا يوجد غيره يعمل في هذا المجال، ولهذا فتجارته مربحة، ومن العجيب أنه ليس لديه تصريح خاص بذلك، وأظن أنه لو حصل على هذا التصريح الخاص من اليابان، فإن تجارته سوف تنمو وتزدهر، ولهذا طلب مني أن أتوسط له عند القنصل ليمنحه هذا التصريح الخاص.

اعتقدت أن هذه مساعدة للمسلمين من أجل تطوير اقتصادهم، ولهذا ربما أبذل جهدي لمساعدته.

إن تصدير البقر إلى اليابان أو تصدير الخراف أو جلود البقر أو عظام البقر، يتم عن طريق التجار المسلمين، وهم يستوردون من اليابان اليوسفي، والأعشاب البحرية، وهكذا فالعلاقات بين اليابان والمسلمين الصينيين قوية إلى حد ما.

زرت أحياناً بعض المساجد الموجودة في ضواحي «تين شين» وتحدثت مع إمام المسجد أو مع نائبه، أو مع كبار السن من الشيوخ المعمرين مستخدماً لغتي الصينية المكسرة، ونمت في غرفة صغيرة على سرير خشبي حتى في هذا الجو شديد البرودة.. مثل هذه الرحلة لم تكن سهلة، لكن مقابل ذلك، أمكنني أن أكسب أكثر مما عانيت في هذه الرحلة.

١٦

منظر إن جو

بين تين شين وبكين مسافة سفر تطول لعدة ساعات، أثناء السفر حدث أمر في القطار بين ركاب الدرجة الثالثة، في العربة التي كنت أجلس فيها، لكن ماذا حدث ؟!

قبل أن يتحرك القطار ركب قروي في العربة حاملاً أمتعة كثيرة وضخمة، وكان بعضها لا يزال خارج القطار، في وقت كانت عربة القطار مزدحمة للغاية، تكلم القروي بطريقة غير مهذبة قائلاً إنه لا يستطيع أن يدفع أجر تحميل الأمتعة، هكذا قال للحمال، وبينما كانا يتناقشان معاً تحرك القطار، قال الحمال للرجل:

– إنك رجل عجوز وطاعن في السن بما فيه الكفاية، ولحيتك تغطي وجهك، لكن سلوكك هذا لا يتفق مع مظهرك.

فغضب الرجل العجوز وضرب الحمال، وهكذا تفاقم الوضع وزاد سوءاً، وقدم رجال الشرطة، وقدم العسكر، وحدث شجار لم يتوقف، إلا ان الرجال الذين شهدوا الواقعة كانوا جميعاً في صف الحمال، وكان من بين المسافرين امرأة عجوز، ترتدي معطفًا من الفراء، وتضع في معظم أصابع يديها خواتم من ذهب، ففتحت هذه المرأة "كيسا" من القماش مملوءاً بالعملة الفضية، وأدخلت يدها فيه وأخرجت بعض النقود وناولتها للحمال قائلة:

– انزل في المحطة القادمة..

تظاهر الحمال بعدم القناعة، لكن بدا من ملامح وجهه أنه سعيد جدًا، فضحك للرجل العجوز.. بينما كان بقية المسافرين ينظرون إلى المرأة العجوز، التي كانت تدخن السجائر بفخر وزهو.. نزل الحمال في المحطة التالية، بينما بدت على الرجل العجوز مظاهر الإعياء الشديد..

في بكين كان علينا تقديم حقائبنا للفحص والتفتيش، يمكن للأجانب النجاة من هذا الفحص، ورغم ذلك فقد كان عليّ أن أقدم حقائبي للفحص كصيني من أهل البلد.

إن كل ما أتعرض له في رحلتي هذه هو مادة جيدة لدراستي عن الصين، فقد عدّوني صينيًا، وهكذا تم فحص أمتعتي مثل أي صيني آخر. نزلت في أحد

الفنادق الخاصة بالمسلمين، إذا شاهدنا شكل فندق من الفنادق من الخارج، فلا يمكن أن نحكم عليه من الداخل، لكن كيف كان الفندق الذي نزلت فيه واسمه «مان جون تين» ويشتمل على ٩٠ غرفة..؟!

حين دلفت إلى الفندق شعرت كأنني في مصنع، كانت مساحة الغرفة ٤ تسوبو[1]. وقد قسمت الغرفة إلى قسمين، نصفها للجلوس، والنصف الآخر وضعوا فيه طاولة وكراسي وسخان.. هذه مدينة كبيرة، وهذا مكان يختلف عن بقية الأماكن الأخرى، وهنا في الفندق يقدمون لنا الماء الساخن كلما احتجنا من أجل الاستحمام، وأيضًا من أجل الشاي، وفي مدخل الفندق يوجد حارس، وهناك في الاستقبال هاتف، وهم يقدمون معلومات للنزلاء، ودائمًا ما يراقبون تحركات النزيل، وما إذا كان بداخل الفندق أو في الخارج، أما دورة المياه فهي قريبة من الغرفة، وهي خاصة بالتبول، وهناك دورة مياه خاصة بالتبرز، وهي عبارة عن عنبر واسع مقسم عن طريق جدران، تسمح للجالسين في كل قسم بالتحدث معاً، حتى أثناء قضائهم الحاجة، وبعد قضاء الحاجة يقومون بتنظيف أنفسهم ليس بالماء ولكن بحجر من الفحم، وهناك ملحوظة كتبت جاء فيها: «من فضلك لا تستخدم أوراقاً فيها كتابة»!

في الصين يرى الناس أن استخدام الورق الذي عليه كتابة عادة غير طيبة.. لكن حدث مرة أن زرت أحد الأصدقاء، وأردت استخدام دورة المياه، ولاحظت أنهم يستخدمون الأوراق التي عليها كتابة !! وقلبت في هذه الأوراق، فوجدت بعض خطاباتي التي كنت قد أرسلتها إليهم، وكنت قد كتبتها بتركيز شديد، وبذلت في كتابتها جهداً كبيراً، لكنني وجدتها هنا في دورة المياه! فشعرت بالحزن

(١) تسوبو يساوي ٣ أمتار وثلث المتر- المترجمان.

والأسى، فأخذت أقلب الأوراق، وأخذت من بينها الخطابات التي كتبتها لهم، وبعدها صارت مشاعري تجاه هذه الأسرة ضعيفة، وأظن أنه لم أكن أنا فقط الذي مر بهذه التجربة بل مر بها أناس كثيرون[١] .

هنا توجد فكرة تحكم الحياة الاجتماعية، وهي احترام الكتابة خشية وجود ما هو مقدس في هذه الأوراق، لذا نرى الناس يمسكون بأكياس مصنوعة من القماش بلون وردي، يجمعون من الشوارع الأوراق التي عليها كتابة، مستخدمين عصًا طويلة.. حين أرى هؤلاء، أجد نفسي أفكر في أنه لا يزال هناك في المجتمع الصيني بقايا احترام للقيم التليدة والتقاليد العريقة، إن هذه السلوك جزء من المجتمع الصيني، وحتى في هذه المدينة الكبيرة - بكين - يتعاملون مع المسافر بطريقة طيبة، و مهذبة.

توجد في الحي الذي أقيم فيه، وبالقرب من الفندق، أماكن دور الدعارة، ورغم هذا وخلال إقامتي التي امتدت لعشرة أيام، لم أشاهد أي امرأة من هؤلاء النسوة، تقترب من الفندق أبداً.

يمكنني أن أطلب الطعام من خارج الفندق، أو أذهب لتناول الطعام في المطعم، وهذا أمر سهل جدًا، وهناك حمام شعبي قريب من الفندق أيضًا، لذا ذهبت إلى هذا الحمام، وقصصت شعري، ونظفت جسمي بطريقة طيبة، فقد مكثت في الحمام نصف يوم، تناولت أثناء ذلك الشاي، ومن خلال هذا الحمام الشعبي تمكنت من رؤية المجتمع والناس في بكين، وتكلفة كل هذا كانت ٥٠ سين.

خارج الحمام كانت هناك عربة (حنطور) يجرها الخيل، يمكن أن أدفع «جئين» (بجيم قاهرية) واحداً، وأركب هذه العربة في رحلة طيبة، كان سعر الغرفة في

(١) كانت الصين تعاني في ذلك الوقت من نقص في الورق- المترجمان.

الفندق الذي أنزل فيه ٢٥ سين من العملة الفضية في الليلة، بالإضافة إلى أجرة اللحاف (الغطاء) والمرتبة، فضلاً عن الهبات التي تمنح للخدم، ويمكنني أن أمنحهم ٢٥ سين في مدة خمسة أيام. أفضل أن أقيم في مثل هذا الفندق الصيني المريح، وبخاصة أن صاحبه مسلم، وهو رجل محترم، يحرص على نظافة كل شيء، وهذا أفضل مئة مرة مما لو سكنت في فندق على الطريقة اليابانية، تقوم فيه النساء على الخدمة، ويكلف فيه «البقشيش» في الليلة الواحدة عشرة ينات[1]، ورغم هذا فهم لا يقدمون الطعام الياباني اللذيذ بل يقدمون طعاماً شبيهاً بالطعام الياباني، ويتعاملون مع النزلاء بأسلوب تجاري غير مريح، وغير سار على الإطلاق، وبمثل هذا الطريقة لا يمكنني أن أتفسح بشكل جيد، فهي تفسد على الإنسان متعة السياحة والتجوال.

في الليلة التي وصلت فيها إلى الفندق كان يوم الاحتفال بعيد رأس السنة الصينية، سمعت صوت فرقعات الألعاب النارية التي تتطاير في الفضاء، وسمعت رنين الأجراس المصنوعة من البرونز وصلصلتها طول الليل، كانوا يعلقون النواقيس الصغيرة هنا وهناك، فخيم جو من السعادة والفرح على كل شيء، في تلك الليلة تذكرت وصف يوم رأس السنة الصينية الذي جاءفي قصة "سيوثي كوثدين" وأنا أمضي بين الناس وسط الزحام، لم أشاهد بالطبع يابانيًا واحدًا...

ذهبت إلى المسجد لأصلي العشاء، تحدثت مع الإمام «أؤو».. واستمر حديثنا مدة طويلة، حتى اختفى الناس وعادوا إلى بيوتهم، وساد الهدوء مرة أخرى، عندها أخذت جولة في ضوء القمر في أحد شوارع حي «تشو آن جاي» (بجيم قاهرية).

---

(١) جمع ين، وهي العملة اليابانية– المترجمان.

١٧

سياحة في الصين تساوي سياحة في العالم كله

يمكن القول بأن الصين عالم بأكمله، أكثر من القول بأنها بلد واحد، أما بكين فهي خلاصة الصين بأكملها وزبدتها، وهكذا فجولة سياحية ليوم واحد في بكين تعني أنني شاهدت العالم أجمع، ومن هنا استأجرت «ركشا» (يجرها رجل) بمبلغ ١٥ دوجين (بجيم قاهرية) لكل ساعة، وأخذت أشاهد المدينة وأتجول فيها، وحاولت أن أشاهد السوق، ففي مدخل سوق الخضار يتم قتل المجرمين بضرب أعناقهم بالسيف، حين زرت بكين منذ سنوات بعيدة شاهدت بنفسي هذا الأمر، لهذا كان الزحام في مركز السوق على أشده، ففي كل صباح يضرب عنق ١٥ رجلاً، فتتطاير رءوسهم، ثم ترمى على الطريق، فتأتي الكلاب الضالة فتلعق الدماء، وأحيانًا يقوم بعض الناس بغمس «قطائف العجين الصينية» في الدماء ثم يأكلونها، وحدث أن قدمت امرأة أوربية لترى هذا المشهد، وحين شاهدته فقدت وعيها وأغمي عليها.. لكنني اليوم لم أشاهد هذا المنظر، فقد توقف هذا الأمر.

صارت المدينة نظيفة، كما صارت السوق منظمة، ومقسمة تقسيمًا جيداً، وانتهت عملية ضرب الأعناق وتتطاير الرءوس، فالمنظر مختلف تمامًا الآن، عما كان عليه حين زرت المدينة من قبل.

زرت المنطقة التي يعيش فيها المسلمون، ويطلق عليها حي «جيو جاي» (بجيم قاهرية) وسوق الخضار الذي تحدثت عنه كان في هذا الحي.

في «تين شين» قدمني الإمام الشيخ «جيوك (بجيم قاهرية) سيه ساي» إلى الإمام «أو شين جي» (بجيم قاهرية) الموجود في بكين والإمام «أو شين جي» تقاعد عن العمل، ويعيش في هدوء في بيت ملحق بأحد المساجد، قمت بزيارته، وتحدثنا معاً في موضوعات مختلفة، والشيخ «أو» في الثمانين من عمره، تحدثت

معه عن مقارنة الأديان، وشكا لي من وضع الإسلام هنا هذه الأيام، وذكر بأن أجداده قدموا إلى هذا المكان مع عدد قليل من المسلمين في عهد «سو»، ومنذ ذلك الوقت وعائلة الإمام «أو» تتولى قيادة المسلمين الذين يعيشون في هذه المنطقة، كنت أصلي معهم، وقمنا جميعًا معًا بالدعاء إلى الله من الساعة الواحدة بعد الظهر حتي الرابعة، وكان معنا نحو ٢٠٠ مسلم، كانوا جميعًا يتوجهون إلى الله بالدعاء، كان صدى الكلمات العربية يتردد بين جنبات المسجد..

بعد ذلك قمت بزيارة إحدى المكتبات لشراء الكتب مع صديق صيني يدعى «ما سيه سين» وجدت كتبًا إسلامية طبعت حديثًا، فاشتريت جميع الكتب الإسلامية التي تباع في هذه المكتبة.

قامت الحركة الإمبراطورية التي قادها «إن سيه جاي» (بجيم قاهرية)، وكانت هذه الحركة تهدف إلى استرضاء المسلمين عن طريق تأسيس هيئات لها، ورغم ان الحركة انتهت هذه الأيام إلا أنني كنت أحياناً أشاهد إعلانات هذه الهيئات أو ممثليها.

كنت أتفسح كلما أحببت مستخدمًا هذه الركشا لأشاهد المساجد، واستمر ذلك مدة يومين، وهكذا زرت ١٥ مسجداً من بين ٣٠ مسجداً، كما زرت أيضًا كنائس النصارى، ودار عبادة الصينيين «تين شو جيو دو» (بجيم قاهرية)[١]، كما شاهدت أيضًا سفارات الدول المختلفة، ورأيت الكثير من الأجناس والأعراق الموجودة في بكين.

كانت الشوارع تعج بالناس والعربات الشاحنة، فضلاً عن قطارات السكة الحديد، والناس هنا يعيشون على جانبي السكة الحديد، وكأنها مركز حياتهم، وقد شاهدت أحياناً الجمال تعبر الطريق، وأحياناً شاهدت العربات التي تجرها الخيل والبغال والحمير أيضًا، كما شاهدت الدراجة التي تمشي بعجلة واحدة، وشاهدت أناسًا يرتدون الأزياء

---

(١) وهي عبادة تأخذ من تعاليم كونفوشيوس ــ المترجمان.

الغربية، وآخرين يرتدون الملابس الصينية، وغيرهم ممن يرتدون الملابس المنغولية، أنماط وأزياء لا حصر لها.. كما شاهدت بوابة «سيه يو» التي بناها الإمبراطور «سيه تاي جو» (بجيم قاهرية). وهي أكبر بوابة في بكين، كما شاهدت أعمدة اللاسلكي العالية الخاصة بالهاتف والتلغراف، وبالقرب من قلعة «هو كو جو» شاهدت نصبًا تذكاريًّا عليه كتابة بأربع لغات تستخدم بين سكان الصين (منشوريا، وكان، وشيكوك، وسو) وكل هذا يجعلك تشعر بأن بكين مدينة عظيمة، ومع هذا فإن أي دولة من الدول التي تمتلك القوة، تود أن تظهر هنا في بكين على أنها دولة عظيمة، ومع هذا فلا يمكنها ذلك، ومن ثم تقوم برشوة الصين عن طريق بناء مستشفى أو تأسيس مدرسة حتى تكسب ود الصينيين، ومن ثم تسيطر عليهم في النهاية، وتأخذ منهم كل شيء، وهذه البلاد التي تسمي نفسها اليوم دولاً عظمى لا تساوي شيئاً أمام إمبراطور في قلعة بكين، فالصينيون حتى لو كان عمر الواحد منهم ثلاث سنوات، يريد أن يكون إمبراطور المستقبل، هذه هي الشخصية الصينية الحقيقية، إن بطل القلعة يعني أنه بطل العالم، هكذا يفكرون، وقد قال أحد الشعراء اليابانيين:

الماء تحت جسر «نيهون باشي» يصل إلى تحت جسر «لندن»(١).

ولكن إذا جاء اليابانيون إلى بكين، ووقفوا فوق جسر «سيه يو تاشي» ظناً منهم أنهم يشاهدون بكين، فإنهم في الحقيقة مخطئون لأنهم من هنا يمكنهم أن يشاهدوا العالم.

١٨

ذكريات عشرين عامًا مضت

التقيت في بكين بعدد قليل من اليابانيين، منهم السيد / هاشيجاوا (بجيم قاهرية) طوكي أو، وهو الذي عرفني على الوزير يوشي زاوا، وعلى وزير المعلومات

---

(١) هنا يشير إلى التأثر بالطرق الغربية -المترجمان.

(الاستخبارات) نئيزو، وحين تكلمنا عن الأيام التي كنا فيها معًا في طوكيو، تذكرنا بشكل خاص نجل السيد / ناكائيه تشو مئين، زرناه هناك، كم كان شيئًا طيبًا أن نتذكر تلك الأيام!، فقد تذكرت اللوحة التي كانت معلقة على الحائط في بيت نجل السيد / ناكائيه تشو مئين، كانت لوحة جميلة لزهرة عباد الشمس، فانا أحب عباد الشمس حبًا شديداً، ليس لدي موهبة في الرسم، فانا لا يمكنني حتى رسم أي شيء، كما أنه ليس لدي أي اهتمام بأي نوع آخر من الأزهار، لكنني أحب زهرة عباد الشمس، ولا أدري لماذا؟! ربما لأن نجل السيد / ناكائيه تشو مئين يحب زهرة عباد الشمس، ولهذا أحببت أنا أيضًا بدوري هذه الزهرة !!

ذات مرة كتبت بعض الأشعار، وهي أشعار ضعيفة ليست جيدة، قلت فيها :

أنت يا زهرة عباد الشمس

زهرة كبيرة.. عظيمة !

أنت زهرة واحدة فقط

واحدة فقط لكن

مظهرك.. هيئتك

تدل على أنك عظيمة

وعلى أنك شجاعة !

الآن صار اسم نجل السيد / تكائيه تشو مئين «أو كيه تشي» وقد تخرج من كلية الحقوق، ثم انتقل إلى بكين.. مر على ذلك قرابة عشر سنوات، وهو متخصص في دراسة التاريخ السياسي للصين، لا يوجد من يستحق احتراماً أكثر من أولئك الذين يدرسون بجد، لحسن الحظ يوجد في بكين بالإضافة إلى هذا الابن الجاد يابانيون آخرون منهم شخص يدعى «أوتشي نو»، ومنهم أيضًا البروفسر

يوشيدا، والسيد / هاشيكاوا، وأيضًا الدكتور ماتسورا، وقد جاء هؤلاء إلى هنا بتوصية من وزير التعليم، حتى يستكملوا دراساتهم، وهم جميعًا حريصون على الدراسة بجد وبحماس شديدين، وسوف يكون لهم مستقبل رائع في اليابان، أتمنى أن يستمر هؤلاء على جدهم ونشاطهم في المستقبل أيضًا.

تذكرت أيام شبابي هنا منذ عشرين سنة، وذلك حين كنت أتجول في جو شتوي يتساقط فيه الثلج، وبينما أشاهد الآن مدينة بكين كلها، يمكنني أن أقول بأنها هي نفسها التي كانت هنا منذ عشرين سنة، لكني حين أشاهد الأماكن القريبة من القلعة الغربية، والقلعة الشمالية ألاحظ أنها صارت مهملة مثل المناطق الأثرية التي لا يهتم بها أحد، وإذا أردنا أن نشاهد ما طرأ على الصين من تطور من خلال مشاهدة مدينة بكين، فيمكن أن نشاهد المنطقة عند القلعة الشرقية، وداخل وخارج البوابة الأمامية فقط، في هذه المنطقة يمكن أن نشاهد تطور الصين.

سوف يأتي إلى هنا في شهر أبريل الدكتور «هاتّوري أونو كيتشي» من جامعةزن كيوشي، وذلك طبقًا لبرنامج التبادل الثقافي، وأعتقد أن هذا شيء طيب لتطوير العلاقات بين اليابان والصين، وقد كنت واحداً من تلاميذه منذ أكثر من عشرين سنة، وكنت أقيم في بيته أحياناً.. يا لها من حياة! هل يمكن أن نتوقع أن تتكرر العلاقات بين الناس مرة أخرى؟!!يا له من شعور غريب.. أن أفكر في أيامي الماضية في بيت أستاذي، وأنا أقف هنا في بكين!!

١٩

جاذبية إن كين

كنت أخطط للسفر من بكين إلى الجزء الجنوبي، لكني شعرت فجأة بالرغبة في زيارة «تشوكاكو».. أنا مثل سحابة.. تطفو في السماء، لهذا غيرت رأيي فجأة مثلما الريح تغير من اتجاهها، إن رحلتي تستلزم مني عمل أشياء كثيرة في الأماكن

التي أزورها، لكنني منعت نفسي بقوة من الاقتراب ناحية المكتبات، لأنني لو اقتربت منها لاشتريت الكثير من الكتب، وميزانيتي لا تسمح لي بهذا، ومن هنا كان عليّ أن أقاوم هذه الرغبة الجامحة. تناولت الطعام ذات يوم في مؤسسة «جون تين جيو هوشا» مع السيد/ هاشيكاوا، والدكتور ماتسورا، والسيد/ مائيدا وتسوجي تشوكا وغيرهم.

السيد/ تسوجي تشوكا رجل عجوز إلى حد ما، أحضر زجاجة من الساكي[1]، لكن بالطبع أنا لا أشرب الخمر، شرب معه السيد هوشيكاوا، كانا ثملين إلى حد ما، أصيبا بالسكر، فأخذا ينشدان بعض الأشعار الصينية القديمة التي كتبها الشاعر الصيني «سو كو».

كنت أنصت فقط دون أن أشاركهم، بينما أتذكر الشعر الصيني، وأتذكر أحد أصدقائي ويدعى «هوريه بئيه» حين كنا معاً في طوكيو، فقد أعطاني هذا الصديق ذات يوم معطفاً لأسلمه لأخيه، وحين حملت المعطف وسلمته لأخيه الذي يعيش مع والده ومع زوجته وأبنائه، في ذلك الوقت كان «هوريه بئيه» قد فارق الحياة، وكان قد وضع وصيته في جيب المعطف الذي أعطاني إياه لتسليمه لأخيه، ذكر في وصيته أنه انتحر...

لماذا انتحر؟ لا يمكن أن أفهم حتى الآن، ولا أدري كيف تعيش أسرته الآن ؟! لم أتصل بهم أبداً.. وتذكرت الناس الآخرين الذين ماتوا: السيد/ ناكاجيما، وكان باحثاً في الآداب الشرقية، والسيد/ كواشيما كان دائماً رجلاً عظيماً ومهيباً، والسيد/ شيماكاوا الذي كان يعمل في السلك الديبلوماسي.. فحين كنت أجتمع بمثل هؤلاء الناس كنت أشعر بأن مستقبل اليابان مضمون تماماً! لكن هؤلاء

(١) الساكي هو الخمر الياباني المصنوع من الأرز– المترجمان.

الناس لم يعد لهم وجود.. لكن ذكراهم تأتي الآن على خاطري !

لقد دار الزمن دورة كاملة، واختلفت الأمور، أشعر أن شيئًا ما سيحدث في الصين في المستقبل القريب، لا أدري أي حركة قد تظهر، لكن شيئًا ما سيحدث، يجب أن نركز على وضع الصين هذه الأيام، إذا أردنا أن نبقي على موقعنا تجاه الصين، نحن بحاجة إلى دراسة جادة عن الصين، وإلى فهم عميق للصين، وسوف يحل هذا أي مشكلة قد تظهر، إن المعرفة السطحية من خلال الكتب الصينية أو الكتب المدرسية الصينية غير كافية على الإطلاق.. آمل أن يكون الدارسون الحاليون هنا هم الأساس القوي من أجل استعادة قوة اليابان ومكانتها.

٢٠

الشعور بمشاعر المنغول

٢٤ فبراير غادرت بكين متجهًا ناحية الغرب، ركبت قطار البضاعة في الدرجة الثالثة، كانت هناك فوضى، لا يوجد مكان على الإطلاق، كان الناس محشورين حشرًا، داخل عربات القطار، ورغم هذا فبعد أن تحرك القطار، وبعد المرور بـ " سيه زين " صار المنظر الخارجي جميلاً ورائعًا، يمكنني الآن أن أتحمل هذا الزحام، مقابل مشاهدة هذا المنظر الرائع، حين وصل القطار إلى محطة "كؤو سؤو" ركبت امرأة جميلة القطار، كانت تحمل كتيبات صغيرة، أخذت تتكلم عن الزلزال في اليابان، وعن كفر اليابانيين بالله، وأن الزلزال كان عقابًا لكفر اليابانيين وعدم إيمانهم بالله.. هكذا قالت المرأة الجميلة.. ثم تابعت بقولها:

– من فضلكم، اقرأوا هذا الكتيب حتى تتجنبوا ما قد يحل عليكم من غضب الله الذي في السماء!! وادفعوا فقط « ٢دوجين (بجيم قاهرية) و٤ مون ».

قالت هذه العبارات بلغة صينية، قالتها بطلاقة لكنها نطقتها بلكنة أمريكية..

وجدت نفسي مضطرًّا لشراء هذا الكتيب، وحين تصفحته وجدته مجرد شعر، وعلى كل حال إن نشاط مثل هذه المرأة الجميلة يمكن أن نشاهده في أماكن أخرى كثيرة .لا يوجد أي راهب ياباني يبشر ببوذا، ويتكلم الصينية بطلاقة، ويسعى لنشر البوذية في الصين، لا يمكن أن نشاهد هذا المنظر.. ولا يمكن أن نقول بأن هذه الأجنبية التي تنشر الدين في الصين لا تجعل الناس دائمًا سعداء، ولكن الحقيقة الواقعة أن قوة بلدهم تغزو الصين تدريجيًّا، لكن نشاطات مثل هؤلاء الناس بين ركاب عربة الدرجة الثالثة ليس بالأمر العملي.

غادرنا بكين في الساعة العاشرة صباحًا، ووصلنا إلى «تشوكاكو» في الساعة الثامنة ليلاً، أسرع مما كنا نتوقع، نزلت في فندق صيني صغير ونظيف، اسمه «جيه هين رو »(بجيم قاهرية)، وهذه المنطقة ترتفع عن سطح البحر بنحو ٣٠٠٠ متر، لهذا كان الجو شديد البرودة ليلاً، إلا أن الفندق كان مزوداً بوسائل التدفئة، وكان الخدم والعمال يتكلمون الصينية ومعظمهم من بكين، ومنطقة «تشوكاكو» محاطة بثلاثة جبال، وهي ممتدة ومتصلة بمنغوليا، ويبلغ عدد سكانها نحو ٦٨٠ ألف نسمة من بينهم ١٣٠٠ نسمة من المسلمين، وأهل هذه المنطقة قدموا أساسًا من مقاطعات سان سين، وكانساي، وتشوكوريه، وسان تون وغيرها.

توجد قلعة صغيرة، وفي حضن الجبل توجد قرية عند الناحية الشمالية، وفي جهة الجبل جدار يشبه القلعة للدفاع، وهناك أعمدة كثيرة لمحطات البرق والهاتف، وهنا يمكن أن نلاحظ تطور هذه المنطقة وما تتمتع به من رخاء.

حين خرجت من البوابة الكبيرة لهذه المدينة تغير المنظر، وبدأت أشاهد الكثير من محلات المنغوليين، كما شاهدت أناسًا يرتدون الملابس المنغولية بألوانها البنية والصفراء، وبجوارهم البعير، جو هذه المنطقة وبيئتها شبيه بجو منطقة منغوليا وبيئتها، ويقوم بعض الناس هنا بممارسة التجارة مع المنغوليين، يبيعون لهم بعض

البضائع، ويبادل بعضهم زجاجة خمر ببطانية من الفراء، وإذا خرجوا من هذه المدينة عليهم أن يسافروا مع قوافلهم مسافة أربعين «ري»[1]، وعليهم أن يذهبوا عبر الوادي والصحراء والأماكن المغطاة بالجليد، وهم يرحلون إلى الشمال وإلى الغرب مدة شهرين أو ثلاثة أشهر، ويمكنني أن أتخيل هذا المنظر كما لو كان قصيدة شعرية.. أتعجب كيف يمكن أن تكون قبائل الكوشي هددت الكان Kan قديما؟اوكيف هدد المغول اليابان ؟! وكيف هدد التتار الغربيين أوربا ؟! كل هذه الأحداث صارت حكايات على صفحات التاريخ..

واجه المنغول بعد الاستقلال مشاكل عديدة، فأرضهم صارت مستعمرة من قبل جنس الكان Kan، ولا يوجد لهم تراث يمكن أن يشاهد الآن، وأتعجب هل يمكنهم أن يصيروا أمة مقاتلة من جديد؟! حين أقف في هذا المكان أشعر بالجو المنغولي، وفي الوقت نفسه أشعر بنوع من الأسى تجاه المنغول هذه الأيام.

أظن أن المسلمين في تشوكاكو، من حيث عددهم ومكانتهم يأتون في المقام الثاني بعد مسلمي «تين شين»، وهذا هو السبب في التعامل مع المسلمين في تشوكاكو في مجال الاستيراد والتصدير، وهم يركزون على تجارة الجلود والفراء، ولهذا فتجارتهم جيدة ومزدهرة دائماً.

في المدينة ستة مساجد، أحدها مسجد جديد تماماً، كنت أصلي في هذا المسجد، وقد زرت المساجد الخمسة الأخرى فيما بعد، والأئمة هنا جميعاً موثوق بهم، وفي أحد المساجد وجدت بطاقة باسم الدكتور «أوكادا»، وسمعت أنه زار هذا المسجد مع السيد / أوتشي نو، والسيد / ناكاميه، وكان الدكتور «أوكادا» يريد الحصول على بعض المعلومات والمواد الخاصة بالدراسة، لكن إمام المسجد لم

---

(١) الري، يساوي ميلين ونصف الميل تقريباً – المترجمان.

يقدم له أي معلومات على الإطلاق، واعتقد أن هذا الدكتور لو أقام هنا مدة يوم واحد، لتمكن من جمع المعلومات التي يريدها، من خلال ملاحظة سلوك الناس وتعاملهم. كنت أتجول مع ابن أحد أئمة المساجد، كان في الثالثة عشرة من عمره، لاحظت وسامته وهندامه، ذهبنا معًا إلى المرتفعات حيث شاهدت بيتًا، يخفق فوقه علم اليابان، عرفت أنه بيت السيد / موري شيما، ولهذا قررت زيارته في البيت، والسيد / موري شيما متخصص شهير في الدراسات المنغولية، لكنه لم يكن في البيت في ذلك الوقت، وكانت زوجته في البيت مع والدها، فزوجته ابنة أحد مزارعي هذه المنطقة.

ذكر السيد «موري شيما» انه وقع في حب هذه المرأة، ولهذا تزوجها.. وهكذا يعيش موري شيما فوق أعلى مرتفع في تشوكاكو مع زوجة غير يابانية، وهو يرفع علم اليابان فوق سطح بيته، لهذا أشعر أنه رجل ياباني بحق، وأنا فخور به.

تناولت الطعام معه ذات ليلة ومع القنصل "آراي" وهكذا تحدثنا كثيراً في أمور شتى، شعرت بالسعادة، فقد خرجت بانطباع مفاده أن كليهما ياباني أصيل، فإذا كان جميع من بالخارجية من أمثالهما، فإن انطباع الناس عن اليابان سيتحسن كثيراً، أشعر برغبة في البقاء هنا مدة أطول، لكن يجب عليّ أن أغادر المكان لأطوي المرحلة القادمة التي خططت لها، وعليّ أن أعود إلى بكين مرة أخرى..

وهكذا غادرت حزينًا..!

٢١

التفكير في «سين كا»

احتلت «سين كا» في تلك الأيام مكانة مهمة للمنطقة الشمالية حين كان بها تنظيم إداري حكومي قوي، لكن هذه المكانة انتقلت الآن إلى «تشوكاكو» مع التطور الذي حدث للمنطقة الشمالية على يد الـ كان Kan، وهكذا تلاشت الآن

أهمية «سين كا» كمنطقة دفاعية، ويمكنني الآن أن أرى أطلال القلعة، لقد ساد الهدوء المكان، وخيم عليه الصمت.! تشتهر «سين كا» بإنتاج العنب، زرت الإماما لشيخ «كيو» وهو إمام مسجد في هذه المنطقة، رحب بي كثيراً، وكان مسروراً جداً بلقائي، مكثت ليلتين في بيت الشيخ «كيو» والشيخ إنسان غير عادي بين الأئمة والشيوخ، إنه شغوف بالقراءة ويعشق الكتب، ويحب الكتابة أيضا، فهو في يوم ينشغل بالقراءة، وفي يوم آخر ينشغل بالكتابة وهكذا، كما زرت أيضًا الإمام الشيخ «ري».

يوجد في «سين كا» مسجدان هما الأكبر في المنطقة الشمالية للصين عدا مساجد منطقة سين شين، ورغم أن الأشياء التي تدل على عظمة الماضي قد تلاشت هنا واندثرت،لكن هذين المسجدين لا يزالان على حالهما كما كانا، والناس لا يزالون يؤدون الصلاة فيهما حتى الآن.

كنت أشاهد سلسلة من التلال، وأشاهد النهر ينساب من ناحية الجبل، كما كنت ألمح من بعيد مدينةتشو كاكو.. منظر بديع كأنه استعراض فني رائع، كنت ألتقط الثلج وأمتصه، فقد أصابني العطش، وحاولت أن أرسم مثل هذا المنظر الطبيعي الخلاب.

٢٢

مقبرة أحد أباطرة عصر «مين»

حين كنت مسافراً من سين كا إلى نان كو التقيت بياباني في القطار يدعى السيد / ناكاموتو، كان قادماً من تين شين، وهو رجل أعمال، يقوم بتصدير الفحم النباتي إلى الياباني، ولم يكن رجل أعمال فقط، يعمل بهذه التجارة، لكنه أيضاً كان رجلاً واسع المعرفة، ومن خلال حديثي معه جمعت معلومات كثيرة مفيدة، نزلت من القطار في محطة نان كو، وأقمت في فندق صغير يمتلكه أحد المسلمين،

وفي الصباح التالي ذهبت إلى مقبرة أحد أباطرة عصر «مين»، كانت الرياح تعصف باردة، فشعرت كأن يدي وقدمي قد تجمدتا، أخذت جوادين، بينما كان رجل عجوز يقوم بإرشادي في هذه الجولة، فانطلقنا عند أحضان الجبل.. غابة من أشجار فاكهة الكاكي، مضينا بين هذه الأشجار التي أينعت ثمارها، كانت حبات الكاكي النضرة مملوءة بالعصير، شاهدت رجلاً يجمع الفاكهة فطلبت منه أن يعطيني أربع أو خمس حبات، تناولتها وأكلتها، كانت لذيذة جداً.. ومضينا إلى الأمام، فمررنا بمقبرة أحد أباطرة عصر «مين».

أخبرني العجوز عن قصته، وما حدث في تلك الأيام، كانت سلسلة من الحكايات المحزنة، عن الفساد في عصر «مين» وعن الإمبراطور «أو شو أون»، حين سمعت هذه الحكايات لم أتمالك نفسي من البكاء.

بنى الإمبراطور «كان ريو» هذه المقبرة الكبيرة الضخمة، شاهدت هناك لوحة كتبت عليها قصيدة من الشعر الصيني، إن مشاهدة المقابر ليست هدفي الرئيس في هذه الرحلة، لكن لا يمكنني أن أتغاضى عن مشاهدة المسجد الموجود في قلعة «شوهيه كين» فله علاقة بهذه المقابر، فحين بنيت هذه المقابر، استخدموا في بنائها مواد جمعها المسلمون، وقام أحدهم فطلب من المسلمين بناء هذا المسجد الجامع بنفس المواد التي جمعت لبناء المقابر، حين شاهدت المسجد شعرت بجماله وروعة معماره، وتناسقه فقد بني بنفس مواد البناء التي طبعت المنطقة كلها بطابع واحد مميز، لا شك بأن هذا المسجد يعد فخراً لمقاطعة «شوهيه»، وقد زرت هذا المسجد، والتقيت بالشيخ «ري» والشيخ «ما»، ويعد هذا المسجد رمزاً للاتجاه الإسلامي الجديد، لأن هذين الشيخين وغيرهما يحملان أفكاراً خاصة جديرة بالاهتمام.

من الجدير بالذكر أن مقاطعة «شوهيه» ليست بالمكان المهم من الناحية الاقتصادية، ولهذا فهي ليست مزدحمة بالسكان، ولا تشاهد فيها زحام الناس،

ورغم هذا فأنا أشعر بأن كل شيء هنا مرتب ونظيف بشكل ملحوظ، وهذا ما يشاهد خاصة في مكاتب الحكومة والمدارس، وحتى في أطلال القلعة التي تم ترميمها بشكل جيد، وإذا ما قارناها بالمقاطعات الأخرى، فإن هذه المنطقة تربتها خصبة وتنتج كثيراً من الفاكهة وبخاصة في المناطق الجبلية، ولهذا يتمتع الناس هنا بمستوى معيشة طيب.

ركبت الجواد من جديد واتجهت إلى قرية صغيرة يقطنها المسلمون، ونزلت في فندق صغير صاحبه مسلم، وفيه عيون مياه معدنية حارة، ورغم ما للينابيع الحارة من فوائد، لكنني لم أر أحداً ينزل هنا! يقولون إنه فقط يمتلئ بالنزلاء في فصل الصيف حين يأتي السياح من منطقة بكين، وهناك طريق من نان كو يؤدي إلى هذا المكان، وفي ناحية من هذه القرية الصغيرة، افتتح المسلمون سوقًا جديدة.

كان الرجل العجوز الذي يرشدني على ظهر جواده يقوم في الليل بحراسة الجوادين، لأنه كان يخشى أن يسطو عليه اللصوص، وفي نهاية اليوم أخذت حماماً في مياه الينابيع الحارة، وهكذا تمكنت من الخلود إلى النوم.

توجد بالقرب من الفندق الصغير حديقة تذكارية تسمى «جو سيه شو»دخلت الحديقة، فوجدت بركة الماء التي تتوسطها متجمدة، بينما بدت الأشجار كأنها ميتة، لهذا لم يكن في الحديقة ما يجذب الإنسان، وحين مشيت قليلاً شاهدت خمس أو ست نساء شابات، يغسلن الملابس في النهر، جميع النسوة في هذه المنطقة ممن ينتمين إلى طبقة الفلاحين أو المزارعين أو التجار، سواء كن متزوجات أو غير متزوجات، يضعن على وجوههن مساحيق (بودرة) بيضاء، بيضاء جداً، والجميلات بينهن كثيرات، وربما يرجع السبب إلى خصوبة التربة، والماء العذب، وينابيع المياه المعدنية الحارة.

زرت بعد ذلك المسجد مرة أخرى وصليت هناك، الليلة ليلة الاحتفال بذكرى

الإسراء والمعراج، وهم يحتفلون بهذه الليلة، فهي ليلة مهمة جدًّا، حين خرجت من المسجد بعد الصلاة، شاهدت نجم الدب القطبي يسطع في السماء، بينما كنت أسمع من بعض البيوت أصوات ترتيل القرآن الكريم، ومن العجيب حقًّا أن الإمام «لي» كان يعتقد حتى النهاية أنني صيني، ولهذا لم أخبره بغير ذلك.

كانت ليلة الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج هذه ليلة مؤثرة جدًّا تركت ذكريات جميلة على رحلتي هذه..

٢٣

أي كو كاكو

تحولت «أي كو كاكو» الآن إلى منطقة أثرية، في يوم من الأيام كان الناس يسافرون إلى هذه المنطقة على ظهر البعير، وكانت تجارة الإبل في يد المسلمين، وكان المسلمون يمتلكون في العادة معظم وسائل النقل والمواصلات في هذه المناطق الجبلية الوعرة، كما يمكن أن نشاهد أيضًا الكثير من السكان المسلمين أيضًا ينتشرون على ضفاف الأنهار، وهذا يعني أنهم كانوا يقومون أيضًا بعمليات النقل النهري بالسفن والقوارب، لكن هذه الأعمال تدهورت بشكل ملحوظ هذه الأيام، واختفت نظرًا لظهور قطار السكة الحديد، ومن هنا هجرت الآن الطرق والمدقات التي كانت تستخدم لنقل الناس ونقل الأمتعة أيضًا، ورغم هذا فقد ظلت مساجد المسلمين فقط قائمة كما كانت، لم تتغير، وهذه من الأمور التي تثير الاهتمام وتجذب الانتباه، كما توجد نقوش من عهد الإمبراطور «جين» (بجيم قاهرية) لا تزال على حالتها، والأثر الذي لا فائدة منه، لكنه لا يزال قائمًا على حاله كما كان هو «سور الصين العظيم» وهو غير عملي على الإطلاق، فهذا السور الطويل لم تعد له فائدة، وهو لا يعني سوى أنه انتصار لحضارة الـ " كان Kan" .

كان يمكنني أن اسمع صوت حوافر الجواد وسط هذا السكون، وفي هذا الجو البارد..

رسمت بعض المناظر، ورجعت إلى الفندق الذي أقيم فيه، وبسرعة لملمت أغراضي لألحق بالقطار، وأعود إلى بكين مرة أخرى...

وفي بكين نزلت في الفندق نفسه الذي سبق ونزلت فيه من قبل.

٢٤

خروج الفارس من القلعة للقتال

زرت حقول منشوريا، وهناك شاهدت قلعة، وشعرت بأنهم لا يزالون يعتزون بأنفسهم، أمكنني أن أرى علم اليابان بالقرب من المحطة، هذه منطقة جليدية، كان القطار مملوءاً بالعسكر التابعين لـ «تشو ساكرين»، والمكان الرئيس لتدريب الجنود هنا هو منطقة «سان تون».

في منشوريا زرت ثلاثة مساجد، ولهذا استطعت أن أعرف وضع المسلمين في منشوريا، شاهدت لوحة معلقة أمام المسجد كتب عليها:

«هذا المكان مكان مقدس يعبد فيه أهل هذه المنطقة الله، لهذا يجب عليك أن تحترمه - المكتب العسكري».

هذه اللوحة من مخلفات الحرب اليابانية الروسية. زرت مكتب القنصل «فونازو» لكنه لم يكن هناك، وزرت الدكتور «إكي» الذي يعمل في مستشفى «مان تيتسو» قال إنه على وشك أن يفتتح عيادة طبية في مقاطعة «آن تون»، طلب مني أن أقترح عليه اسماً للعيادة، فاقترحت عليه اسم «سن جو دو بيون» أخذت هذا الاسم من قصيدة شعرية.

نحن الآن في الثامن من شهر مارس لذا ذهبت إلى «نو جيه جو» (الجيم الأولى قاهرية) التي تشتهر بينابيعها الحارة، وتشتهر أيضاً بمناظرها الخلابة، كما أن لي صديقاً يقيم هناك يدعى «هيرونو»، يمتلك حديقة مملوءة بأشجار الفاكهة، زرته،

وشاهدت حديقته، ثم أخذت القطار ثانية، وذهبت إلى فندق ملحق به ينابيع المياه المعدنية الحارة.

قمت في البداية بتغطية جسمي كله بالرمال، أي أخذت حمامًا رمليًّا، بعد ذلك دخلت إلى الحمام العمومي في القرية، ثم اتجهت إلى الفندق حيث نزلت في حمام المياه المعدنية الكبير الواسع الملحق بالفندق، وهذا يعني أنني مررت في هذا الوقت القصير بمراحل التطور الذي طرأ على المنطقة خلال العشرين سنة.

لقد بذل المرحوم السيد كاتانو جهداً كبيراً لإعداد هذه الينابيع المعدنية في هذا الفندق بالشكل الذي يشاهده بها المرء اليوم، قبل أن آتي إلى هذا الفندق، نزلت في عدة فنادق، ملحق بها ينابيع مياه حارة، لكنها لم تعجبني، والآن أحببت هذا المنظر المحيط بهذه المنطقة، فضلاً عن حرارة المياه المعدنية ذاتها، وطريقة معاملة الناس للضيوف.. كل شيء مريح.. يمكنني أن أستريح هنا تمامًا.

في الليل ركبت القطار.. يقولون إن هذا القطار مخصص لليابانيين فقط! ولهذا عنفوني، وشتموني، لأنني كنت أبدو على هيئة الصينيين، عندها شعرت بقسوة اليابانيين.. وكيف يحتقرون الآخرين بطريقة فظة !! دفعت ثمن تذكرة القطار.. ودفعت فرق سعر القطار السريع.. وتعجبت وتساءلت: إذا كان هناك من لم يجد مقعداً حتى ممن لديه تذكرة ركوب القطار، فلماذا لا يزيدون عدد المقاعد؟! إذا لم تكن الشركة قادرة على ذلك، فإن هذا يعني أن اليابان لا يمكنها أن تتطور أو تتقدم أو تصل إلى مرحلة الرقي، لقد ساورني هذا الشعور من خلال هذا الحدث البسيط، يجب عليهم أن يهتموا بالأمر فعلاً..!

إذا كنت بين اليابانيين، في جو ياباني، فإنني لا أشعر بالراحة، في داي رين نزلت في فندق يسمى «يو سو رو» ولا يوجد فندق يمتلكه المسلمون في «داي رين»، وفي «هو تين»، وهذه المناطق مثل «داي رين» و«هو تين» كانت تحت

سيطرة اليابان، وشعرت أنها غير مريحة بالنسبة لي، لا أدري لماذا ؟

يوجد في « داي رين » أربعون أسرة مسلمة، ولديهم مسجد صغير أو بالأحرى مصلى في ضاحية صغيرة من المدينة، ذهبت وصليت فيه، ولاحظت وجود زحام إلى حد ما، لأن أحد الروس المسلمين كان يقيم حفل عزاء لقريب له توفي، حضرت حفل العزاء، وقدمت تبرعًا ماليًا لأهل المتوفى، كما قدمت تبرعاً آخر للمصلى، يقولون إنهم سيبنون في المستقبل مسجداً بدعم من شركة « مان تيتسو »[1] ، وسواء كان هذا الخبر صحيحًا أم لا، فإن المسلمين هنا ينتظرون الوفاء بهذا الوعد، وقد وصل هذا الخبر أو الإشاعة إلى جميع مناطق المسلمين في الصين، ولهذا أتمنى أن تفي الشركة بوعدها وتدعم بناء هذا المسجد.

حين ذهبت لزيارة قربان عليـيف[2]، أخبرني الحارس أنه موجود في المكتب الرئيس لشركة « مان تيتسو » وهكذا ذهبت إلى المكتب الرئيس للشركة للقاء السيد قربان، وهناك تحدثت معه كثيراً عن قضايا المسلمين، وكان يترجم لنا السيد / هانابوسا، ذكرت كتاب السيد / دازاي الذي درس عن الإسلام في منشوريا وشمال الصين مع قربان، وتناقشنا عن موضوع هذا الكتاب، فقال إن هذا الكتاب أساسًا ليس من بنات أفكاره، ولا يقدم وجهة دينية معينة.

على كل حال أعتقد أن هذا الكتاب مرشد جيد للدراسة، لكن شركة مان تيتسو لا تريد الاستمرار في دعم مثل هذه الدراسات، وهذا أمر طبيعي، فقد ذكر مدير الدراسات السيد « صادا » أن هيئة الإدارة في مان تيتسو تهمل وضع أسس الدراسات الفكرية.

---

(١) شركة السكة الحديد اليابانية -المترجمان.

(٢) للتعرف على نشاطه الإسلامي في اليابان، انظر: الإسلام والأديان في اليابان، مكتبة الملك عبد العزيز العامة - المترجمان.

يجب أن يهتم المسئولون حقًّا بهذا الأمر، وبدعوة الدارسين المؤهلين لدراسة هذا الأمر، إنهم يركزون فقط على الدراسات التي تخدم الأغراض الاقتصادية لا غير، كما أنهم يركزون على العنصر الصيني المسمى «تشوكا مين كو كوجن» وهذا ليس بالمهم، كما أنهم يؤدون عملهم دون معرفة بالسياسة الحقيقية، فلا يعرفون ما هو مهم وما هو غير مهم، إن منشوريا مهمة جدًّا، وقد قمنا باحتلالها بعد جهود كبيرة، يجب أن نهتم بها جيداً.

العاشر من مارس

العاشر من مارس هو ذكرى يوم قوات المشاة، رفعت الأعلام اليابانية في كل مكان في مدينة داي رين، وكنت أظن أنه يوم إجازة بالنسبة لشركة مان تيتسو، لكنهم لم يأخذوا إجازة، قمت بزيارة السيد قربان علي مرة أخرى، فاليوم عطلة بالنسبة له، ورغم هذا فقد ذهب للعمل بالشركة...

وأنا أتساءل إذا كانت شركة مان تيتسو مملوكة لليابانيين، وإذا كانت تعمل بروح يابانية، فلماذا لم يفكروا في يوم مثل هذا اليوم أقصد يوم ذكرى قوات المشاة، فيحتفلون به، ويأخذون إجازة في هذا اليوم.

قضيت هذا اليوم في منشوريا.. يوم ذكرى قوات المشاة.. تأثرت كثيراً، لكنني كنت أفكر أيضًا في أولئك الناس الذين لقوا حتفهم في الحرب، أعتقد أنهم يجب أن يحتفلوا بمثل هذا اليوم، من أجل الإسلام، وليس من أجل إحياء ذكرى فقط، لأننا لا نزال نرى العلاقة بين اليابان وروسيا لم تتطور منذ ذلك الوقت، ولأنني أتذكر في هذا اليوم من ماتوا في الحرب، لذا أذهب إلى «هاكو كيو كو سن جو» حيث يوجد نصب تذكاري، كتبت عليه أشعار من نظم الشاعر «آؤ ياما»..

حين شاهدت هذا النصب التذكاري، وتحسست بأناملي حروف هذا الشعر

غلبت علي المشاعر والأحاسيس، وتأثرت كثيراً، فالشاعر «آؤ ياما» الآن رجل عجوز يعاني من المرض، تمنيت لو عادت إليه صحته !! زارني في الليل السيد «أكتاجاوا »(بجيم قاهرية)، واصطحبني إلى بيته، كانت هناك لوحة في الغرفة التي جلسنا فيها، لوحة كبيرة عليها نقوش كتابية بقلم خطاط صيني شهير، ومن الجدير بالذكر أن السيد/ أكتاجاوا يتقلد الآن منصب المدير التنفيذي في شركة مان تيتسو، كما أنه مطلع بشكل جيد على الوضع الاقتصادي في منشوريا، ولهذا فهو حزين جداً لأن كل شيء يتدهور، ووضع اليابان في المنطقة يمضي من سوء إلى أسوأ، والمستقبل بالنسبة لليابان هنا مظلم، وكأن كل الطرق مغلقة في وجه اليابان، وفي مقابل هذا الوضع السيئ من قبل اليابانيين فإن الصينيين يقومون بتطوير منطقة شمال الصين بطريقة أطيب..

لماذا لا تنافس اليابان الصينيين؟!

٢٥

سفر على غير هدى

غادرت داي رين في السادسة مساء، ركبت السفينة ووصلت في الساعة السادسة من صباح اليوم التالي إلى «إن دو» كنت قد اشتريت تذكرة سفر بالدرجة الثالثة لكني قدمت «بقشيشاً» قدره ٥٠ سين إلى أحد العمال، فأجلسني في كرسي في الدرجة الثانية.. هذه طريقة صينية، إنهم يتصفون بالمرونة، وهذا الأمر أقصد البقشيش موجود في جميع المعاملات في الصين، وأعتقد أن هذا الأمر أي البقشيش يمكن أن يصدق أيضاً على المعاهدات والاتفاقيات الديبلوماسية، ويمكن للمرء أن يدرك ذلك بعد أن يقيم هنا ثلاثة أيام على أكثر تقدير.

في حضن جبل«إن تو تو زن» وجدت مسجداً صغيراً، فصليت فيه، كما يوجد هنا مناطق يقطنها المسلمون، لذا لم أذهب من قبل إلى منطقة أبعد من سيه شومن

ناحية الشرق، يوجد هنا حوالي خمس عشرة أسرة مسلمة، ومن الملاحظ أن بعض الأفراد المسلمين يخدمون في الجيش أيضًا، والإمام هنا اسمه «تشو مين جين» (بجيم قاهرية)، ومن الملاحظ وجود قنصليات لمعظم البلاد في «إن دو».

مبنى القنصلية اليابانية مبنى كبير مثل «الفيلا»، وهو بالقرب من البحر، كما أنه قريب من التلال أيضًا، في الليل ذهبت إلى القنصلية، تلبية لدعوة القنصل «بيبّو».. وهنا يمكنني أن أشعر بالراحة في هذا الجو الياباني أكثر مما كنت عليه في داي رين أو هو تين.

أشعر أن اليابانيين تناسوا هذا المكان تقريبًا، أقصد تناسوا «إن دو».. وحتى مان تيتسو الشركة اليابانية ليس لها ممثل هنا في هذه المنطقة، ويصل عدد اليابانيين هنا نحو ٢٣٥ يابانيًّا، ولا توجد معاملات تجارية جيدة هنا، ولا توجد صناعة عدا صناعة خيوط النسيج التي تقوم بها شركة ميتسوي، وفي هذه المنطقة يلاحظ أن الأجانب الذين يقومون بالدعوة إلى الطاوية أو النصرانية يقومون أيضًا بأعمال تجارية جيدة، فبالإضافة إلى عملهم بالدعوة إلى عقائدهم يقومون بغزل الشباك التي تضعها النسوة فوق رءوسهن، وبغزل المفارش التي تزين الطاولات، أو يقومون بصناعة الخمور أو تجفيف العنب، وتحويله إلى زبيب، ومنهم الكثيرون الذين طوروا هذه الأعمال التجارية التي ازدهرت بين أتباعهم، فتطورت حياة كثير من الناس، ونتيجة لذلك تطورت المنتجات الصناعية أيضًا، وتطورت عجلة الصناعة فيساينان، ويلاحظ أن العلاقة بين «إن دو» والإرساليات الأجنبية الدعوية قوية جدًّا، مما زاد من نفوذهم أكثر فأكثر، ومثل هذا المكان أي «إن دو» مكان إستراتيجي ومهم جدًّا، يفرض على اليابان أن تهتم به...

تناولت الطعام مع السيد / ميزو نو والسيد /أو باتا، أكلنا السوكياكي(١)

(١) هو طبق مكون من شرائح اللحم الرقيقة تسلق في الماء - المترجمان.

وتبادلنا الكثير من الأحاديث عن الثورة الثالثة في الصين، وعن بعض الأمور الأخرى وعن الطبيعة، كما تحدثنا عن أحد تلاميذي ويدعى يوريكي زن، الذي كان جنرالاً في الجيش، وقام بعمل تكتيك مبتكر، وبعد نجاحه حقق ما كان يحلم به في حياته..

بعد العشاء ركبت عربة أو حافلة عامة يركبها ثمانية ركاب، دفعت ١٣ جينًا(بجيم قاهرية) و٢ كاكو، كنت أشاهد عربات كثيرة بألوان متباينة صفراء وسوداء وخضراء، كانت تسير بسرعة فائقة، كنا نمضي بمحاذاة البحر بينما نشاهد الجبال من الناحية الأخرى..

لا يمكن حتى للإمبراطور السابق أن يتخيل كيف صارت الأمور أسهل كثيراً هذه الأيام مما كانت عليه من قبل، كان سائقو السيارات لديهم خبرة مهنية عالية بعملهم، وتعد هذه المنطقة لقربها من البحر ميناءً عسكريًّا، استخدمه اليابانيون وغيرهم.

بعد شهر تقريباً يمكن أن أرى هنا ظاهرة السراب، لكن لسوء الحظ يجب أن أغادر..

كانت العربة تمضي بسرعة متجهة إلى «ريو كو» وهي المنطقة التي احتلها اليابانيون في صيف سنة ٣ تايشو.. لكن الجو الآن هادئ.. وأنا اليوم أتذكر تلك الأيام، وكيف كان القتال يدور هنا، ولهذا أشعر بأن السياسيين اليابانيين ليست لديهم رؤية مستقبلية جيدة.. أشعر بأن عليهم أن يبذلوا جهداً أكبر من أجل وطني.

أحد ركاب العربة التي كنت أركبها كان يغطي وجهه كما لو كان شخصًا يداري على طعامه الم يكن يتكلم مع أحد، وطول الوقت كان مشيحًا بوجهه عن الناس، والآن اكتشفت أن هذا الرجل مصاب بالجدري، شعرت بالتقزز، لكن هذا لا يعني شيئًا بالنسبة لرحلتي، ورغم أنني كنت أجلس بجواره لكنني لم أشعر أبداً بالخوف من أن يصيبني مرضه هذا !!

٢٦

ونزلت في الفندق نفسه!

نزلت من الحافلة (العربة العامة) عندشؤوي كين، استغرقت الرحلة تسع ساعات، ذات يوم حاولت زيارة أحد القصور الملكية لأحد الأباطرة، لكني عرفت أنه تحول إلى معسكر لقوات الجيش، فأسفت على هذا الأمر، وأردت أن أزور مسقط رأس الأديب «تيه شين تو» لكن هذا سيستغرق وقتًا طويلاً، وحين فكرت أن الأمر لا يهمني كثيراً ألغيت الفكرة، ولهذا أخذت القطار إلى ساينان على الفور ودون تردد.

اشتريت كالعادة تذكرة للسفر بالدرجة الثالثة، كان القطار تابعًا لشركة مان تيتسو، ولهذا فالدرجة الثالثة فيه أطيب من الدرجة الثانية في بقية القطارات الصينية، لكنه من ناحية أخرى غير مريح و غير عملي للصينيين الذين يحملون أمتعة كثيرة..

هذه «سوي كين» مدينة الجياد، بينما «سيه شيو» مدينة الدراجات ذات العجلة الواحدة، و«ساينان» مدينة «الركشا»(١).

نزلت في فندق صغير، الليلة فيه بعشرة «مون»، رخيص جداً، ولهذا لا يمكن أن أشكو من أي شيء! كنت أشعر بالبرد الشديد طول الليل.

صباح يوم الثالث عشر من مارس، مر شهر بالتمام والكمال منذ غادرت المكان، إذا أردت أن أكتب تفاصيل ما حدث لي، وما مر بي من عجائب وغرائب، وما عانيت من أمور مؤلمة، وما شاهدته من أشياء غامضة، وأيضًا ما شعرت به من متاعب لا يمكنني الإفصاح عنها، فإن الوقت لن يكفي لذلك...

(١) هي العربة التي يجرها الإنسان – المترجمان.

أنا الآن في «سيه شو» التي تقع في منطقة الشرق الأقصى البعيدة عن مكة المكرمة، مركز الإسلام، وأنا الآن في مسجد «تو سيه شين جي»، أصلي وأدعو الله أن يجعل رحلتي آمنة، وأن يجعل سفري سالماً من كل سوء.

تكثر في هذه المدينة المعابد والآثار القديمة، بالقرب من المسجد الذي أصلي فيه يوجد مسجد قديم تابع لأهل السنة، ذهبت إليه، والتقيت بإمام المسجد، وتحدثنا عن طريقة الكتابة الصينية، ثم حضرت درسًا في «الكتّاب» التابع للمدرسة، وقدمت للتلاميذ بعض الهبات صدقة.

حاولت بعد ذلك التجول في المدينة، مستخدمًا دراجة ذات عجلة واحدة، فزرت بقايا القلعة، وبعدها ركبت القطار إلى ساينان.

عانيت من التعب والمرض، فانتقلت إلى فندق ياباني لليلة واحدة، وهناك رقدت على التتامي[1] بالأمس دفعت عشرة مون في الليلة، لكنني الليلة سأدفع مرغمًا ٦ جين (بجيم قاهرية)[2]؛كم أنا غبي !!

إن الموظفين اليابانيين الحكوميين أو رجال الأعمال اليابانيين يدفعون هذه الأجرة الغالية كل يوم، ولا يشعرون بعد ذلك بالمجتمع الصيني على الإطلاق، ولا يعرفون عنه شيئاً البتة، وبينما هم يعيشون وسط هذا المجتمع هنا في الصين، يعودون دون معرفة شيء عن هذا المجتمع..

لقد دفعت في غضون شهر كامل أقل من ٢٠٠ ين فقط تكلفة لجميع النفقات!!

استلمت كتابًا من «آن تشي هو» بعنوان «العلاقة بين الشنتو والتعليم

(١) الحصير الياباني- المترجمان.

(٢) الجين ١٠٠ مون- المترجمان.

الياباني »، تسلمت في الحقيقة مئة نسخة من هذا الكتاب، فانشغلت بتوزيعها على أصدقائي، ومرة أخرى عدت إلى بيتي الواقع بجوار المسجد، عندئذٍ قدم إليّ الإمام والأصدقاء الآخرون، فانشغلنا بالحديث عن رحلتي.

خلال الرحلة رافقني أحد تلامذتي ويدعى « شو جينبا »(بجيم قاهرية)، وهو في الثلاثين من عمره، ولم يسبق له أن رأى في حياته غير منطقة ساينان، وهو لا يدري شيئًا عن الحياة والمجتمع، فهو لا يزال شابًّا! فكان الوضع كما لو كنت أنا مساعده أو سكرتيره وليس العكس، وبسببه واجهتني بعض المتاعب أحيانًا، ورغم كل هذا فهو تلميذ مخلص وبريء، قلبه طاهر وشفاف، لم أقابل شابًّا في مثل نقائه، لقد علمته، ودربته ليل نهار خلال سفري، والآن لم يعد طفلاً أو شابًّا صغيراً.

١٨ مارس سنة ١٣ تايشو داخل بيتي في ساينان.

٢٧

بوادر الربيع

حين يكون الجو بارداً، يمكننا التغلب على البرودة، وحين يكون الجو حارًّا سوف نتحمل الحرارة، وهذا يعني أننا يمكن أن نعيش مهما كان الجو..

عشت ثلاثين يومًا في جو من البرودة الشديدة، وكنت أسافر في تلك الأيام إلى أبرد الأماكن، وحين رجعت إلى نفس المكان الذي بدأت منه تجوالي رأيت أن الربيع حل بالمكان، وشاهدت بوادر الربيع من حولي..

لو فكرنا في الفصول طبقًا للتقويم الصيني، وجدناه أي التقويم الصيني يمضي تمامًا مع تغير الفصول الأربعة، فمن اليوم الذي يكون فيه النهار قصيرًا جدًّا في الشتاء، بعدها لو حسبنا ٨١ يومًا، عندئذٍ يذوب الجليد، ويتحرك الذباب المختبئ

خلف سقف الغرف، وتخرج الثعابين من جحورها... وهكذا مع نسمات الربيع لم أعد بحاجة إلى سخان، ويمكن أن أشاهد في حديقة بيتي الصغير براعم الزهور تنبت استعداداً لتتفتح، والطيور تنتشي تستعد لموسم التزاوج، ومن هنا بدأت تغرد وتصدح وتشقشق، وتصدر أعذب الألحان.. وعلى الرغم من هذا فنحن في الشهر الثامن من التقويم (الهجري) الإسلامي، وهو شهر شعبان، وفي هذا الشهر يبدأ المسلمون في إعداد العدة لشهر الصوم التالي، وهو رمضان، وقد مر خمسة عشر يومًا على رؤيتنا لهلال شعبان، وهذه الليلة هي ليلة النصف من شعبان، ويسمونها هنا «شب برات»(1)، يحتفل بها المسلمون، فيقرأون القرآن الكريم، وهم يقومون بهذا منذ أسبوع تقريبًا، فتقوم كل أسرة بدعوة الإمام إلى بيتها، فهم يريدون أن يكفروا عن ذنوبهم، ويطلبوا العفو والمغفرة بالإكثار من تلاوة القرآن..

كان ضوء القمر في ليلة ربيعية دافئة ممتعًا وشاعريًا، لقد أثارني كثيراً هذا المنظر، وبخاصة حين كنت أسمع الأدعية بالعربية، في ليلة النصف من شعبان، كم تأثرت بهذا، لا أستطيع أن أعبر عن أحاسيسي تلك مهما كتبت.!

لقد قمت أيضًا بدعوة الإمام «سو» إلى بيتي لقراءة القرآن، ودعوت أيضًا ثلاثة من التلاميذ، وقمنا جميعًا بقراءة القرآن، وفي اليوم التالي، وفي يوم السابع عشر من شهر شعبان الموافق ليوم الحادي والعشرين من شهر مارس من التقويم النصراني، وهو يوم الاعتدال الربيعي، وهو يوم مهم أيضًا بالنسبة للبوذيين، ففيه تستقبل الأرواح، وقد وافق هذا اليوم في هذه السنة يوم الجمعة! لذا صلينا معًا، وفي الليل وفي وقت العشاء استمر الاحتفال بليلة النصف من شعبان، إذ صلينا صلاة خاصة، صلاة مهمة ولها معنى، لكل بلد ولكل دين، ولهذا أشعر بأهمية هذا اليوم، فالجميع يحتفلون به، كل على طريقته. صلينا صلاة العشاء الفرض والسنة والوتر،

(1) أي ليلة البراءة من الذنوب والتوبة وطلب المغفرة من الله - المترجمان.

وصلينا ركعات أخرى تهجداً.. صلينا ٢٤ ركعة، صلينا جميعًا، ودعونا الله أن يغفر لنا ذنوبنا، وأن يمنحنا قوة الإيمان، وأن يقبل صلاتنا ويمنحنا الصحة والعافية.

كان هذا الأسبوع بالنسبة للشيوخ والأئمة أسبوعًا مشحونًا بالعمل، لأنه حتى الناس الذين لا ينتظمون في الصلاة في المسجد في هذا اليوم، كانوا يريدون دعوة الشيخ إلى بيوتهم، ويريدون أن يصلي بهم الشيخ في بيوتهم، ومعظم هؤلاء الناس من الأثرياء، ولهذا ينال معظم الأئمة والشيوخ الهبات والصدقات والتبرعات من مثل هؤلاء الأثرياء، وحتى الفقراء من الناس يتجمعون معًا ويقومون بدعوة الشيوخ، ويجمعون ما يقدرون عليه من الهبات، لتقديمها للشيوخ والأئمة.

في مسجدنا استقبلنا مسلمين من الهند، قدما من منطقة شنغهاي، كانا يريدان قضاء ليلة واحدة معنا، أحدهما في الخامسة والأربعين من عمره، والثاني في الخامسة والعشرين من عمره، ونتيجة للقتال في أوربا ! أجبرا على الذهاب إلى الحرب بأوامر البريطانيين، ذكر الشاب أنه أصيب بطلقة من بندقية، فأصيب بجرح أراني أثره على ذراعه، لديهما جوازات سفر من الإدارة في شنغهاي، وهما يريدان العودة إلى وطنهما، لكنهما لا يملكان أجرة العودة، ولهذا فهما يريدان صدقة، ولما كانا مسلمين فقد تناقشنا وخططنا لمساعدتهما للوصول حتى « تين شين » بأي شكل من الأشكال، وفي « تين شين » يوجد مسلمون هنود كثيرون ويوجد مسلمون صينيون، وسوف يتعاطفون معهم، وربما ساعدوهم للوصول إلى ديارهم.

هناك تقليد بين المسلمين، وهو مساعدة من هو في ضيق منهم، وهذا سلوك طبيعي بين جماعة المسلمين.

بالقرب من بيتي يوجد مركز يسمى « ساينان دو إن » لم يسبق لي أن زرته، لأنني كنت مشغولاً حتى الآن،ولهذا قررت زيارة هذا (المعهد) أو المركز مع « يون سان سيه » وكان صديقاً لمدير المركز، ولهذا كان من السهل زيارة هذا (المعهد)،

المركز والتعرف عليه بشكل جيد.

أمكنني أن أشاهد اسم مؤسس هذا (المعهد) وهو «ديه جوتشي» (بجيم قاهرية).

لكن ما هذا (المعهد) المسمى ساينان دو إن ؟!..يقال إنه مركز للتدريب، التدريب على الجلوس بهدوء وسكينة في صمت، أما التدريب خارج المعهد، فيكون من خلال مزاولة نشاطات خيرية.

أما التدريب الداخلي في المركز، فيكون بالجلوس في صمت، أي أنهم يجلسون صامتين، يستجلبون في أذهانهم جو وجود الله، وهذه الفكرة تأتي من عقيدة «تشين كون كيشيين» الصينية والإله الذي يؤمنون به يسمى «فرو آن»، ويقال إن فكرة هذا الإله لها علاقة مع آلهة ديانات خمس هي: الإسلام والكونفوشية والنصرانية واليهودية والشنتو، ويعتقدون بأن هذا الإله هو أصل كل شيء، ومنه خلق كل شيء، ويوجد صنم لهذا الإله، يصلون له، وهم يقدسون أيضًا أشكال الحروف التي تتضمن كل ما كتبه المبدعون الفلاسفة بما فيهم كونفوشيوس وبوذا والشاعر الصيني «ري هاك» وغيرهم.

وعلى كل حال فهم يحاولون أن يأخذوا من كل شيء كل ما هو طيب، وهذه هي الفكرة الأساسية وراء إنشاء هذا المركز.

وممثل هذا المعهد أو المركز الآن هو «جو سو إتشي» ومنذ افتتاح هذا المركز في ساينان، تشكلت منظمة عالمية لتبليغ أفكار هذا المركز، وإرسال الدعاة المتطوعين، ومن الجدير بالذكر أن وزير خارجية الصين يقدر هذا المركز ويثمنه بسبب نشاطات العاملين فيه وأفكارهم الرئيسية، والمركز نفسه مفتوح للجميع، وليس هناك أسرار، ولهذا أمكنني أن أرى كل شيء فيه، وأمكنني أن أسأل عن كل ما خطر في بالي من استفسارات.

إن طريقة إدارة هذا المركز تجعلني أدرك بأن هناك نوعًا من الانتشار لأفكاره في الصين، سيحدث في المستقبل القريب، وأعتقد أيضًا أنه بالنسبة لبعض اليابانيين، قد تكون هذه الأفكار مقبولة لديهم، رغم أنها قائمة أساسًا على الأفكار الصينية، إلا أنه يمكنهم تقبلها.

إن وجود هذا المركز يعد ظاهرة تثير الدهشة، وأخشى بحديثي هذا أن أوصف بأنني أدافع عن مثل هذا المركز، لكنني أقول بصراحة إنني لا أريد أن أزور هذا المكان مرة أخرى.!

٢٨

الذهاب إلى الجنوب

الساعة الرابعة من فجر يوم ٢٨ مارس

استيقظت من النوم ثم توضأت وصليت الفجر..

اليوم هو يوم الجمعة لهذا قررت أن أتجه جنوبًا.. بعد أن رجعت من سفري السابق كنت أقضي وقتي في هدوء لمدة نصف شهر، وقد تمتعت بجو الربيع الجميل، أما الآن فيجب عليّ أن أتحرك ثانية.

في وقت الظهر صليت صلاة الجمعة في المسجد، ألقى الإمام «كيتن هين دو»[1] خطبة الجمعة، وهو في حوالي الثانية والثمانين من عمره، وهو يؤم الصلوات الخمس يوميًّا، كما يدرس لتلاميذه أيضاً، ولهذا لا يبدو أنه عجوز، كان سماع تلاوة القرآن الكريم على لسانه يثير مشاعري كثيراً، ويدغدغ أحاسيسي، فلم أتمالك نفسي، وانهمرت الدموع من عيني، وأخذت أبكي.

---

(١) كتبت في الأصل كلمة إمام بالعربية بدلاً من أهون التي اعتاد المؤلف أن يكتبها قبل الاسم عادة ـ المترجمان.

بعد الصلاة قام الإمام «سو» بإلقاء كلمة في الناس، قال فيها :

«الياباني – الأستاذ تناكا – سوف يرحل اليوم إلى جزيرة العرب، وعلى كل واحد منا أن يودعه، متمنياً له رحلة طيبة، وأن يدعو له، ويبارك له حجه مقدمًا».

قدم حوالي ٢٠ طالبًا من جامعة «طويو Toyo» للسياحة في المنطقة الشمالية للصين، كان يرافقهم البروفسر «كان زاكي» والبروفسر «هياشي»، وحين التقيت بهم حدثتهم عن الإسلام، وبخاصة تحدثت مع الطلاب (دون الأساتذة) قلت لهم أن يفعلوا شيئاً من أجل اليابان، ربما كانت كلماتي قوية وحادة بالنسبة لهم.

قبيل مغادرتي التقيت بالطلاب اليابانيين، ومن بينهم بعض من يريدون أن يكونوا ـ في المستقبل ـ باحثين في مجال الأديان، فهذه ظاهرة طيبة، لكنني أشعر مع هذا بأن رحلتي هذه ليست سهلة.!

خرج الناس من مسجد «نان داي جي»، ومن مسجد «هو كو داي جي»، ومن مسجد «ساي داي جي».. نحو مئتي مسلم جاءوا عندي لوداعي، قمنا بتحية بعضنا فقلنا :السلام عليكم.. لم أشاهد من بين من قدموا لوداعي يابانيًا واحداً! ورغم هذا أدركت مدى قوة عاطفة هؤلاء الناس، وتفهمت صدق مشاعر هؤلاء الناس، تلك العاطفة التي دفعتهم للقدوم جميعًا لوداع ياباني ليس من جنسهم.

أنا الآن مسلم بحق، مسلم بمعنى الكلمة، مسلم كامل، وتلميذ لشيخ محترم، وأنا أيضًا أؤمن تمامًا بمحمد رسول الله ﷺ، وأؤمن بالله الواحد الذي لا شريك له، وأريد أن يكون طريقي في سبيل الله..

اليوم خامرني إحساس، جعلني أرى النور الذي يضيء لي طريقي.. لا أشك أبداً في أن رحلتي هذه سوف تمضي على خير، وهكذا تركت نفسي تهيم، ومضيت مثل سحابة بيضاء تمضي مع الريح..

٢٩

الإيمان يجعل رحلتي أكثر أماناً

قبل مغادرتي كنت أجلسي في بيتي وحيداً، جاءت طيور تحلق من فوقي، ثم وقفت على غصن شجرة في الحديقة، عندها تذكرت قول القدماء: «الغصن يجعل الحياة أكثر أمنًا».

أغلقت بيتي، وأقمت ليلة واحدة في فندق ياباني، وفي هذا الفندق، ولأول مرة بعد عودتي من السفر، شاهدت امرأة يابانية، كانت تقضم «التكوان»(١) الياباني بصوت مسموع.

تناولت «الميسو»(٢) والأرز، وأنا أجلس على «التتامي»، مربعًا رجلي، هذه المرة شعرت بأنني ما زلت يابانيًّا، في هذا الصباح اكتشفت أن أحد أصدقائي وهو السيد / واتانابيه قد مات.

منذ سنتين تقريبًا دار بيننا نقاش عن مشكلة الإسلام ومستقبل آسيا، وقد تكلم عن مشكلة الصينيين، وبخاصة محاولة فتح (تنوير) عقول الأجناس المختلفة في آسيا، كنا نتوافق في الرأي، حين سمع عن نيتي في هذا السفر، أراد أن يقدم لي بعض النقود، الآن أتذكر عباراته التي قالها لي، وأحترم مشاعره وأقدرها..

وهكذا بدأت أتذكره..وأتذكر أيضًا المرحوم السيد / كروكي، والسيد / ميشيما، والسيد / جينبو، فجميعهم ماتوا على غير توقع، وبخاصة السيد / البروفسر جينبو، فقد كان بالنسبة لي باحثًا قديراً، وكان متبحراً في علم الرياضيات، وقد تعلمت منه الكثير، أما السيد / كروكي فكان خبيراً في الخط

(١) الفجل المخلل مثل الطرشي - المترجمان.

(٢) الشوربة (الحساء) اليابانية المصنوعة من فول الصويا - المترجمان.

الياباني، ونال إعجاب الجميع، والسيد / ميشيما شخصية طيبة يتصف بالتسامح مع الجميع، لذا يذكره الجميع بالخير.. كلهم ماتوا.. ماتوا فجأة لكن قبل أن أبدأ رحلتي أجد نفسي أتذكر هؤلاء، وأتمنى أن تمضي رحلتي على درب الإيمان بالله.

٢٩ مارس في فندق تسو رويا في ساينان.

٣٠

الانشغال رغم عدم وجود ما يشغل الإنسان

سمعت أن الدكتور زوي كين سوف يأتي إلى ساينان قادمًا من نان كين، ولهذا أعددت العدة لاستقباله في ١٣ مارس في الساعة الثانية صباحًا، وقد قدم لاستقباله أيضًا السيد / كاتاجيري (بجيم قاهرية) من القنصلية اليابانية، وكانت معه سيارة فأخذناه إلى فندق« تسو رو يا »، ودار بيننا حديث استمر حتى طلوع الصباح، والدكتور «زوي كين» أصلاً هو الشخص المعروف باسم «هاتّوري أونو كيئيتشي»(١).

كان الدكتور المذكور قد ألقى محاضرة في نان كين عن الدراسات الصينية الأكاديمية، وقد شدت المحاضرة انتباه الكثيرين ونالت ترحيبًا شديدًا، وبعدها جاء الدكتور زوي كين إلى ساينان، ونحن نرى أن الشخص الذي سيكون مسئولاً عن الملحقية الثقافية التابعة للخارجية يجب أن يكون دارسًا أو باحثًا أو ينتمي إلى الحقل الأكاديمي، فنحن نتوقع لمثله (أي الدكتور زوي كين) مستقبلاً عظيمًا، كما أننا نأمل في تشكيل هيئة أو منظمة على مستوى طيب من أجل دراسة الحضارة الشرقية، إلا أن لكل إنسان رأيه الخاص فيما يتعلق بمثل هذه الهيئة أو المنظمة، لكن يجب الاتفاق على الأسس التي من أجلها تقام، وقد أكدت مرارًا على هذا

---

(١) وهو ياباني تسمى باسم صيني- المترجمان.

الأمر منذ فترة طويلة، وقد أكدت على ما كنت أكرر التأكيد عليه خلال حديثي مع الدكتور الذي سمع عن مركز الديانة التي سبق ذكره، وقد سمع عنه من القنصل هياشيديه، وساوره شعور ما تجاه هذا المركز، وذكر أن القنصل هياشيديه كان موضع ثقة من قبل المركز الموجود في نانكين، ومثل هذه العلاقة (بين اليابان والمركز) يجب أن تكون أعمق وأقوى.

لقد تحدثت عن هذا المركز من قبل، وعلى كل حال يجب أن نأخذ منه ما هو طيب فقط، ونستفيد منه، والدارسون الصينيون يجب أن يهتموا بمثل هذا المركز أكثر فأكثر، ويجب أن يدرسوا بجد ما يتعلق به، أنا لا أساند هذا المركز، كما أنني لا أؤمن بما يدعو إليه من أفكار ومعتقدات، لكنني من ناحية أخرى لا أعارض ما يقوم به المركز من نشاطات.

يمكن أن نرى في الصين حاليًّا مثيلاً لهذا المركز أو مثيلاً لما قد يوجد من منظمات أو هيئات شبيهة به، ويمكننا أن نرى المجتمع الصيني والشخصية الصينية من خلال مثل هذه المراكز والمنظمات الكونفوشية وما شابهها، إذ لا توجد ديانة واحدة في الصين.

إن ما أعنيه هو أن يزور الدكتور هذا المركز في أول يوم يصل فيه إلى ساينان. على كل حال بعد زيارته للمركز قمنا جميعًا بزيارة مكتبة المقاطعة، وشاهدنا مخازن الكتب في المكتبة.. وبعدها ذهب كل منا إلى حال سبيله!

ابنة الدكتور الكبرى صارت زوجة الحاكم «باب» والابنة الثانية هي الآن زوجة محافظ منطقة شونان[١]، والدكتور يهتم بأمور الناس الآخرين بطريقة طيبة، كنت من قبل تلميذاً له، ومنذ ذلك الوقت ما زلت أشعر أنني تلميذه رغم مرور كل

(١) منطقة قريبة من يوكوهاما - المترجمان.

هذه السنوات الطوال، وهكذا فبعد سنوات عديدة شاء القدر أن التقي به في إحدى مناطق الصين، وأتعجب هل اليوم الذي قضيته معه كان أكثر أوقاتي انشغالاً، بينما لم يكن لدي ما أفعله، أم أنه كان أكثر أوقاتي فراغًا في وقت كنت فيه مشغولاً جداًّ!!

لا أدري..

آمل أن يحاول الدكتور أكثر فأكثر تطوير ملامح الثقافة الشرقية التي تشكلت حديثًا..

٣١

البحث عن الربيع في كونان

وصل الدكتور «زوي كين» إلى ساينان قادمًا من نان كين بقطار خاص، في الدرجة الأولى..

كان موعد تحرك القطار بنا هو الساعة السابعة وأربعون دقيقةمساء يوم الثلاثين من شهر مارس، لكنهم أعلنوا عن تأخر تحرك القطار مدة ساعتين ونصف الساعة، كان معي الإمام الشاب «ماكين شو».

تحدث في القطارات بالصين، وخاصة من ركاب الدرجة الثالثة أمور مثيرة، فأحيانا يأتي العسكر ليركبوا هذا القطار، ورغم أنهم ليسوا من أصحاب الرتب العالية، لكن ربما كان بعضهم مكلفًا بأداء عمل من أجل زوجة مرءوسه، فيركب الدرجة الأولى بدلاً من الدرجة الثالثة، رغم أنه قطع تذكرة الدرجة الثالثة.. هذا بالطبع غش فاضح، فضلاً عن أن سلوكهم يثير الاشمئزاز، لا أحب سلوكهم هذا أبداً، وأظن لو أنهم ركبوا الدرجة التي اشتروا تذاكرهم عليها، لأمكنني أن أتحدث معهم بود.

طلعت الشمس حين وصلنا إلى محطة «ريني جو»، وهنا تذكرت حادثة حدثت من قبل، وكان سببها السيد «سؤو» وحين أتذكر كيف حدث ما حدث منه، يسيطر عليّ شعور بالراحة أو يغلب عليّ الضحك، كل هذا مجتمعًا مع مشاعر أخرى متضاربة، إن ما يجب أن يتعلمه الناس قد بدا جليًّا أمام دولة متحضرة، فرغم أن القطار جديد ونظيف، لكن حوالي عشرين من العسكر كانوا موجودين بداخله، وهم يحملون البنادق، ولم يكن هذا مريحًا بالنسبة لبقية الركاب، ورغم كل هذا كنت أتمتع بمشاهدة مناظر الطبيعة من نافذة القطار..

كنت أشاهد النهر، ينساب، والحقول تعلو وتهبط كأنها تلال تتنفس، وبعد ٢٤ ساعة على مغادرتنا ساينان عبرنا نهر «تشوكو» وبعدها وصلنا إلى «كاسيه كي» فنزلت في فندق صغير، كان الجو ربيعًا، وكانت السماء تمطر رذاذًا خفيفًا، كان الجو ممتعًا يوحي بالشاعرية.. وجدت زهرة وضعت على الطاولة في حجرتي، فشعرت برؤيتي لهذه الزهرة أننا في فصل الربيع.. واستغرقت في النوم!

٣٢

قراءة الفاتحة على قبر الأستاذ المربي ريوكاي كو

كتب الأستاذ ريوكاي كو[١] كتاباً بعنوان «انتشار الإسلام في الصين»، ولهذا فحين وصلت إلى نان كين كان أول ما أردت أن أفعله هو مشاهدة قبره، وهكذا صليت الظهر في مسجدطو جو طوريو، وأنا في طريقي إلى قبره مع الإمام تشي كين ميه والإمام ري ساي شون.

وصلنا إلى المقابر الموجودة بين غابة من أشجار البوص، تعرفنا على قبره بسرعة، فقبره كان مختلفًا عن بقية المقابر، فقد زرعوا أشجارًا حول قبره أحاطت به بشكل مربع، وهذه طريقة إسلامية متبعة هنا، كما كانت هناك لوحة كتب عليها :

(١) وينطق أيضاً ليو تشيه ليان– المترجمان.

هذا قبر المرحوم ريوكاي كو السنة التاسعة من عهد دوجي

(في السنة ٣٣ من عهد كوتشو تم ترميم هذا القبر)

وكانت هناك بعض الأشعار الصينية للشاعر هاكو جون سو، وإشارة إلى أن كين كيئين قام بترميم القبر ثانية، وذلك في السنة الثانية من عهد سنتو.

وقد بنى المسلم «ما هو كو شو» نصبًا تذكاريًا بجوار هذا القبر، كتب عليه بعض أشعار الأستاذ المربي ريوكاي كو.

حول هذا القبر توجد أشجار الصنوبر وأشجار البوص (البامبو)، ومن بعيد يمكن مشاهدةقلعة «كين ريو» كما يمكن رؤية نهر شوكو، وهذا كله يوحي بأن رجلاً عظيماً مات، ودفن في هذا المكان.

قرأنا الفاتحة جميعًا على روحه، ودعونا الله أن يسكنه فسيح جناته، ثم جلسنا على الأرض، وقرأنا بعض آيات القرآن الكريم، وحين انتهينا كانت الشمس قد آذنت بالمغيب ! كان المشهد بديعاً.. لا يمكن وصفه، ولا يمكن مقارنته بأي منظر آخر، بعد قليل بدأنا نتحرك، وفي الطريق أخذنا قسطًا من الراحة، ثم شربنا الشاي في مقهى مملوك لأحد المسلمين هنا.

توجد مقابر كثيرة حول قبر ريوكاي كو، وهي مقابر لأناس مشهورين، ورغم هذا فقبر ريوكاي كو هو القبر الوحيد الذي أعيد ترميمه أكثر من مرة، لم يلتفت أحد إلى المقابر الأخرى.. يا له من عار !! يا للأسف فمعظم هؤلاء المشهورين قد نسيهم الناس، صاروا نسيًا منسيًّا، لكن روح ريوكاي كو لا تزال حية بين الناس المعجبين به، الذين يحترمونه كما لو كنا نحترم الرسول محمد ﷺ ! فهم يتذكرون منجزات الأستاذ ريو كاي كو ، ولا شك في أننا نشعر حين نتذكره بأن إيماننا سوف يقوى.

وقد شاهدت أشعاراً كتبت على نصب تذكاري آخر من أجل ريوكاي كو، وقد تم بناء النصب في السنة الثانية عشرة بعد تأسيس الصين الحديثة![1] والشعر مكتوب باللغة الصينية.

٣٣

كوخ سو يورو في منطقة سيه ريو زن

بجوار سور القلعة شاهدت منظر تلال مثل سنام الجمل، وعند أقدام تل من التلال يوجد معبد «سيه ريو زن» الذي تتولى شئونه الآن إحدى الراهبات، وفي أعلى التل هناك كوخ صغيريسمي سو يو رو، وهذا مكان مشهور بمنظره الطبيعي الجميل، وفي الناحية الأخرى يوجد المكان الذي عاش فيه الأستاذ ريوكاي كو، عاش ودرس نحو عشر سنوات، بعد زيارتي لقبره وصلت هنا.. حيث توجد مختلف مناظر الطبيعة، تحيط بك الأزهار، التي تتفتح في كل حين، والطيور تغرد على الأغصان أعذب الألحان، بينما براعم ثمار الفاكهة تتساقط، تعلن عن انتهاء دورها في ظهور الثمرة، هذا مكان رائع، يتناسب لأتذكر شخص عظيم، رحل عن هذه الدنيا.

بالقرب من هذه المنطقة توجد بحيرة «سو شيو كو» وعبر هذه البحيرة يمكن أن نلمح من بعيد قلعة نان كين، ومن بعيد جداً جداً يظهر لنا نهر «تشوكو».

أشعر الآن وأنا في أحضان الطبيعة بالحنين إلى الماضي وذكرياته، وأود أن أكتشف نفسي على حقيقتها وسط هذه الطبيعة التي أبدعها الخالق.

منذ خمس سنوات، وفي فصل الربيع حدثت حركة قام بها العسكر في مقاطعة «أون نان»، وقد شاركت بنفسي في هذه الحركة، وكان الأمر خطيراً جداً، فقد

(١) هكذا في الأصل– المترجمان.

وضعت نفسي موضع الهلاك،وها أنا الآن هنا مرة أخرى ، أقيم بالقرب من البحيرة في هدوء وأمان، لكن ذكرى ما حدث في تلك الأيام من مشاهد تتراءى لي . . كانت المياه وسط البحيرة ساكنة تمامًا، ولا توجد حركة أشاهدها سوى حركة مياه نهر تشوكو التي تصب في البحيرة، وتنساب في هدوء عجيب . . آه ! الحياة مثل قطع الشطرنج ![1].

بعد ظهر أحد الأيام دعاني شيخ عجوز من هذه المنطقة يدعى « ما يون كين » إلى بيته، فزرته وسمعت منه أحاديث عن حياة الناس في « نانكين »، وزرنا معًا المسجد في هذه الناحية، وصلينا معًا، ذكر أنه ذات مرة خلال عصر « مين » كان من المحظور بناء أي مبنى يزيد ارتفاعه على طابق واحد، ولهذا فالمساجد هنا كلها بنيت بحيث لا ترتفع أكثر من طابق واحد، أشعر بأن هذه المساجد التي لا يزيد ارتفاعها على ارتفاع طابق واحد غريبة جدًّا.

بعد وفاة ريوكاي كو لم يظهر في هذه المنطقة أي باحث عظيم ، وأعتقد أن السبب يرجع إلى أن مناخ هذه المنطقة معتدل ورطب، يجعل الناس يتكاسلون أو يمتنعون غن العمل الشاق، كما أنه من المحظور هنا تكوين أو تشكيل أي نوع من التنظيمات أو الهيئات ، ولهذا اضطر هؤلاء المسلمون إلى بناء مساجد صغيرة جدًّا، حتى لا يقعوا في المحظور، وهكذا لم يعد المسلمون في نانكين يهتمون بالتحالف معًا أو إقامة تجمعات تضمهم معا، ومن الجدير بالذكر أن لديهم هذه الأيام ٣٦ مسجداً، إلا أن جميع أئمة المساجد يأتون من المناطق الأخرى، وليسوا من أهل هذه المنطقة .

---

(١) كثيراً ما يذكر المؤلف عبارات متتالية غير مترابطة ترد على ذهنه وتحمل معان يصعب فهمها لأنها تشير إلى وقائع وأحداث مرت به لم يفصّل الحديث عنها أو لم يذكرها أصلاً – المترجمان .

حين أحلل الوضع في الصين من خلال وضع المسلمين فإن من يريد أن يحكم البلاد لا يزال يعتمد على القوة البشرية للمنطقة الشمالية، وحين أفكر في الموقف التاريخي خلال عهد «سو» وعهد «مين» أعرف السبب.. لماذا لا تكون بكين هي عاصمة الصين العظمى ؟!

إن جو الربيع في منطقة كونان جو معتدل وجميل يجعل الإنسان دائمًا يشعر بالإغفاء.. والنوم.. لكنني أفضل أن أقف فوق جبل «تاي زن» حيث الجو الجاف، بدلاً من أكون هنا..!

٣٤

منظر منطقة شنغهاي

يعيش المسلمون في نانكين حول القلعة الغربية «ساي جو»، ولهذا سأختار المكان الذي سأنزل فيه بالقرب من المنطقة التي يعيش فيها المسلمون، ولهذا السبب اخترت «شنغهاي» وأنا الآن في أكثر المناطق ازدحامًا في شنغهاي، أسمع صوت الضجيج، بينما أجلس أمام طاولة.. أحاول أن أنظم بعض الأشعار اليابانية!!

في صباح اليوم التالي، وفي ساعات مبكرة ذهبت إلى «بيت الشاي» وهو مقهى واسع جدًا، يمكن أن يستوعب خمس مئة شخص في وقت واحد، ويجتمع الناس هناك لاحتساء الشاي، وهو اجتماع كبير ينظمه المسلمون، أشاهد بعض المسلمين من منطقة «كافير».

من الجدير بالذكر أن المسلمين لا يفدون على أي مطعم إلا إذا كان مملوكًا لمسلم مثلهم، وهم هنا لا يقدمون الشاي فقط بل يقدمون بعض الطعام مع الشاي، يقدمون فطائر الخبز باللحم، وفطائر الخبز المحشوة بالفاصوليا الحلوة، ويقدمون «أوطوف» – عجين فول الصويا الجاف[١]؛ كما يقدمون أيضًا المعكرونة الصينية،

---

(١) وهو شبيه بالجبن مع اختلاف الطعم – المترجمان.

وهذه الأطعمة تقدم بين آونة وأخرى، فيستغرق تقديمها للزبائن وقتًا طويلاً، بينما يتناول الجميع الشاي، في جو جميل، وهكذا يقضي الإنسان وقتًا طيبًا.

من بين من شاهدتهم هنا رجل يبيع الصحف والسجائر واللب (لب البطيخ) وغير ذلك، كان يقدم الفوط المبللة بالماء الساخن بين وقت وآخر، شاهدت رجلاً يحمل قفصًا فيه طيور تغرد، يجلس بجوار قفصه، وعلى الحائط شاهدت لوحات كتبها خطاطون صينيون مشهورون، ويأتي معظم الناس إلى هذا المكان مصطحبين معهم أسرهم، ويمكنهم أن يمكثوا هنا أطول وقت ممكن، ويمكنهم أن يتحدثوا معاً، ويناقشوا أمور تجارتهم ومعاملاتهم معًا، كما يمكنهم التشاور أيضًا في موضوعات الخطبة والزواج والأمور العائلية، ومن بعد الظهر يأتي أحد المطربين المشهورين... أوه! دفعنا فقط لكل هذا عشرين سين لليوم بأكمله! ويمكننا أن نتمتع بكل شيء هنا طول هذا اليوم، وكان يمكنني رؤية عدد كبير من باعة زهور الأركيديا، والزهور البرية، ورؤية من يبيعون ألواح الحجارة المستخدمة للمقابر، ومن يبيعون المناظير المكبرة، والمسواك، وخردوات كثيرة متنوعة، ويجلس معظم الباعة على البوابة الرئيسية لبيت الشاي هذا.

كما توجد هنا قوارب كثيرة تقف في انتظار الزبائن، وبالقرب من بيت الشاي يوجد خمسون مكتبًا لتعليم من يرغب من الناس فن الخط الصيني.. كانت هذه المكاتب بالنسبة لي متعة، وقد جذبت اهتمامي بدرجة كبيرة، ويمكن أن تشاهدها اليوم جميع مقاطعات الصين تجذب الناس إلى تعلم فن الخط.

ذات ليلة دعاني القنصل «هياشي ديه» إلى بيته حيث تناولنا معًا طعام العشاء، كان شيئًا مفرحًا جدًا أن أتناول معه الطعام الياباني ونتحدث باللغة اليابانية، وبخاصة أن السيد / هياشي ديه كان ذات مرة في «شين را» وحاول هناك أن يعيش على الطريقة الصينية كلية، أعتقد أنه هو الشخص الياباني الوحيد من بين

بقية القناصل الذي لديه معرفة جيدة عن الصينيين.

كان موضوع الحديث في تلك الليلة عن المركز الديني الذي سبق أن ذكرته، والعقيدة التي يعلمها هذا المركز، والعلاقة التي تربط السيد هياشي ديه بالمركز المذكور، كان موضوع الحديث بالنسبة للآخرين المحيطين به موضوعًا جديداً، يجب أن نشعر بالسعادة والفرح إذا كان لدينا رجل مثله في الخارجية اليابانية.. استمر الحديث يدور بيننا لساعات في ليلة من ليالي الربيع..

يقع بيت القنصل الذي تناولنا فيه الطعام في أجمل بقعة في هذه المنطقة.. أخبرته بأنه محظوظ، فلديه راتب جيد جداً، ويتمتع بتسهيلات كثيرة، فضلاً عن أنه يعيش في هذا المكان الرائع الجميل.. إنها حياة سعيدة بحق!

المقر الرسمي للقنصل تحيط به الجبال والنهر، مكان رائع حقًا، وإذا شاهدنا العلم الياباني يرفرف من مكان عالٍ، عندهانشعر بقدر من السعادة لا يوصف!

بعد عودتي صليت ودعوت الله وشكرته على ما أنا فيه من سعادة وغبطة.

الرابع من أبريل يوم الجمعة، صليت صلاة الجمعة مع الإمام الشيخ " ما "، ونحن الآن مقبلون على شهر رمضان.. ربما بعد خمسة أيام!

زارني في الفندق كل من السكرتير الثاني في السفارة اليابانية السيد/ كوندو، والسيد/ آساهينا وهو يعمل أيضاً في السفارة (في وظيفة سكرتير ثانٍ)، تحدثنا في موضوعات مختلفة تتعلق بالأوضاع الحالية والظروف الراهنة في اليابان.

في الخامس من أبريل زرت مقابر المسلمين، وقرأت الفاتحة لأموات المسلمين، ثم غادرت شنغهاي إلى المكان التالي.

٥ أبريل سنة ١٣ تايشو في نانكين.

٣٥

لا توجد سفينة في نهر «كوجو»!

غادرت نانكين في صحبة الإمام الشاب ما كين شو، انطلقنا عبر الجبال والتلال، ووصلنا إلى جبل «ساي كا زن» حيث شاهدنا قمة الجبل، حيث دفن الأستاذ «أون كيو كو» وأيضًا الأستاذ «إين ريو هان» وهما من الشخصيات الشهيرة في المعارف العامة الخاصة بالإنسان، ولا يزال الناس يخلدون ذكراهم حتى اليوم، ويأتون هنا لوضع الشموع على قبريهما، ويتذكرون ما قدماه من خدمة في مجال العلم الإنساني.

ومن هذا المكان وصلنا إلى «شينكو»، وبعد منتصف النهار ركبنا السفينة متجهين إلى معبد «كين زين جي».

يقع معبد كين زين جي على قمة تل، وهو مبنى يتكون من سبعة طوابق على شكل برج، ومن قمته يمكن أن تشاهد المنظر الرائع لمنطقة «كو تين»، حين نزلت من قمة البرج، وتجولت لأشاهد المعبد من الداخل، وجدت ما بين ٧٠٠ إلى ٨٠٠ راهب، يرتدون جميعًا ملابس قطنية رمادية اللون، ويجلسون كما لو كانوا أحجارًا على حافة نهر، لاحظت أن من بينهم يابانيين اثنين .

أخبراني بأن منطقة شين كو هذه مكان رائع للنزهة والسياحة، لكنهما الآن في فترة تدريب، لا وقت لديهما للسياحة، قلت لهما: إذا حفظتما الكلمة الصينية «مو» بمعنى لا شيء، فإن هدفكم سوف يتحقق سريعًا(١) .

في الليل صليت العشاء في المسجد، الليلة يهل هلال شهر رمضان، ونهار رمضان يبدأ من الفجر، وهكذا يجب أن نصوم لمدة شهر، قاموا بتزيين المسجد بالفوانيس، وبالأنوار الجميلة، وفي أحد المساجد يعرضون الكتاب الأصلي الذي

(١) هذا يعني أنهم لا يجب أن يفكروا في شيء أبدًا غير ما هم فيه وبهذا يتحقق هدفهم-المترجمان.

كتبه ريوكاي كو بعنوان «تنبو شيسيه جيتسو روكو»[1]، ولهذا زرت هذا المسجد خصيصاً لأرى هذا الكتاب، وقد شاهدت أيضا بعض الكتب الإسلامية الأخرى هناك، وقد ذكروا أنهم سيطبعونها، لكن ليس لديهم إمام معتمد، ولهذا توقف العمل.

صارت العلاقة بين المسجد والمسلمين في منطقة كونان علاقة ضعيفة، وبعبارة أخرى يمكن أن أقول إن البوذية في هذه المنطقة أنشط من الإسلام.

نزلت في فندق صغير، لكنني لم أستطع النوم على الإطلاق، لأن في الفندق صالة للراقصين، وللمغنيين والباعة، ولهذا فهم يصدرون جلبة وصياحًا وضجيجًا طول الليل، فيقلقون مضاجع النائمين.

في وقت السحور قبيل الفجر، وفي مقهى «جين كورو طلبت الأوطوف»[2] الجاف مع الجنزبيل وكعك الأرز المحمر والشاي، وحين وضعت الطعام أمامي أخذت أتحدث مع رجل صيني يجلس بجواري، وتمتعت بمنظر تنفس الصباح على جانب النهر وقت الفجر.

حين غادرت بيت الشاي إلى الفندق، شاهدت امرأة فلاحة تسحب جوادًا، وتحمل سلة بها خضروات للبيع، كما لو كانت امرأة يابانية تسير في كيوتو في اليابان، فقد كنت أرى المنظر نفسه لامرأة يابانية تبيع الخضروات بالطريقة نفسها.

كنا نستعد للرحيل والذهاب إلى «سوشيو».

٣٦

الضابط الذي يهتم بالأزهار

في الطريق من تشين كو إلى سوشيو مررنا بمناظر طبيعية خلابة، كانت الألوان

---

(١) أي سيرة النبي ﷺ -المترجمان.

(٢) أي عجين الصويا الشبيه بالجبن شكلاً والذي يختلف عنه مذاقًا - المترجمان.

تتغير من منطقة لأخرى، ما بين خضرة الوادي، وصفرة أزهار اللفت الطليطلي، ولون أزهار حقول الكمثرى والخوخ، وبدا المسافرون في القطار جميعًا أناسًا مهذبين، حتى ركاب الدرجة الثالثة، لا يبدو عليهم مظهر طبقة العمال.. ركب القطار فجأة ثلاث نساء جميلات.. شد جمالهن الخلاب انتباه الجميع.. وظل القطار يمضي ينهب الأرض فوق القضبان.. بينما منظر الربيع الجميل يعطي الشعور بالسلام والأمان...

«يفكر الإنسان دائمًا
ما إذا كان يريد أن يكون غنيًّا
أو مشهوراً..
على كل حال لقد تمتعنا في كونان بالربيع
ومكثنا في المحيط الهادي في الصيف
ثم مضينا نمشي في منطقة سان تون في الخريف
وطالعنا الكتب أمام المدفأة في سيبريا في الشتاء
يمكنني أن أقول بصدق
إن هذه هي الحياة السعيدة للإنسان»(١) .

الآن تكونت لدي خبرات مفيدة أثناء رحلتي هذه، وأنا أشكر الله وأحمده على هذه النعمة، زرت القنصل هنا، كان يرتدي «الكيمونو» الياباني، رحب بي كثيراً، تحدثنا معًا... أصر على القول بأهمية منشوريا والنتائج السلبية لإغلاق منطقة «سو شيو»، بعدها دعاني لمشاهدة حديقته، وهي حديقة على الطريقة اليابانية، مساحتها حوالي ١٢٠ ألف تسوبو، في هذه الحديقة زرعوا أشجاراً يابانية

(١) هذه الأشعار ربما للمؤلف أو ربما تذكرها – المترجمان.

أحضروها خصيصاً من اليابان، زرعوا نحو ٥٠ شجرة تزهر بأزهار الساكورا، وستين شجرة أخرى متنوعة، كانت براعم أزهار الساكورا قد نبتت، لاحظت أن القنصل يعشق الأزهار، أتمنى أن أشاهد براعم الأزهار تنمو كل عام.

إن اليابانيين أصلاً يحملون روح أزهار الساكورا (الكرز) لكنني أخشى أن يحل الخريف ذات يوم على اليابانيين.. !

في المسجد صليت أول ليلة من ليالي رمضان، كان المسجد مزوداً بمكان للوضوء نظيف جداً، وقد أخذت حماماً في المسجد، وكان الأمر مريحاً جداً، لكن بالنسبة للعلاقة بين المسلمين والإمام، لم أستطع أن أرى الاحترام والتقدير للإمام هنا، ذلك الاحترام والتقدير الذي يتمتع به الإمام في المناطق الأخرى.

في اليوم التالي خرجت مثل أي مسافر أو سائح آخر للنزهة والتجول في هذه المنطقة، شاهدت أزهار الماكلوريا Magloria البيضاء مثل الثلج في حديقة «ريو إن»، وشاهدت أيضاً أشجار زهرة الساكورا، وشاهدت شجرة في معبد «كان زاي جي»، وهي شجرة جلبت بالطبع من اليابان، وبالقرب من أحد الجسور شاهدت شاباً مهذباً يتشاجر مع سائس جواد بسبب الأجرة، ورغم وجود الشرطي لم يستطع أن ينهي الخلاف، وحين شاهدوني، جاءوا إليّ عادة ما يحتاج الصينيون إلى شخص ثالث وسيط، يتدخل ليحسم الخلاف، كانا جادين في أن أفصل بينهما، فقلت لهما بأن كل منهما لديه سبب لكي يغضب، لكنكما هنا أمام المعبد لذا يجب أن تسلكا سلوكاً طيباً، وحين قلت هذا وافقا على الحل، وقالا لي بالصينية ما معناه:

«الرجل العجوز لديه دائما النصيحة الطيبة» وتركاني، ومضى كل منهما إلى حال سبيله !! وأنا أتساءل ألا يمكن أن يطبق هذا السلوك البسيط في السياسة الخارجية اليابانية، فيما يتعلق بتعاملها مع الصين في مثل هذه الأمور البسيطة ؟

حين ذهبت إلى منطقة « كوكيو » كانت هناك امرأة جميلة تبيع نوعًا من الفاكهة، كانت تقشر هذه الفاكهة وتقطعها ثم تثبتها في عصا طويلة، كان وجهها أكثر بياضًا من الفاكهة، اشتريت ثلاث أو أربع قطع منها.

حديقة كوكيو حيث توجد مقبرة الإمبراطور تقع فوق التل، وهناك برج يتكون من تسعة طوابق، وهو بحالة سليمة منذ تشييده، تسلقت هذا البرج في الليل، وبجوار هذه المنطقة صليت في مسجد بني مؤخرًا، صليت صلاة التراويح.

تذكرت صديقي الإمام « ما » حين طلب من الدكتور هاتّوري الذي التقيت به في ساينان – منذ أيام – أن يلقي كلمة، وحين ألقى الكلمة في المسجد أعجب الناس بكلمته..

ليست لدي علاقة مباشرة بحضارة منطقة « جؤو » (بجيم قاهرية) لكني الآن أمكث هنا في هذا المكان مع إمام صيني مدة ليلتين، فهذا المكان ليس بالمكان الذي يجذبني لأقيم فيه فترة أطول، وقد أجد السرور هنا، لكن المكان لا يفيدني فكريًّا .. لهذا قررت أن أذهب إلى شنغهاي بسرعة.

٨ أبريل سنة ١٣ شوا في سو شيو

٣٧

نظرة على شنغهاي

وصلت إلى شنغهاي، نزلت في فندق يقع ما بين شنغهاي القديمة وشنغهاي الجديدة في شارع يسمى« يان كين بان إداوارد رود » أما الفندق فيطلقون عليه اسم « شين تاي هو رو » وربما يكون هذا الفندق هو أقدم فندق في شنغهاي، دلني عليه الإمام « ما » ومن الجدير بالذكر أن الفندق قريب من المسجد.

بالطبع طوال نهار هذه الأيام لم أتناول الشاي ولم أشرب الماء، في السادسة

وعشرة دقائق يحين المغرب، عندها يمكنني أن أشرب الماء أو الشاي، وبعدها أذهب إلى الصلاة، وبعد الصلاة أتناول الشاي وبعض الحلوى، وبعدها أصلي العشاء.

تعرضت لمشكلة في الليل، فقد عانيت كثيراً من لسع الحشرات، ربما كانت حشرة «البق» لهذا لم أتمكن من النوم، ولم أشعر بالراحة في الإقامة في هذا الفندق، كان عليّ أن أبتعد عن الطعام نهار كل يوم إلى ما بعد الساعة السادسة وقت المغرب، ولهذا كنت أسلي نفسي بمشاهدة الناس من الطابق الثاني في الفندق، يمشون في الشارع، ويتحركون خارج الفندق، ونحو ذلك من مناظر، وكانت هذه حيلة جيدة لمرور الوقت.

كنت أختار أحد ثلاثة مساجد، أذهب إليها كل ليلة بعد صلاة المغرب، منها مسجد يجتمع فيه المسلمون من جميع أنحاء العالم، هذا جو يعبر عن شنغهاي تعبيراً كاملاً، أجناس عديدة، حوالي ٦٠٠ مسلم من مختلف البلدان، كنا نصلي معًا صلاة التراويح.. أظن لا يمكن أن يشاهد هذا المنظر في مكان آخر غير شنغهاي.. كان من بين هذه الأجناس أوربيون ويابانيون، جميع الأجناس من الشرق والغرب.. هذه معجزة يمكن أن نشاهدها في شنغهاي.

يصوم المسلمون شهر رمضان، يصومون مدة ثلاثين يوماً، ويقوم كل مسلم بتنظيم أوقاته وضبطها، وهذا أمر مثير للإعجاب، في أحد المساجد شاهدت نحو خمسين مسلمًا معهم إمامهم، كانوا ذاهبين إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وقد سمعت أن جماعة من المسلمين الذاهبين إلى الحج قد غادرت بالفعل.

في الأسبوع الذي قضيته في شنغهاي التقيت ببعض الطلاب اليابانيين، من بينهم السيد / نيشيموتو، والسيد شيراكاوا، وقد تحدثت معهم عن الأوضاع في الصين واليابان هذه الأيام، والتقيت بالباحث البروفسر السيد / أومورا، وقد حدثني عن الوضع الاقتصادي للمعهد الذي يديره، وأخبرني أيضًا أن البروفسر

هتارو استقبل الشاعر طاغور القادم من الهند، كما قال بأنه من خلال مطالعة الصحف الصينية يبدو أنهم لا يزالون يشكون من تزايد النشاطات الثقافية اليابانية في الصين، والخلاصة هي أنه إذا قام من اليابان من لديهم أفكار عالمية، بالعمل في هذا المجال، عندها سوف تنمو النشاطات الثقافية، وتتطور العلاقات مع الصين.

حين أقرأ مجلة «شنغهاي سينان» ألاحظ أنهم لا يكتبون شيئًا يتعلق باليابان، إن اليابانيين الموجودين هنا في المجتمع الصيني غير نشيطين، وغير مؤثرين، وأنا أصر على أن أتطلع إلى الصين كعالم بأكمله، وأفكر بأن الأمر المهم هو أن نزيد من معارف الصينيين عن اليابان، لا أن نقوم بمثل هذه النشاطات الثقافية التي تترك أثراً سطحيًا يزول بسرعة، ويجب أن ندعم ونجعل الفكرة الأساسية للأدب الصيني هي ثقافة فكرة «الإمبراطورية».

لقد اختارت بريطانيا الآن شنغهاي، لتتدخل وتؤثر على الأمور هنا، وقد جعلوا العلاقات بين بريطانيا والصين على مستوى العلاقات الدولية، وحين تنظر من نافذة الفندق في شنغهاي ستجد كلمة «كثيه رن» وهذه الكلمة لها علاقة بالحضارة الأنجلوساكسونية، وهكذا أشعر بالقلق والخوف على مستقبل اليابان !!.

يعقد قناصل اليابان في منطقة كونان مؤتمراً في بكين، وفي الوقت نفسه كنت أنا متواجدا بين المسلمين في شمال غرب الصين، في غرفة في فندق رخيص في شنغهاي، أتضرع إلى الله، وأنظم هذا الشعر :

«في ليلة من ليالي الربيع
أتصارع مع حشرة البق
في فندق يسمي
يان مون مان
في مدينة شنغهاي»

٣٨

بحيرة سايكو

الرابع عشر من أبريل

في قاعة الطعام بمبنى القنصلية اليابانية (كوشو)

أشاهد من هنا منظر بحيرة سايكو الهادئة، كان القنصل غائبًا فقد ذهب لحضور المؤتمر الذي يعقد الآن في بكين، لهذا كنت الضيف الرئيس الليلة، في حديقة القنصلية شاهدت نحو خمسين شجرة من أشجار زهرة الساكورا، كانت أزهار الساكورا تتفتح، فبدا منظر بحيرة سايكو أجمل مع منظر تفتح أزهار الساكورا.

التقيت الليلة أيضًا بالكولونيل ساكاي والعقيد إئيه فوك، وكنت قد التقيت بالأخير حين نشبت ثورة « سانتون »، وألتقي به الآن هنا! هذا شيء عجيب من تدبير القدر.. إنهم منشغلون في كل وقت هنا باستقبال الناس القادمين من اليابان، أنماط مختلفة من الناس، وقد استقبلوا ذات مرة أحد أحفاد « طوكوجاوا » (بجيم قاهرية)[١] لكن اليابانيين الذين يعيشون هنا يبلغ عددهم نحو خمسين أو ستين يابانيًّا فقط، ويمكن القول بأن القنصلية هنا صارت مثل الفندق لليابانيين الذين يفدون على هذه المنطقة، وهي منطقة سياحية رائعة، لكن هذه المتعة بالنسبة لي لا قيمة لها، فهي ليست هدفًا من أهدافي.

أشير هنا إلى أن مسجد « هو أو جي » مسجد فخم، إذا ما فكرنا فيه من وجهة نظر تطور المسلمين الصينيين[٢]. زرت هذا المسجد، وصليت فيه، وقد بني على

---

(١) انظر ما ورد عن الساموارئي وطوكوغاوا في الرحلة اليابانية للجرجاوي المقدمة تحقيق سمير عبد الحميد نشر مؤسسة الرسالة دمشق ـ المترجمان.

(٢) يقصد أن هذا البناء يعبر أو يدل على تطور المسلمين في الصين ــ المترجمان.

طراز المعمار التركي، وهناك أجزاء منه متهدمة، لكنه يكفي المصليين حتى في هذه الأيام أقصد في رمضان، والإمامان الأخوان «ري» يبذلان كل ما في وسعهما لقيادة المسلمين، صليت معهما هذه الليلة.

ذهبنا في اليوم التالي إلى مسجد «وئي دئي تن» المبنى يقع بالقرب من غابة البوص (البامبو) شاهدت أحد الشيوخ هناك، حين رآني قدم إلينا وبدأ يتحدث معنا، قال:

«لم يأت أحد هنا منذ ٣٠ سنة، كنت قد جئت من بكين فأقمت هنا، معظم المسلمين الذين يفدون على هذا المكان ممن يعملون بالتجارة أو ممن يجدفون في القوارب في هذه البحيرة، أو ممن يقومون بقيادة الجياد للسياح، لكنهم لا يأتون هنا بانتظام، ولا أستقبل هنا أي ضيف، لهذا أشعر بأن المسلمين في كوشو صاروا ضعفاء للغاية، وأنا أعيش هنا وحدي لأتمتع بمنظر البحيرة ومنظر الجبل».

كان اسم الشيخ «كان كاي سن» وهو في حوالي الستين من عمره، قضى في بكين سنوات عديدةثم جاء هنا، لكن زيارتنا كانت بالنسبة له مبعث سعادة وسرور، لدرجة أنه كان يبكي من فرط الفرح والسرور، لهذا قررنا أن نقضي مع هذا الشيخ الحزين معظم النهار..

قام الرجل بتسخين الماء، وقدمه لنا حتى نتوضأ للصلاة، وقد أفطرنا معه، فقدم لنا وقت الإفطار طعامًا بسيطًا جدًا.

كانت هناك غابة كبيرة خلف المسجد، وهي غابة من أشجار البامبو.. أثناء الحرب عسكر كثير من الجنود هنا.. ودفنوا في هذه المنطقة.

قادنا الشيخ إلى المكان الذي دفن فيه الجنود، فوقفنا صامتين للحظات هناك، ثم تركنا الشيخ العجوز وودعناه ونحن نشعر بالأسى والحزن، فقد تركناه وحيداً..

أصر على أن يودعنا حتى حافة البحيرة، ومع هذا فلم يختف ظله عنا إلى أن ابتعدنا إلى مسافة طويلة.!

أشعر بالتعاطف معه وأشعر بالحزن والأسى من أجل هذا الشيخ العجوز الذي يقيم في هذا المسجد وحيداً حزينًا بائسًا الا أزال أتذكر وجهه الحزين.. كيف يصلي وحده في هذا المسجد، وأتذكر أيضًا شعراً لشاعر ياباني يدعى «بوسووم»:

«لا أعرف اسما آخر في هذا العالم

غير اسم زهرة الأقحوان الصفراء

وزهرة الأقحوان البيضاء»

هذا النظم مملوء بالحزن والأسى، لقد شعرت بحرارة قلب الإنسان حين التقيت بهذا الشيخ.

الحمد لله، لا يوجد شيطان يعترض طريقي طوال الرحلة!

رجعت من «كوشو» إلى شنغهاي، وأقمت في فندق ياباني يسمى «كاستا كان» لقد زرت أماكن تاريخية كثيرة، وكنت أسترجع كل مرة ما جرى في تلك الحقبة التاريخية، والآن أنا في جو ربيعي، ومع هذا فقد انتهت أول مراحل رحلتي.. فسوف أغادر الصين!

١٧ أبريل في شنغهاي.

٣٩

كانت المسافة البعيدة مثل سقوط قطرة ماء

هناك قصة عن ممثلة مهرجة في الصين كتبت خطاباً أرسلته إلى مسقط رأسها، ذكرت أن شنغهاي تابعة لمحافظة ناغاساكي اليابانية!

لا يوجد سفينة سريعة تنقل الركاب من شنغهاي إلى ناغاساكي، لكن المسافة بينهما كانت مثل سقوط قطرة ماء!

فإذا فكرنا في مدينة شنغهاي ومحافظة ناغاساكي بهذا الشكل، فهي طريقة في التفكير لها مغزاها، وهي مهمة جداً بالنسبة لليابانيين.

كان رفيقي الإمام «ما كين شو» لديه مشكلة تتعلق بجواز السفر، ولهذا يجب أن نسافر إلى ناغاساكي لنحل هذه المشكلة، ومن هنا حجزنا تذاكر في السفينة «ناغاساكي مرو» ووصلنا إلى ناغاساكي.

في السنة الماضية حين شاهدت هذه السفينة، كانت وقتها قد بنيت حديثًا، والآن تذكرني أحد البحارة، ركب السفينة نحو ثلاثين صينيًّا، وعند الوصول كان يجب أن يتم فحص الأمتعة في الجمرك، فقامت شرطة ناغاساكي بفحص الركاب، لم يكن هناك مشكلة بالنسبة للطلبة الذين يحملون شهادات من مدارسهم، لكن البعض اضطر لدفع مئة ين رشوة، أو اضطر إلى تقديم خطاب مزور، يفيد بأن هناك من يستقبلهم في اليابان.

عند ركوب السفينة، بعد فترة من الفحص والتدقيق منع سفر بعضهم على ظهر السفينة ، ومع أنني كنت أرتدي ملابس صينية، لكن لحسن الحظ، فقد اكتشفوا أنني ياباني قُحّ، وهكذا سمح لي بالنزول في ناغاساكي.

في هذه الليلة زرت الدكتور «تازاكي» الباحث الاقتصادي الذي عاش في أمريكا للدراسة، وقرأ كثيراً من الكتب عن الصين، وهو ليس بباحث فقط بل هو عالم جيد وممتاز، وهو أحد رواد إدارة الأعمال في اليابان.

في السنة الماضية زارني في مركزي في ساينان، لكنني كنت خارج هذه المنطقة آنذاك، فلم أسعد بلقائه، وقد أهدى مركزي في ساينان بعض مؤلفاته، وقد قدمت له الشكر والعرفان بالجميل، وتأسفت له لأني لم أتمكن من لقائه، لكنني الليلة أجد الفرصة سانحة لألتقي به وأتحدث معه.

رغم وجود المناظر الطبيعية من جبال وأنهار، لكن هذه المناظر لا تعني شيئا إذا لم تلتق بمثل هؤلاء الناس العظام، وفي اليوم التالي زرت مزار «مُسو وا »، كما

زرت النصب التذكاري لـ sebold[1]، وقد زرنا هذه الأماكن معًا، وبعد ذلك زرنا معبد «كو فو كو جي» ومعبد «سيه فو كو جي» الشهيرين، يقوم على الأول الراهب «إن جين» (بجيم قاهرية) أما المعبد الثاني فقد ذاعت شهرته لأنه بُني في مكان جميل في ناغاساكي، وقد أسهم التجار الصينيون من مقاطعة «هوكّين» في بناء هذين المعبدين، ومن هنا يمكن القول بأن بناء هذين المعبدين، ساعد على إحياء البوذية في اليابان في تلك الفترة، التي أهملت فيها من قبل اليابانيين، فكان لهذين المعبدين أعظم الأثر في إيقاظ الشعور البوذي في نفوس اليابانيين.

إذا قارنا بين هذا الموقف أي (بناء الصينيين للمعبدين) وموقف اليابان، لاحظنا أن اليابان تسعى فقط إلى الحصول على المنفعة، وهم ينفقون أموالاً طائلة من أجل نوع من الدراسة، ومن أجل الذهاب والعودة، والسفر داخل الصين، لكن هذا كله لا معنى له على الإطلاق؛ فإن عقول الناس لا تتأثر بمثل هذه الأمور النفعية، فالثقافة تعني أنه لا يجب أن تخلطها بالسياسة، أو يخطط لها بالشكل المعمول به حاليًّا، وقد اتفقنا معًا على هذا الرأي .

قدم أحد أصدقائي الليلة أيضًا من الصين وهو السيد / سئينيه إن سيه، زارني ودعونا الله معًا أن يوفقنا، لقد تحولت طموحاتي المتواضعة إلى طموحات أكبر فأكبر، وأنا قابع هنا في ركن من أركان ناغاساكي، أفكر في مستقبل اليابان.

٢٤ أبريل في ناغاساكي.

٤٠

السياحة في سُوا تو

٢٨ أبريل – ليلاً

ركبت سفينة، لم تكن بسفينة للركاب، لكنها كانت سفينة لشحن البضائع

(١) طبيب هولندي عاش في ناغاساكي وتزوج بيابانية وأنجب ابنة صارت أول طبيبة يابانية – المترجمان.

تسمى « شو فان مرو »، كان النوم ليلة في السفينة ممتعًا.

حين غادرنا منطقة شنغهاي ، قدم صاحب أحد الفنادق لوداعنا، وهو الآن يهتم بالمسافرين للحج، وبخاصة أن أخاه كان مسافراً للحج أيضاً، التقيت به مرة، ربما لا أراه مرة أخرى، فهذه سنة الحياة.

على كل حال في الصباح الباكر من يوم التاسع والعشرين من أبريل تحرك المسافرون تجاه الجنوب، كان الجو صحواً، وكانت السماء صافية تمامًا، وشاهدت قوارب كثيرة صغيرة تمضي بمحاذاة الساحل.

في ظهر يوم الثاني من مايو وصلنا إلى ميناء « سُوا تو » كانت رحلة بحرية هادئة جداً، كان على ظهر السفينة فرقة موسيقية، وفي الليل كانت تعزف عزفاً منفرداً على آلة القانون، أو على الأرغول، وهكذا كانت النغمات التي يعزفونها مؤثرة جداً، تثير الشجن، وتعيد الذكريات، كنت أرقد على ظهر السفينة أستمع إلى هذه الموسيقا، وكنت أحيانًا أدندن بكلمات إحدى الأغاني التي خطرت على بالي .. لقد تمتعت كثيراً.

كان هناك بعض الناس يناقشون بعض الأمور فيما بينهم، لكنهم لم يتمكنوا من مواصلة الحديث نظراً لاختلاف لغة التفاهم فيما بينهم، ومع هذا فقد أجادوا استخدام لغة الإشارة !! كان هذا يثيرني، ويشد انتباهي.

بعد المغرب وضعت الأرز في الماء وطبخته بطريقة بسيطة، ثم تناولت فطوري الرمضاني البسيط، لم يكن السفر خلال رمضان سهلاً، لكني أحببته كثيراً، كان رفاقي في السفر صائمين أيضاً، ولم تكن علامات القلق بادية على وجه أي منهم، رغم صومهم، ولفت نظري بشكل خاص رجلان طاعنان في السن، أحدهما في الثانية والثمانين والآخر في الخامسة والسبعين، أعجبت بهما كثيراً.

حين وصلنا ميناء « سُوا تو » بدأ الشجار والعراك بين الحمالين ورجال الشرطة،

كانوا يتشاجرون بعنف، ولهذا السبب لم تتمكن سفينتنا من أن تلقي بمرساها مدة أربعة أيام!

بالقرب من سفينتنا كانت هناك سفينة يابانية تدعى «ريوزان مرو» وكانت هناك غواصة بريطانية أيضًا، لم نكن نهتم بأن تتوقف سفينتنا عدة أيام، لم يكن هذا يشكل بالنسبة لنا أي مشكلة، يمكن أن ننتظر حتى ينتهي سبب الشجار، فقد كنا نتمتع بجو هذه المنطقة الخلاب..

كان الجو صيفًا، وكان العسكر الذين خلعوا قمصانهم بسبب حرارة الجو يتسكعون على شاطئ البحر، فلم يكن لديهم عمل يقومون به، يقولون إن سجن هذه المدينة مملوء بالمجرمين، ولا يمكنهم أن يرسلوا إليه المزيد من المجرمين، إذ لا يوجد بالسجن أماكن تسمح بإرسال المزيد، وهنا تظهر فكرة وواقعية الفيلسوف الصيني «سون بون» في هذا المكان بوضوح وجلاء ورغم هذا فهذه المنطقة تعد مكانًا للاستجمام والراحة، ومثل هذا الجو يعد جوًا غير عادي بالنسبة للقادمين من المناطق الشمالية للصين...

هنا يمكن أن نلاحظ بوضوح قوة بريطانيا ونفوذها المتزايد، كما نلاحظ أن نفوذ اليابان يضعف يومًا من بعد يوم، وفي هذا الصدد يمكن أن نشير إلى القنصلية اليابانية حديثة البناء التي تكلف بناؤها ٢٠٠ ألف ين، فهذا المبني فقط يمثل نفوذ اليابان هنا، وقد كان من الضروري وجود وكلاء يابانيين بدلاً من الاعتماد على البريطانيين، والسبب الأول: هو وجود هونغ كونغ القريبة من كانتون، والثاني : هو وجود ثلاث شركات بحرية يابانية... إن هذا يدل على سوء الإدارة.

هناك بعض المحلات اليابانية يصل عددها إلى ثلاثة وأربعين، كما يوجد أيضًا فرع لأحد البنوك اليابانية.

شاهدت مبنى القنصلية اليابانية، وأردت أن التقي بالقنصل، لكن حين طلبت

مقابلته، رفضوا السماح لي بذلك، قال المراسل الموجود بالقنصلية بصوت هادئ بأن القنصل نائم.. عندها شعرت بأن القنصل غير مهذب، ولهذا لا أريد أن أعود هنا للقائه.

سمعت إشاعة مفادها أن هذا القنصل، ويسمى «أو إيتا »، غير محبوب بين الناس في هذه المنطقة، والناس دائمًا ما يشكون من تصرفاته.

زرت أحد المحلات التي يديرها ياباني، موجود هنا منذ عشرين سنة، وحين سمعت حكايته تعاطفت معه كثيراً، ذكر لي هذا الرجل أن المقيمين هنا في «سُوا تو» يفقدون احترامهم كيابانيين، وما يمكن أن نشاهده هنا هو فخامة مبنى القنصلية فقط، ما كان يجب عليهم بناء مثل هذا المبنى الفخم وبخاصة في هذا الوقت، فبريطانيا هي بريطانيا واليابان هي اليابان، نحن بحاجة إلى أن ندير أعمالاً تجارية على نفس مستوى الأعمال التجارية الممتازة، ويجب أن نفكر في الصفحة الأولى من كتاب السياسة البريطانية الاستعمارية في آسيا، يجب ألا نثق فيهم، يجب أن نعمل بأنفسنا، وإلا فقدنا احترامنا، وامتهنت كرامتنا.. هكذا قال لي !!

حاولت أن أشعر بجو هذه المدينة، وفي الليل نمت على سطح السفينة، استلقيت على ظهري، أخذت أشاهد النجوم تتلألأ في السماء، بدا أن روحي صعدت مباشرة إلى السماء..

حين كنت أفكر في بلدي بينما كنت مستلقيًا على ظهري في السفينة في «سوا تو» تذكرت بعض الأشعار :

«بعضهم جاء من تايلاند

ليبيع الخوخ الأبيض

لا يجب أن تأكل هذا الخوخ

لأنه لذيذ جداً

الخوخ الأبيض اللذيذ من تايلاند

لكنه بالنسبة للآخرين

حلاوته أكثر من اللازم».

لا أدري لماذا تذكرت هذه الأشعار.. لقد خطرت على بالي ليس إلا..

نحن الآن في الوقت الذي يحتفل فيه اليابانيون بيوم الطفل، فترفرف في السماء الأعلام والرايات التي تكون على شكل الأسماك.. تذكرت هذا المنظر، منظر الأعلام ترفرف في السماء!

غداً سوف نصل إلى هونغ كونغ.

ظهر يوم الخامس من مايو في «سوا تو».

٤١

نظرة على هونغ كونغ

تعجبنا كثيراً فيوم تحرك السفينة كان يوم نهاية شهر رمضان!! في الليل شاهدنا هلال الشهر الجديد، شهر شوال، فصاح الناس مبتهجين فرحين: غداً يوم عيد الفطر!! وقدم إليّ الإمام «ما شو» رفيقي ليخبرني بأن غداً العيد..

حين تفحصت ملامح جسمه، لاحظت أنه صار نحيفًا جداً بعد مرور هذا الشهر، فأدركت أن شهر رمضان، شهر الصوم هو فعلاً شهر صعب على الجميع..

منذ شاهدنا هلال شهر رمضان، وحتى مشاهدتنا لهلال شهر شوال كان على كل مسلم أن يؤدي فريضة الصوم، حين أخبرني الإمام بأنه شاهد الهلال، شعرت بأن تعبيرات وجهه، ونبرات كلماته تحمل خصوصية، وتغمرها مشاعر الجد والفرح والسرور والحبور، والمسلمون فقط هم الذين يستطيعون فهم مثل هذه المشاعر...

إذا كنت في بيتي كان برنامجي هو البقاء في البيت، ثم نبدأ منذ الصباح نعد الطعام، ونذهب إلى المسجد ونصلي معًا، وهكذا نقضي اليوم مثلما نقضي رأس السنة الجديدة في اليابان، وهناك في الصباح صلاة العيد، بعدها يذبحون بقرة أو خروفاً ويأكلون ويوزعون على الفقراء والمساكين، لكن نحن الآن على ظهر السفينة وليس في البيت ، ولهذا تناولنا لقيمات من الخبز وبعض الأرز المسلوق، وشكرنا الله ودعوناه أن يتقبل منا صيامنا.

شعرت بعد قدومنا من سوا تو إلى هونغ كونغ بأننا قدمنا من الجحيم إلى الجنة، كانت الرحلة سهلة جدًّا، مدخل ميناء هونج كونج مثل مدخل ميناء «سيتو ناي كاي»[1]، لكن رغم هذا التشابه لكننا نشاهد هنا نفوذ بريطانيا، ونشاهد أيضًا مدفعًا فوق الجبل، وآخر في أسفل الجبل، حين شاهدت هذا المنظر شعرت بغصة في حلقي!

شاهدت السفينة اليابانية «كاتوري مرو»، بالطبع هناك سفن بريطانية أكبر منها، ولا يمكن مقارنتها بها من ناحية الحجم والإمكانيات.. وطئت أقدامنا أرض هونغ كونغ..

كان مكتب شركة أوسكا للملاحة مجاوراً للمرفأ، وهناك وجدنا فندقًا صينيًّا صغيراً، نزلنا فيه، كانت الغرفة مثل قفص في حديقة الحيوان، لكن لا يمكن أن نشكو أو ننبس بكلمة.

تسلقنا التلال، وزرنا المسجد الوحيد في هونغ كونغ، يطلق عليه الناس اسم «مورو مياو»[2]، وربما كان ترجمة للكلمة العربية مسجد أو جامع، فالمسجديعني

(١) وهو بين جزيرتي شكوكو وهونشو –المترجمان.

(٢) يمكن ان ينطق جو ما را تي –المترجمان.

مكان السجود أي الصلاة، ويوجد في المسجد مكان، يقال له المحراب، وهو يدل على مكان اتجاه القبلة.

ويستخدم المسلمون الصينيون كلمةمسجدهوي هوي للدلالة على مكان الصلاة، ولكنهم لا يستخدمون كلمة «مياو» لأنهم يريدون التفريق بين البوذية والإسلام، لكنهم في هونغ كونغ يسمون المسجد مورو (ماليه)، وأعتقد أن معنى مورو هو المعبد أو المسجد الخاص بـ «ماليه» أي الملايويين.

وإمام هذا المسجد هندي، حين كنا نصلي معًا جميعًا كنا نتحدث معًا بالصينية والإنجليزية والعربية، خليط من اللغات المختلفة، وبناء هذا المسجد مختلف تماماً في طرازه المعماري عن المساجد المقامة في الصين، وقد سمعت أن أحد التجار بناه على حسابه الخاص منذ عشرين سنة، وكنت حين سألت عن المسجد أثناء بحثي عنه، أرشدني إليه شرطي هندي بكل فخر، وحين عرف بأنني ياباني، تحدث إلي بأربع أو خمس كلمات يابانية، أتعجب.. كيف تكون العلاقة بين الشرطة الهندية واليابانية في منطقة شنغهاي أريد أن أعرف![1].

حين ألقى طاغور كلمة في المدرسة الابتدائية اليابانية، في تلك الليلة ألقت الشرطة البريطانية القبض عليه، وفي الحال قام ٥٠٠ هندي بالاحتجاج والذهاب إلى المحكمة للمطالبة بالإفراج عنه، كان رجل الشرطة طويلاً، يبلغ طول قامته أكثر من ١٨٠ سنتيمتراً، كما كان قوي البنية، لكن من يستطيع أن يدخل قلبه ليفهم مشاعره، إنه يعمل تحت سلطة البريطانيين.. أتعجب أي أمة يمكنها أن تفهم هذا الأمر!

في اليوم التالي أخذت الترام، وهو ترام بدورين، لأتجول في مدينة هونغ كونغ،

(١) يود أن يقول إن العلاقة طيبة على ما يبدو من استقراء سلوك هذا الشرطي- المترجمان.

شاهدت المبني التجاري ومطعم الإمبراطورية البريطانية، ومسرح الملكة، وهذه هي الأماكن التي يفخر بها البريطانيون، وعلى كل حال يمكن أن نشاهد صورة مصغرة لبريطانيا في هونغ كونغ.

تقوم شركة «مان تيتسو» بإدارة كوريا، وهو تقليد لما تقوم به شركة الهند الشرقية، وهو تقليد للسياسة الاستعمارية، أتعجب هل يجب على اليابان واليابانيين أن يقلدوا السياسة البريطانية في الهند، إن سياسة توسعنا في بلدان جنوب شرق آسيا لا يجب أن تكون مثل السياسة الاستعمارية التي يقوم بها البيض تجاه الملونين، يجب أن نستخدم نهضة السياسة الإمبراطورية في ظل الإمبراطور لنشر نفوذ بلادنا وتأثيرها، وهذا مهم، ويجب على شعبنا أن يعترف بهذه السياسة التي ترمي إلى نشر فكرة الإمبراطورية في ظل الإمبراطور، ومن هنا يكون على كل فرد مسئولية تجاه المستقبل، ويجب ألا نقلد السياسة الأوربية، يجب أن نكون جادين تجاههم، إذا وصفت هونغ كونغ في كلمة واحدة، فيمكن أن أقول هونغ كونغ «قبيحة».

عند فجر يوم ٨ مايو في هونغ كونغ

٤٢

الآسيويون

تسلمت تذكرتي في السفينة بوصفي صينيًا، لم أكن أريد أن أظهر كياباني، فقد أردت أن أكون أحد مسلمي الصين، لهذا لم أبرز بطاقتي الشخصية، وكنت أعتمد على رفيقي الإمام الشاب «ماكين شو»، ولم أكن أعتمد عليه كلية، كما لم أكن أثقل عليه أيضا، وكنت أتعامل معه بشفقة وعرفان بالجميل، وكنت دائمًا أردد كلمة الصبر والتحمل، وأنا أستعد لرحلتي الآن، فسوف تكون هذه الرحلة بالنسبة لي تدريبًا جيداً.

في العادة حين يركب المسافرون الصينيون على ظهر السفن الأجنبية، يجب أن تفحص حقائبهم جيداً طبقًا للقانون البريطاني، أما اليابانيون فيستثنون من ذلك، لكن أعتقد أن المعاملة كانت من قريب أو بعيد هي المعاملة نفسها، إذا واجهنا الأوربيين كيابانيين، فهذا يعني أننا آسيويون بالنسبة لهم، وهكذا فنحن من الصين واليابان سواء ، فالآسيويون هم الآسيويون، محتقرون في نظرهم، وأعتقد أن على اليابانيين أن يتحملوا المسئولية نيابة عن الملونين، وأن يوضحوا للأوربيين أننا أسمى منهم وأفضل.

حصلت على شهادة التطعيم بعد أن أخذت التطعيم الضروري في أحد مستشفيات هونغ كونغ، كان اسم السفينة الصينة «فو كو كو سيه كي بانكو» وكان معظم المسافرين من شنغهاي، وقليل منهم من كانتون، وكان العدد الكلي ألف صيني.

مكتوب في التذكرة أن من حق كل مسافر مساحة تبلغ ٩ شاكو مربع[1] في السطح العلوي، وفي الطابق السفلي له الحق في مساحة قدرها ١٨ شاكو[2]، لهذا أخذت مكانًا في الطابق الأسفل في المقدمة أي في الأماكن الأمامية، ومن حولي كان هناك كثير من الصينيين الذين قدموا من مختلف أنحاء الصين: من الشمال ومن الجنوب، ومن الشرق ومن الغرب.

قبل أن نركب السفينة ابتعنا فراشاً يصلح للجلوس أو النوم، ودفعنا ٣٥٠ سين، كانوا يقدمون طعامًا يصعب وصفه! كان على الناس أن يتدافعوا حين يدق الجرس، وذلك من أجل الحصول على الطعام بأسرع ما يمكن، فإذا تأخر شخص، لم يتمكن

(١) أي ما يساوي نحو مترين وسبعين سنتيمتراً مربعًا ـ المترجمان.

(٢) أي: خمسة أمتار وأربعون سنتيمتراً ــ المترجمان.

من الحصول على الطعام، إلا أنه من حسن الحظ أن المسلمين لا يأكلون مثل هذا الطعام، لهذا حملنا معنا طعاماً بسيطًا، وطلبنا الماء الذي كان يقدم عادة لمسئولي السفينة وأربابها الكبار، لم تكن الرحلة في مثل هذه الأجواء سهلة، فنحن الآن في فصل الصيف. !

أبحرت السفينة من ميناء هونغ كونغ في الثامن من مايو في تمام الساعة الثانية والنصف، كان هناك بعض المسافرين، جلسوا في أعلى مكان في السفينة (الديك)، وكانوا يعاملون معاملة طيبة، لأنهم يدفعون أكثر، ولكن معنى معاملتهم معاملة طيبة هي أنهم كانوا يعاملون بطريقة أفضل من معاملة كلب أو حصان.. حين أكون بين الصينيين يمكن أن أفهم الحياة الحقيقية للصينيين، وكيف يتقدمون، وكيف يتطورون في مقابل البلاد الأجنبية، أنا نفسي ياباني عادي، وأنا الآن أمام الآسيويين، الجنس نفسه، دون أي تزويق، ودون أي تحقير، ودون أي تمييز، وهكذا يمكن أن نكون أصدقاء طبيعيين.

خلال السنوات الخمسين التي مضت سافر كثير من الدارسين اليابانيين إلى أوربا، لكنهم للأسف ليسوا بيابانيين آسيويين، إنهم يتظاهرون بأنهم أصدقاء للجنس الأبيض للحصول على بعض الفائدة من أجل تطور اليابان، ثم يحتقرون الصينيين الذين أسهموا بالفعل في تطور اليابان في وقت من الأوقات.

حين بنوا القرية الأمريكية بالقرب من القصر الإمبراطوري، سبب ذلك كراهية لليابانيين من قبل الصينيين، وقد طرد الصينيون اليابان من سوق التجارة، والمعاملات التجارية، وبعدها أُلغيت المعاهدة بين اليابان وإنجلترا، وبعدها كان موقف أمريكا الرسمي تجاه اليابان هو الرفض، ورفض هذا التقارب !!

اليابانيون لا يفضلون أن يكونوا آسيويين، لذا فإن اليابان لا يمكن أن تكون مركز آسيا مستقبلاً، لكن الصين لا يزال لديها أمل لأن تصبح محط أنظار دول

العالم أجمع، وقد وصل الأمر لدرجة أن اليابانيين يترددون في مصافحة شاعر هندي، وهذا سلوك عجيب جداً وغير مفهوم، يمكن أن أقول بأنه يجب على اليابانيين أن يعودوا إلى يابانيتهم، وأن يعودوا إلى الانتماء إلى اليابان، وأن يعودوا إلى آسيا، فروح اليابان الأصيلة لا يجب أن تكون تقليد السياسة الاستعمارية لأوربا وأمريكا، إن هذه ليست طريقة يابانية، وهذا ليس أسلوبًا يابانيًّا، يجب علينا أن نحاول أن نكون «كوكب الزهرة» اللامع في سماء آسيا.

٤٣

سنغافوره

بعد ستة أيام من بدء الرحلة، (١٣ مايو) وعند الظهر وصلنا إلى سنغافوره..

«جئنا من ناحية الجنوب
كما لو كنا بقرة أو جواداً
يسوقنا موظف الحجر الصحي البريطاني
والجبال والبحار
منظرها ساحر وجميل
لا شيء غير مياه البحر الزرقاء
مالت الشمس إلى الغروب
فلامست سطح الماء ببطء وهدوء
جمال هذا اليوم زاد
عن جمال الأمس
فعندي صديق!
سأكون ممتنًا للشمس

إذا ما أشرقت ثانية في الصباح
وأيضًا سأكون ممتنًّا للشمس
إذا ما عاودت المغيب
حتى حين أخاطب السحاب
في هذه اللحظة أيضًا
يُقلقني الآخرون
ويُقلقني حتى الأحباب»

حين نزلنا إلى سنغافوره كانت معاملة ضباط الحجر الصحي البريطانيين سيئة للغاية، وأنا نفسي لا أدري ما إذا كنت محظوظًا أو غير محظوظ ـ فقد تم التعامل معي مثل أي صيني آخر، ولهذا تمكنت من أن ألمس بنفسي سوء سلوك البريطانيين، ووقاحتهم تجاه الصينيين.. آه لقد أهانوني كثيراً، وأساءوا معاملتي كثيراً !! أنا صيني، وأنا آسيوي.. لذا يمكن أن أفهم البريطانيين حتى في ظرف يوم واحد فقط ، نيابة عن ألف صيني اكتشف السيد / شو من مدينة شنغهاي أنني ياباني ، ولهذا طلب مني بإصرار شديد أن أوضح للناس كيف أساء البريطانيون التعامل معهم، وكيف أهانوهم، وقد طلب مني ذلك والحزن يعتصر قلبه بشدة لدرجة أنه انخرط في البكاء..

وفي الحال كتبت مقالاً إلى جريدة آساهي في أوساكا بعنوان :

«نيابة عن الصينيين أكشف عن قهر البريطانيين وسوء سلوك مسئوليهم»

يبدو أن البريطانيين يهتمون ببناء خط دفاعي في سنغافوره من أجل الحرب، لكن يجب أن يدركوا أنهم لا يستطيعون مواجهة اليابان.. وأن بريطانيا العظمى تحطم نفسها.. حتى اليوم كنت أحتفظ بمشاعري في داخلي، لا أفصح عنها، لكن

بعد كل ما حدث، فاضت مشاعري المكبوتة، وإذا مضيت عبر الهند، فإن هذه المشاعر ستزيد أكثر فأكثر .. لا يمكنني أن أتحمل أكثر من هذا..!

تجمع الناس في مسجد هذه المنطقة، وهم من أماكن مختلفة من الصين ومن جزر المحيط الهادي، كانوا جميعًا ذاهبين للحج، كان من بينهم حوالي ٧٨ عجوزاً معمراً، سوف أرافق كل هؤلاء الناس، سوف أذهب مع المسلمين الآسيويين، وسوف أنال الشرف والعز من خلال هذه الرحلة.

في مسجد سنغافوره

١٦ مايو بعد صلاة الجمعة.

٤٤
الأخير
جدة

الآن وصلنا إلى جدة، الآن القبلة ناحية الشرق، لأن الكعبة في مكة، تجاه الشرق، وفي كل وقت كنا نصلي متجهين للقبلة من على مسافات بعيدة، لكن الآن نشعر أننا قريبون من الكعبة، وقريبون من مكة، وصولي إلى هذا المكان يعني تحقيق رغبتي، التي ظلت كامنة في داخلي منذ وقت طويل.

جدة مدينة صغيرة، وفي هذه المدينة الصغيرة تجمع نحوخمسين ألف حاج من الشرق والغرب، من جميع أنحاء العالم، تجمعوا هنا في طريقهم إلى مكة، كان منظراً جميلاً كأنه معرضًا لأجناس البشر في العالم.

استغرقت رحلتي ٢٢ يوما كنت فيها بين ألف مسلم، نركب سفينة شحن بضائع بريطانية، كان علي أن أطهو الطعام بنفسي، وكنت أنال كمية قليلة من الهواء والماء والخشب اللازم للطبخ، وقد وضعوني في الحجر الصحي في جزيرة كمران..

أمكننا أن نتحمل جميع أنواع الألم نيابة عن الآسيويين، وحتى رغم كل هذا، ولحسن الحظ، وفقنا الله، ووصلنا هنا في صحة جيدة . .

أريد أن أكتب عن أمور كثيرة، وسوف أفعل ذلك في يوم آخر، فأنا أريد فقط أن أشاهد القمر الليلة بينما أنا في ملابس الإحرام البيضاء . . بعدها سوف أركب ظهر الجمل وأمضي مع القافلة المتوجهة إلى مكة !

وسوف أُضمّن هذه المذكرات بعض الأشعار التي تعبر عن أحاسيسي.

١٦ يونيو١٥ ذو القعدة سنة ١٣ تايشو في جدة في جزيرة العرب

محمد نور الدين بن آدم

قصائد شعرية

هذه الأشعار أرسلتها خصيصًا للسيد «إينويه» صاحب شركة سيه كيوشا طوكيو للنشر، وهي بعنوان: «ميناء النجوم».

تبدو مثل امرأة يابانية أصيلة

مثل فتاة ماليزية جديرة بأن تعشق

حين أضغط على مكان التطعيم

في ذراعي

تخرج قطرات

أرى فيها مستقبل إندونيسيا

لكني أري فيها أيضًا

منظر تلال الكرنتينة المرعب الفظيع

فهي علامة مهانة أهل آسيا

هي دليل قباحة وجه الحضارة

الألوان كثيرة.. قد تبدو جميلة

تظهر بينما الملايويون يصلون
لله
وهناك الطواقي الجميلة
تغطي رءوسهم
جماعة من الأئمة الشيوخ
يعلنون شامخين
بأن التتار بعد أن أسلموا
لم ينهزموا أبداً
خمسة وعشرون رجلاً
من «أون نان»
لمدة أربعين يومًا
كانوا محبوسين في قعر السفينة !
يا له من أمر يدعو للاحترام
فالعجوز في سن الثمانين أو الخامسة والسبعين
يمضي مع هؤلاء الناس
ناشداً الحج إلى بيت الله في مكة
وفي الليل حين أرى النجوم وحيداً
أكتشف دائمًا نفسي، وأعرف ذاتي
وبخاصة عندما يصدح صوت المؤذن
من فوق المآذن
يعلن الله أكبر
فيتردد صداه في الليلة المقمرة.

الجزء الثاني
أغسطس ١٣ تايشو (١٩٢٤م)

مقدمة

في منطقة الضواحي البعيدة عن مركز سنغافوره، وفي وسط شارع جاوا يمكن أن أرى مئذنة، هذه مئذنة مسجد المسلمين الصينيين، وهو مسجد ليس بالكبير، لكن أرضيته - والممشى في حديقته - مغطاة بالرخام، وهذا يعطيك شعوراً بالبرودة، فضلاً عن مظهر النظافة الواضح، ويوجد حوض ماء تتوسطه نافورة بعد المدخل مباشرة، والحوض مملوء بالماء النقي، وهو ماء طاهر، وهنا مكان الوضوء.

توجد حول المسجد بيوت المسلمين من أهل الملايو، وأكثر الصينيين المسلمين من مقاطعة « هوكين »، ويقولون إن هذا المسجد بني خصيصًا من أجل المسلمين الصينيين، لكن معظم المصليين هذه الأيام يأتون من الملايو وجزر الهند الشرقية، ومن الهند أيضًا، وحين يقترب موسم الحج، يأتي هنا جميع المسلمين الصينيين من مختلف مقاطعات الصين، حيث ينتظرون السفينة.

وتاريخيًا يشيرون إلى سبب بناء هذا المسجد، فمنذ زمن بعيد كانت سنغافوره مجرد قرية صغيرة لصيد السمك، وفي سنة ١٨١٩م طبقًا لما ذكره السيد / فورد والسيد / روفيل Ruffle كان عدد سكان سنغافوره ٢٠٠ نسمة فقط، لكن هذا العدد ارتفع إلى ٣٦٠ ألف نسمة، وفي عهد « شين » كان هناك إمام للمسلمين يدعى « ما هو كو شو »، خطط هذا الإمام للذهاب إلى الحج، وأخيراً وصل إلى هذا المكان، ليبدأ الرحلة البحرية، وقد تعرض أثناء سفره لكثير من المتاعب والمصاعب، واستغرق سفره عدة سنوات حتى وصل إلى جزيرة العرب عن طريق مصر، وبعدها عاد إلى الصين وكتب عن الإسلام باللغة الصينية، وكان في منطقته رجل ذو قوة

وسلطة، تأثر بكتابه، وكان ذلك الرجل يسمى «أرسان كوف» (ربما أرسلان كوف)، فأعلن إسلامه، وهكذا قام ببناء دار للضيافة هنا في سنغافورة للمسافرين للحج من مسلمي مقاطعة «أو نان»، والآن يعيش حفيده الذي يسمى أيضا «أرسان كوف» وهو مشهور بأنه أغنى الأغنياء في سنغافوره، وطبقًا لرغبة الجد قام هو نفسه ببناء هذا المسجد للمسلمين، ويقال أيضًا إنه يقوم ببعض النشاطات الخيرية من أجل المسلمين، وقد بنى أيضًا استراحة ليقيم فيها الحجاج المسلمين الصينيين المسافرين إلى مكة المكرمة، لكنها لم تعد قاصرة على مسلمي مقاطعة أون نان فقط بل صارت لمسلمي جميع مقاطعات الصين، وهكذا فإن من يتوجه من الصين إلى الحج ينزل في هذه الاستراحة.

لقد بدأت العلاقة الحميمة بين أهل الملايو هنا والصينيين منذ قدوم المسلمين من مقاطعة أو نان إلى هذا المكان، ولهذا فإن جميع مسلمي منطقة جنوب المحيط الهادي يسمون الصينيين «يونّان» ويطلقون على مسلمي الصين اسم «يونّاني مسلم» وهذا يعني مسلمي مقاطعة أون نان، وحتى أنا يعدّونني «محمد نور الدين بن آدم اليونّاني».

أما الروس فيسمون الصينيين المسلمين باسم «كي تاي إتيس Kitaiets»، وهو اسم كان يطلق على المنطقة المجاورة لروسيا، والتي كانت تفصل بينها وبين الصين، وبعد فترة صارت هذه المنطقة تعني بالنسبة للروس بلاد الصينيين المسلمين، وهكذا في اللغة الملايوية صاروا يطلقون على المسلمين الصينيين اسم «يونّان».

ذهبت إلى المسجد مع رفيقي الشيخ الشاب " ما كين شو " وصلينا في المسجد.

حين وصلنا المسجد كان هناك كثير من الناس من مقاطعة كانساي، وكان الإمام من مقاطعة «شي سين»، وكان هناك نحو ثلاثين مسلمًا من «أو نان» لاحظت أن

من بينهم أربع نساء، ويذكر أن المسلمين من شمال غرب «أو نان» يسافرون إلى رانجون (بجيم قاهرية) (في بورما) فيتجمعون هناك، ومن هناك يتابعون رحلتهم إلى الحج.

كنت أنتظر السفينة لمدة عشرة أيام، والآن يجب أن أبدأ رحلتي إلى مكة المكرمة.

١

انتظار السفينة

كان عدد المسلمين الصينيين ٥٩ حاجًّا، وكنت أنا الياباني الوحيد بينهم ، في هذا اليوم صلينا الصلوات الخمس، وكان هناك كثير من المسلمين الملايويين، الذين صلوا معنا أيضًا، ودعونا الله جميعًا أن يوفقنا في رحلتنا، وأن يجعلها رحلة آمنة سالمة، وأن يوفقنا في أن نؤدي فريضة الحج في أمن وسلام، وأن يجعل حجنا مبرورًا.

كان كل منا يتناول طعامه في الحديقة، وكان البعض يفضل الجلوس تحت ظلال النخيل، لأخذ قسط من الراحة.

كنا نتكلم معًا في أمور عامة، ورغم أن معلوماتي عن الإسلام قليلة، لكني كنت رغم ذلك أحاول أن أحاضر هؤلاء الناس عن الموقف في آسيا والحركات العالمية هذه الأيام، والوضع في إندونيسيا، وفي جزيرة العرب.

كان رفيقي الإمام الشاب «ما كين شو» على دراية جيدة بطريقة الكتابة الصينية، لذا كان يمكنه أن يكتب لمن لا يستطيع الكتابة بالصينية، بينما كنت أساعدهم أحيانًا بكتابة العناوين باللغة الإنجليزية إذا ما طُلب مني ذلك، وقد ذكروا لي أنهم يكنون لي الاحترام والتبجيل، وكانوا ينادونني دائمًا بالأستاذ نور محمد،

وقد أثر فيهم أنني كنت أدفع نفقاتي ونفقات رفيقي في هذا السفر، وكنت أدفع لرفيقي النفقات كنوع من الصدقة، وهذا أمر كانوا يمتدحونني من أجله، كما كانوا يغبطون «ما كين شو» على هذا الحظ الطيب، ويشكرونني على هذا الكرم، ويؤكدون مرة من بعد أخرى على احترامهم وتقديرهم لي.

ليس لدي ما يقلقني أثناء هذه الرحلة، وفي مثل هذا الجو الرائع والمزاج الطيب، وأنا بين هؤلاء الأخوة المسلمين، أتحرك ، وأرقد وأنام وأنهض،وأجلس في هدوء وسكينة، وأركز على الصلاة، وأغرق في الابتهال والدعاء لله.

في شهر أبريل ومايو تهب عواصف في أوقات كثيرة، وحينما يكون الجو صحواً، فجأة تهب العاصفة الرعدية، ويهطل المطر، وبعد مدة قصيرة يختفي كل شيء.. تصحو السماء وتصفو، كانت أرضية المسجد بيضاء كأنها مغطاة بالثلج، كنت أشاهد الهلال المثبت فوق المئذنة، وأسمع صوت الطبل يعلن عن دخول وقت صلاة العشاء، وبعدها كنت أسمع حفيف سعف النخيل ، وفي الوقت نفسه يمكن أن أسمع المؤذن يؤذن للصلاة من فوق المئذنة.. كل هذا يتردد في وقت واحد ، ولهذا ترك هذا الجو أثره على قلبي، ورق قلبي لدرجة أنني أوشكت على البكاء تأثراً.. في هذا الوقت يقوم جميع مسلمي آسيا بأداء الصلاة بطريقة واحدة، وفي وقت واحد، وحين رأيت هذا المشهد طرأ على ذهني هذا المثل :

«هناك قمر جميل في السماء، وهناك صدق ممزوج بالجدة في ذهن الإنسان».

حصل كل مسافر على تذكرة الذهاب والعودة من سنغافوره إلى جدة، لكن بالنسبة لي، ربما لأنني ياباني، فلا أزال أتحاور معهم منذ أسبوع، ولم أتمكن من الحصول على تذكرة، كان هناك شاب صيني يدعى «سو كان» خبير في اللغة الملايوية، تحدث هذا الشاب مع المسئولين، وتمكن في النهاية من أن يحصل لي على تذكرة عن طريق شركة ملاحة أخرى، على أساس أنني مسلم من «يونّان»!!

وهكذا حصلت على تذكرة ذهاب وعودة، بعد أن دفعت ٨٠ فوتس فضية، بالإضافة إلى ١٣ فوتس فضية و٣٥ ين، لكن لا يوجد سبب لدفع المبلغ الإضافي، لكن بعضهم قال بأن هذا المبلغ رسوم الكرنتينة (الحجر الصحي).

يقولون بأن سفينتنا سوف تغادر في الرابع والعشرين، تركت أمور الاستعدادات للمغادرة كليًّا على «ما كين شو» وانشغلت بكتابة خطاباتي، ومراسلاتي، ومذكراتي عن الرحلة.

في هذه الليلة دعا السيد / أرسان كوف جميع المسلمين الصينيين إلى بيته، وشكرناه جميعًا وأثنينا عليه، وكما هو مخطط تقريبًا كنا قد ركبنا السفينة «كي مون» في الخامس والعشرين من مايو.

دعوت الله أن يجعل رحلتي آمنة سالمة، وابتهلت إليه، وصليت إليه ودعوته من صميم فؤادي أن يعيدني سالمًا.

٢

المتعة والسرور على ظهر السفينة

في الرابع والعشرين من مايو هطلت أمطار غزيرة جداً، ورغم هذا وصلنا إلى الميناء بالسيارات، وبدأنا ركوب السفينة، وتراكمت أمتعة الحجاج حتى صارت كالجبل، كان معظم الحجاج قد وصلوا رغم هذا المطر الغزير، وكانت الساعة السابعة صباحًا.

في حوالي العاشرة صباحاً توقف المطر، فسمح لنا بالدخول إلى السفينة، طلبت من «ما كين شو» أن يسرع بحجز مكان لنا يصلح للنوم، فاندفع إلى السفينة وحجز مكانين لنا، وتبعته أنا فيما بعد، كان الحجاج الآخرون يحملون معهم صناديق بها أمتعتهم، مع بعض الطعام وفراشًا للنوم، وفحمًا لطهي الطعام، كل

واحد منهم كان يحمل الشيء نفسه تقريباً، وبدأوا يسحبون الصناديق من على الرصيف إلى السفينة بالحبال، صندوق تلو الآخر، يا لها من فوضى!!

سوف يستغرق هذا وقتًا طويلاً، مع حرارة الجو التي لا تطاق، اصطفت النساء والأطفال استعداداً لركوب السفينة، وحين شاهدت صف النساء من جنوب المحيط الهادي، شعرت بأن هذا نوع من الجمال الذي لا يمكن وصفه، فقد كانت الملابس فاقعة الألوان، وزاهية جداً، وكانت كل امرأة ترتدي زيًّا على طراز مختلف عما ترتديه الأخرى، وكان كل رداء مطرز بطريقة مختلفة عن طريقة تطريز الرداء الآخر، لكن قامتهن كانت منتصبة في فخر وعزة !

لا يمكن أن أشاهد هذا المنظر إذا ما اصطفت النساء اليابانيات هكذا !

نحن الآن داخل السفينة، قبضنا على مكاننا، كان بجوارنا شيخ من «بريم بن» من سومطره ، فرشنا حصيرة اشتريناها من هونغ كونغ، لكنها مصنوعة في اليابان، كان الآخرون في الغالب مجموعات تضم أسراً أو أقارب أو أناساً من قرية واحدة، فإذا كان معهم نساء، قاموا بنصب ستارة من القماش، وهكذا كنا نشاهد ألوانًا مزركشة زاهية على الأقمشة التي كانت تتدلى لتشكل حجرات لا يرى الآخرون ما بداخلها.. يا لها من حياة كلها أخوة وتعاون!

ويبدو أن قرى صغيرة كثيرة تشكلت على ظهر هذه السفينة مثلاً: قرية من اليابان، وقرية من سومطرة، وقرية من بعض مناطق الصين، وقرية من جاوه، وقرية من الملايو، وقرية من بورما وهكذا..

كان مظهري من بين جميع المسافرين يوحي بأنني أكثرهم فقراً، فقد كان معي أقل القليل من الأموال، ورغم أنه كان معي أيضًا رفيق، فقد كان معنا أقل القليل من الأمتعة، وأقل الأقل من الملابس وباختصار شديد كان كل شيء معنا، أقل

كثيراً مما كان لدى الآخرين.

سأذكر تفاصيل ما كان معي :

– أرز أبيض شكارة كبيرة بالإضافة إلى خمسة أكياس أخرى مملوءة بالأرز.

– بطاطس عشرة أكياس صغيرة.

– شاي علبة واحدة.

– سكر كيسان صغيران.

– ملح كيس واحد صغير.

– شرائح من الخبز.

– زبدة علبة واحدة صغيرة.

– دقيق خمسة أكياس صغيرة.

– زيت زجاجة واحدة.

– بصل ١٥ بصلة.

– جردل للماء عدد واحد.

– وعاء لماء غسل الوجه واحد.

– زجاجة فارغة واحدة.

– بعض أكواب الشاي .

– سكينة صغيرة واحدة.

– سخان صغير لطهي الطعام (وابور كيروسين).

– شمسية عدد ٢.

– بطانية عدد ٢ .

- لحاف يستخدم كفراش للنوم عدد ٢ .
- قطع من القماش (ربما لفة كاملة أي ثوب) .
- كتب (عدة كتب) .

هذا كل ما كان بحوزتي من متاع، تمنيت لو كنت أحضرت قطعة من التونة المجففة لسحقها هنا، وتمنيت لو أحضرت علبة من البهار الياباني (آجي نو موتو)، لكني للحق، والحق يقال كنت أعتمد كلية على ما كين شو، ولم أخبره عادة بما أرغب فيه، كما أنه كان لدي ميزانية محدودة، وغير مسموح لنا بالتبذير أو الصرف إلا بالقدر المحدد، هذا بينما كان جارنا الشيخ الذي جاء من سومطره يحمل معه الحليب، والقهوة، والسمن البقري، وكان لدى الأسر المجاورة لنا أيضًا الكثير من أنواع الأطعمة المختلفة بكميات كبيرة .

كنت قد دفعت تذكرة الذهاب والعودة، ثم حددت ميزانية نفقات المعيشة وغير ذلك لمدة شهر، وقد غيرت من العملة اليابانية إلى الروبية الهندية حوالي ٢٠٠ ين ياباني، وهي تساوي ٢٥٦ روبية هندية، وهكذا فيجب علينا أن نتصرف ونصرف طبقًا لهذه الميزانية القليلة، وعلى كل حال، فنحن الآن غادرنا المكان هنا، في طريقنا إلى الهدف المقصود مكة المكرمة ، تاركين من خلفنا سنغافوره الجميلة!

حين كنا نغادر ميناء سنغافوره، شاهدنا سفينة أوربية جميلة، كان يقف على سطحها كثير من الرجال والنساء، وكان بعضهم يلقي بالنقود المعدنية على قارب صغير يقف بالقرب من السفينة، بينما يقوم الصيادون الموجودون في القارب بالغوص في الماء بحثًا عنها، وكان هؤلاء الأوربيون ينظرون إلى هذا المشهد، وهم في غاية المتعة والسرور.

بعد أن غادرت السفينة الميناء كان من الضروري أن تقضي ليلة راسية بالقرب من الميناء، ربما كانوا يريدون تحميلها ببعض الأمتعة الأخرى !

٣

من سنغافورة إلى جدة

كنا نصلي جماعة على ظهر السفينة، عبرنا المضيق بين سومطره وكثير من جزر الملايو، كنا نتجه ناحية الشمال الغربي.

كانت سفينتنا سفينة لشحن البضائع، سرعتها ١٣ عقدة، وهي تمضي بهدوء على سطح الماء الأزرق، قمنا بتسخين الخبز، وطبخنا الأرز المسلوق، وأكلنا طعامنا، كنا نتمتع بمنظر الغروب على صفحة الماء، وهزني المنظر فكتبت هذه الأشعار :

«من بين أطفال جاوة

وبنات الملايو

أنظر إلى غروب الشمس

مر هذا النهار

بينما أنا على حافة السفينة

أشاهد السماء ناحية الشرق

أشعر بهبوب رياح باردة

تحمل بين نسماتها الراحة».

في يوم السادس والعشرين (من شهر مايو) في الساعة الرابعة عصراً، وصلنا إلى «بي نان» (جنوب ماليزيا) يمكن الآن أن أشاهد المنظر البديع لساحل البحر، حيث تمتد أشجار النخيل التي تعكس ضوء الشمس، دخل السفينة كثير من الباعة، اشتريت قليلاً من المانجو والليمون والموز.

في اليوم التالي فوجئت بوجود بعض الأمتعة في مكان نومي، وهكذا فقدت مكاني، وكان علي أن أتجول هنا وهناك ليوم كامل.

كنت أسلي نفسي بمشاهدة الأزياء الملونة التي يرتديها الناس، وحين أشاهد هذه الملابس الملونة أجد نفسي أفكر في العلاقة بين الألوان وعقل الإنسان.

من هذا الميناء ركب نحو ٣٠٠ حاج، وفي آخر الليل كنا نعبر خليج البنغال، الرحلة هادئة تمامًا، وهذه المرة أكلت الأرز المسلوق، وورق الفجل الأخضر الذي أحضرته معي من شنغهاي، كان لذيذًا جدًّا !

ما عدا وقت الصلاة كنت ألتزم بالجلوس على أرضية السفينة أشاهد شروق الشمس، وغروبها، لا شيء في ذهني على الإطلاق، فقد كنت بالفعل خالي البال من التفكير في أي أمر!!.

في ليلة التاسع والعشرين هبت عاصفة عاتية جعلت السفينة تهتز يمينًا ويسارًا، ولحسن الحظ اختار «ما كين شو» لنا المكان الموجود في الدور الأسفل من السفينة، ولهذا كان الاهتزاز أقل، ولهذا شكرته.

لم نستطع أن نطبخ الطعام بسبب هبوب العاصفة وحركة السفينة، ولهذا أكلنا بعض الخبز وشربنا الماء ولا شيء غير ذلك.

بعد مرور وقت قصير بدأ معظم الناس يشعرون بدوار البحر، وأصيب ما كين شو أيضًا بدوار البحر !! وأنا في الأساس لست بقوي، ولا يمكنني أن أقاوم اهتزاز السفينة، ولكن بحمد الله منذ أن غادرت شنغهاي لم أتعرض لأي مشكلة، وربما يرجع السبب إلى عزيمتي القوية، كما أن معنوياتي صارت قوية أيضًا.. هذا هو ما أشعر به الآن.

نحن اليوم في الثلاثين من مايو، ولا تزال العاصفة تعصف بشدة، فترتفع

الأمواج عالية جداً، ومع هذا تمكنت اليوم أيضاً من تناول بعض الخبز وشرب قليل من الماء، كما أننا صلينا اليوم معاً صلاة الجمعة..

كتبت هذه الأشعار :

« حين أقرأ الشعر الذي

أبدعه الإمبراطور

يتملكني شعوز الاحترام له

أنا أفخر بأنني ياباني

وبأنني مطيع لهذا الإمبراطور

أنا الآن في قلب المحيط الهادي

أريد أن أحمد الله وأبتهل إليه

أريد أن أبث إلى الله حبي

أنا أمضي فوق أمواج عالية

تضرب المحيط ضربات قوية

لكني كلما صليت لله

أشعر بأنني أقوى

ورغم أنني أمضي وسط العاصفة

فإنني أسمع صوت القرآن

لأني أرى أمامي آيات

من آيات الرحمن

أنا هنا في خليج البنغال

معي رفيق

شاب مسلم من الصين

أنا بين أناس من منطقة المحيط الهادي

نمضي جميعًا معًا..

نطفو فوق صفحات الماء

حيث تقلبنا الأمواج

ذهني مملوء بالأمان

أريد أن أحفظ قلبي المؤمن

من وسوسة الشيطان

أعتقد أن الخريف سيحل سريعًا

على شعب اليابان

أشعر بسرور وسعادة

فرفيقي من خارج وطني

رفيقي ليس من اليابان

رفيقي شاب، إمام طيب

يحمل في القلب الإيمان».

في يوم الواحد والثلاثين صفت السماء، لكن العاصفة كانت لا تزال تهب بشدة، بينما الأمواج تعلو كالجبال، لم أكن أفعل شيئًا سوى الجلوس، أستريح من كل تفكير وأُخلي ذهني من كل شيء، حتى يكون صافيًا، بعد ذلك نهضت وغسلت ملابسي، ولاحظت أن بعض «الدمامل» ظهرت على فخذ رفيقي ما كين شو، جعلته يعاني من الألم، بينما أصيب الإمام المجاور لنا بالحمى، قدمت له بعض

الدواء.. في هذا اليوم أكلت الخبز وشربت الماء فقط..

وكتبت هذه الأشعار :

«السفينة تمضي فوق أمواج عاتية
تمنيت أن أكون مثل هذه السفينة
في الليل شعرت بزخات المطر
تسقط على وجنتي
حتى قمر مايو تبلل بالمطر
كم هو جميل شروق شمس
يوم الأول من يونيو
حين شاهدت شروق الشمس
تذكرت بلادي
من بين أطفال الملايو
رأيت طفلاً شبيهًا بطفلي».

وصلنا بعد منتصف ليل اليوم الثاني من يونيو، إلى كولومبو، لم تكن في ميناء كولومبو ولا سفينة يابانية واحدة، شعرت بالخزي !!

اشتريت أربع حبات من المانجو، أكلت المانجو، وشاهدت قوس قزح في السماء ناحية الشرق، هطلت أمطار غزيرة طول اليوم، عبرنا المحيط الهندي، أصيب أحد المسافرين بالدوسينتاريا، فقاموا بعزله في غرفة صغيرة، وعرفت في اليوم التالي أنه مات، كان الرجل من سكان جاوه، قاموا بإلقاء جثته في البحر.

لا تزال الرياح الشديدة تعصف والأمواج العالية تضرب السفينة، ولهذا سبَّب صوت إلقاء الجثة وسط هذا الجو شعوراً بالحزن الشديد عند المسافرين.

من حسن حظي أنه لا تزال لدي شهية لتناول الطعام، وقد تحسن الجو في الخامس من الشهر، استحممت بعد مرور أسبوعين، واستخدمت في ذلك لترين من الماء.. بدأوا في فحص التذاكر، واستغرق هذا الأمر ساعتين تقريبًا، شاهدت كثيرًا من كبار السن من الرجال والنساء، أصيبوا بالإرهاق الشديد، كما أصيب الأطفال بالضعف والهزال.

أذكر أنه بعد ثورة ميجي الإصلاحية، ظهر لدى كثير من الناس طموح شديد، للسفر إلى أوربا، والآن يمكنني أن أتفهم مشاعر هؤلاء، وأنا أيضًا مسافر وسأبذل كل ما أستطيع من أجل بلدي، ومن أجل أهلي، سوف أقوم بهذا الواجب الصعب!

السادس من يونيو..

بعد صلاة الفجر كان يمكن أن أشعر بجمال الشمس.. فبعد فترة طويلة ساد الهدوء كل شيء، وهدأت الأمواج، وتجمع الناس من جديد مع بعضهم، وعمت السعادة، وانتشر بينهم الفرح والسرور.

في الليل شاهدنا الهلال في السماء... كان أحد الصبية يغني! كان صوته جميلاً مما جعل الناس يتأثرون، هنا نظمت هذه الأبيات:

«صنع لعبة، صنع «فُريرة»

وقال لي:

أمسك بها

كان طفلاً من تايلاند

شديد الشبه بطفلي

الموجود في اليابان».

في الليل شعرت قليلاً بالحمى، فلم أستطع أن أنام، كنا نقترب من جزيرة العرب، صنعت نوعًا من الحلوى اليابانية، وتناولتها، فشعرت بالتحسن !

حدث نقص في مياه الشرب، وهكذا كان علي أن أبلل حلقي بقليل من الماء.. وفي يوم الثامن من الشهر زادت عليّ الحمى، وبدأت مفاصلي تؤلمني.. أشعر بالاضطراب.. وفي يوم التاسع ارتفعت درجة حرارتي أكثر فأكثر.. فقمت بعمل حلوى يابانية مرة أخرى، وفي الليل تناولت الأرز الأبيض، وأكلت بصلة كاملة...

ونظمت هذه الأبيات:

«وجهي يتصبب عرقاً
مثل قطرات المطر
أنا لا أمسح عن وجهي
هذي القطرات
فأنا أعاني من الجفاف
أعاني من نقص الماء
الناس الآمنون ولدوا
تحت أشجار النخيل
في جنوب المحيط الهادي»

وصلنا «عدن» في العاشر من يونيو، كانت مياه البحر الأحمر هادئة، كما لو كان البحر حزينًا، وكان الماء صافيًا، لدرجة تجعلنا نظن أننا نرى قاع البحرا بالقرب من الشاطئ توجد رمال ناصعة البياض.. كانت الألوان زاهية ومؤثرة، بينما كان الناس يقومون بالصيد في قوارب صغيرة..

مضينا نبحر في البحر الأحمر، وهنا لم نكن نرى سوى البحر، ولم نكن نشاهد

لون الخضرة، لكن السحاب الأبيض كان يطفو فوق التلال الصفراء، وكنت أحيانًا أشاهد السمك يقفز على سطح الماء بجوار السفينة، كما كان طائر النورس يحلق بمحاذاة السفينة.. بينما نور محمد.. الياباني.. الذي تحلل من معظم ملابسه يرقد على ظهره، يفكر في الأساس الروحي لنهضة اليابان..

وبالتدريج صارت كمية الطعام أقل وأقل.. لا.. في الحقيقة بدأ الطعام ينفد.. وصلنا جزيرة «كمران» التي يسيطر عليها البريطانيون، وهي مرتفع رملي صخري صغير.

وضعونا في قوارب صغيرة، وحملونا إلى الجزيرة، وهناك فحصونا، ورشّونا بالبودرة، وبعد ذلك وضعونا في أقفاص شبيهة بأقفاص الدجاج.. وعندها تذكرت «الكرنتينة» في سنغافوره، لكنني كنت هنا، أشعر رغم كل شيء بالراحة.

بعد أن وصلنا إلى هذا القفص بدأت أطهو الطعام، وقد اشترى بعض الناس لحم الضأن، وأهدوني بعض اللحم.. أوه بعد فترة طويلة جدًّا تيسر لي أن أشم رائحة اللحم! كان الجو جميلاً، رائعًا، براقًا بفعل ضوء القمر، ودخان الطبخ يتصاعد من هنا وهناك، بينما صوت تلاوة القرآن الكريم يتردد صداه عبر البحر الأحمر!! وهكذا نسيت متاعب الكرنتينة ومصاعبها بل مصائبها حين صليت صلاة العشاء.

هذه الليلة في جزيرة كمران ليلة ثمينة، ليلة غالية، ليلة مقدسة، وخلال الرحلة لا أريد أن أشكو أو أنتقد السياسة البريطانية الاستعمارية لجزيرة كمران، فهدفنا هو مكة المكرمة.. هذه المتاعب، وهذه الصعوبات هي بالنسبة لي قدر من الله، وهي بالنسبة لي جنة..

الثاني عشر من الشهر.. بعد صلاة الفجر!

كان الجو صحوًا، وكان علينا جميعًا أن نخرج من هذه الأقفاص، فيجب أن

يفحصنا المسئولون ثانية، وهكذا حين خرجنا من الأقفاص بدأوا ينادون علينا بالاسم.. واحداً واحداً، وفحصونا جيداً.. لم أتعرض لأي متاعب.. ومرة أخرى حملونا في قوارب صغيرة، وأعادونا إلى سفينتنا من جديد.

شعرت بالحرارة تسري في جسدي.. يبدو أنني أصبت بالحمى ثانية! لكني أكلت السمك الطازج بالليمون، وأكلت المانجو والبيض، وهكذا شفيت بتناولي لهذه الطعام.

في جزيرة كمران قاموا باستقبالنا والاحتفال بنا عن طريق إطلاق ما يشبه الألعاب النارية في السماء.. اتجاه القبلة الآن ناحية الشمال الغربي، ورحلتي التي بدأتها من الغرب إلى الغرب تأتي على نهايتها.

اليوم الثالث عشر، وهو يوم الجمعة، وهكذا فسوف نصلي الجمعة، أخذت أغسل جسمي في البحر.. وقد كنت أحاول أن أثبت إيماني بالله، وأن أبرهن على أنني أعبد الله الذي هو في السماء، والذي هو في كل مكان.

بينما كنت أسافر بالسفينة كنت آمل أن أتوصل إلى شيء فيما يتعلق بنظريتي عن الشنتوية.. كما كنت أيضًا آسف لما فعلته مع «ما كين شو» ففي كل وقت كنت أطلب منه شيئاً، وكنت أنتقده، وأحيانًا كنت أعنفه، وقد حدث هذا عدة مرات منذ أن بدأنا الرحلة، ولهذا فأنا آسف على كل ما بدر مني نحوه.!

بينما كنت أشاهد غروب الشمس رأيت شابًّا، ابن أحد الأئمة من «جوهر» كان الشاب يستطيع أن يتكلم الإنجليزية جيداً، ولهذا تحدثنا معًا حتى حل الليل.. كان ينتقد السياسة البريطانية.

غداً سوف نصل إلى جدة، يجب على كل إنسان أن يستعد للنزول من السفينة، كنت أجلس أعلى السفينة، أتمتع بمشاهدة القمر على صفحة السماء.

في الرابع عشر وصلت السفينة إلى جدة، فاغتسل الجميع وغيرنا ملابس الإحرام!!، والمسلمون الصينيون طبقًا للمذهب الحنفي، حين اقتربوا من جدة وعند مكان معين [ربما يقصد يلملم] وجب عليهم أن يرتدوا الإحرام، والإحرام قطعتان من القماش الأبيض، يلف إحداها على الجزء الأسفل من الجسم، بينما توضع القطعة الأخرى على الظهر، بحيث لا تغطي الرأس، كما يجب ألا نلبس حذاء[١]، ويجب أن نجهز أنفسنا فنصوم أسبوعًا قبل الحج، ويجب أن تتذكر بعض الوصايا وعددها ١٢ وصية، وتحفظها جيداً حتى لا يصدر عنك أي خطأ أثناء أداء مناسك الحج.

المسلمون الذين جاءوا من جنوب المحيط الهادي ينتمون إلى المذهب الصوفي، وسوف يحرمون بعد مغادرتهم جدة، قليل من الناس وأنا منهم كنا قد أحرمنا بالفعل، كنا سنصل اليوم إلى جدة، لكن مرة أخرى يجب أن نوضع في الكرنتينة[٢] في إحدى الجزر القريبة من جدة ! لكن هذه المرة لا يوجد أي مسئول، ولا يوجد تنظيف بالبودرة، فقط جعلونا نقضي ليلة في هذه الجزيرة المعزولة الواقعة في جنوب مدينة جدة.

أحد الحراس العرب.. رجل عجوز.. حين رآنا في ملابس الإحرام، أخذنا إلى مكان أكثر تهوية من المكان الذي وضع فيه الآخرون، وطلب منا بعد ذلك «إكرامية» فأعطيته روبية، وقد اهتم بنا كثيراً حتى وقت الرحيل في اليوم التالي.

ويطلق على هذا المكان اسم «جزيرة» وهي جزيرة محاطة بأعشاب مرجانية، وقد لاحظت أن المياه بالقرب من شاطئ البحر ضحلة ليست عميقة، أما لون ماء

---

(١) يقصد حذاءً مخيطًا - المترجمان.

(٢) الكرنتينة أي الحجر الصحي - المترجمان.

البحر فهو أخضر غامق، كما أنه شفاف جداً..

في الليل وفي ضوء القمر كنا نقف على شاطئ البحر بملابس الإحرام البيضاء، التي كانت ترفرف بفعل هواء البحر.. هذا المنظر غمرني بشعور روحاني.. ليس لدي الآن أي مشكلة، ليس عندي الآن شكوى من أي شيء..فكل الأمور تمضي على ما يرام، وكل شيء يبدو جميلاً.. وبينما كنت أتطلع إلى أمواج البحر الهادئة تناولت بعض الأعشاب البحرية، وأكلتها! فكان هذا بالنسبة لي هو طعام العشاء.. هذه الليلة الأولى في جزيرة العرب هي بالنسبة لي ليلة لا تنسى أبداً.!

كان معظم الناس مرهقين جداً بسبب رحلة السفينة، وما عانوه أيضًا في الكرنتينة، ولهذا تغير لون وجوههم، وعلت الوجوه مظاهر البؤس أو الشقاء، لا أحد يستطيع أن يقدر مدى التعب الذي يصيب الناس في هذه الرحلة البحرية، بالسفينة الصغيرة هذه، إلا من خبرها ومر بتجربتها بنفسه.

في الصباح الباكر لليوم التالي، أرشدنا العربي العجوز إلى قارب شراعي صغير، كان الهواء يدفع الشراع، فمضى القارب بسرعة على سطح الماء، لم نكن نتوقع هذه السرعة، كان هناك ما يقرب من خمسين قاربًا شراعيًّا متجهة إلى جدة، كانت الأشرعة البيضاء تمضي فوق مياه البحر الخضراء، فتشكل منظراً بديعًا ، بسبب تناغم الألوان وانسجامها، وخلال ثلاث ساعات وصلنا إلى مرفأ جدة، وصارت المياه من الضحالة لدرجة أن القارب الصغير لا يمكنه أن يصل بنا إلى الشاطئ!

بعد قليل وصلنا إلى مبنى الجمارك.. سألنا أحد الضباط: هل أنتم صينيون؟ كان يمكنه أن يخمن ذلك، فقد كنا جميعًا في ملابس الإحرام، رحب بنا نحو خمسين شيخًا، وقمنا بتحيتهم، وقاموا بعد ذلك بتقسيم الحجاج طبقًا للمنطقة التي قدموا منها.

كان علينا أن نمر بمرحلة فحص أخرى، عبر مكتبين من مكاتب الفحص، دفعنا أجرة المركب الشراعي: خمس روبيات لكل حاج..

نحن مسلمون صينيون، لم نواجه أي متاعب، ولم نتعرض لأي صعوبات البتة، كان هذا شيئاً مفرحاً بالنسبة لي، شعرت بالسعادة، لم يكن معي جواز مرور للحج إلى مكة لأن مملكة الحجاز ليس لديها علاقات مع اليابان، لهذا لم يكن هذا ضروريًّا، كما أن الخارجية اليابانية لا تتدخل في هذا الأمر، إلا أن الخارجية الصينية والمسئولين الهولنديين في جنوب شرق المحيط الهادي قرروا هذا العام أن يحمل الناس جواز مرور للحج، وعليه سوف تقوم الحكومة في الحجاز بتحصيل بعض الرسوم، والرسوم أربعة قروش على كل جواز، وأربعة قروش رسوم تدفع عند دخول جدة، ومثلها عند المغادرة، لكني لم أستطع فهم سبب إعفاء المسلمين الصينيين من هذا !! ربما القنصلية البريطانية تتدخل في هذا الأمر من أجل رعاية الصينيين.!

٤

من جدة إلى مكة

مرت مرحلة الجمرك دون متاعب تذكر، فلم يكن لدينا أمتعة كثيرة، لكنهم هذه السنة يأخذون رسوماً جمركية حتى على الطعام الذي يحمله الناس! وبعض الناس حملوا معهم كميات كبيرة من الطعام، كما أحضر الآخرون بضائع، وأشياء للبيع هنا، لهذا كانوا يشكون من فرض هذه الرسوم، لكن هدف الجميع كان الوصول إلى مكة، ولهذا كانوا يتناسون هذه الشكوى، وسط رغبتهم العارمة في الوصول بأسرع ما يمكن إلى مكة المكرمة.

جدة مدينة صغيرة تم تخطيطها بالقرب من شاطئ البحر، لكن الميناء نفسه عديم الجدوى لأنه ليس بعميق، ولهذا لا يمكن أن تصل السفن إلى آخر المرفأ،

ويجب أن تبقى السفينة الكبيرة في عرض البحر بعيداً عن المرفأ لمدة طويلة حتى يخلو الميناء – البعيد عن المرفأ – من السفن الصغيرة، ولما كان الركاب جميعهم من الحجاج لهذا فهم يتحملون بالطبع مشقة الانتظار.

منظر مدينة جدة من البحر، بمبانيها المرتفعة، وألوان مبانيها البيضاء منظر جميل وخلاب، ترفع المباني خمسة أو ستة طوابق، وهي مبنية بطريقة تستخدم فيها الأخشاب، مع البناء الحجري والإسمنتي، وأظن أن هذا الطراز من البناء هو طراز معماري عربي أصيل، والمباني سطحها مستوٍ، وقد جعلوا من أسطح المباني نوعًا من الحدائق، وقد شاهدت هذا الطراز المعماري نفسه في الصين، وبخاصة بالقرب من نهر «كوجا» (بجيم مصرية)، لكن الشيء المختلف هو أنهم هنا لديهم نوافذ تبرز قليلاً عن مستوى حائط المبنى، والإطار لونه أبيض، والنوافذ مصنوعة على طراز الموزايك، وهذه النوافذ (المشربيات) تعطيني شعوراً بأنها شبيهة بما في البيوت اليابانية أحيانًا، وهذا أمر يثير الدهشة.

كانت إقامتنا في فندق (منزل) عبده مصطفى[1]، وقد أسكنوا الناس معًا طبقًا للمناطق التي قدموا منها، ولهذا أخذت أنا ورفيقي غرفة جيدة التهوية، كانت الغرفة مجهزة بسجادة مصنوعة من نبات ما[2]، وكانت الغرفة المجاورة لنا مخصصة للحجاج الذين قدموا من جاوه، بينما كان الطابق الثالث مخصصًا للحجاج الذين جاءوا من سومطره، والرابع للحجاج الذين جاءوا من بورنيه.. كان المبنى مملوءاً عن بكرة أبيه بالحجاج، وهذا الفندق – إن صح التعبير – يقدم لنا فقط الغرف للإقامة، وعلينا بادئ ذي بدء أن نشتري الماء بأنفسنا، فهناك من

(١) عبد المصطفى هكذا في الأصل – المترجمان.

(٢) ربما يقصد الحصيرة المصنوعة من نبات «السمار» –المترجمان.

يبيعون الماء لنا، وهم يحملونه في قربة مصنوعة من جلد الماعز، يضعونها على ظهور الحمير أو البعير، ويمرون بها على الحجاج، والقربة الكاملة بمبلغ ين واحد، ونحن بالطبع نحتاج الماء للوضوء، كما أننا نشعر بالعطش بسرعة بسبب حرارة الجو، ولهذا نحتاج لتراً من الماء، ونحتاج أيضًا ماء من أجل الطبخ، ولهذا كان علينا أن ندفع مبلغًا كبيراً من المال من أجل الماء، أظن أن هذا أمر يمكن لليابانيين تخيله.

ومدينة جدة مملوءة بمثل هذا النوع من الفنادق، يمكن القول بأن عدد المباني العالية يصل إلى ١٥٠ مبنى، لكن عدد المباني الصغيرة التي تستخدم كفنادق لا يحصى، وهناك نوع من المقاهي، يصل عددها إلى خمسة عشر مقهى، وهي شبيهة ببيوت الشاي التي يمتلكها المسلمون الصينيون، أما المحلات التي تبيع الأغراض والحاجيات للحجاج فهي كثيرة جداً، وهي تكفي لسد حاجة جميع الحجاج من البضائع وخلافه .

وعلى الطريق يمكن أن تشاهد أنماطًا كثيرة من البشر، من جميع الأجناس، قدموا من جميع أنحاء العالم، وهم يرتدون أزياءهم القومية، يمشون، ومن بينهم تمشي البُعران أيضًا بالمئات وأحياناً بالألوف، وبالإضافة إلى البعير هناك عربات تجرها الجياد، ولا توجد سيارات أو عربة الركشا[١] الآن، والمدينة نفسها لا تعج بالضوضاء كغيرها من المدن، ويمكن استخدام العملات التالية:

- العملة السنغافورية الفضية.
- عملة جاوه الفضية.
- عملة إندونيسيا الفضية.
- الروبية الهندية.
- الجنيه الإنجليزي .

(١) يقصد العربات التي يجرها الإنسان– المترجمان.

وهذه العملات تروج كثيراً، لكن هناك في مملكة الحجاز عملة يطلقون عليها «القرش»، وهي عملة معدنية بيضاء ومن النحاس وأيضًا من الفضة، أما البريد فالمظروف يرسل بأربعة قروش، وهم يستخدمون البطاقات البريدية البريطانية، وهذا يعني أن الخطابات ترسل عن طريق إنجلترا !!

وكنت أشاهد كل صباح طائرة تطير على مستوى منخفض، وهي تصل البر بالبحر، ويمكن أن أشاهد عدداً قليلاً من العسكر ورجال الشرطة، ومن الطبيعي أن الحجاج لا يحتاجون إلى مثل هؤلاء حتى لو كانوا قليلي العدد، لأن الحجاج بطبعهم هادئون، يمضون مثل قطيع الغنم.

في اليوم الرابع لوصولنا تمكنا من تأجير جمل، وهم يقولون للطلوع فوق ظهر الجمل «يركب»[(١)]، وهكذا كنا مستعدين لركوب الجمل والانطلاق إلى مكة المكرمة، وهم يضعون على الجمل شيئًا يسمونه «الشغدف» يركب فيه المسافر، ويمكن أن يركب اثنان في كل شغدف، على أن يكون بينهما تناسب في الوزن، وذلك لحفظ توازن الشغدف على ظهر الجمل، وإذا لم يثبت الشغدف جيداً، فإنه يظل يتأرجح.

وإذا بدأت القافلة تتحرك؛ فإن هذا يكون عادة بعد المغرب وحتى طلوع شمس اليوم التالي.

ربما سقطت من فوق الجمل إذا ركبته وحدي لهذا كان عليّ أن أختار رفيقًا لي، حتى نركب الجمل مستخدمين الشغدف، والمسافة من جدة إلى مكة حوالي ٦٠ ري[(٢)]، وتستغرق الرحلة نحو ليلتين، دفعنا ٤٢ روبية من أجل الجمال، و١٠

---

(١) يبدو أنه استخدم الفعل هنا ويقصد ركوب – المترجمان.

(٢) الري يساوي ميلين ونصف الميل تقريباً – المترجمان.

روبيات من أجل المكان الذي سننزل فيه.

الساعة الخامسة مساء يوم ١٨ يونيو:

وضعنا أمتعتنا على الجمال، أخذنا ثلاثة جمال، وتحركنا تجاه مكة، في ذلك الوقت بلغني أن جماعة من المسلمين الصينيين وصلت عند البوابة.

وهنا يجب أن يفحصوا أوراقنا من جديد، ولكننا أريناهم شهادة تفيد إقامتنا في الفندق في جدة، ولهذا لم تكن هناك مشكلة.. كان هناك مئات بل آلاف من الناس يريدون أن يعبروا البوابة، كان الزحام غير معقول على الإطلاق، ولا يمكن أن يصدق.

لا أريد أن أكون في عجلة من أمري هنا، غادرنا بوابة الجهة الشرقية، ومضينا عند قبر يقولون بأنه قبر أم البشر، وأظن أنه بالضرورة قبر حواء.

توقفت الجمال أمام مقهى، بدأ نجل الجمّال وأحد الغرباء الذي تبعنا منذ عبرنا البوابة في تناول الشاي في المقهى دون أن ينبسوا بكلمة.. ومن هنا لحق بنا الناس الذين ينتمون إلى سومطره، ومروا بنا وهم يمتطون ظهور جمالهم، وكان الناس الذين يعرفون هذا المكان جيداً، والناس الذين يفتقرون إلى المال، يمشون على أرجلهم، حاملين جراراً مملوءة بالماء..

غضب رفيقي «ما كين شو» وقال لي سوف أقوم بسحب الجمل، لا بد أن نتحرك بسرعة، لكنني عنفته قائلاً: لا يجب أن تكون في عجلة من أمرك..

بعدها ذهبت إلى المقهى وبدأت أشرب الشاي، لقد اعتاد ما كين شو على سماع حكايات عن الجمالين، وعاداتهم السيئة، فهؤلاء الجمالون لهم مظهر طيب، يرتدون ملابس بيضاء فضفاضة، واسعة، وطويلة لدرجة أنها تكاد تلمس الأرض، وهم يغطون رءوسهم بقماش أحمر، ويربطون خصرهم بقماش أحمر، ويثبتون في

خصرهم سيفًا عربيًا في جراب جلدي، كما يعلقون أيضًا خنجراً صغيراً على الجانب الأيسر من صدرهم، ومعهم أيضًا بندقية موضوعة في جراب خاص، ويحملون أيضًا في يدهم «السوط»[(١)] لضرب الجمل وحثه على السير، وهم يمشون في أغلب الأحيان حفاة، لكن بعضهم يضع في قدمه «صندلاً» جلديًا فخمًا!! وهذا الصندل شكله ما بين الشبشب الياباني والشبشب الهندي، يبدو بدائيًا لكنه أنيق، وعيونهم مفتوحة طول الوقت، تبحلق بكل اتساعها، وهي عيون حادة، كما لو كانوا من كهنة جبل «هيئيه Hiei» في كيوتو[(٢)]، وكان واحد من كل ثلاثة يحمل بندقية طويلة، وكنت أتساءل هل هذه البندقية لحماية زبائنهم؟! ذلك لأن معظم الحجاج يخافون منهم بسبب مظهرهم هذا.

في الطريق كان جميع الحجاج مطالبين بدفع بعض النقود لهم، ولهذا كان رفيقي ما كين شو غاضبًا جداً، لكنه في الوقت نفسه كان خائفًا، على كل حال هم بحاجة إلى النقود، والإنسان منذ بداية مولده لم يكن معه أي شيء.. هكذا قلت لما كين شو.. وقلت له أيضًا: أنت شيخ، إمام وإذا أراد هؤلاء حياتك فلا بد أن تكون مستعداً لتعطيهم إياها، ومثل هذا الاستعداد مهم جداً.!

تناولنا معهم الشاي لمدة ساعة! وكلما سألونا شيئًا، لم نجبهم أبداً.. تظاهرنا بأن المسلمين الصينيين لا يمكنهم أبداً أن يتكلموا العربية كما لا يمكنهم فهمها على الإطلاق.

بعد حلول الظلام مرت من أمامنا قافلة أخرى، ولهذا سنبدأ التحرك، وهكذا مضينا بين القوافل متجهين ناحية الشرق، وهكذا مضينا شرقًا!

---

(١) أي الكرباج الطويل – المترجمان.

(٢) مقر جماعة الزن البوذية في كيوتو– المترجمان.

قام بعض الناس بالتيمم واستخدموا التراب بدلاً من الماء، ثم صلوا ناحية الشرق، تجاه القبلة، كان الطريق بالطبع طريقاً رمليًا مترباً، من الصعوبة بمكان أن يمضي فيه الناس على الأقدام، كما كان علينا أحيانًا أن نعبر تلالاً صخرية، وأن نعبر أحياناً منخفضات صخرية أيضاً، لا توجد حشائش خضراء أو نباتات أو أشجار فوق هذه التلال، وحتى الأعشاب في الصحراء تبدو ذابلة بل جافة بفعل الحرارة الشديدة، لكن هناك نوعًا واحداً من النباتات يعيش في الرمال وهو نبات قوي جداً، بالإضافة إلى هذا هناك شجرة الشوك، وهي قصيرة يمكنني أن أشاهدها في أماكن متفرقة.

قمر ليلة السابع عشر ظهر من فوق قمة الجبل في الجانب الشرقي، كان لونه مثل لون اللهب، وكان الهواء الساخن يهب علينا كأنه النار، شربت الماء مرات ومرات وأنا قابع في الشغدف فوق ظهر الجمل، كان الجمّال يلح في طلب النقود، لكني تجاهلت طلبه.. وانشغلت بنظم هذا الأشعار:

«الآن أقول وداعًا

وأنا في هذه الملابس البيضاء

التي تغطي جسمي

في ليلة مقمرة

أمتطي ظهر البعير

متجهًا إلى مكة المكرمة»

كان جميع القادمين من جدة يرتدون ملابس الإحرام البيضاء، وكان هذا المنظر تحت ضوء القمر، يجعلهم مثل نقط بيضاء تتقارب فيما بينها، وتتداخل في منظر بديع كأنه استعراض فني رائع.

في الطريق شاهدنا بعض الناس يبيعون الماء، ورأينا بعض النسوة والأطفال

يتسولون، يلحون في طلب النقود، لكنهم بالنسبة لي، ومن مظهرهم، يبدون ظرفاء ومهذبين أشعر أنهم ينتمون إلى ما قبل عصر نارا(1).

في الصباح وصلنا إلى محطة «بحرة»، وهي تقع في منتصف الطريق الواصل بين جدة ومكة، ويوجد فيها بعض الآبار، وطعم الماء هنا ليس بالسيئ، تحيط بها تلال صخرية، وهناك أيضًا وديان رملية تمتد أمامنا، توجد محلات ودكاكين صغيرة يصل عددها إلى الخمسين تقريبًا، كما يوجد أيضًا عدد من المقاهي، وعند هذه المحطة تشرب البعران الماء، وتأكل العلف، كما يستريح الناس أيضًا، وإذا دفعنا ما يساوي ٤٠ سين في المقهى، فيمكن أن نجد مكانًا للنوم والراحة، لكن معظم الناس يفضلون البقاء في الشغدف ويضعون فوق رءوسهم قطعة من القماش مثل المظلة، ويبقون هكذا طول النهار.

لا شك أننا كنا مرهقين بسبب الرحلة البحرية، كما أن المكان الذي نزلنا به في جدة لم يكن مريحًا، وكان علينا أن نمضي إلى هنا على ظهر البعير، تحركنا، وتهزنا طول الليل، وخلال النهار علينا أن نواجه هذا الطقس الحار جدًّا.. لا شك بأن كل إنسان هنا كان يعاني كثيرًا.. اشتريت بطيخة كبيرة، كانت مفيدة جدًّا لنا..

في الساعة الخامسة مساءً غادرنا بحرة، علينا أن نمضي في الليل إلى الشرق، في الصباح الباكر في اليوم التالي وصلنا بحمد الله إلى مكة..

٥

مكة والكعبة

نحن في مملكة الحجاز، ومملكة الحجاز في غرب جزيرة العرب، وهي تمتد على طول البحر الأحمر من الشمال إلى الجنوب بطول ١٧٠ ألف ري(2)، ومكة هي

(١) يبدأ عصر نارا في اليابان سنة ٧١٠م وينتهي سنة ٧٩٤م ويليه عصر هئيان ـ المترجمان.

(٢) الري يساوي نحو ميلين ونصف الميل ـ المترجمان.

مركز هذه المملكة، وقد استقلت هذه المملكة عن الأتراك بمساعدة الإنجليز في يونية سنة ٥ تايشو، وقد حاول الشريف حسين شريف مكة أن يستقل عن الأتراك منذ مدة طويلة، وأراد أن يتولى هو نفسه أعلى منصب في الدولة الإسلامية[١]، وقد أعطته الحرب في أوربا فرصة لذلك، وقد أعلن نفسه خليفة لكن حتى السنة الماضية (نوفمبر من السنة الماضية) ظهرت حركة الاتحاد والترقي، و قام الأتراك بإلغاء لقب الخليفة، وكان على الخليفة عبد المجيد أن يغادر، فكانت هذه فرصة للشريف حسين ملك الحجاز، في الوقت الحاضر يقال إنه خليفة المسلمين، وهو حاكم في مكة حيث يعيش، وسلطته لم تصل الآن حتى إلى المدينة المنورة، وبعض مسلمي العالم لا يوافقونه بل يعارضونه ويقفون ضده، ومنهم الأتراك والمصريون والهنود والأفغان وغيرهم .. ومع هذا ولأن الحج إلى مكة يعني أداء أعظم فرض من فرائض الإسلام لهذا لا يمكن إلغاء الحج بسبب العلاقات الدولية أو المشاكل السياسية، فحتى الآن لا يزال الحجاج المسلمون يفدون على مكة، وقد وصل حتى الآن إلى مكة نحو ٥٠٠ أو ٦٠٠ ألف مسلم، قدموا للحج من كافة أنحاء العالم، ومن يأتي للحج من هؤلاء الناس، يكون لديهم عادة ما يناقشونه، سواء من وجهة نظر دينية أو ما يتعلق بالوضع في الدول المتقدمة، لكني لا أود أن أكتب الآن عن رأيي فيما يتعلق بهذا الأمر، أريد فقط أن أقول إن هناك معجزة في غرب آسيا، هذا هو ما أردت قوله.

مكة بلدة صغيرة، تحيطها الهضاب الصخرية التي يصل ارتفاعها إلى ٣٠٠ شاكو[٢]، وفي جنوب غرب الاتجاه ناحية عرفات، وغرب الاتجاه المؤدي إلى طريق

---

(١) إشارة إلى منصب الخلافة ورغبة الشريف في أن يكون خليفة المسلمين – المترجمان.

(٢) الشاكو = ٣ سم – المترجمان.

جدة توجد الكعبة، بجوار جبل صغير يطلق عليه الصفا والمروة ، وقد جعلت الكعبة مركزاً للبلدة.. ويمكن أن أرى البيوت في أماكن عالية، فقد بنيت فوق التلال الصخرية، وهذا المنظر – وجود البيوت في وادي الصخور – منظر غير عادي، ومعظم هذه المباني تستخدم مثل الفنادق.

حين وصلنا إلى مكة قدم لاستقبالنا في الحال «هاشي إن» و «كو أون»، فقد كان لديهما معلومات، وصلتهما من جدة تفيد بموعد وصولنا إلى مكة، اخذانا إلى الفندق، وكان موكلاً منذ وقت طويل لكل من «هاشي إن، وكو أون» استقبال الحجاج الصينيين، وهكذا استقبلا الكثير من قوافل الحج الصيني.

وصلت قوافل كثيرة إلى هذه المدينة الصغيرة في الوقت نفسه، ولهذا كان الاهتمام بالقادمين أمراً غير ممكن، ومن الصعوبة بمكان، استغرق نزولي من فوق الجمل وقتًا طويلاً، واستنفد من طاقتي الكثير أيضًا.

حين وصلنا إلى الفندق استقبلني صاحب الفندق، كما استقبلني أيضًا المسلمون الآخرون الذين كانوا قد وصلوا من قبلنا، أقبلوا علينا وقالوا: السلام عليكم، وتصافحنا، وكان أول ما فعلناه هو شرب الماء، الذي قدم لنا في جرار فخارية، ولما كنا اثنين، لذا وضعونا معًا في الغرفة نفسها، كان الصينيون الذين وصلوا قبلنا، ينتمون إلى مقاطعات مختلفة فهناك من جاء من كانساي (اثنان) وهناك من جاء من كاي نان (صيني واحد)، ومن أن نان (خمسة)، وكان الصينيان اللذان جاءا من كانساي قد لازما الفراش بسبب مرضهما، وكانا قد فقدا ثلاثة من زملائهما، ماتوا في الطريق، لأن الجو في مكة اشتدت حرارته كثيراً بشكل يفوق العادة..

الانطباع الأول عن مكة، والانطباع الثاني عن مكة هو لا شيء غير الحر، الحر الشديد، فنحن في مكة كما لو كنا في قدر للطهي... لا يوجد تعبير آخر غير هذا.

في الحال توضأنا بالماء، قمت بغسل جسمي من تلك الحشرات الكثيرة التي ماتت ملتصقة به، وهذا أمر بسيط جداً بالنسبة للرحلة، وبعد الانتهاء من الوضوء غيرت ملابس الإحرام البيضاء بأخرى نظيفة، وانطلقت مع ما كين شو واحد المطوفين إلى الكعبة، كانت هذه أول صلاة أصليها أمام الكعبة، صلينا وشكرنا الله وحمدناه على وصولنا إلى الحرم سالمين.. تذكرت أن اتجاه جميع مسلمي العالم يكون ناحية هذه القبلة التي أقف أمامها الآن.

كنا نلف جسمنا بقطعتين من القماش الأبيض، وحين دخلنا إلى الكعبة قرأنا بعض الأدعية، وقرأنا أيضًا بعض آيات من القرآن الكريم، ثم بدأنا الطواف حول الكعبة سبع مرات، وكنا في كل مرة نتوقف أمام الحجر الأسود، ونقول باسمك الله، الله أكبر ، وبالقرب من الحجر الذي وقف عليه إبراهيم حين كان يبني الكعبة[١]، قرأنا أيضًا بعض الأدعية، ثم صلينا ركعتين وشربنا من ماء زمزم، واسترحنا قليلاً، ثم خرجنا من بوابة على شكل قوس إلى الصفا والمروة فأتممنا السعي سبع مرات، أثناء السعي كان هناك مكان لا بد أن نهرول عنده، وبعد الانتهاء من السعي بين الصفا والمروة، مضينا بسرعة عبر طريق رملي ساخن حتى وصلنا إلى دكان الحلاق، فحلقنا رءوسنا..

وهكذا أتممنا العمرة، وجاز لنا أن نغطي رءوسنا، فغطيناها بقطعة من القماش، وشربنا كوبًا من عصير الليمون، ووصلنا الفندق وبدأنا في أخذ قسط من الراحة..

لقد كان الأمر صعبًا جداً، وإذا لم تكن لدينا طاقة جسدية قوية لما تمكنا من إكمال العمرة، احتفل بنا صاحب الفندق، وقدم لنا طعامًا جيداً، كما أرسلت لنا «أسرة هاشم» المسئولة عن ماء زمزم، زجاجات زمزم هدية لنا، وفي الليل دعتنا

---

(١) مقام إبراهيم – المترجمان.

هذه الأسرة إلى بيتها، إن الإشراف على ماء زمزم هو بالنسبة لهذه الأسرة تجارة وكسب، والإشراف على ماء زمزم يدر عليها ربحًا وفيرًا، وحين يعرفون بوجود الحجاج الأغنياء، يقومون على الفور باستضافتهم ودعوتهم لتناول الطعام، ويجعلونهم يقدمون بعض الصدقات، والليلة يجب علينا أن ندفع جنيهًا ذهبيًا مقابل ما قيمته روبية من الطعام الذي سنأكله..

أدركوا بفطنتهم أننا لسنا بأغنياء، كما أننا بدورنا لم نكن نريد أن نجلس فترة أطول، لم نتناول ولو حتى قطعة صغيرة من اللحم أو أي شيء آخر، لكننا رغم هذا دفعنا جنيهًا ذهبيًا، لأنهم يعدّون الحجاج الصينيين أغنياء بشكل أو بآخر، وقد أخبرتهم بأنني ياباني، وبأن رفيقي تلميذ يدرس ليكون إمامًا، ولهذا فليس لديه ولا مليم ! وأنا أيضًا على قدر حالي، معي القليل الذي يكفيني، وأدفع منه أيضًا نفقات رفيقي، وعند ذلك أعادوا لنا الجنيه وقالوا :

- إنك رجل فاضل جداً، لهذا لا تضع مالك.

ولم أرد عليهم بحرف !

قدموا لنا بعض النصائح، فطلبوا منا ألا نذهب إلى الكعبة للصلاة في النهار حتى نعتاد على هذا الجو، وأنه يجب علينا في البداية أن نصلي في الحجرة التي نقيم فيها، كما يجب علينا ألا نأكل السمك مع اللبن، فهذا خطر على صحتنا.

وقد انصعت لنصيحتهم، فكنا نذهب للصلاة في الكعبة وقت الفجر، وبعد غروب الشمس، لنصلي المغرب والعشاء، وكنا كلما ذهبنا إلى الكعبة للصلاة، قام أحد موظفي الفندق بحجز مكان لنا للصلاة، لم تكن الأرضية الحجرية تفقد حرارتها حتى أثناء الليل، فهي ساخنة جداً في النهار وفي الليل على حد سواء.

الماء حياتي.. وعلى كل حال مضى علي هنا ثلاثة أيام.

في صباح اليوم الرابع وصلت جماعة من مسلمي الصين تضم ٥٨ حاجًّا، كنت قد أخبرت صاحب الفندق من قبل بأن هذه الجماعة ستصل، وشعرت بأنه وبقية الموظفين يفكرون في أن يأخذوا منهم أكبر مبلغ ممكن من النقود، وبالطبع أكثر مما يأخذون منا، وعلى كل حال استطعت أن أظل مقيمًا في هذا الفندق بأقل تكلفة من الآخرين، إلا أن بقية المسلمين عليهم أن يدفعوا أكثر مقابل أشياء كثيرة يطلبونها منهم ، ومن ناحيتي لم أتدخل في هذا الأمر.

الكعبة في الأصل ليست أساس الإسلام فهي موجودة منذ عهود قديمة، وكانت العرب تفد عليها لعبادة الأصنام، ويقال بأن آدم وحواء التقيا معًا بالقرب من مكة، أما محمد نبي الله ورسوله ﷺ فقد ولد بعد آدم عليه السلام بستة آلاف ومئة وثلاثين سنة، والكعبة أوجدها الله تعالى، ولكن بعد آدم غرقت الكعبة من جراء الفيضان، فقام إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل بإعادة بناء الكعبة في الموضع نفسه الذي نراها فيه الآن.

حين ولد إسماعيل، أخذت أمه هاجر تبحث عن الماء بين الصفا والمروة، وفي المرة السابعة من بحثها عن الماء بين الصفا والمروة وجدت الماء الذي نسميه اليوم زمزم، ولهذا فسعينا بين الصفا والمروة هو ذكرى لهذا الوقت الصعب الذي عاشت فيه هاجر بحثًا عن الماء.

كانت العرب تقدس أب البشر آدم، وإبراهيم عليه السلام هو أب الأنبياء، وهناك أنبياء آخرون لكن يمكن أن أقول إنه بعد آدم جاء نوح ثم جاء إبراهيم، وولداه هما إسماعيل وإسحاق.

ثم جاء يعقوب وموسى وداود وعيسى ثم محمد، وهؤلاء جميعًا أنبياء ومحمد جاء بعد عيسى وهو خاتم الأنبياء، وهو ليس بإله، وليس بمبتدع لدين، وهو بشر، أوحي إليه بالإسلام، وهذا يعني أنه لم يأت بدين جديد، فحين ولد كان الناس

على أيامه يعبدون الأصنام، وكان هناك كهنة منحرفون، وكان هناك يهود يحرفون كلام الله، وكان هناك من يعبد النجوم، وكانت العلاقة بين الرجال والنساء علاقة غير شرعية، كانت هناك أفكار ومعتقدات خاطئة تجاه الدين، فقام محمد بالدعوة إلى عبادة الله الواحد، وحطم جميع الأصنام، وحارب المشركين، وطهر الكعبة من رجس الشرك والكافرين، وأعاد الناس إلى عقيدة التوحيد الصحيحة.

أما بيت المقدس ففيه مولد النبي عيسى، وإليه أيضاً كان بعض العرب يذهبون، يؤدون نوعًا من الحج، وحين كان محمد في المدينة وكانت الصلاة تجاه بيت المقدس، أمره الله أن يغير القبلة لتكون الصلاة تجاه الكعبة في مكة..

بعد عدة سنوات من هجرته إلى المدينة عاد محمد إلى مكة، فكان فتح مكة، واسترداد الكعبة من المشركين، وصارت مكة المدينة المقدسة الأولى، تليها بيت المقدس، وهذا هو السبب في قيام بعض المسلمين حتى اليوم بزيارة بيت المقدس[١] كنوع من شد الرحال.

ويرتبط حج مكة هذه الأيام بما حدث تاريخيًّا أيام سيدنا إبراهيم أو قبله، ولا يمكن أن نقول بأن محمداً اخترع هذا الحج، ومحمد أخبر الناس بأنه إذا مات انقسمت أمته إلى ٧٢ فرقة، والآن نرى أن أغلبية المسلمين هم أهل السنة وهي الفرقة الصحيحة، وأهل السنة بدورهم ينقسمون إلى أربعة مذاهب: الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي، ويوجد حول الكعبة اليوم مصلى خاصة بكل فرقة، فالجهة الشرقية للكعبة مخصصة للشافعية، والغربية مخصصة للمالكية والجنوبية مخصصة للحنبلية، والشمالية مخصصة لجماعتنا أي لجماعة الحنفية.

وتصلي جماعة مسلمي كل بلد خلف إمامهم في الوقت نفسه في الجهات

(١) ربما يشير هنا إلى الحديث النبوي «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة...إلخ» - المترجمان.

الأربع حول الكعبة، ولا تختلف طريقة صلاة جماعة كل مذهب عن طريقة الجماعات الأخرى، فهناك اختلافات طفيفة جدًا، والمسلمون من جميع أنحاء العالم يصلون في الوقت نفسه، وبالطريقة نفسها تجاه الكعبة، وهذا يمثل بحق «الحياة في الإسلام».

وهناك جدية كاملة في السلوك، يصعب على أهل الديانات الأخرى مثل النصارى أو البوذيين فهمها، إن لم يتعذر عليهم ذلك أيضًا.

فالناس هنا يجتمعون من شتى بقاع الأرض، من جميع الأجناس، يتجمعون في مكان واحد، بأزيائهم المتنوعة، وألبستهم المختلفة، نحو ٥٠٠ ألف مسلم يتجمعون في المكان نفسه، يؤدون الصلاة، ويدعون الله، ويبتهلون إليه.. كم هو مؤثر هذا المشهد !!

هنا في أقصى غرب آسيا يمكن أن نرى نوعًا من المعجزات الكبيرة ، فحتى رغم نقص وسائل المواصلات، ورغم حالة الطقس السيئة جدًا، وفي هذا البلد الصغير، وفي هذا الوادي غير ذي زرع نستمر نمضي معًا على الدرب الذي مضى عليه إبراهيم، ونفعل ما فعل، ومن ناحية أخرى، ففي شرق آسيا هناك بلد يعيش منذ ٢٦٠٠ سنة يحتفظ بنظامه الإمبراطوري، هنا يجب أن نفكر في حقيقة وجود مثل هاتين المعجزتين !!

صار الفندق مزدحمًا جدًا بعد وصول الجماعة الصينية التي تضم ٥٨ حاجًا صينيًا، ومكة نفسها صارت مزدحمة بالناس.

كان هناك بعض الناس استأجروا غرفًا في الفندق ومع هذا لا يستطيعون البقاء داخل الفندق بسبب الحر الشديد، الذي جعل النوم مستحيلاً، ولهذا خرج هؤلاء إلى حديقة صغيرة، أو قضوا الليل بطوله أمام الفندق، والناس الذين لا يمتلكون

مالاً كانوا ينامون داخل المسجد الحرام أو عند أقدام الجبل أو على قارعة الطريق.. وأصيب الكثير من الناس بالمرض، أصيبوا بضربات الشمس، وزاد عدد المصابين يومًا من بعد يوم.

عانينا من نقص في الماء، وقد كان علينا أن نتوضأ قبل الصلاة ولهذا كان الماء ضروريًا جدًّا، وكان يجب علينا أن نشرب أكبر قدر من الماء حتى نقي أنفسنا من الإصابة بالمرض نظرًا لشدة الحرارة، وكان هناك من يحمل جرة كبيرة من الماء يسقي الناس قبل الصلاة وبعدها، وهو يقدم الماء في «طاسة» فضية، كان يسقي الناس ماء زمزم، لكن هذا بالطبع لم يكن بالمجان، فيجب عليهم أن يدفعوا له نقودًا من أجل الماء ويزيد ما يدفع لهم يومًا بعد يوم.

لا يمكن أن نستحم، وبالطبع نادرًا ما نفكر في غسل ملابسنا، والفندق يقدم لنا فقط الغرفة التي نقيم فيها والمعلومات الخاصة بالصلاة وأوقاتها، وتدبير وسيلة النقل (الجمال)، ويساعدنا في عمل المشتريات، لكن إن طلبنا منهم تقديم ولو حتى كوب ماء أو مصباح، فلن يقوموا بذلك، لأن هذا ليس من مسئولياتهم، كما يجب علينا أن نطبخ الطعام بأنفسنا، وأشير هنا إلى وجود نقص في المواد الغذائية، والأسعار غالية جدًّا، ونصف جماعتنا التي تضم سبعين حاجًّا أصيبوا بالمرض، ومع هذا كان علينا أن نؤدي واجباتنا الدينية اليومية، وأقصد الصلوات الخمس، والدعاء لله.

كان هناك عجوز يرقد مستلقيًا تمامًا على الأرض بعد إصابته بالمرض، وغرفتي التي هي عادة ما تتسع لاثنين أو ثلاثة، تضم اليوم سبعة حجاج! وهكذا وجب علينا نحن السبعة أن ننام في هذه الغرفة.. وضع غير مريح على الإطلاق، لقد مات ثلاثة من الحجاج خلال أسبوعين، وقد عانيت أنا أيضًا من الحمى، ومررت بأوقات عصيبة، ومع هذا فقد كنت على يقين من أن الياباني لا يمكن أن يموت

هكذا على الطريق، كنت أشجع نفسي بهذه الفكرة، وكنت أغطي جسمي بقماش أبيض، أبلله بالماء كل حين، وكنت آكل الثوم، ظنًّا مني بأن هذه هي الطريقة الأمثل للعلاج .. غداً يجب أن نتحرك للذهاب إلى منى وعرفات، وهذه هي أهم مرحلة في الحج.

من الثامن من ذي الحجة سنكون خارج مكة لمدة أسبوع، قبل أن نغادر مكة سنذهب للكعبة للطواف والسعي بين الصفا والمروة، كنت مريضًا لمدة أسبوع، لكني رغم ذلك اجتهدت وأنا أقوم بالطواف والسعي.

بعد مغرب اليوم التالي ركبنا الجمال وغادرنا مكة.

كانت قافلة الجمال تمضي، وكانت قوافل المشاة من الحجاج تمضي، طوابير طويلة لا نهاية لها، كانت تتحرك باستمرار إلى الإمام.. مشهد رائع لا ينسى أبداً!

٦

أعمال الحج في منى وعرفات

يصل شريف مكة إلى منى قبل وصول الناس إليها، حتى الشريف وحاشيته كانوا هم أيضًا يرتدون ملابس الإحرام، وحرسه أيضًا كانوا في ملابس الإحرام، شاهدتهم بشعورهم الطويلة جدًّا، يحملون أسلحتهم ويحرسون الشريف حراسة مشددة، ومع هذه الحاشية كانت هناك فرقة موسيقية، كانوا يدقون الطبول، ويعزفون على الناي أو المزمار، بينما كان الشريف يمتطي صهوة جواده، ومن فوقه مظلة طويلة، وكان الإمام الشيخ يمضي بجواره، ومن بعدهم رجال يحملون البيارق والأعلام، وآخرون يحملون السهام، والدروع، وآخرون يحملون البنادق، وكانوا جميعًا يركبون جياداً عربية.. كم هي جميلة تلك الزينة التي زينوا بها هذه الجياد!

لقد كانت الجمال أيضاً مزينة بأقمشة مثل الدانتيل، ألوانها جميلة خلابة، تميل في معظمها إلى اللون البنفسجي الرائع.

كان صوت الموسيقا يتردد في الوادي، وكان معظم الحجاج يركبون على الجمال التي تحملهم في الشغدف، أما من كان يمشي على قدميه، فكان يمشي بثقة وصبر على الطريق الرملي، وفي الطريق كنا نشاهد النساء والأطفال يبيعون الماء للحجاج، كانوا يحملون الأواني والجرار على رءوسهم ويرددون:

ميه ميه ميه أي ماء من يريد ماء..

وكان هناك الكثير من المتسولين والشحاذين، لكنهم لم يلجأوا إلى الإلحاح الشديد أو الإصرار على طلب المساعدة!

بعد مدة ليست بالقصيرة وصلنا إلى منى، وهناك شاهدت ما يقرب من ٥٠٠ مبنى عالٍ في المنطقة الجبلية، لكن معظمها يبدو أنه متهدم، قليل منها سالم ومعقول، وعلى جانبي الطريق توجد محلات ودكاكين كثيرة.. الصخور الجبلية عالية والوادي ضيق، قامت جماعتنا بنصب خيمة وسط الجبل، وفي نهار اليوم التالي بقينا في الخيمة،نصارع حرارة الجو المحرقة ، كنا نتشوق لوقت الغروب، كان هذا أول يوم نصارع فيه حرارة الجو.

حين حان وقت الصلاة أطلق المدفع للإعلان عن ذلك، وبدا الأمر كما لو كنا في ميدان معركة.. كان الشريف مثله مثل بقية الحجاج يقيم في خيمة، في هذه الليلة مضت جماعتنا (سبعون حاجًّا صينيًّا) بعد جماعة الشريف مباشرة، متجهين ناحية عرفات..

اتسع الوادي أكثر فأكثر.. كانت الرمال مترامية وكانت هناك بعض النباتات .. هنا يتجمع جميع الحجاج، والمسافة من مكة إلى هنا حوالي ٧ ري، سيقف جميع الحجاج على عرفة.. قضينا الوقت هنا في الخيمة.

أذكر أنه في الصباح الباكر حين رأيت الماء الذي اشتريته من قبل، شاهدت فيه

حشرات كثيرة، ورغم هذا فقد شربنا كثيراً من هذا الماء في ليلة أمس.. لكن حين شاهدت هذا المنظر في الصباح، شعرت بعدم الرغبة في استخدام هذا الماء حتى في غسل قدمي !!

أذكر أيضًا أنه حين كان الجو معتدلاً قام أحد المرشدين فأخذنا إلى قبر آدم، وأخذنا أيضًا إلى مآثر بعض الأنبياء القدماء..

ليس من السهل أن أصف هذه الحرارة، وهذا الزحام، ولكن من مكان عالٍ على سفح تل يمكنني أن أشاهد الوادي الرملي، أشعر بجمال ذلك المنظر، فقد امتلأ الوادي بالخيام وبالجمال...

يجب أن نقاوم الحرارة يومًا من بعد يوم، لم يكن من السهل الحصول على الطعام، وليس من السهل الحصول على الماء بوجه خاص، والخيمة التي كنا نجلس فيها كانت فقط من أجل حمايتنا حتى لا تصل إلينا أشعة الشمس المحرقة مباشرة، مات أحد أفراد جماعتنا في منى، ومات اثنان في عرفات.. فحفرنا قبراً هنا، وحفرنا قبراً هناك، وواريناهما التراب، لم يكن ذلك بالمنظر الذي يسر أحداً.

بعد الغروب تحركنا تجاه المزدلفة، وهناك انتظرنا طلوع الفجر.. وفي أوقات الصلاة كان المدفع ينطلق يعلن للناس عن ذلك، فكان على كل حاج، حتى الشريف نفسه أن ينتظم ليصلي في جماعة، للتعبير عن شكرنا وامتناننا لله.

في مزدلفة جمعت ٤٩ جمرة، وعند الفجر غادرنا المكان، ورجعنا إلى منى.

طبقًا للطريقة الصحيحة، نذهب للطواف حول الكعبة، لكن الجو شديد الحرارة، والزحام أيضًا شديد، وهذا يزيد من عدد الوفيات، ولهذا يذهب الشريف وحده إلى مكة للطواف.

وهم يغيرون غلاف الكعبة، ويقوم شريف مكة بهذا، وعادة ما كان الخليفة التركي يتحمل تكلفة غلاف الكعبة، لكن هذه المسئولية الآن، صارت على عاتق

الحكومة في مكة، وقد توجه الشريف إلى مكة لتغيير غلاف الكعبة، وعاد إلى منى مرة أخرى.

أثناء الإقامة في منى يقوم الحجاج برمي الجمرات، في اليوم الأول سبعة، وفي اليوم الثاني ٢١ وفي اليوم الثالث ٢١، ويكون الرجم هنا رجم إبليس أي الشيطان، والهدف هو التخلص من شيطان النفس، ومثل هذا الأمر يمكن أن نلاحظه في مثل الاحتفالات الدينية القديمة لكل منطقة ..

وهنا اتبع محمد ﷺ سنة إبراهيم، ولم يشأ أن يغير الطريقة التي اتبعها إبراهيم.

بعد رمي الجمرات في اليوم الأول يمكننا أن نتحلل من الإحرام، وهكذا غيرنا ملابسنا وحلقنا، ونظفنا أنفسنا، وقمنا بتقديم الأضحية، والأضحية هنا تكون بجمل أو بقرة أو خروف أو دجاجة ؟![١]، وقبل ذبح الأضحية نسمي لله، ويقوم المسلم بإهداء بعض اللحم للآخرين، ويقوم الأغنياء بإعطاء اللحم للفقراء، في الوقت الذي يحتفل فيه الجميع بالعيد، ويكون هذا وقت سعادة وفرح لجميع من في الخيام هنا، وهكذا يعم الفرح والسرور، وهذا أسعد وقت من أوقات السنة يمر على المسلمين، فهذا العيد يأتي مرة كل سنة، كما أن هذا الحج قد يكون مرة واحدة في حياتهم، وهذا يشبه احتفال اليابانيين بعيد رأس السنة واحتفالات «الأوبون»[٢] معًا.

في اليوم الثالث رمينا الجمرات .. بعد الانتهاء بدأت أعد العدة لركوب الجمل والعودة إلى الفندق.

---

(١) هكذا في الأصل وربما أراد أن يقول التضحية بأقل القليل - المترجمان.

(٢) الاحتفال بعودة الأرواح في شهر اغسطس - المترجمان.

حين وصلت الفندق شعرت بالراحة التامة، بعد ذلك ذهبت إلى الكعبة للطواف، وهذا هو طواف الإفاضة وتقديم الشكر لله تعالى.

بينما كنا ننتظر ترتيب أمر الجمال للتحرك إلى جدة كنا ننتظم باستمرار في الصلاة كالعادة، سيذهب بعض الناس لزيارة بعض الأماكن الأثرية، سيذهب بعضهم لمشاهدة غار حراء، وكنت قد زرت هذا المكان.

مر شهر على وصولنا إلى جدة، ومكة الآن سوف تشهد هدوءاً يومًا من بعد يوم.. ركبنا الجمال مرة أخرى، وتحت ضوء القمر كنا نمضي في طريقنا إلى جدة.

وصلنا جدة.. مات من المسلمين الصينيين ٢٩ حاجًّا من بين ٨٩ قدموا للحج، وكان رفاقي في الغرفة سبعة، فصاروا ثلاثة فقط، ومعظم من بقي على قيد الحياة يعاني من المرض.. بينما كنا في انتظار السفينة بدأ الازدحام يشتد في جدة، ويمكن القول بأنها صارت أكثر ازدحامًا من مكة...

يمكنني أن أشاهد حوالي خمس عشرة سفينة كبيرة تقف في عرض البحر، بينما كان المرفأ أيضًا مزدحمًا بالسفن الصغيرة والقوارب الشراعية.

٧

من جدة إلى سنغافورة

غادر نحو ستين من المسلمين الصينيين، لكني مع رفيقي كنا سنسافر على سفينة أخرى، فتأخرنا في الرحيل مدة يوم، شركتهم الملاحية تسمى «حزانه ماجي» hazanamaji وشركتنا الملاحية تسمى «بلو فانيل» blue Fanel وهي شركة إنجليزية.

ركبنا السفينة في الساعة الرابعة عصراً، كنا متعبين جدًّا، أردت أن أنام قليلاً، أو حتى أغفو لدقائق.. لكن حين استيقظت وجدت نفسي في صباح اليوم التالي!

كنت أتطلع إلى المسافرين معنا، فألاحظ سمات التعب الشديد والإرهاق على وجوههم.. كانت وجوههم شاحبة تمامًا.

دفعنا مبلغ ٧ ينات و ٥٠ سين أجرة القوارب التي حملتنا إلى السفينة، كما دفعنا مبلغ ٢ ينَّيْن للحمال، وأعطيت الصبي في الفندق مبلغ يناً واحداً، بينما كان أجر المبيت في الفندق للشخص الواحد مبلغ ينًا واحداً عن كل ليلة، ومن هذا يمكن أن ندرك أن أهل جدة ومكة الذين يديرون هذه الفنادق يربحون كثيراً، لكنهم يكسبون هذه الأموال مدة هذين الشهرين فقط أو مدة ثلاثة أشهر فقط في السنة، ولا يوجد لديهم أي مصدر آخر للدخل، ليس لدى معظم الحجاج شعور طيب تجاه هذا الأمر، وحتى لو مات الشخص، فيجب أن يدفعوا أيضًا من أجل قبره ومن أجل ترتيبات دفنه، لكن بالطبع إذا بقي على قيد الحياة فسوف يأخذون منه أكثر وأكثر، لكن أحداً لا يشكو، لأن ذلك الأمر يحدث مرة واحدة في العمر، إلا أن ما يشعرني بعدم الرضا هو شركة الملاحة التي تكسب تحت مسمى سفينة الحجاج، فهم عادة يحملون السفينة أكثر من طاقتها، بشكل لا يمكن أن يتخيله عقل إنسان.

ولحسن الحظ ورغم أن سفينتنا حمولتها ٨٠٠٠ طن، و١٥٠٠ مسافر، فقد وجدت مكانًا للجلوس، لكن معظم الناس لم يجد مكاناً كافيًا ليمدد رجليه، كان بعض الناس يجلسون فوق البضائع، لكن الأمر المهم، يكون في رحلة العودة، يجب أن يهتموا بنا بطريقة طيبة، فنحن جميعًا في غاية التعب والإرهاق، في كرنتينة «الجزيرة» و «كمران» كانوا يتعاملون معنا بلطف هذه المرة، وحين وصلنا إلى ميناء عدن قاموا بتزويدنا بالفحم، وحين خرجنا إلى بحر العرب هب علينا الهواء البارد، واشتد الهواء قليلاً، وحين دخلنا المحيط الهندي واجهنا العواصف بل الطوفان الشديد، وبدأت السفينة تهتز بشدة، وبدأت الأمواج تتلاعب بها يمينًا

وشمالاً، فكان الناس يتحركون رغمًا عنهم في كل اتجاه كالصناديق هنا وهناك تبعًا لحركة السفينة، بينما كانت أمتعتهم تتدحرج يميناً ويساراً..

من بين الناس المتعبين والمرهقين مات واحد أو اثنان، عندئذٍ كانوا يغسلون الميت ويكفنونه ويلقون به في البحر! لم يكن لدى بحارة السفينة أي نوع من الشفقة أو الرحمة، كانوا يتعاملون مع الناس كأنهم يتعاملون مع الكلاب أو الخيل أو أدنى من ذلك أحياناً، وكان طبيب السفينة يقوم بتغطية وجه المريض قبل أن يقيس نبضه، إذ يدرك على الفور أنه فارق الحياة!

لم تتوقف العاصفة واشتدت الريح يومًا من بعد يوم، وكانت السفينة تبحر ناحية الشرق.

وصل عدد الوفيات الكلي إلى ٢٦ حالة، ونزل من السفينة عند جنوب ماليزيا في بينان (penang) نحو ٣٠٠ مسافر، ومع كل هذا فقد كانت الرحلة بالنسبة لنا ممتعة، ففي هذه المرة كان لدينا وفرة في الطعام، ففي عدن تمكنت من الحصول على سمكتين كبيرتين طازجتين، وتمتعنا بطعم السمك اللذيذ، وفي بينان benang تمتعنا بتناول فاكهة الدوريان وغيرها من فواكه المنطقة الاستوائية، وقد التقينا بأناس طيبين من بورنيه، وتعرفت على أسرة، حصلت منها على معلومات مفيدة عن منطقة المحيط الهادي، كما تعرفت على شاب من جاوه، وهو شاب قوي ونشيط وطيب، كما تعرفت على أحد الصينيين، كان ضمن حجاج جماعة سومطره، وكان شابًّا يافعًا، يتحرك بهمة هنا وهناك، وهو يقيم في إحدى قرى سومطره، يدير مزرعة هناك، وقد تزوج بامرأة سومطرية، وأصر على أن نزوره وتقيم عنده في بيته شهراً أو أكثر كما نحب، وإذا أردنا أن نهاجر إلى سومطره فيمكنه أن يساعدنا.. هكذا قال.

تحدثت مع أحد البحارة بالإنجليزية، وبعدها جاء القبطان ومهندس السفينة وحاولا أن يتحدثا معي، كما طلبا مني أحيانًا أن أقوم بدور المترجم، فكان من

واجبي أحياناً أن أدور خلف القبطان داخل السفينة، هنا وهناك، لأداء هذه المهمة، في البداية قلت بأنني لا أستطيع أن أفهم اللغة الملايوية، ولكن أحيانًا حين تستحكم الضرورة كان علي أن أتولى أمر الترجمة من الإنجليزية إلى الصينية ومن الصينية إلى العربية ومن العربية إلى الملايوية، وكنت أحيانًا أترجم خطأ، لكن أمكنني أن أقوم بالمهمة بشكل ما !!

كان الفحص في بينان penang وفي سنغافوره ميسرًا، لم يتشددوا، عاملوني على أنني صيني، وكان هذا في صالحي، وأحيانًا كان ضباط الجمرك ينتقدون اليابان أثناء الفحص، يجب أن ننتبه إلى أن الإنجليز يحاولون جذب الصينيين إليهم، كما أن العلاقة بين حكومة سنغافوره ومناطق الانتداب الصينية تدل على الموقف الحالي هذه الأيام.

أعود إلى أرض سنغافوره مرة أخرى، أما جماعة الصينيين الذين غادروا من قبلنا في جدة، فقد وصلت متأخرة ثلاثة أيام من بعد وصولنا، وقد سمعت أن أحدهم مات.

وضعت الحكومة البريطانية نظامًا وقواعد للآسيويين، وتقرر أن تكون المساحة المسموح بها للمسافر في السفينة بالطابق العلوي ٩ شاكو، والطابق الأسفل ١٨ شاكو، لكن الأمر يختلف في سفينة الحج، فالشخص ينال أقل من ٤ شاكو، ويجب تحذير البريطانيين من هذا، لأن فيه تمييز عنصري، واحتقار للجنس البشري، وبخاصة المسافرين للحج، أتمنى أن تسير شركات الملاحة اليابانية السفن اليابانية من سنغافوره إلى مكة، وقد سمعت أنه منذ عشر سنوات قامت إحدى شركات الملاحة البحرية في مقاطعة «ساجا» (بجيم قاهرية)[1] بإرسال إحدى السفن من سنغافوره إلى جدة، إلا أن المسافرين عليها تعرضوا لهجوم، كما أن

(١) في جزيرة كيوشو- المترجمان.

السفينة نفسها لم تتمكن من دخول مرفأ جدة، وكانت هذه محاولة باءت بالفشل، كما أنه منذ ثلاث سنوات قدمت شركة زوي يوسين جايشا Yusen gaisha طلبًا لنقل الحجاج، لكن لم تتمكن الشركة من الحصول على تصريح بذلك، والسبب هو أن شركات الملاحة البريطانية تدخلت في هذا الأمر.

ويرجع السبب الأساس إلى أن بريطانيا تقوم بحماية مملكة الحجاز، ولكني بصفتي مسلمًا عندي شكاوى كثيرة تتعلق بسفن الحجاج، وهذه الشكاوى وصلت ذروتها، فكيف يتم نقل المسلمين على سفن غير المسلمين، ويحتقروننا ويهينوننا.. هذه تجربة لا يمكن أن أنساها دون أن تنهمر الدموع من عيني! فالشكوى من سلوك الجنس الأبيض المشين تجاه الآسيويين فاقت كل حد.. لقد عشت بين الجنس الأبيض وبين المسلمين، لذا تمكنت من الحصول على معلومات تفيد من أجل مستقبل آسيا، لكن لا يمكنني أن أكتب عن هذا الموضوع الآن!

٨

ذكريات الحج

أشير هنا إلى أن المرأة بشكل عام غير مسموح لها بأن تؤدي الصلاة بين الرجال في المسجد، وهذه قاعدة معمول بها في جميع أنحاء العالم، ولما كان من الممنوع أن تدخل المرأة المسجد مع الرجال، لهذا جعلوا هناك غرفة ملحقة بالمسجد تصلي فيها النسوة أو يجتمعن فيها، وأحيانًا يذهبن للصلاة في بيت إحداهن، وفي مكة المكرمة تصلي النساء خلف الرجال، ويصلي الجميع، رجالاً ونساء، في اتجاه الكعبة.

وبينما الرجل يرتدي ملابس الإحرام فإن المرأة عادة تلبس ملابس سوداء وتضع جوارب في قدميها.

حين ينتهي المسلم من أداء فريضة الحج فإنه ينال لقب «الحاج»، وتنال المرأة

لقب «الحاجة»، وهذا اللقب يعني أن المسلم الذي ناله قد أدى فعلاً فريضة الحج، وفي الصين يقولون للحاج «تشاو حج» وهذا اللقب خليط من الصينية والعربية، فالصينية خلطت اللفظ العربي مع اللفظ الصيني، تمامًا مثلما يحدث حين نخلط اليابانية بالصينية في مثل قولنا «يو تانبو» فهذه الكلمة اليابانية مشتقة من الصينية «تان هو» بالنطق نفسه والمعنى نفسه(١).

يوجد حول الكعبة «بازار» أي سوق يبيعون فيه كل شيء، وبخاصة الهدايا الصغيرة التي يحملها الحجاج، وكلمة بازار كلمة شائعة في العالم كله، والعلاقة بين المنطقة الصحراوية هذه وبين البازار علاقة قديمة، والبازار في مكة أو في بخارى هو نموذج للبازار بمعناه الأصلي، فلهذه البازارات (الأسواق) ملامحها الخاصة، حيث يباع فيها مثلاً: السبح والسجاجيد الصغيرة التي تستخدم للصلاة، والطواقي الجميلة المصنوعة من القماش، والكتب المتنوعة المتعلقة بعلوم القرآن والحديث والدين عامة، والمسواك.

لقد اعتاد محمد ﷺ استخدام المسواك لتنظيف أسنانه بدلاً من الفرشاة، وهناك جماعات من الناس تحرص على استخدام المسواك عند كل صلاة، وفي البازار الآن توجد «خواتم» عليها رسم «الكعبة» وخواتم مرصعة بالأحجار الكريمة، ويفضل الناس أن يحملوا معهم في عودتهم ماء زمزم، ويعتقدون أن هذا الماء مفيد لشفاء كل مرض، ولهذا يحملون معهم إلى بلادهم ماء زمزم في صفائح صغيرة، وهؤلاء يعتقدون أيضًا أن ماء زمزم يحفظهم من مخاطر البحر أثناء سفرهم بالسفينة، فإذا ما وضعوا ماء زمزم في البحر هدأت العاصفة.

---

(١) ومعناها وعاء مصنوع من الخزف الصيني يوضع فيه الماء الحار ثم يوضع في الفراش في فصل الشتاء ليدفئ الفراش، وتتكون الكلمة من المقطع الأول وهو بمعنى الماء الساخن أما كلمة تانبو فهي كلمة صينية لا تستخدم في اليابانية بمفردها –المترجمان.

شاهدت أنواعًا كثيرة من الطواقي والقبعات من تركيا والملايو والصين والهند وغيرها، وهذه الطواقي لها أشكال مختلفة وألوان متنوعة، تدل على المنطقة التي استوردت منها، ومن الملاحظ أن هذه الطواقي لا يوجد لها أطراف أو حواف بارزة فهي تختلف عن القبعات الأوربية، لأنها إذا كان لها أطراف أو حواف بارزة مثل القبعات Helmet أو قبعة القش (الخوص) فلا يمكن أن نصلي وهي على رءوسنا، فعندما نسجد ستمنع هذه الأطراف جباهنا من ملامسة الأرض أثناء السجود، وكنت قد اشتريت قبعة على شكل helmet في سنغافوره، وحين شاهدني الناس في الجمرك تعجبوا من شكلي كثيراً، وعدّوا هذا شيئًا عجيبًا.

قال لي صاحب الفندق الذي نزلت فيه: لا يمكن أن تأخذ هذه القبعة إلى مكة، لأن هذه خاصة ببلاد النصارى، وهي مستوردة من بلاد النصارى، ورغم هذا فقد رأيت في سوق مكة أطعمة كثيرة مستوردة من البلاد النصرانية، لكنهم لم يمنعوا الشمسية على الطريقة الغربية، فجو مكة شديد الحرارة، وقد ذكروا أنه في شهر أبريل هذا العام مات ألفا شخص بسبب موجة الحر الشديدة ..

لم أشاهد شجرة خضراء أو نبتة خضراء، ولكني شاهدت في مكان واحد فقط بين جدة ومكة واحة من النخيل، وتوجد أمطار قليلة جدة على مدار السنة، لهذا تنبت الحشائش، لكنها قليلة جداً بل نادرة، ورغم ذلك فحشائش المراعي التي تنمو في هذه المنطقة هي من النوع الجيد، ولهذا فالمواشي جميلة وتتمتع بصحة جيدة، وهذه هبة من الله، وقد لاحظت بشكل خاص الأغنام التي يختلف فراؤها تمامًا عن فراء الأغنام في البلاد الأخرى، كما أن مظهر الرجال والنساء أيضًا مظهر طيب، والعبيد في معظمهم سود البشرة، إلا أن معظم الناس أو أكثر الطبقة المتوسطة ممن يعيشون داخل البيوت، بشرتهم بيضاء، وشعرهم أسود مثل الفحم، ومعظم الرجال يطلقون لحاهم، أما النساء - ويستثنى من هذا البنات الصغيرات - فحين يخرجن من البيت يضعن النقاب فلا يظهر منهن غير عيونهن، ويستخدمون نقابًا أسود أو

أبيض، ويلتزمن الحجاب، والجارية فقط لها أن تكشف من الركبة حتى القدم.

أما في جنوب المحيط الهادي فيمكن أن تشاهد صورة مختلفة تماماً، فالنساء في هذه المنطقة يغطين أجسامهن بأقمشة مزخرفة من الخصر حتى أخمص القدمين، وهن لا يعرن المنطقة فوق الخصر اهتماماً! وعدا المرأة التي لم تتزوج، فالمرأة وبخاصة العجوز لا تهتم على الإطلاق بكشف هذه المنطقة، وهذه ظاهرة مختلفة تماماً عما في جزيرة العرب، فلا يمكن أن تشاهد وجه المرأة العربية إلا حين تصلي في الكعبة، والمسلم لا يمكن أن يزني، أو يتمتع بامرأة أخرى مقابل أجر معين، هناك حد الزنا الذي قرره الإسلام وهو شديد ورد ذكره في القرآن، وفي مقابل ذلك يسمح للرجل بالزواج من أكثر من واحدة، وقد ذكر الرسول ﷺ أن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وذكر بأنها جنس لطيف، يجب أن نهتم بها ونترفق معها ونساعدها كزوجة.

ويلاحظ أن الإسلام سمح للرجل بالزواج من أكثر من زوجة، وبين المتزوجين من النصارى يروج الزنا والبغاء، لكنهم عادة يخدعون الناس بتغطية ما يرتكبون من أخطاء، تحت مسميات مختلفة، إنها جريمة، ويمكن مقارنة هذا الذنب (الزنا) في النصرانية بما يحدث في الدول التي تسمح بنظام البغاء.

والمسلم لا يشرب الخمر أبداً، ولا يوجد في مكة المكرمة مكان يقدم فيه الخمر، وفي مقابل ذلك توجد المقاهي التي تقدم القهوة والشاي .

في مكة يوضع الماء في جرار فخارية مما يجعله بارداً، وفي مكة نوعان من أنواع الماء وكلاهما غير جيد، حتى ماء زمزم حين يحملونه تصيبه بعض الشوائب، إلا أنه في منى يوجد نظام لاستخراج الماء، عن طريق حفر الآبار، ومع أن كمية الماء ليست وفيرة لكنه عذب، وهذا الأسلوب أسهم في تجهيزه ملك مصر الذي تعاطف مع الناس الذين يموتون من العطش، وهكذا أمر بحفر هذه الآبار.

في موسم الحج يقومون باستيراد كميات كبيرة من الأرز من منطقة جنوب المحيط الهادي، إلا أن الطعام العربي الأساسي يصنع من الدقيق، والتمر هنا لذيذ

جداً وحلو، له نواة مدببة مثل أسنان السمك، وهم يعدّونه غذاءً معتبراً.

يقول البريطانيون إن الأتراك والعرب مثل اللصوص والنشالين، وحتى بعض اليابانيين يقولون بأن الإسلام دين أمة ساذجة بربرية !! لكن حين أفكر في معنى آية واحدة من آيات القرآن الكريم، أتجاهل تماماً مثل هؤلاء الناس، أود أن يكون لنا تعاطف مع الناس الذين يعيشون في جزيرة العرب، الذين تنقصهم مصادر الثروة الطبيعية، ونتعاطف مع الناس الذين يعيشون في الصحراء، والذين يمتلكون حضارتهم الخاصة، ويحتفظون بتقاليدهم الخاصة، ويعتزون بها، ويجب علينا أن ندرس أكثر وأكثر حقيقة هذه الأمة، ويجب أن نفكر في الظروف التي تعرضوا لها، ونحن الآن نستخدم الأرقام العربية، وهي تستخدم في جميع أنحاء العالم، كما ننال الكثير من الفوائد من خلال تطور علم الفلك الذي برع فيه العرب، إذا انتبه الناس إلى ما أنجزه محمد ﷺ، وإلى ما قاله ﷺ فإنني أعتقد أن الإرهاب والعنف، والشكوى التي يضج بها الجنس الأبيض (الأوربيون) سوف تتلاشى.. إن هؤلاء الناس، جميع هؤلاء الناس الذين يؤمنون بإله واحد، يجب أن ندرك أي نوع من البشر هم، لقد جاءوا من البحار الأربعة، وهم من أبناء آدم، وهم بشر متساوون، وهذا أمر لا يمكن أن ينكره إلا مجحف.!

٩

نظم الشعر على ظهر سفينة الحجاج(١)

حين أعطيت الدواء

إلى الإمام شيخ جاوه

غمره السرور وخصني بالدعاء

---

(١) هذه مقتطفات شعرية نظمها تناكا أثناء سفره على ظهر السفينة، وقد جعله عنواناً لهذا الفصل – المترجمان.

ثم بادرني بسؤالي :

هل أنت إمبراطور المكان العالي ؟!

* * *

امرأة من بورنيه..

جالسة بالقرب مني

أشارت إلى طفلها

القابع في حضنها

ثم بادرتني بالسؤال :

هل لديك طفل

يشبه طفلي..

وابتسمت في وجهي!

* * *

من جاءوا من سومطره

جميعهم بآي الذكر الحكيم منشغلون

يقلبون صفحات كتاب الله

آيات من بعد آيات يرتلون

بينما القبطان، وطبيب السفينة ومن معهم

في جنبات السفينة يتجولون..

بكل فخر وزهاء

هنا وهناك يتسكعون

في أيديهم مصابيح مضيئة
تعمل بالبطاريات الجافة
أتساءل: بأي شيء أيها الأوربيون تفخرون ؟!
انظروا إلى ملامح السلام والأمن
على قسمات وجوه الناس
الذين قدموا من جنوب المحيط الهادي
أنظروا ! ألا تعقلون ؟!

* * *

صباح يمر.. يتبعه صباح
وفي كل صباح لدينا معًا
أنا ورفيقي
نصف جردل ماء لكل صباح
كلانا معًا..
لا نزال على قيد الحياة
فكلانا معًا
لدينا نصف جردل ماء
كل صباح !
وصباح يمر يتبعه صباح..

* * *

أعيش كما لو كنت رجلاً أعزب !

أقيم بين بيوت متواضعة..

بيوت صغيرة، ضيقة..

مع بعضها متلاصقة..

أعيش كما لو كنت رجلاً أعزب!

* * *

شعر رأسي تساقط شعرة.. شعرة

لأن لدي أموراً كثيرة

أفكر فيها في رحلتي هذه..

زوجة شيخ «سيام» تجلس كاشفة(١).

ترضع طفلها

حين أشاهد الرجل العجوز

الذي هو من نفس عمري

يرافق والديه على ظهر السفينة

تنهمر الدموع من مقلتي..

ومن بين الأطفال الذين قدموا من الملايو

شاهدت طفلاً يشبه طفلي

ينتابني الحزن

فأغسل قميصي اليوم أيضاً وسروالي

بماء البحر المالح!

---

(١) في الأصل نصف عارية - المترجمان.

وحين أتناول الخبز وأشرب الماء
أتذكر.. أتخيل كيف كانوا يستقبلون صباحهم القدماء
حين أشاهد سماء الشرق
أفكر في أجدادي اليابانيين العظماء..
أتخيل أطفالاً ثلاثة
يلعبون في ظل شجرة خضراء
لم أسمع شقشقة عصافير ربيع هذا العام
أو تغريد الطيور تلهو في الفضاء
فأنا على ظهر سفينة..
تطفو فوق الماء
بعيداً عن وطني..
تظللني زرقة السماء
أتخيل أحيانًا بحيرة صغيرة
وأتخيل زهرة السوسن
تتفتح بعيداً عن هذه البحيرة
أرجوك يا إلهي!
اغفر لي ضعفي وعجزي!
واغفر لي قلة علمي
لن أغفر لنفسي الانخراط في البكاء
إذا ما كان تحت ضغط الاحتلال

ها هو رجل صيني من كانتون
طبخ بعض الخضروات(١)
وقدم لي بعضًا مما طبخ
لا فرق بين من يعشق البشر
وبين من يعشق الوطن
ماذا لو اتخذت من السحاب الأبيض
الذي يطفو على صفحة السماء
صديقًا ؟!
ماذا لو اتخذت منه رفيقًا ؟!
لا بد أن رحلتي ستكون سعيدة
حين تتهادى السفينة بي
على صفحة مياه بحر العرب
وتظللني زرقة السماء..

الرحلة على ظهر السفينة

كم هو ساحر منظر غروب الشمس
في البحر الأحمر..
هناك رجلان من الملايو ماتا اليوم أيضًا
عانا كلاهما كثيراً من زميلهم البريطاني
آه ! هناك ألف مسلم من جنوب المحيط الهادي

(١) يطلق عليها باليابانية المورياشي- المترجمان.

لكني لم أر من بينهم رجلاً واحداً قويًّا شجاعاً

كنت فرحاً مسروراً.. كنت منتشيًا يلفني الحبور

لأني في رحلة تضم حجاجًا من آسيا

لكن هذا السرور وذاك الحبور

تحول إلى حزن !

والمسلمون الصينيون أيضًا يفكرون في الأمر نفسه

أشعر بالأسف على مستقبل آسيا

لم أسمع شيئًا عن وطني منذ زمان

كيف هي الآن اليابان؟!

جمال الأم القادمة مع ابنتها من البنجاب

يذكرني بالأم اليابانية وابنتها في اليابان

* * *

أمسكت سمكة في الماء

صنعت طعامًا وغذاء

عند عدن بالقرب من الميناء

لكن وجوهنا صارت سوداء

مثل الفحم..

فقد غطاها دخان الفحم الأسود

* * *

حين سمعت هدير الأمواج العالية

بعد حدوث الطوفان

أمسكت القلم.، أسطر ذكرياتي

أرسم لوحة حزن الفنان

فاليوم أيضًا

دفنا في موج البحر

جسد أحد الموتى من بورنيه

دفنا جسد الإنسان !

ماذا بعد الحج ؟!

علينا أن نمضي بعيداً عبر المحيط الهادي

هذا مضحك حقًّا.. مثير للسخرية

فكل من البريطاني والصيني

يظنان أني من بلاد الصين !

في جدة .. الطريق إلى مكة

فتاة بريئة جاءتني من الفندق في جدة تسألني :

يا عمي : هل أنت من الصين ؟

هل تتكلم العربية يا عمي ؟

* * *

تركت الذباب على ذراعي

يقرصني.. يلدغني في ذراعي ،

لن أقتل مخلوقًا أبداً !!

* * *

ليس لدي ما أفعله
ليس لدي سوى الانتظار
وهكذا أخذت أحسب الوقت
في انتظار قدوم البعير
حتى نمضي إلى مهبط الوحي والأنوار.

* * *

بعض الناس ظهروا أمامي
بعض الناس ينشدون..
وبعضهم بإنشاد رفاقهم يطربون..

* * *

يا لها من رحلة سعيدة
يا لها من لحظات حلوة
حين أكتب أول خطاب إلى صديقي الياباني
من هنا.. من جزيرة العرب..
من هنا.. في أقصى آسيا
من ناحية الغرب..
حيث يوجد الآن الرجل الذي جاء من أقصى الشرق..
تغطيه ملابس الإحرام البيضاء..
يركب الناقة متجهاً إلى مكة
إلى البطحاء..

في ضوء القمر..

يسطع بين النجوم في السماء..

* * *

لا يمكن أن أكتب أشعاري

على ظهر الناقة

وسط حرارة الصحراء المحرقة

حين أنظر إلى الصبي

الذي يمسك بحبل الناقة

يقودني إلى بيت الله

تأتي إلى مخيلتي ملامح الرسول العربي

حين كان صبيًّا صغيراً

* * *

كثير من الناس يمرضون

وكثير منهم يموتون..

أتعجب هل مكة بالنسبة لهم هي النهاية..

وأتعجب لماذا بيت إله الشنتو

حيث يوجد مزار إيسيه في مكان طيب!

هل حرارة مكة تدريب جيد لهؤلاء الناس..

من الأفضل أن نعتقد

بأن هذه الحرارة تصهرهم

تجليهم.. تعيدهم من جديد صفحة بيضاء
بعد أن تحرق ما اقترفوه من ذنوب
وما ارتكبوه من بلاء
أصارع الحرارة..
أركز على ذكر الله
أفكر في العبادة،
وهكذا لا أشعر بالحرارة،
ولا أشعر حتى بالبرودة،
وأفكر إما تجديد الإسلام،
وإما تحطيمه..
هذا هو المفتاح الوحيد لنهضة آسيا

* * *

رجل عجوز من شي سين
يشد على يدي، ويبكي
يسألني:
هل أنت حقًّا ياباني؟!
الرجل العجوز الذي شارف على الموت
يعيش ٧٥ عامًا يقول:
لم أر مثلك في حياتي
يسألني عن أطفاله
يوصيني بهم،

ثم يموت
وهو لا يزال يقبض على يدي

* * *

الرجل الشجاع من اليابان
لا يسقط بسبب المرض
في النهاية
لم أكد أن أنتهي من طبق الأرز الأبيض
حتى شعرت أنني لم أمت بعد

* *

آه ! طوكيو ! اليابان !
الرجل الشاب !
ماذا يمكن أن تفعل
إذا خلا جسمك من الروح

* * *

الصبر يصنع الحقيقة ،
أنا لا أتردد أبداً
ولا أتململ فأنا رجل ! رجل !
طفل الفلاح في موساشينو(١)
جاء لزيارة طفل الصحراء
إن ذلك الذي يوضح سنة محمد العربي

---

(١) الآن من ضواحي طوكيو بالقرب من ضاحية ميتاكا – المترجمان.

هو طفل موساشينو

آه ما أبدعوه من حضارة

ما صنعوه من مدنية

ما هي إلا أصنام

طفل الصحراء حطمها بسيفه

الناس في الشرق الأقصى

يعودون إلى الأساس إلى الأصل

هكذا ردد أيضًا أمامهم السيد غاندي

إن قوة العدل

يمكنها أن تحطم القوة المصحوبة

دومًا بالجريمة والأعمال السيئة

وقوة العدل هذه تعني طريقي ودربي

يا أهل بلادي

يا أهل وطني

يا أهل اليابان يجب أن تكونوا آسيويين

وتصرفوا بطريقة صحيحة

واسلكوا طريق العدل مع أهل آسيا

في ١٦ أغسطس سنة ١٣ تايشو

(فندق هياشي في سنغافوره في الطريق إلى الهند)

الجزء الثالث
١٣ تايشو (١٩٢٤م)
أغسطس - ديسمبر

مقدمة

كتبت في مقدمة من قبل بأنني مسافر صوب الغرب، أمضي ناحية الغرب مثل سحابة بيضاء تطفو فوق السماء، قبل أن اغادر طوكيو في الشتاء القادم كنت أخطط للسفر إلى سان تون، وكونان وسان سيه، وهين سيه، وكانساي وشين را، ومن خلال هذه الأسفار أزور مرتفعات باميل Pamil التي يسميها الناس سقف العالم، وأردت أن أقف على قمة الجبال، وأردت أن أفكر في بلادي هناك بالقرب من السماء، بعدها كنت أخطط للذهاب إلى الهند أو إلى جزيرة العرب، وأزور المسجد النبوي، وأقرأ الفاتحة على قبر محمد النبي العربي.. كنت أخطط لكل هذا، ومن السهل جداً للشخص الحر ذهنيًا وجسديًا أن يقرر ما سيفعل، وهذا لا يعني أنني أفعل ما قد يفعله الراهب البوذي[١] لكنني يمكن أن أتحرك كما أريد، تمامًا مثل سحابة بيضاء تمضي في السماء.

كانت الصعوبة الوحيدة أمامي هي أنني لا أستطيع تدبير نفقات هذه الرحلة، لكنني إذا قررت السفر، فربما أمكنني تدبير النفقات، فطريقتي مثل كرة الثلج تتدحرج على ميدان الثلج فتكبر وتكبر كلما تدحرجت..

بالنسبة لرحلتي كنت أخطط أن أتجه أولاً ناحية الغرب، لكنني عبرت الصين من الشمال إلى الجنوب، ثم أخذت السفينة ووصلت إلى مكة المكرمة للحج، وقد غيرت خططي أثناء عودتي من مكة.. فخططت مرة ثانية للسفر إلى الهند، ثم من

---

(١) اي يذهب ولا يعود – المترجمان.

الهند أسافر إلى سقف العالم، ولكن نظراً لوجود رفيق رحلتي، وطبقًا لمسار السفينة وجب عليّ أن أعود إلى سنغافوره..

على كل حال انتهت مرحلتي الأولى بأمان وسلام.. وأريد أن أذهب في المرحلة الثانية إلى وسط آسيا، وإذا أمكن ذلك أريد أن آخذ معي ثلاثة أو أربعة رفاق، لكن هذا سيكون من الصعوبة بمكان، ومن هنا أقلعت عن هذه الفكرة، وقررت أن أسافر بمفردي، لكنني غيرت خططي مرة أخرى، وقررت أن أسافر ناحية الشمال والشرق مثل سحابة بيضاء سأمضي.. وهذه المرحلة ستكون أصعب مرحلة بالنسبة لي، لهذا وضعت عنوان رحلتي سحابة بيضاء تطفو في السماء، وستكون المرحلة الأولى من سنغافوره، وسأكتب عن الأماكن التي سأمر بها.

١٣ تايشو٢٦ أغسطس في رانجون – بورما .

١

سياحة في مزرعة المطاط

مشكلة الميناء العسكري بين الشركة الصينية التي تدير مزرعة المطاط والبريطانيين:

كنت قد شاهدت شجر المطاط في اليابان غرب كيوتو بالقرب من منطقة كوبيه، أوراق شجر المطاط مثل أوراق شجرة الصفصاف، ولحاء هذا الشجر لونه أحمر بني، وشجرة المطاط تنمو مثل شجر الحور، وهذه الشجرة التي استوردت من الخارج يسميها الناس شجرة المطاط، كنت أتخيل شجرة المطاط مثل هذه الشجرة، لكنني سمعت أنها مختلفة عن الأشجار التي شاهدتها في اليابان، لهذا تملكتني الرغبة في مشاهدة منطقة الجبال التي تنمو فيها أشجار المطاط، وكان من حسن حظي وجود محاسب الشركة الصينية المشهورة التي تشرف على مزرعة المطاط

وتسمى Limited Corporation 35 في الفندق نفسه الذي أقيم فيه، وكان اسم محاسب هذه المؤسسة أو الشركة تا كيه أو هوشيزاكي، وقد عرفني به السيد كوجيما وهو أحد أصدقائي، وقد رافقني إلى منطقة أشجار المطاط، وهي منطقة تلال جبلية في مقاطعة «جوهر»، وتقع في الركن الجنوبي من شبه جزيرة الملايو، ومساحة هذه التلال الجبلية نحو ٧٠٠٠ فدان تطل على مصب نهر «جوهر».

مر على وصولي سنغافوره عشرون يومًا، ومع هذا لم أجد وقتًا للفسحة حتى الآن، ولم أشاهد أي حديقة نباتات مشهورة، وبينما كنا في الطريق أخذني السيد هوشيزاكي إلى حديقة نباتات، تفرجنا عليها، ونحن نمر فيها بالسيارة، وتفرجنا أيضًا على غابات أشجار النخيل، وغابات أشجار المطاط، ووصلنا إلى قرية تسمى "تشان جيري» (بجيم قاهرية) وتقع بالقرب من شاطئ البحر، ومن هذا المكان ركبنا قارباً يعمل بمحرك، وشاهدنا منظر سنغافوره من البحر، كان منظرها واضحًا لنا تمامًا، وكانت ملامحها وتفاصيلها واضحة للغاية !! وكانت قرية «تشان جيري» تعبر عن طبيعة منطقة جنوب المحيط الهادي.. منظر لا يمكن أن أنساه.

«الحاج العجوز
يضع طاقية بيضاء كالثلج على رأسه..
بشرته سوداء كالفحم.
يقف تحت الشجرة حزينًا.
بينما المرأة والأطفال
يجلسون بجوار بيت،
يشبه البيوت في قريتي في اليابان
كنت أسافر مؤخراً مع أناس من جنس هؤلاء
قضيت وقتًا طويلاً مع أناس مثل هؤلاء

لهذا أشعر بالحنين إلى تلك الأوقات

التي جمعتني من قبل بهم . . . »

القارب الذي يعمل بمحرك، يمضي بهدوء على سطح الماء، والماء هادئ، ومن أمامنا جزيرتان : إحداهما كبيرة والأخرى صغيرة، اشتدت الريح قليلاً، بعد أن أكملنا دورة حول الجزيرة، وصلنا إلى مرفأ صغير . .

يريد البريطانيون أن يجعلوا من الجزيرة التي مررنا حولها ميناءً عسكريًّا، هذا ما أخبرني به السيد / هوشيزاكي، وحدثني أيضًا عن الوضع في هذا المرفأ الصغير الذي وصلنا إليه، وهو يخضع لإشراف الشركة الصينية، ومن هنا يصدرون المطاط.

أخذنا عربة صغيرة تمشي على قضبان مثل قضبان السكة الحديد، يدفعها صبيان ملايويان، وكانت العربة تمضي بنا وسط غابة من أشجار النخيل، وهي أشجار عالية وغليظة، تفوق في ذلك الأشجار التي شاهدناها من قبل، وشاهدت بيوت المواطنين هنا وهناك، وشاهدت بالقرب من ساحل البحر أشجار المانجروف (بجيم قاهرية) كانت أشجار المانجروف مثل غابة كثيفة، وهم يستخرجون منها أصباغًا يستخدمونها في صناعة المواد الملونة، بعد تجاوز هذه الأشجار مررنا بقرية صغيرة، هذه القرية تضم مواطنين أصليين من أهل البلاد مع صينيين، يعملون جميعاً في هذه الشركة الصينية، ومن هذه المنطقة تبدأ تلال غابة المطاط، ويقولون بأن هذه التلال الجبلية، هي مزرعة نموذجية للمطاط، وتعد نموذجًا يحتذى من قبل الشركات الأخرى، لهذا يهتمون بهذه المزرعة اهتماماً شديداً . .

لا يمكن أن أرى نبتة صغيرة أو عشبة بجوار شجرة المطاط، وهم هنا يشقون لحاء الشجرة بطريقة انحدارية، ومن هذا الشق يخرج سائل المطاط، ويضعون وعاء تحت الشجرة، فينزل السائل المطاطي ويتجمع في الوعاء.

توقفنا أمام مكتب الشركة، أرشدنا أحد المهندسين إلى موقع المصنع، وهو مصنع بسيط جداً، وهنا يحولون السائل الأبيض إلى سائل سميك، يقومون بفرده ونشره مثل قطعة قماش أبيض، ثم يجففونه بعد ذلك وينتهي الأمر عند هذا الحد، وهكذا يكون المطاط معداً للتسويق.

وهناك درجات أو مستويات تقاس بها جودة المطاط :

- الدرجة الأولى حين يكون لون المطاط أصفر مائلاً للبياض.
- الدرجة الثانية حين يكون لون المطاط بُنيًا.
- الدرجة الثالثة حين يكون لون المطاط بُنيًا يميل إلى السواد.
- الدرجة الرابعة حين يكون لون المطاط أسود.

وعلى كل حال فقد لاحظت أن معدات هذا المصنع معدات بسيطة جداً بل بدائية، والعمال هنا مواطنون ماليزيون وهنود وصينيون، فيهم رجال ونساء.

طبقًا لما رواه لي المهندسون فإن أسوأ العمال هم الملايويون، ومن بعدهم الهنود، والصينيون هم أفضل العمال، ويمكن الوثوق بهم، وهم مجتهدون ومنتظمون في عملهم، أما اليابانيون فيطلبون أجوراً عالية، لكن لا يمكنهم أن يعملوا مثل الصينيين لذلك فهم ليسوا بجيدين للعمل هنا.

ركبنا مرة أخرى العربة التي تجري على القضبان، ومضينا بين الأشجار، فشاهدنا الكبائن التي يجمع فيها المطاط، والمكان الذي يتجمع فيه العمال.

بعد ذلك تسلقنا إلى قمة الجبل وشاهدت المنظر من حولي، أمامنا جبل يسمونه «هاتسونيه زن» ارتفاعه حوالي ٦٠٩ شاكو(١) وهذا الجبل سيكون الميناء المهم للبحرية البريطانية، ومن هذا الجبل وعلى امتداد الناحية الشمالية بالقرب من

(١) الشاكو يساوي ٣٠ سم - المترجمان.

جوهر تعد هذه المنطقة الجبلية هي مزرعة المطاط أو شركة المطاط التي تديرها الشركة البريطانية، ويشعر البريطانيون بشيء من الخوف تجاه هذه المنطقة التي تديرها شركة يابانية، وهم يتحدثون عنها، وكأنها حركة يابانية طموحة لتحقيق شيء ما.. ويقولون بأنهم إذا قاموا بالاستيلاء على جبل «هاتسونيه زن» فلن يكون في استطاعة معارضيهم عمل شيء للرد عليهم، هذا ما يقولونه، كما أن جميع الصحف البريطانية تصر على أهمية تهيئة ميناء سنغافوره العسكري ضد أي هجوم ياباني متوقع، وتضيف الصحف البريطانية أن البريطانيين يقومون بحماية أهل الملايو من هجمات اليابانيين..

مثل هذه الدعاية تمثل في الواقع السياسة التي تتبعها وزارات الخارجية في البلدان القوية، فهي دعاية غير معقولة، ومع هذا فهي تنتشر في منطقة جنوب المحيط الهادي، تمامًا مثلما فعلوا من قبل في الصين.

سمعت جرسًا يدق يعلن عن انتهاء فترة العمل، بينما كنت أفكر في أمور عديدة تتعلق ببرنامجي في هذا اليوم، فسوف أبقى فترة في نادٍ يقع أسفل الجبل، منذ عدة أيام كان السيد هوشيزاكي قد جرح يده، فقام بلفها بضمادات، وبعد ذلك بقليل أصابته الحمى، ولم تمض أيام قليلة حتى مات.

احتفلنا في المساء في ذلك النادي الذي يقع أسفل الجبل، فطبخنا الدجاج لكن على الطريقة اليابانية أي على طريقة «السوكياكي»[1] أثناء العشاء طلبوا مني أن أتكلم عن رحلتي، فحاولت أن أتحدث باختصار عن تجربتي في هذه الرحلة.

في الخارج كان يمكنني أن أشاهد وجه القمر الأبيض بين أغصان الشجر، وكان يمكنني أن أسمع صوت بعض الحشرات، بينما الهواء البارد كان يلفح وجهي..

(١) يتم تقطيع اللحم إلى شرائح رقيقة - المترجمان.

ذكرني منظر هذا القمر بموسم حصاد الخريف في اليابان.

بعد أن غادر الجميع ولم يبق غيري مع ياباني حاصل على درجة الدكتوراه في علم الغابات، تحدثنا معًا لفترة متأخرة من الليل، اسمه أودا، وهو دكتور مشهور في مجال زراعة أشجار المطاط، وهو المسئول عن مزرعة المطاط هذه، ولديه رؤية عالمية شاملة، وهو يفكر كثيراً في مستقبل اليابان، وقد شعرت أنه ليس فقط باحثاً في مجال علم الغابات بل لديه معارف أخرى كثيرة ومتنوعة، كنت سعيداً بلقاء مثل هذا الشخص في مثل هذا المكان.

قام على خدمتنا في النادي شاب وزوجته، تزوجا حديثًا، لقد شعرت بقدر كبير من السعادة، وأنا أجد نفسي في مثل جبال جنوب المحيط الهادي، أتحدث الصينية مع هذين الزوجين.. يا له من شعور كبير بالسعادة !!

أشعر هنا بالتطور العالمي من جانب الصينيين، وأشعر بقوة الحضارة الصينية، وهم لا يتكلمون اللغة الملايوية، وحتى وأثناء وجودهم في الملايو في منطقة تخضع للسيطرة البريطانية لا يتكلمون الإنجليزية، وحيثما كانوا فهم يعيشون حياتهم كصينيين، هذا هو السبب، فرغم تعرضهم للاحتلال من الأجانب إلا أنهم لم يغيروا أسلوب حياتهم، وطريقة معيشتهم، وذات مرة كان هناك ياباني يدعى «تومئيوكا تشيهارو» متخصص في الدراسات الصينية ودراسات منطقة جنوب المحيط الهادي، وقد عاش هنا، وحين كان هنا لم يعارضه أبداً الصينيون، لأنه كان على دراية بالعقلية الصينية، ويعرف جيداً كيف يفكر الصينيون.

نحن بحاجة إلى أناس مثله.. فمنطقة جنوب المحيط الهادي هذه سوف تخضع لسيطرة الصينيين، نحن بحاجة إلى التعرف على الدراسات الصينية أكثر من حاجتنا إلى التعرف على الدراسات الإنجليزية، حتى نفهم منطقة جنوب المحيط الهادي.. ونتيجة كلامي هذا تلاحظ في شبه جزيرة الملايو.. المطاط هو مفتاح

الاقتصاد، اليابانيون استثمروا من أجل مزرعة المطاط هذه، ومن أجل هذه التلال التي تنمو عليها أشجار المطاط ٤٠ مليون ين! وقد وصلت الفائدة في هذا الوقت إلى نسبة ١٠٪، ولكن الحصص انخفضت بعد ذلك، والآن انخفضت إلى العشر، ومن هنا يجب أن نفكر كيف يمكن أن ندير مشروعاتنا هنا، ونحافظ عليها، يجب على المعنيين بهذا الأمر، ويجب على الحكومة أيضًا أن تواجه هذه الحقيقة بجدية.

قرأت ذات مرة كتابًا من تأليف السيد/ تاكيه كوشي بعنوان نان جوكو كي (بجيم قاهرية) (مذكرات المناطق الجنوبية)[1] كان الكتاب ممتعًا، كما تحدث البارون كاتسورا أيضًا عن نظريته التي توضح اهتمامه بمنطقة جنوب المحيط الهادي، وحين أتذكر كلمات هؤلاء أتعجب كيف لليابان ولليابانيين أن يحافظوا على كرامتهم، وعلى عزتهم؟.. وهذا التساؤل يصيبنا بالدوار !!

في اليوم التالي كان السيد تومئيوكا في وداعي، فرافقني إلى المرفأ الصغير راكبين العربة التي تجري على القضبان، ويدفعها الصبيان الملايويان، كان المرفأ مملوءًا بالملاويين والصينيين، حين وصلنا لم تكن السفينة قد أتت بعد، وكان علينا أن ننتظر لساعات... ورغم ذلك الانتظار لم تأت السفينة، ولهذا اقترح السيد تومئيوكا العودة إلى القرية.. وهكذا فعلنا.

بعد مدة جهز لي قاربًا بخاريًّا، وهكذا غادرت الجزيرة.. في وقت ارتفعت فيه حرارة السيد/ هوشيزاكي، وسمعت فيما بعد أنه مات بعد أيام قليلة من مغادرتي!! يجب أن أخاطب روحه، يجب أن أقول له :

أنت خير من يمثل اليابان في منطقة جنوب المحيط الهادي، أتمنى لو أنك عشت مدة أطول !!

٢٧ أغسطس ٢٣ تايشو في بورما

---

(١) أي المحيط الهادي - المترجمان.

٢

نظرة على سنغافورة

يطلق الصينيون على سنغافوره من خلال كتابتهم لاسمها بالحروف الصينية «سيه شيو seshu»، ويعني هذا الاسم «مقاطعة النجوم» وهذا يعني أنهم يمكنهم أن يضعوا الحروف أو الرموز الصينية مقابل اللغات الأجنبية، وهذا يعني أن حضارة الحروف أو الرموز الصينية أكثر قوة.

يبلغ عدد سكان سنغافوره ٤٢٦ ألف نسمة، من بينهم ٣٦٠ ألف صيني، أما الملايويون فهم ٥٨ ألفًا فقط، واليابانيون أقل من ٢٥٠٠ ياباني، وطبقًا لهذه الإحصائية نلاحظ أن اليابانيين ينتشرون في منطقة جنوب المحيط الهادي عبر سنغافوره، وهذا البلد كان منطقة خاضعة للإنجليز.

ويلاحظ أن القوة الاقتصادية في يد الصينيين، وهذا أمر واضح لا مجال للشك فيه، وإذا كان يمكن القول بأن منغوليا ومنشوريا هما مثل مستعمرة للناس الذين قدموا من شمال الصين، فإنه يمكن القول أيضًا بأن منطقة جنوب الباسفيك هي مستعمرة للصينيين الذين جاءوا من منطقتي «هوكّيه إن» و«كانتون».. وهؤلاء الصينيون سواء كانوا في الشمال أم في الجنوب، فهم يطورون أنفسهم بأنفسهم، لأن الأوضاع في الصين ليست مستقرة سياسيًّا بالإضافة إلى ما تتعرض له من مآس طبيعية[١]، ويطلق على الناس الذين انتشروا في منشوريا ومنغوليا، والذين انتشروا في جنوب المحيط الهادي اسم «كاكّيو»[٢] فمن أجل هؤلاء المهاجرين الرواد فإن مكانًا مثل سنغافوره مثل الجنة إذا ما قورن ببلدهم مسقط رأسهم، وحتى

(١) مما يجعل الناس ينتشرون خارج البلاد- المترجمان.

(٢) بمعنى المهاجرون الرواد - المترجمان.

الحكومة البريطانية لا يمكنها أن تقول شيئًا لهؤلاء الناس، وهم يقبلون التعامل مع هؤلاء المهاجرين (كاكّيو).

إن تقدم اليابان في جنوب الباسفيك كان عن طريق تقديم الفتيات العاملات في البغاء بشكل غير قانوني، وكان الأمر كله يتوقف على الطلب على الفتيات، ولم يستمر هذا طويلاً، وقبل مرحلة النساء كانت هناك مرحلة الرجال قبل ذلك، والحقيقة أن هناك تجارة، هناك بيع وشراء الرجال اليابانيين، ولهذا فإن الشركة التي تعمل في تجارة مزرعة المطاط كانت تدار في البداية من قبل الرجل الذي يمتلك بيت البغاء، ولكن بعد عصر ميجي وبخاصة في سنة ٣٨ أو سنة ٣٩ ميجي، وبسبب الحرب الأوربية ارتفعت أسعار المطاط، وكانت اليابان قد تغلغلت في منطقة جنوب الباسفيك، لكن هذه الأيام تدنت أسعار المطاط، وساءت هذه التجارة، ولهذا بدأ اليابانيون الذين كانوا يقيمون في سنغافوره بالعودة تدريجيًا إلى اليابان، لكن من ناحية أخرى، بدأت النساء اللواتي عملن في البغاء، وعدن إلى اليابان في تجميع أنفسهن مرة أخرى، وبدأن ينشطن هنا وهناك خارج اليابان..

ولم تتمكن اليابان حتى في شرق آسيا من تطوير برنامج ثابت، بل ظلت تنتظر وتراقب، وخلال هذا الانتظار تهاوت المشروعات وتحطمت، ومن هنا لا يمكن أن يكون لليابان قلعة حصينة في هذه المنطقة، يجب على اليابان أن تتعلم من الصينيين، لا يجب أن تفكر فقط في الأمور الداخلية.

قبل أن أغادر سنغافوره قمت بزيارة المكاتب الحكومية في جوهر، وقد كانت سنغافوره أصلاً جزءاً من جوهر، وفي سنة ١٨١٩م اشتروها من الملايويين، ومقاطعة جوهر كانت محمية بريطانية، فالمسئولون الإداريون الكبار كلهم من البريطانيين، لكنهم لم يعينوا بريطانيين في المكاتب الخاصة بالشئون الدينية الإسلامية، ويوجد في مكاتب الصحة والصرف الصحي عامل ياباني يدعى « تيمورا »، وقد أرشدني

تيمورا إلى المسجد، وقبر عائلة السلطان، كما اصطحبني إلى المكاتب الحكومية الأخرى.

كان السلطان الحالي يتفسح ويلهو في بريطانيا، وهو يحب صيد النمور، كما أنه لا يتورع عن شرب الخمر، ويأتي إلى وسط سنغافوره ليلهو ويتسلى ويقضي وقته، وإذا كان السلطان هكذا لا يحترم الشريعة الإسلامية، فإن الكثير من بين عامة الشعب لا يهتمون بأداء الصلاة، ومع هذا فإن الشخص الذي لا يصلي الجمعة، إذا تكرر منه ذلك ثلاث مرات، عوقب بدفع غرامة، والمسجد رائع وفخم، لكنني أشعر بتحلل المجتمع المسلم وتفسخه.

كنت أشاهد منظر البحر من حديقة مبنى الحكومة، كان المنظر جميلاً لا يمكن وصفه، يوجد هنا نحو ثمانين يابانيًا، وذات يوم سينتهي حق اليابان في تأجير الأرض في سنغافوره، لا أدري ربما الفترة محددة بتسع مئة وتسع وتسعين سنة، بعدها ربما يشتري البريطانيون هذا الحق[١].

عبرنا مزرعة أو غابة المطاط من سنغافوره إلى جوهر بالسيارة، وحين وصلنا إلى نهاية أشجار النخيل شعرنا بجو من البهجة، بالقرب من أشجار المانجروف (بجيم قاهرية) شاهدت التماسيح.. آه لسوء الحظ لحم التمساح ليس لذيذاً!

حدثني السيد / هوري كيري من مؤسسة نان يو هيبي الصحفية عن مشكلة الميناء العسكري، ورفيقي ما كين شو لا يمكن أن يفهم أي كلمة يابانية، لهذا كان ينصت فقط، ولا يفعل شيئًا غير ذلك، حين وصلت إلى المدينة الصينية أو (الحي الصيني) وجدتها مملوءة بالناس، وهذه الأيام هناك مهرجان، أخذني السيد / هوري كيري إلى منطقة البغاء الياباني، وهي مكان للتسلية، حيث توجد النساء

(١) انتهى بالطبع هذا الحق بعد خسارة اليابان في الحرب وتغير الموقف في المنطقة - المترجمان.

اليابانيات، بعد ذلك دعاني السيد / فروتورئيس المؤسسة الصحافية نان يوهيبي إلى بيته، وهناك حدثني عن خبرته، وصحيفته هي الصحيفة اليابانية الوحيدة التي تحتل المكانة التالية بعد صحيفة شنغهاي في الصين، لا يمكن أن تتطور الصحف اليابانية بسهولة بسبب نفوذ القناصل البريطانيين في الصين، إلا أنه في سنغافوره ليس للقنصل البريطاني قوة الأمر والنهي، لهذا يمكن للصحف اليابانية أن تتطور وتنتشر، لكن لما كانت الحكومة البريطانية تعدّ اليابان واحدة من أعدائها، لهذا إذا تحدثت هذه الصحف عن طاغور أو عن غاندي عدّت الحكومة البريطانية ذلك تهديداً لها، وفي بيته تحدثنا عن الموقف الحالي في أوربا، أمكنني أن أحصل على معلومات كثيرة، حقًّا إنهم صحافيون !

طلبت من شركة الطباعة اليابانية أن ترسل مجلة اليابان واليابانيون، لكنها لم تصلني حتى الآن، ولهذا ذهبت إلى المكتبة اليابانية الوحيدة في هذه المنطقة، وحاولت أن أحصل على قائمة باليابانيين الذين يقرأون هذه المجلة، عرفت أن عددهم لا يتجاوز العشرين، فطلبت من أحدهم أن يعيرني المجلة، وهكذا تمكنت من قراءتها، ومن خلال ما نشرته المجلة أمكنني أن أعرف أحوال اليابان هذه الأيام، كان هذا شيئًا مفرحًا بالنسبة لي.

٣١ أغسطس١٣ تايشو الساعة العاشرة صباحًا في السفينة « ملكا مرو »

٣

سنغافورة - رانجون (بجيم قاهرية) - كلكتا

قبل الحج حين كنت أقيم في سنغافورة مدة ثلاثة عشر يومًا، نزلت في فندق يديره الصينيون، كما أقمت أيضًا في أحد المساجد، وخلال هذه المدة لم أشاهد أي ياباني، وبعد عودتي من مكة أردت أن أنتعش قليلاً، وأفرج عن نفسي،

فأقمت في فندق ياباني اسمه هياشي، وصاحب هذا الفندق رجل مشهور، فهو يعيش في منطقة جنوب الباسفيك منذ عشرين سنة، لكن هذه الأسرة ليس لديها أطفال، يقولون بأنهم يقضون أيامهم كلها في شرب الخمر، ولا يهمهم نمط أو نوعية الناس الذين ينزلون في فندقهم، وهم لا يهتمون بأعمالهم التجارية هذه، ولهذا شعرت بالأسف على مستقبل السيد هياشي، بل شعرت أيضًا بالأسف على كل ياباني خرج من اليابان، فمن يريد القيام بالتجارة خارج اليابان، يجب أن يفكر كيف يعيش خارج اليابان، ويجب أن تكون لديهم روح عالية وطموحات سامية، حتى يفخر بنفسه، ويفخر بأنه رجل أعمال ناجح خارج اليابان.

أخبرني السيد / هوشيزاكي الموجود في الملايو مرة أنه تعرض لمشكلة عائلية، كما أراد أن يكون له أسرة طيبة، لكنه يفكر في أمر الأطفال حين يكبرون، ويفكر في اضطراره إلى الابتعاد عنهم بسبب التعليم وما إلى ذلك من ظروف، في هذا الوقت يمكن للزوج أن يتمتع بالحياة طبقًا لعمره وسنه، لكنه أيضًا يجب أن يضحي في سبيل الأسرة، وكل شخص يعيش خارج اليابان لديه المشكلة نفسها بشكل أو بآخر، يجب على اليابان أن تفكر في حل مثل هذا النوع من المشكلات التي يتعرض لها مثل هؤلاء الناس حلاً عمليًّا وليس بالمشاركة الوجدانية، أو التعاطف مع أصحاب المشكلات فقط.

في الثامن عشر من أغسطس اتجه إلى الهند على ظهر السفينة "ملكا مرو"، لقد واجهت الموت في جزيرة العرب ولا أزال على قيد الحياة، والآن وأنا على قيد الحياة يجب علي أن أفعل كل ما أريد أن أفعله..

أما الآن فما يجب علي أن أفعله هو أن أكتب إلى اليابان، وطني، ومسقط رأسي!

يجب أن أكتب رسالة إلى أقاربي، ويجب أن أرتب مذكراتي، ويجب أن أجمع

مادة دراستي، وبخاصة أود أن أخبر أهل بلدي عن تجربتي خلال هذه الرحلة.

كنت كل يوم أكتب الرسائل كما لو كنت أكتب وصيتي..

يجب أيضًا أن أكتب إلى مؤسسة الصحافة اليابانية «كوكو مين شينبون»، كما يجب أيضًا أن أكتب مقالات لمجلة «اليابان واليابانيون» رغم أنني لم أستلم أي دعم مادي منهم، لكنني من خلال هذه المؤسسات أريد أن ألقي بالمسئولية التي أشعر بها على عاتق كل من يهمه الأمر.

بينما كنت أقيم في سنغافوره، سألني القنصل السيد / أوكيتا أن ألقي محاضرة على اليابانيين الذين يعيشون في سنغافوره، لكنني فكرت بأن البروفسر أو الناس المشهورين الذين يأتون خلال رحلة بالصدفة يمكنهم أن يفعلوا ذلك، سمعت هذا أكثر من مرة، لكنني أشعر بأن هذا هراء لأن هؤلاء الناس أنفسهم جاءوا للفسحة والمتعة، فلماذا يضطرون إلى إلقاء محاضرة على الناس الذين يعيشون هنا، ويخبرون الحياة هنا جيداً.. هذا سلوك غير مسئول! ولهذا رفضت العرض بإلقاء محاضرة، فبالإضافة إلى ما ذكرت شعرت بأنه إذا قمت بذلك فإنني أربك برنامج رحلتي الأساسية، وقد فهم السيد / أوكيتا شعوري، ومن هنا دعاني فقط لتناول طعام العشاء، فكانت ليلة لا تنسى بالنسبة لي!

لا أزال أتذكر لون الأزهار والورود التي وضعت على المنضدة التي جلسنا من حولها، وخلال هذا الوقت كنت أتحدث عن الإسلام في الصين وجنوب الباسفيك، ولكنني أوضحت لهم بإصرار شديد أنني لست بباحث متخصص في موضوع الإسلام، كما أنني لا أريد أن أكون شيخًا فقيهًا أو إمامًا للمسلمين، لكن دراستي عن الإسلام ترتكز على تطبيق فكرة الشنتوية !!

على كل حال كانت ليلة ممتعة للغاية...

كان يجب علينا أن نصلي الفروض كل يوم، وهذا واجب أساسي حرصت عليه دائمًا.

أردت أن أكتب عن الوضع في جنوب الباسفيك بما في ذلك سنغافوره، كما أريد أن أعرف عن وضع المستعمرات البريطانية، وأريد أن أدرس عن الصينيين في منطقة جنوب الباسفيك.. إنه طريق طويل ذلك الذي يوصلني إلى هدفي!

أريد فقط أن يمنحني الله صحة طيبة، لأنني أشعر الآن بأنه لا يمكنني التغلب على التعب الذي يصيبني، أشعر بأن هناك خطأ ما في جسمي، لكني بحمد الله أمتلك روحاً قوية وعزيمة جبارة، أدعو الله أن يحفظ علي صحتي..

حل يوم المغادرة..

كان عدد رفقائي الصينيين تسعة وثمانين، لكن هذا العدد انخفض إلى ستين، مات منهم عشرون... ومن بين من بقي على قيد الحياة، سافر أحدهم إلى القاهرة، وزار الجامعة الأزهرية الإسلامية هناك، وكان لا يزال هناك، وقد عاد الجميع إلى الصين عدا خمسة.. لكن الأمر المهم الآن هو أنه يجب علي أن أفارق «ما كين شو» فليس من الطيب أن آخذ شابًا مثله معي، فهو يريد أن يستكمل دراسته، فماكين شو لا يزال في فترة التدريب التي تؤهله ليكون إمامًا للمسلمين.. ولهذا ودعته ليعود إلى تين شين، وأوصيته بأن يذهب إلى «أو سيه ساي» ليكمل دراسته، وليكمل تدريبه ليكون إماماً.

حين كنت أسافر إلى شمال الصين كان رفيق سفري هو «شو جين با» (بجيم قاهرية)، وفي المرة الثانية كان رفيقي «ما كين شو» هذان الشابان كانا صبورين معي، ومن خلال هذين الشابين تمنيت أن يفهم الصينيون عزيمة اليابانيين..

تأخرت السفينة ملكا مرو يومًا واحداً.. فكان الرحيل بعد ظهر يوم التاسع عشر.

جاء ما كين شو ليودعني قبل الرحيل.. كان يرتدي زيًّا عربيًّا، وحين كان يلوح لي بيديه مودعاً، بدت ملامح الحزن الشديد واضحة على وجهه !!

هذه السفينة سفينة بضائع، وكنت أنا فقط المسافر الوحيد عليها، والمفروض أن يعاملونني معاملة المسافر على السطح « deck » ولكنهم عاملوني معاملة مسافر الدرجة الأولى بسبب المدير الفرعي السيد ساتوا والقبطان فوكودا ورئيس المهندسين كيزوكا..

آه... بعد مدة طويلة أبحرت على سفينة يرفرف عليها علم ياباني، ولأول مرة أمكنني أن أتعامل باليابانية، فضلاً عن أن صاحب فندق هياشي أهداني سلة من البلح، وأهدتني زوجته باقة من الزهور لأضعها في غرفتي في السفينة، وخادمة الفندق أهدتني كثيراً من الليمون، كما أعطاني النادل قليلاً من البرتقال.. لا يمكنني أن أعبر عن مدى تأثير مثل هذا السلوك معي، لا يمكنني أن أعبر عنه بالكلمات... لقد تركت هؤلاء الناس عند ميناء سنغافوره.. وها أنا الآن أبتعد عنهم، يلفني الحزن والأسى على فراقهم.!

لقد عبرت على « كان نان » ثلاث مرات خلال فترة أربعة أشهر.. بعد أسبوع وصلت إلى رانجون في بورما، ومن هناك أخذت نهر « إي را وا ديه » وانطلقنا لمسافة ٥٠ ري[١] كانت المناظر على شاطئ النهر مثل المناظر على شاطئ نهر « يان تسي » في الصين..

شاهدت قرية صغيرة وسط حقول الأرز الخضراء، ورأيت برج معبد بوذي في هذه القرية.. كلما اقتربنا من « رانجون » كلما ظهر لنا بوضوح البرجين الذهبيين لمعبد « شوتاجون » (بجيم قاهرية)، ومعبد باجوتا (بجيم قاهرية)، ويعد برج معبد « شوتاجون » بمثابة قلعة لمدينة رانجون، يمكن أن ترى البوذية في الجنوب من

(١) الري يساوي ١٨٥٢ متراً – المترجمان.

الهند، حيث تقع جزيرة سري لانكا، أو في الشمال عند الهيمالايا، لكن في البلد المجاور للهند، وأقصد بورما، فإن البوذية تنشط كثيراً بشكل يفوق نشاطها في الهند، وأنا لا أدري عن فكرتهم، فيما يتعلق بالإيمان بالله، لكنني شعرت من خلال مشاهدة هذا البرج الذهبي أنه لا تأثير للحضارة الغربية عليهم، هذا هو الانطباع الأول عن بورما.

حين جاء ضباط الكرنتينة البريطانيين لأداء واجبهم وفحص أوراقنا، طلبوا رشوة دون خجل، في السفينة التي كنت أسافر عليها كان معي ثلاثة من المسافرين المرضى، لذا كان عليهم أن يدفعوا للبريطانيين رشوة.

نحن الآن في موسم الأمطار الغزيرة في الهند وبورما، وهكذا فالأمطار تأتي فجأة وتتوقف، تهطل ثم تتوقف، فكان إذا هطل المطر، تحسن الجو وصار بارداً، وإذا انقشع السحاب، وصفا الجو، اشتدت الحرارة لدرجة لا تطاق، لذا يصاب الناس بالمرض بشكل عادي، وأحياناً يقولون بأن جميع ركاب السفينة يصابون دون استثناء بالمرض، وهذا ليس بأمر غير عادي.

لم أخرج من داخل السفينة رغم وصولنا إلى رانجون (بجيم قاهرية)، وذلك بسبب المطر، لقد شاهدت فقط البرج الذهبي للمعبد، ولم أشأ أن أتجول في المنطقة التي يوجد فيها البريطانيون.

كنت أقضي الليل في قراءة المجلات الموجودة في بهو (صالون) السفينة، شممت رائحة اليابان حين كنت أقرأ هذه المجلات، أعتقد أن البوشيدو روح اليابان[١] يجب أن تنتشر في جميع أنحاء العالم كأسلوب ياباني في الحياة.

(١) يعني أخلاق الفروسية انظر البوشيدو روح اليابان وقيم الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الملك عبد العزيز، ندوة حوار الحضارات - المترجمان.

حين كنت أفكر في تجديد أسلوب الحياة في اليابان، تحركت السفينة تجاه خليج البنغال، وفي كل يوم كانت السفينة تتعرض لعواصف شديدة، وأمطار غزيرة، لكني هذه المرة كنت أجد فرصة للاستحمام يوميًّا، وكنت أجد فرصة لتناول الطعام الياباني.. وباختصار كنت أتمتع برحلة سعيدة.

استغرقت الرحلة من سنغافوره حتى كلكتا ثلاثة عشر يومًا، سوف تتحرك هذه السفينة إلى نهر «جانديس» (بجيم قاهرية) لهذا صعدنا النهر مسافة ١٢٠ ري[١]، وفي الطريق شاهدت مصانع كثيرة يديرها البريطانيون، وخلف هذه المصانع توجد حقول الأرز، وغابات أشجار النخيل، مرت بنا سفن كبيرة وأخرى صغيرة، ألقت سفينتنا بمرساها في ميناء كلكتا[٢]، حيث لا يوجد أي فندق ياباني، كما لا يوجد لي معارف يابانيين، لهذا كان عليّ أن أبيت هذه الليلة في السفينة.

أول سبتمبر ١٣ تايشوفي كلكتا

٤

نظرة على كلكتا

عند وصف شيء ما، يمكن القول بأن الانطباع الأول هو الذي يقرر الحكم على كل شيء، فالانطباع الأول يمسك بالشيء الحقيقي!

جئت إلى كلكتا دون سبب محدد، ودون هدف معين، كان يجب على السيد / ماتسوي - وهو موظف تابع لهذه السفينة - التوجه إلى القنصلية اليابانية،

(١) الري يساوي ١٨٥٢ مترًا - المترجمان.

(٢) في الأصل الياباني يميل النطق بين كالي كوت وكلكتا والأمر غير واضح أي المكانين يقصد المؤلف - المترجمان.

ولهذا رافقته إلى هناك، ورغم أنه سبق له المجيء هنا، إلا أنه لا يتذكر الطريق إلى القنصلية، حين سألنا شرطيًّا هنديًا يمسك بمظلة، ويضع على رأسه طاقية حمراء، أخبرنا بأنه لا يعرف مكان القنصلية اليابانية، ولم يكن هذا الشرطي هو الوحيد الذي لا يعرف مكان القنصلية اليابانية، لكن كل من سألناهم من الشرطة ذكروا بأنهم لا يعرفون مكانها، ومن هنا كان علينا أن ندور بالسيارة هنا وهناك، وفي النهاية ذهبنا إلى نادي شركة الملاحة، وسألناهم عن مكان القنصلية... وفي النهاية وصلنا إلى القنصلية.. لكن بعد سياحة بالسيارة استغرقت وقتاً طويلاً بحثًا عن القنصلية اوهكذا أمكننا مشاهدة مدينة كلكتا.

كان السيد أوكيتا القنصل الياباني في سنغافوره قد قدمني إلى نائب القنصل هنا، وهو السيد إيتو، وهكذا سأقيم في المقر الرسمي للقنصل، وهكذا حملت حقيبتي الوحيدة إلى السكن الرسمي للقنصل لأبيت هذه الليلة.

بينما كنت أشاهد الزهور، دار بيننا حديث طويل لمدة متأخرة من الليل، أخبرني عن أشياء كثيرة عن كلكتا، ووصفها لي وصفًا جيداً، جعلني أشعر كأنني تجولت فيها بنفسي، لكنني شعرت بأنه لا يمكن أن أمر بمثل هذه المدينة دون أن أراها رأي العين ـ لهذا خططت للذهاب للتفسح في المدينة في اليوم التالي.

حين وصلت إلى الهند أول يوم كان ذلك في الساعة الحادية عشرة الأول من سبتمبر سنة ١٣ تايشو، في مثل هذا التاريخ من العام الماضي وقع الزلزال الكبير في طوكيو، نعم تمامًا في مثل هذا اليوم، وبسبب الزلزال الكبير كنت قد قررت السفر خارج اليابان، في أوقات عصيبة.. والآن أجد نفسي هنا في إحدى مدن الهند أتحدث مع السيد / إيتو عن زلزال العام الماضي، ونتحدث أيضًا عن مستقبل اليابان، حديثًا من صميم القلب، كانت هذه الليلة بالنسبة لي ليلة لا تنسى، حتى بعد مرور سنة كاملة، لقد التقيت بالسيد إيتو لأول مرة هنا، رغم أن بيته في

اليابان قريب جداً من بيتي في طوكيو.. ربما التقينا معًا من قبل في الطريق !! أراه قلقًا من أجل زوجته لأنها مريضة، وقد أصابها الضعف والهزال، لا يمكنه أن يعبر عن مدى حزنه للموظفين الآخرين، بينما يؤدي واجبه كمسئول في الخارجية.. وجدت نفسي أتعاطف معه بدرجة شديدة.

حيثما ذهبت التقي بأناس طيبين، وأحيانًا أجد نفسي اثقل عليهم، اتمنى ألا أكون مقلقًا لهم، على كل حال إنني أشعر أن من أقابلهم خارج اليابان هم مثل الفرسان اليابانيين الحقيقيين أي مثل السامورائي.

في اليوم التالي استأجرت عربة يجرها جواد، في رفقة السيد «دوراؤن» سكرتير السيد / إيتو، وتجولت في المدينة، لا يمكن أن اتكلم أي كلمة هندية والسيد «دوراؤن» لا يمكنه أن يتكلم حتى ولو كلمة واحدة باليابانية، ولا يتكلم أيضًا الإنجليزية.. فكيف يمكننا التعامل معًا ؟!

مظهر السيد / دوراؤن مظهر بريء للغاية، وهو هندوسي؟! يضع على رأسه طاقية، ومن وسط رأسه تتدلى قطعة من القماش ملفوف فيها شعره الطويل، إذا يرى الهندوس أن إطلاق الشعر الطويل مهم فعندما يموتون، فإن الله يسحب هذا الشعر الطويل إلى الجنة، لهذا يجعلون مركز الشعر في الرأس طويلاً جداً، ويقطعون الشعر بدائرة الرأس، وهو يضع قطعة من القماش الأبيض فوق الرأس ويعقدها على الشعر الطويل.

كنت أضع على رأسي قبعة ماليزية سوداء، ذهبنا إلى معبد يسمى كالي غات kalighat temple، وهم يقولون إن هذا هو أساس اسم المدينة «كلكتا» طبقًا لرأي البرهمن، فهذا هو المكان الأصلي لبراهما بوترا، وكان المهرجان السنوي لبراهما بوترا يعقد هذه الأيام، لهذا كان المعبد مفتوحًا للجميع، وقد شاهدت بداخله أصنام الآلهة، لكن أشكالها كانت مثل أشكال الشياطين، شعرت

بالاشمئزاز لأن شكل الآلهة مرعب ومخيف، وأظن أن المرأة اليابانية صاحبة القلب المرهف سيغمى عليها إذا ما شاهدت هذه الأصنام الآلهة..

كان يمكنني أن أشاهد من الخلف، ومن بين من جاءوا لزيارة هذا المعبد نسوة يغطين أجسامهن بشاش أبيض مطرز في أطرافه بالأسود، وكانت هذه الملابس الشفافة تكشف بوضوح عن ملامح أجسامهن! وكان الأغنياء من بينهم يرتدين (الساري) أزياء ملونة ومزخرفة بخيوط مذهبة وبخيوط مفضضة، حين شاهدتهن من الخلف يمشين ببطء تذكرت النساء اليابانيات الفاتنات من العصور القديمة، لكن حين شاهدتهن من الأمام، ورأيت وجوههن وهن يضعن الأقراط في أنوفهن، أصبت بخيبة أمل. !!

كانت عيونهن واسعة جداً مثل البدر، وكانت أنوفهن عالية وطويلة جداً، أما الفم فهو صغير، لكن تحيطه شفتان غليظتان، مثل تمثال «كان نون»[1] في اليابان، وكانت النسوة يضعن في أيديهن «أساور كثيرة» ويضعن في أرجلهن أيضاً الحجل، وكنت أشاهد الأقراط في الأذن مرة، وفي الأنف مرة !! أظن أن هذه النوع من التزين هو جزء من طبيعة النساء في المناطق الحارة..

لم يكن يعجبني أبداً أن أشاهد القرط يتدلى من الأنف، لكن يبدو أنهم يركزون كثيراً على أنوفهن لجذب الرجال، وهذا يدل على أنهن يرون أن الأنف هو الوسيلة التي يمكن لهن بها التعبير للرجل عن رغبتهن فيه، دون كشف أي جزء آخر من الجسم، أو اتباع أسلوب آخر مثير غير التعبير عن اهتمامهم بالأنف.

والمعبد معبد صغير لا يتسم بالجمال من الناحية المعمارية، أخذت أدور حول المعبد، ومعي الكتاب الإرشادي المكتوب باللغة الإنجليزية، شاهدت المذبح،

(١) يعني التمثال البوذي الذي يصور المرأة - المترجمان.

وشاهدت شجرة يقال إن المرأة العقيم إذا لمستها ربما أنجبت طفلاً، وأمام التماثيل الهندية هناك تمثال لإله من آلهة الإغريق، وشاهدت رجلاً وامرأة يصليان أمام هذا التمثال، وهي تماثيل لها طابع جنسي..

مثل هذه العبادات التي تأخذ طابعًا جنسيًّا ليست مقبولة عند المسلمين، فحين دخل المسلمون الهند حطموا كثيراً من الأصنام، وكان هذا أمرًا طبيعيًّا آنذاك، ونتيجة لذلك عمت السعادة الهند، وتطورت، وازدهرت فيها الحضارة.

تاريخيًّا كان أشوكا قد غير الوضع في الهند وقسم الناس إلى أربع طبقات متساوية، لكن هذا الوضع لم يستمر طويلاً.. وقد اختفت البوذية من الهند بالتدريج، وبدأت الهندوسية تنتشر أكثر فأكثر.. لم يمنع أشوكا الناس من عبادة الأصنام، فالناس الذين يؤمنون بالدين، وكان عليهم أن يفعلوا شيئاً من أجل الدين، لم يجدوا أمامهم من مفر سوى الصلاة أمام هذه الأصنام.. بالنسبة للمسلمين يمكننا أن نفكر بأن الكعبة تمثل رمزًا ماديًّا، هكذا يفكر بعض الناس!!

وهذه الأيام يؤمن بالهندوسية أناس جهلة، وسياسة البريطانيين لحكم هذه المنطقة والسيطرة عليها مبنية على عدم التدخل في أمر الدين، وهذا شيء طبيعي، ويرون أن السلام في الهند يتحقق من خلال الناس الذين يؤمنون بالهندوسية ويؤمنون بالخرافات والمعتقدات القديمة، وغالبية الهندوس من الناس الذين ينتمون إلى الجنس البنغالي، لكن الجزء الغربي من الهند الذي تأثر بالمغول، ينتشر فيه الإسلام أكثر، ويمكن أن أقول إن المسلمين هناك متطورون، وأكثر حضارة، وهم أيضاً أثرياء، وفي هذه المنطقة أيضًا كثير من البوذيين، فإذا حدث بينهم انسجام، فإن هذا شيء طيب، بل هو أمر عظيم بالنسبة لمستقبل الهند، ويجب أن ننتبه إليه.

ومن معبد كالي غات Kalighat ذهبت إلى حديقة الحيوان..

يوجد هنا ٢٤٤ يابانيًا يعمل معظمهم بالتجارة، في الغابة الهادئة كنت أشاهد في صمت الأسد والنمر.. كانت هذه لحظات سعيدة بالنسبة لي، حين كنت في طوكيو كنت أذهب إلى حديقة حيوان إيوينو.. وقد قضيت يومًا ممتعاً في حديقة الحيوان.. وشاهدت الغوريلا...وذكرني هذا بكتاب كنت أقرأه وأنا في سفينة ملكا مرو وهو بعنوان: «الكلب والقطة والبشر» كنت أقرأه بشغف شديد، في هذا الكتاب مقارنة بين وجه الصينيين ووجه الأوربيين، ذكر المؤلف أن الأوربيين مثل الوحش، وأعتقد أن شكل الوحش مثل شكل هذه الغوريلا التي أشاهدها الآن، أريد أن أضيف بأنها لا يمكن أن تكون حيوانًا شجاعًا مثل الأسد أو النمر..

بالإضافة إلى هذه الحيوانات كنت أشاهد الحرباء والأفاعي والثعابين وغيرها من زواحف المناطق الاستوائية، يقولون بأن هذه الحديقة حديقة كبيرة ومشهورة، لكني أعتقد أن حديقة «إيوينو» أضخم منها.

بينما كنت أشاهد هذه الحيوانات كنت مهتمًا أيضًا بمشاهدة الناس الذين جاءوا للحديقة، كانوا هادئين جدًا، بينما كانوا يدققون فيما يشاهدون بعقول متفتحة، وكان مظهرهم طبيعي للغاية، ومن الجدير أن معظم من جاءوا لحديقة الحيوان، جاءوا إليها مباشرة بعد زيارتهم للمعبد، ولهذا يمكنني أن أشاهد بوضوح اللون الأحمر الذي صبغوا به جباههم من الأعلى إلى مفرق شعر رأسهم، وعلى أرجلهم أيضاً، وبعض الفتيات الشابات حملن زجاجات من نحاس ملئت بماء النهر المقدس، وهم يحملون هذا الماء هدية لمن لم يتمكن من الحضور للمعبد اليوم.

لاحظت أن الهند تفخر بأن كلكتا هي لندن الشرق، شاهدت بناءً معماريًا أقيم من المرمر، أطلقوا عليه اسم «Victorial Memorial» النصب التذكاري لفيكتوريا، وهذا زبالة! لا أظن أن الهنود يتأثرون بهذا البناء، فهذا غباء.

زرت المتحف أيضًا وشاهدت من بين أقسامه قسمًا واحداً، وهو شيء رائع

بحق، ومعظم التماثيل الموجودة بالمتحف تماثيل حجرية، وتضم مجموعة من التماثيل شبيهة بتلك التي يطلق عليه الناس تماثيل حديثة، وهي تماثيل لنساء عاريات لهن نهود ضخمة وسيقان سمينة.. وهذه تماثيل هندية فعلاً، وحتى ملامح عورة المرأة يمكن مشاهدتها بوضوح، وقد جعلوها أكبر من حجمها الطبيعي، فإذا كنت تدرس عن جمال العري فيمكنك أن تأتي هنا.

وقد شاهدت في المتحف حجراً أثريًا كتبت عليه حروف صينية، مع بعض الزخارف والرسومات، من بينها رسم للدراجون (بجيم قاهرية)، وقد رتبوا كل هذه الآثار طبقاً للعصور التاريخية.

بعد ذلك قمت بزيارة معبد الديانة الجينية، ويقع في المنطقة الشمالية للمدينة، ويؤمه أصحاب الديانة الجينية الذين يؤمنون بإله هو إله الحظ، لذا يأتي الكثير من رجال الأعمال للصلاة هنا، وقد لاحظت أن التمثال الذي يعبد هنا له عيون من الزجاج، أحسب منظره قبيحًا، لكنه يتناسب مع هند هذه الأيام(١).

لا يوجد هنا أي مسجد في هذه المنطقة يمكن أن يثير الاهتمام، ورغم هذا فتوجد بعض المساجد التي بنيت على الطراز التركي، وبعضها على طراز المساجد المصرية، وطرازها مختلف تمامًا عن طراز المساجد في الصين، وكنت أصلي في أقدم المساجد في هذه المنطقة.

حين ذهبت إلى شارع «هاريسون رود Harrison Road» شعرت بأن كلكتا فعلاً مدينة كبيرة، فبالإضافة إلى المباني العالية يزدحم كل شيء معاً: الناس والجياد والعربات، والعربات التي تجرها الثيران، والسيارات.... الطريق مملوء بكل وسائل النقل تلك، وشعرت بأن معظم الناس سود البشرة، وأنهم نصف عرايا، وشعرت

(١) أي الخاضعة للسيطرة البريطانية – المترجمان.

أيضًا أنهم ليسوا على مستوى طيب من النظافة، ليس لديهم مناظر الزينات والزخارف التي شاهدتها في الصين، وأقصد وضع عناوين المحلات وكتابتها بطريقة جميلة مع زخارف ملونة جميلة.. كل ما هو مشاهد هنا فوضى وزحام.. آه أنا بحاجة للشعور بالهدوء احتاج إلى الإحساس حقًا بالهدوء.. لا يمكن أن أجد مكانًا فيه ما يدل على الحضارة الهندية الحية إلا في ضواحي كلكتا.

يعتقد البريطانيون أن الوقت لا يزال مبكرًا أمام الهند حتى تنال استقلالها.. إنني آسف وحزين من أجل الهند، أظن أن جميع أهل الهند يجب أن يلتمسوا النصيحة من المستر غاندي، وأن يتبعوا أفكاره..

أما أهل أوربا المتحضرون فهم يقولون بأنهم يحكمون البلد على أسس إنسانية، لكنهم بالطبع لا يفعلون ذلك، فإذا كانوا حقًا يريدون حكمهم طبقًا للأصول الإنسانية، فإن الغربيين يجب أن يحترموا أفكار الشرقيين ومشاعرهم، وقيمهم وتقاليدهم الاجتماعية.. والمستر غاندي يدعو أهل الهند إلى التمسك بحضارتهم والتمسك بقيمهم، وهو يصر على ذلك، بينما قال طاغور :

يا أهل الشرق ! يجب أن تحترموا الحضارة التي صنعتكم

وقال أيضًا :

إن أجدادنا الهنود لم يصنعوا حضارة الهند من أجل الشرطي البريطاني أو الجندي البريطاني!

يمكن أن أوجه نقدًا الذع وأشد من نقدهما، لكن لا يمكنني أن أكتب الآن ! لا أدري ماذا سيكون عليه مستقبل الهند؟!

كان الجو رائعًا طوال الأيام الثلاثة التي قضيتها في كلكتا.. وهؤلاء الناس يقولون إن مدينة كلكتا من كبريات مدن الهند، وقد رغبت في أن أكتب شعرًا،

يحمل هذا المعنى أي أن كلكتا مدينة كبيرة.

حين كنا في مدينة الطيور فكرت في الصين وذكرت للسيد إيتو أنه في العام الماضي حين سقطت الثلوج، ماتت طيور كثيرة، وشكلت أجسام الطيور الميتة أكثر من مئة حمل عربة.. لم أستطع إكمال عبارتي... يا لها من طيور مسكينة..

هنا في الهند بالإضافة إلى الطيور هناك كثير من الفئران، كنت إذا خرجت من البيت شاهدتها تفر من أمامي، ومن حولي، سوف أخبر الناس بأن القطة في الهند لا تأكل أبداً الفأر، أتعجب هل لهذا سبب ديني عقدي، إن كلكتا مدينة الفئران، ويقول الناس بأنها أصل مرض الطاعون، وهذا هو انطباعي فيما يتعلق بهذا الأمر.

عندما كنت أفكر في زهرة الساكورا الهندية، طارت عصفورة على غصن الزهرة، كانت تغرد بلحن حزين.. وكان السيد/ دوراؤن يحملق في هذه العصفورة مدة ساعة.. وربما ساعتين دون انقطاع.. لا بد أن كلكتا مدينة الطيورا بل يمكن أن أقول إن الهند كلها مدينة للطيور!

في الليل سوف أغادر متجهاً إلى شملا.

٣ سبتمبر سنة ١٣ تايشو

الساعة الخامسة عصراً مدينة كلكتا الهند

٥

قصر في شملا

السابعة وخمسون دقيقة مساء يوم ٤ سبتمبر غادرت محطة كلكتا، توجد أربعون دقيقة فرق في التوقيت بين غرب الهند ومدينة كلتكا.

الساعة الآن ٣٠ : ٢٠ وهذه الطريقة أسهل لكتابة الوقت، وعلى وزارة المواصلات في اليابان أن تقلدها.

أنا متجه الآن إلى شمالا في مقاطعة البنجاب، والمسافة إليها نحو ١٢٠٠ ري[١]، كان القطار يمضي على القضبان بسرعة عالية، وكنت أجلس في عربة الدرجة الثانية، حيث يمكن لثمانية أشخاص الجلوس في كابينة واحدة، ويمكن أن يتحول الكرسي إلى سرير، وهكذا فخلال الليل يمكن لأربعة أشخاص النوم في هذه الكابينة، ودفعت ٧٢ سين لهذه التذكرة.

في اليوم التالي وصلنا إلى إله آباد عند الظهر تقريبًا، مررنا بالغابات وحقول الأرز، وسهول تغطيها الحشائش، لا توجد مرتفعات أو هضاب أو جبال، ولا توجد ولا حتى قرية صغيرة مجاورة لخط السكة الحديد، لو كنت مهتمًّا بالآثار البوذية لزرت Palaliputtra أو Grdhrakuta أو Buddha gaya أو غيرها لكن مشاهدة هذه الآثار مثلها مثل التمتع باللعب القديمة أو الأنتيك، وأنا أريد أن أتجنب مثل هذه الأشياء.

تقع مدينة إله آباد على نهر الكنجيس، يمكنني أن أشاهد ملاعب وساحات كثيرة، كنت وأنا أرتدي ملابس متواضعة أضع على رأسي طاقية مالوية، فكان المسلمون المحيطون بمحطة القطار يسألونني: «هل أنت مسلم؟» وذلك كلما طلبت شيئاً آكله أو أشربه، إذ لم يكن في كابينة عربة القطار غيري.

بعد عبور مقاطعة يو بي U B دخل القطار في مقاطعة البنجاب، حيث الحقول الشاسعة تحيط بنهر الكنجيس، أشعر بأنها أكبر وأوسع من حقول الصين، وكان يمكنني مشاهدة قطعان الجاموس الأسود والثيران البيضاء تعمل في الحقول، وكنت طول الوقت أسمع صوت الأرانب تتحرك بسرعة هنا وهناك بينما سرب الحمام البري يطير يحلق في الفضاء، وهناك قطعان الغنم، وبجوارها سرب من طيور

(١) الري يساوي ١٨٥٢ مترًا ـ المترجمان.

بيضاء طويلة العنق (أبو قردان) لقد ذكرت من قبل أن الهند بلد الطيور، تجدها في أي مكان في الحقول، وفي الغابات، وفي القرى وفي المدن..

أمكنني أن أشاهد أسراب الأوز البري تحلق عاليًا، كما أمكنني أن أرى المنظر الجميل للفتاة الريفية التي تلبس زيًا ملونًا جميلاً [1] وتضع الجرة فوق رأسها، وتمضي إلى النهر لتملأها بالماء، ومن فوقها يحلق طائر، ريش جناحيه ملون وجميل، يحلق بمحاذاتها.. يتبعها.. كان يمكنني مشاهدة الطاووس الجميل من نافذة القطار.. يا له من منظر، إنه منظر السلام! لكن حتى في مثل هذا المنظر هناك حيوانات مفترسة أو ثعابين سامة مختبئة خلف هذا المنظر، كما لو كانت تذكرني ببريطانيا..

أعتقد أن فقراء الهند سيزدادون فقرًا.. يمكن أن أشير إلى أن هذه المنطقة قد تأثرت بطابع الإمبراطورية المغولية، وذلك من خلال فن عمارة المساجد، فالمسجد يوحي بناؤه بالشجاعة! والمسجد الذي يقف بين أشجار الغابة شديدة الخضرة هو رمز، ورمز حقيقي للجنس الملون، ومهما حاول المهندس المعماري الأبيض أن يقلد هذا البناء فإنه لا يستطيع، أظن أن الأبنية التي تبنيها حكومة الهند هي مضيعة للنقود، وأشعر أنها بعد زمن قليل ستكون عديمة القيمة، أنا قلق من أجل الهند، أظن أنهم يجب أن ينفقوا النقود على أشياء أخرى من أجل إسعاد الهنود الفقراء التعساء البؤساء، وخاصة أنهم يتعرضون لمآس كثيرة مثل الفيضانات، كما أن نظام الري والصرف سيئ للغاية، وأيضًا نظام الصرف الصحي وبخاصة في القرى، فلا وجود له على الإطلاق ولهذا تنتشر الأمراض وتتفشى بسرعة.

المندوب السامي البريطاني غائب عن دهلي الآن، فهو يقيم في مناطق المرتفعات الصيفية أو مصيف «شملا» من شهر أبريل إلى شهر أكتوبر من كل عام، ليستجم

---

(١) يعني الساري الهندي ـ المترجمان.

هناك، ويمارس مهام عمله في الوقت نفسه، ويرافقه جميع موظفيه البالغ عددهم نحو مئتي موظف، وهناك خط سكة حديد يمضي بين الجبال في تلك المنطقة الجبلية بطريقة ملتوية غير مستقيمة.. وقد ركبت هذا الخط ووصلت إلى شملا.

ترتفع شملا عن سطح البحر بحوالي ٨٠٠ شاكو[١]، وهنا في موسم الصيف يمكن أن تمضي الوقت وأنت بملابس الشتاء، وشملا جنة من فوق السحاب.

يتقاضى المندوب السامي وموظفوه جميعًا رواتب عالية جدًّا، بينما هم جالسون في هذه الجنة أكثر من نصف العام، وحتى البرلمان الهندي يعقد جلساته هنا!

وإذا شاهدنا التسهيلات الموجودة هنا في شملا أدركنا أنه لا يوجد لها مثيل حتى في اليابان، وعدد السكان حوالي ٣٠ ألف نسمة، ويوجد حتى فنادق من الدرجة الأولى التي يحتوي الواحد منها على خمس مئة غرفة، وبالطبع أقاموا هنا نظام دفاع ضد هجمات الهنود الوطنيين، ولدى المندوب السامي ثلاث سيارات، إحداها لاستخداماته الشخصية، والأخرى لاستخدام رئيس العسكر، والثالثة لاستخدام حاكم البنجاب، ولا أحد يمكنه أن يستخدم هذه السيارات غيرهم.

بالإضافة إلى السيارات عندهم «الركشا» التي يمكن أن يركبها أربعة، وعادة ما تركبها النساء البريطانيات، وهناك مدارس ثانوية ومدارس للبنات.

وقد تذكرت أنه منذ مدة بعيدة بنى الإمبراطور الصيني في زمن «شين» قصره فوق جبل، وحين قرأت عن هذا القصر في كتاب كتبه أحد الأدباء، ظننت أن الوصف مبالغ فيه، لكن الآن حين شاهدت القصر في شملا، أشعر أن ما قرأته كان وصفًا حقيقيًّا، ربما هذا الإمبراطور يحسد البريطانيين الآن وهو في قبره. !

التقيت في مرتفعات شملا بأحد أعضاء البرلمان التابع لمقاطعة البنجاب قال لي:

---

(١) الشاكو ٣٠ سم - المترجمان.

حاج نور محمد ! كم هو مكان جميل هذا المكان ؟!

فأجبته: إذا لم يكن هناك هذا المبنى الذي بني على الطريقة الغربية، وهذا الشخص الموجود فيه، فإني أعتقد أن مرتفعات شملا أجمل مكان في العالم!

هكذا أجبته ! في الحقيقة لا يمكن إلا أن نشعر بأن البريطانيين يخادعون ويخدعون ليس فقط الناس في الهند بل أيضًا في الأماكن الأخرى مثل منغوليا والبنغال وبورما، فهذا المندوب السامي وأمثاله يقيمون في المنتجعات الصيفية لهذه البلاد.. ولا يوجد هناك من يخلع ملابسه في الشتاء حتى يشعر بما يعانيه الآخرون من الفقراء..

بسبب بقاء المندوب السامي هنا فإن القنصل الياباني السيد إيواتيه الموجود في كلكتا مضطر إلى المجيء إلى هذه المنطقة من أجل العمل، وعندئذٍ عليه أن يغير بيته هناك وهو يدفع ٣٠٠٠ ين إيجار ستة أشهر، رغم أن الاتفاقية بين اليابان وبريطانيا قد انتهت هذه الأيام، وكنت قد طلبت من القنصل إيواتيه أن يتناقش مع مسئول شئون الخارجية البريطاني حتى يسمح لي بالحصول على إذن بدخول أفغانستان عبر بيشاور وممر خيبر الشهير، وقد عرفت لتوي أن هناك صراعًا داخل أفغانستان هذه الأيام، وأعرف أن طائرتين تطيران إلى هناك من الهند، ومدينة بيشاور مكان مهم جدًا من أجل حماية الهند والدفاع عنها، وهي مثل «باروك» في منطقة تركستان الواقعة ضمن حدود روسيا، وقد سمعت أن في مستودعات بيشاور معدات كثيرة تزيد على الحاجة ! لإقامة سكة حديد يمكن أن تمتد عبر جميع مناطق أفغانستان، إذا استلزم الأمر ذلك.

وأهمية ممر خيبر معروفة فقد عبره الإسكندر الأكبر، كما عبره أيضًا جيش جنكيز خان إلى الهند...

تأخذ السيارة هذه الأيام من بيشاور ومنها إلى كابول في أفغانستان مدة ثلاثة

أيام، وهكذا فالسفر إلى هناك ليس صعبًا بالنسبة لي، لكنني سوف أتعرض للتفتيش والفحص عند بوابة بيشاور، وهذه مشكلة ولهذا طلبت من القنصل أن يحصل لي على إذن.. لكنهم لم يسمحوا لي بالسفر.. ولم يعطوني إذنًا أو تصريحًا للمرور.. قالوا: الطريق إلى شملا من كشمير هو طريق للحجاج المسافرين إلى مكة، ونحن الآن في الخريف، ولهذا لا يسمح لأحد بالسفر عبر هذا الطريق، لكن إذا أردت السفر عبر بلوتشستان فيمكنهم مساعدتي، لكنني لست بحاجة إلى السفر عبر هذا الطريق، فلا فائدة من السفر عبره.

طبقًا لدائرة الشئون الدولية (اليابانية) فهم يرون أن استقلال الهند بعيد المنال، وإمكانية استقلال الهند إمكانية ضعيفة، لكني أرى عكس ذلك فالموجة الهادئة يمكن أن تتحول فجأة إلى موجة عاتية، ويمكن للضربة الأخيرة لهذه الموجة أن تحطم كل شيء.

أذكر أن سفير اليابان في روسيا السيد «أوتشيدا» لم يلاحظ الثورة الروسية بطريقة جيدة، ولذا وبعد مرور بعض الوقت وجد نفسه مضطرًا للهرب من روسيا معرضًا نفسه للمخاطر لأن الثورة كانت شيئًا لم يكن يتوقعه..

لكن الثورة في الهند أمر صعب، بسبب جهل الناس، أقصد عدم وجود تعليم، وافتقارهم إلى حماس الثورة، لكن يلاحظ في الصين مثلاً أنه تم القضاء على أسرة « شين » من أتباع الأسرة نفسها، لذا فهناك احتمال ضعيف أن تقوم الثورة في الهند أيضًا.

وافق برلمان شملا على الميزانية التي وضعتها الحكومة، والمندوب السامي البريطاني له طريقة خاصة لجعل الأمور تمضي حسب هواه، فهو يمتلك القوة، ويمتلك المتفجرات (الأسلحة) وقد حاول بعض الهنود الطموحين أن يجعلوا البرلمان على أسس قوية، وبطريقة صحيحة لكنهم لم يكن لهم حول ولا قوة أمام السلطة البريطانية.

إن الله لا يرضى بما يتعارض مع الطرق اللا إنسانية.

٦

من شملا إلى بومباي

في بيت القنصل الياباني في شملا حارس ينتمي إلى الطائفة الجينية، بينما الطباخ مع صبيان يقومان على الخدمة، ثلاثتهم ينتمون إلى الإسلام، حين عرفوا بأنني مسلم، وأنني أديت فريضة الحج، أقبلوا عليّ في سرور يصافحونني، وأشير هنا إلى أن الطباخ المسلم يقوم بوضع الماء في إناء خاص بهم فقط، كما أنهم يستخدمون الأواني الخاصة بهم دون غيرهم، وهكذا قدموا لي الطعام في هذه الأواني والأطباق. هناك خمسة أو ستة مساجد يؤمها المسلمون في شملا، وقد زرت واحداً من هذه المساجد وصليت فيه، سمعت نداء من الغيب يهتف بي: هذه المرة يجب أن ترحل عن الهند وتعود إلى الصين، كان هذا الصوت يرن في أذني، ومع هذا قررت الذهاب إلى بومباي.

بالإضافة إلى القنصل إيواتيه، وسكرتيره سوزوكي، كان هناك السيد هوما وهو برتبة نقيب في الإدارة العسكرية اليابانية، كانوا يقيمون في الفندق الواقع على هذا التل.

طبقًا للاتفاقية التي كانت قد عقدت بين اليابان وبريطانيا تقوم اليابان بإرسال ضابط واحد بينما ترسل بريطانيا ١٢ ضابطاً (برتبة نقيب)، ولهذا أرسلوا ١٢ ضابطاً من الإدارة العسكرية الهندية إلى اليابان، وكانوا موجودين في جميع أقسام الجيش الياباني، لكن الاتفاقية بين اليابان وبريطانيا انتهت، لذلك فاليابان تشكو لأنها ترسل ضابطًا واحداً بينما يُرسل اثنا عشر ضابطًا من قبل بريطانيا، ولا يبدو أن بريطانيا تريد تصحيح هذه الاتفاقية، وأنا أتعجب هل هناك فائدة من دراسة القوات العسكرية الهندية، ليس هذا بعدل أبداً، فشخص واحد لا يمكنه أن يجمع معلومات كافية بينما هو جالس هنا في هذه المنطقة الجبلية، على كل حال هناك

ثلاثة يابانيين يقيمون في هذه المنطقة الجبلية... من الجدير بالذكر أن القنصل «إيواتيه» خبير في الشئون الأمريكية، والسيد هومّا خبير في الشئون البريطانية، كلاهما يتحدث اللغة الإنجليزية بطلاقة، ليس عندي معلومات كافية عن الهند، ولهذا سألتهم واستفسرت منهم عن أمور كثيرة تتعلق بالهند.

حين غادرت شملا جاء السيد هومّا إلى المحطة لوداعي، وحين أخبر الهنود الآخرين الذين يجلسون معي في كابينة القطار بأنني مسلم ياباني، وبأنني أتكلم الإنجليزية جيداً، تحول هؤلاء الهنود إلى أصدقاء حميمين !!

وداخل القطار كان الجميع يتجاذبون أطراف الحديث.. فوق مرتفعات شملا كانت السحب تغطي صفحة السماء كل يوم، لهذا لم أتمكن من مشاهدة الهيمالايا.

المسافة بين شملا وبومباي نحو ١٢٠٠ ري، دفعت ٧٨ روبية لتذكرة الدرجة الثانية، وفي الطريق بين شملا وكلكا[1] كانت هناك محطة في قمة الجبل اسمها «بورجا»(بجيم قاهرية) Burga، بالنسبة للطعام كان هناك مطعمان: أحدهما أوربي والآخر هندي، ومن بين رفاقي الهنود كان هناك عضو في البرلمان الهندي بمقاطعة البنجاب، فاصطحبني إلى المطعم الهندي، وطلب الطعام الموجود في القائمة الموحدة للمطعم.. تمتعنا بتناول الطعام الهندي الإسلامي، وقد توقف القطار عند المحطة المذكورة حوالي نصف الساعة، وعند محطة كلكا كان عليّ أن أغير إلى خط كلكا، وقد ساعدني هذا الهندي المحترم، وبخاصة حين كان عليّ أن أنقل متاعي من قطار إلى آخر، كما ساعدني أيضًا في اختيار الكابينة داخل عربة القطار، وبكل لطف ومودة أرشدني إلى أمور كثيرة، كان الرجل في غاية اللطف،

(١) هكذا في الأصل – المترجمان.

وقد ودعنا بعضنا بعبارة : السلام عليكم، وتبادلنا العناوين، لقد أضافت آراء هذا الرجل اللطيف إلى معلوماتي عن الهند الكثير، وكانت آراؤه مفيدة جداً بالنسبة لي. بعد أن تركني، تقدم نحوي شرطي فسألني عن اسمي وعملي ووجهة سفري، فأدرك أنني لا أواجه أي مشكلة، كان هناك بريطاني، لكنه بريطاني مخلط أي بريطاني هندي، يجلس معي في الكابينة نفسها، لم تكن تعبيرات وجهه مريحة، ولحسن الحظ نزل من القطار في دهلي.

هناك ثلاثة خطوط للسكة الحديد تربط دهلي بكلكا، وقد اخترت أقصر خط لأصل إلى محطة «كورابا» في كلكا، وفي دهلي ركب بريطاني عجيب في كابينتي.

في الثامن من سبتمبر في الساعة الرابعة عصراً غادرت شملا وفي العاشر من سبتمبر في الساعة الحادية عشرة ليلاً وصلت إلى محطة كورابا في كلكا .. وعلى كل حال قررت أن أذهب إلى القنصلية اليابانية، ولهذا أخذت عربة حنطور [عربة تجرها الجياد] يجرها جواد، متجهًا إلى القنصلية اليابانية، لكن كان معي في عربة الحنطور نفسها أحد رجال الشرطة السرية، في ملابس عادية، يرافقني مثل ظلي، كما لو كنت مجرماً ارتكب جرمًا .. لا أحب هذا .. من الممكن أن يكون الرجلان اللذان ركبا معي القطار في كابينتي من الشرطة السرية.!

المشهد الذي نشاهده في القطار المسافر بين دهلي وكلكا يختلف تمامًا عن المشهد الذي نشاهده في قطار سكة حديد كلكا، فهنا يمكنني أن أشاهد مرتفعات صغيرة، وبقايا قلاع قديمة، وبحيرات ماء صافية، وأشجاراً كثيرة، وزهوراً متنوعة... كما شاهدت طيوراً كثيرة وحيوانات مختلفة : جاموس وبعران وغيرها.

كنا في موسم المطر في الهند، ولهذا كانت الأمطار تسقط بغزارة يوميًا، كانت هناك مناطق كثيرة مغمورة بالماء.. كان هناك منظر شلال مياه ينهمر من فوق الجبال الصخرية، أحسست بأن تطوراً وتقدماً حدث في بومباي يفوق ما حدث

في كلكتا.. كانت كلكتا ذات يوم هي العاصمة السياسية، وبومباي مدينة صناعية، استقبلني القنصل الياباني السيد واتانابيه، ويبدو أن المخبر السري أو الشرطي السري كان راضيًا، فقد تابعني أو أوصلني حتى مقر القنصل.

كانت رحلتي إلى الهند مجرد صدفة، لم تكن مقصودة في حد ذاتها، وإذا وجدت سفينة للسفر فسوف أغادر المكان فوراً.. هكذا قررت.. لا أريد أن أتمشى أو أزور أحداً، كل ما فعلته هو البقاء في غرفة السكرتير تسوكاموتو.. وأخذت أفكر وأنا قابع في هذه الغرفة في بحر العرب.. لم يأت أحد لزيارتي .. ولم أستقبل أحداً في غرفتي هذه، سوى العصافير وغيرها من الطيور، لقد نزلوا ضيوفاً عليّ وصاروا أصدقاء لي !!

تذكرت قصة أحد البحارة اليابانيين الذين قدموا إلى هذه المنطقة، وأمسك بطائر وعذبه، عندئذٍ لامه أحد الحمالين الهنود، وقال له: أنا لا أريد أن أعمل تحت إمرة شخص مثلك...

هذه قصة مشهورة! في هذا البلد الذي نستطيع أن نرى فيه الطاووس بالقرب من خط السكة الحديد، وهنا في الريف الذي يمكن أن نرى فيه طائر الغرنوق الأبيض بجانب الراعي، رغم أن هذه المنطقة لا يوجد فيها مناظر غير عادية، لكن يمكن أن نشاهد من بين الكثير من الناس هنا، من يجلس تحت ظلال الأشجار، أو من يجلس يتأمل في الدنيا فوق الأحجار، ومثل هذه المناظر تمثل سمة من سمات هذا البلد، هذا البلد الذي ولد فيه أشوكا وغاندي..

وهذا أمر طبيعي أن يفضل الناس الحياة تحت شجرة أو فوق صخرة أكثر من الحياة في البيوت الحديثة العالية.

الناس الذين ينتمون إلى الجنس الأبيض[١] يعتقدون بأن الحضارة والتطور

(١) يقصد الأوربيين – المترجمان.

يعتمدان على الأمة القوية أو على الأمة التي تتمتع باقتصاد قوي، وهم يتجاهلون الأمة المتدينة التي تؤمن بالدين.. وهذا فساد لروح البشرية.. وقمة الفساد سوف تظهر واضحة في الفوضوية التي تحمل فكرة الشيطان، وبسبب الدول الشيوعية والدول الاشتراكية التي تفكر بطريقة مادية أكثر فأكثر.

حين كنت في كلكتا كنت أفكر في طاغور، وفي كلكتا كنت أفكر في غاندي، وغاندي هو الإنسان الذي كان يجب أن يولد في مثل هذا البلد، كما لو كان آشوكا قد ظهر أمام الناس، يجب أن نعدّهم شخصيات غير متوقعة، لم يتوقع الجنس الأبيض ظهورها في هذا البلد.

٧

نظرة على بحر العرب

في هذه الأيام يضعف نفوذ اليابان الخارجي أكثر فأكثر، وتضعف قوة اليابان خارج اليابان أكثر فأكثر، لكن الوضع في بومباي مختلف، حين شاهدت المحلات اليابانية وسط المدينة، أمكنني أن أشعر بالتطور الثابت لنفوذ اليابان، ولكن لا يجب أن نشعر بالثقة المتزايدة، فمن الواضح أن الألمان قد تسللوا بالتدريج إلى هذه المنطقة، وهم الآن يسيطرون على السوق الهندية، ومن الملاحظ أنه حتى مصانع الكبريت التي كانت مشاريع مشتركة بين الشركات الهندية واليابانية، هذه الشركات انتهت عقودها، وبسبب تغير أسلوب اليابان، وطريقة تفكير اليابان، توقف تقدم نفوذ اليابان في هذه المنطقة، فاليابانيون يفخرون بأنهم بنوا المصانع لليابانيين فقط، ويفخرون بأنهم لا يركبون القطار مع الهنود، ومثل هذا التفكير الغبي جعل اليابان تخسر.

منذ أن انتقلت الحكومة الهندية من كلكتا إلى دهلي، يلاحظ أن النشاط

التجاري متزايد في بومباي، ويمكن القول إن بومباي هي مركز القوة التجاري، وهي في الوقت نفسه مركز القوة السياسية في الهند، وحين أقول القوة السياسية فهذا يعني الحركات الدينية، فقد كانت الهند عمومًا أمة متدينة، وحتى الآن يمكننا القول بأنها كذلك أمة متدينة، فحياة الناس هنا تقوم على الدين، والمجتمع نفسه يعيش من أجل الحياة الدينية، وإذا لم نستطع أن نفهم الهند كبلد متدين وأمة متدينة، لا يمكن أن نكون أصدقاء مع الهند على الدوام، يجب أن نمسك بالعمود الفقري الذي يتحكم في التجارة والسياسة والشئون الخارجية.

معظم سكان الهند يدينون بالهندوسية، ويأتي من بعدهم المسلمون، وهناك أقليات دينية مثل «البارسيين» عبدة النار Hashi، ويعيش معظمهم في بومباي، وهناك البوذيون الذين يوجدون أيضًا في سري لانكا، وقد اعتنق بعض الناس النصرانية، وتركوا ديانتهم الأصلية بسبب تهديد الجنس الأبيض، إن سياسة المستعمرات البريطانية تدس أنفها دائمًا في الأمور الدينية، والحكومة تقول إنها لا تتدخل في الأمور الدينية، وهذه عبارة مضحكة، لكنها تعبر عن الأسلوب الخبيث، فسياسة بريطانيا تدفع إلى إساءة استخدام العقلية الدينية للناس، وهم يمنعون الجماعات الدينية من أن تتحد معًا، وتحاول بريطانيا بث الفرقة بينها، وينشرون بين هذه الجماعات التعاليم الشيطانية بخبث ودهاء.

ومن الجدير بالذكر أن هناك حركة مضادة للبريطانيين، على سبيل المثال حركة «الجامعة الإسلامية Pan Islamism» أو حركة الخلافة التي يتزعمها محمد علي، وحركة سواراج التي يتزعمها غاندي، وهذه الحركات تمثل مظاهر الوحدة بين الهنود.

يجب أن يكون الدين مثار سعادة الهند كلها، وأن يكون وسيلة لتشكيل أمة مستقلة عن بريطانيا، وهذه مطالب جميع الهنود، وحين نشاهد الواقع هنا،

نلاحظ أن الحكومة البريطانية تمنع الناس منعًا باتًّا من أن يحملوا بندقية أو سكينًا، كما أن أسلوب تعليم الناس من خلال كل جماعة دينية، هو أسلوب متدني المستوى تمامًا، أشعر بأن بداية الثورة الهندية بعيدة جداً عن أن تحدث.. هذا هو الحكم الصحيح على الواقع، لكن يجب على الهنود أن يفكروا لماذا جاء «شاكا» (إله البوذية)، وأصر على المساواة لجميع البشر.. لقد نادى بالسلام لكل البشر.

إن النظام السياسي اليوم، النظام الذي وضعته الأمم الساعية دائمًا إلى تحقيق المنفعة والسياسة الاستعمارية، لا يمكن أن يمنح الهنود السعادة، فالهند دولة متدينة على الدوام وإلى ما لا نهاية، وأحيانًا يظهر مصلح ديني، وأحيانًا يخلق الله مصلحًا دينيًّا مجدداً لهداية الناس، والناس في قلوبهم دائمًا أمل في ظهور مثل هؤلاء المصلحين.

سمعت أن اتباع غاندي وصل عددهم اليوم إلى مئة مليون، كما أن المسلمين الذين لم يخضعوا أبداً لسيطرة البيض، وصل عددهم نحو سبعين مليون، ويبدو أن المسلمين والهندوس يتحدون معًا الآن تدريجيًّا للعمل معًا من أجل التخلص من سيطرة البريطانيين..

إن المستقبل المشرق سيأتي سريعًا وسيقوم الناس في المستقبل القريب بمحاربة الطغاة، وسوف ينتصرون وسوف يضحون بكل ما يملكون، وهم يمضون على طريق الحق، يطيعون تعاليم الحق التي نزُل بها الوحي من السماء.

أخذني القنصل واتانابيه في نزهة داخل المدينة، وقد شاهدت أتباع المذهب البارسي Hashi الذين يضعون أجساد موتاهم في مكان عالٍ حتى تتخطفها الطير، وزرت بعد ذلك حي «الجنس الأبيض»(١) ، وحي المواطنين من أهل البلاد،

(١) يقصد الحي البريطاني - المترجمان.

كما زرت القرية اليابانية.

اصطحبني ثلاثة من القنصلية اليابانية وهم: السيد/ تسوكاموتو، والسيد/ كا جيه ياما (بجيم قاهرية)، والسيد/ يازاكي إلى مطعم ياباني في القرية اليابانية، كانوا يتحدثون بسعادة ونشوة، زار تسوكاموتو مؤخراً بلاد فارس ضمن بعثة يابانية، وقال بأنه يريد أن يسافر إلى بغداد في العراق، ويريد أن يحارب ضد الجنس الأبيض.. لقد شاهدت الآن مشاعر الشباب أتباع الإمبراطور الياباني وأتباع الإمبراطورية اليابانية.

العازفة التي تقوم بالعزف على آلة «الشامي سين» اليابانية، ولدت في جزيرة شيكوك، قمت بالغناء من أجل هؤلاء الشبان الثلاثة..

في يوم من الأيام في مثل هذه الأماكن، في سنغافوره أو في الهند، كانت الفتيات يستقدمن من أماكوسا في كيوشو، للقيام بتسلية الزبائن، ويقولون إن أولئك الفتيات شكلن بؤرة أو مؤسسة قبل وصول القوات العسكرية اليابانية إلى هذه الأماكن.

يضحك المثقفون من الناس، لكنهم لا يضحكون من القلب أو لا يضحكون سعادة لكن يضحكون سخرية ، يجب أن نتذكر المثل الإنجليزي القائل: "إذا عبرنا البحر المتوسط يمكن أن ننسى أخلاقياتنا".

يمكننا أن نرى طبيعة الوحوش وحياتها في سلوك الجنس الأبيض (البريطانيين) داخل بيوت الدعارة، يقولون إنهم يؤمنون بالنصرانية التي تدعو أن يكون للرجل امرأة واحدة فقط، لكنهم يسلكون مسلكًا مشينًا، يرتكبون الزنا جهاراً، ولا يخجلون، بل هم معجبون كثيراً بهذا السلوك الفاضح، فكيف لهؤلاء أن ينكروا على المسلمين تعدد الزوجات، إنهم لا يفهمون معنى التعدد والموقف من التعدد

وأسباب التعدد، إنهم يحملون بداخلهم عقيدة البربريين.

إنهم يفكرون في أن تكون الإنجليزية لغة عامة لجميع بلدان آسيا! وحتى المدرسة الصغيرة في القرية الصغيرة النائية يفرضون عليها تدريس الإنجليزية، ونحن في اليابان الآن لا ندري مدى نفوذ الإنجليز في فارس؟!

سمعت أنهم في بلدان الشرق الأوسط يكرهون الإنجليزية ويفضلون الألمانية، كما أن تأثير اللغة الروسية كبير في بلدان مختلفة قريبة من الشرق الأوسط أو في وسط آسيا، والإنجليز لا يمكنهم أن يفهموا أن الإنجليزية ليست لغة عالمية.. وهنا أشير إلى اللغة العربية، فإذا عرفنا اللغة العربية، فحيثما ذهبنا إلى أي بلد مسلم في العالم، فلن نشعر بصعوبة تذكر في التعامل مع الناس، ومع هذا وللأسف الشديد فالبلد الذي يريد أن يقود منطقة جنوب آسيا (يقصد اليابان) لم يؤسس حتى مدرسة لتدريس اللغة العربية.

إذا كانوا يركزون فقط على الإنجليزية فلا يمكنهم أن يحققوا مكانتهم الحقيقية في آسيا، كما أنه إذا كانت هناك معرفة لحروف «الكانجي» الصينية في بلدان كثيرة في آسيا فيمكن استخدامها كوسيلة للتفاهم بسهولة، ويلاحظ أن الصينيين يتطورون، دون أن يغيروا من أصولهم، لكن اليابانيين نسوا أنهم يابانيون، إنهم يطيعون الجنس الأبيض(١)، ويخدعون أنفسهم باعتقادهم بأن لون بشرتهم ليس أصفر، لا يعبرون بوضوح عن الوضع الحقيقي للتطور الحضاري، وقواعده وأصوله وشروطه...

من المعروف أن معظم دخل حكومة هونغ كونغ يأتي أساسًا من الأفيون، وهم يقومون بمنع استيراده، وقد صار الوضع على ما هو عليه الآن بسبب السياسة

(١) يقصد البريطانيين-المترجمان.

البريطانية، وأنا أتعجب الآن: ماذا عن تعامل الهند تجاه الأفيون، لا توجد هذه المادة في قائمة المستوردات الهندية لكن هناك وكالات كثيرة لبيع الأفيون في سنغافوره أو في الهند أو في بورما حيث يعيش الصينيون، لا يوجد طريقة صحيحة في سياسة المستعمرات، تلك السياسة التي يمكن القول بأنها سياسة قرصنة ليس إلا، فمن ذا الذي أعطى بريطانيا هذا الحق لتتصرف بهذه الطريقة البربرية.

هناك سلوك بربري وقح، تسلكه بريطانية فيما بعد المنطقة الواقعة شرق قناة السويس وما يليها، هناك سلوك بربري وقح تسلكه بريطانيا مع الآسيويين بما فيهم نحن اليابانيين، أريد أن أقول بوضوح للآسيويين في المناطق الواقعة ابتداءً من شرق قناة السويس ألا يدعوا أو يسمحوا للبريطانيين التدخل في بلادهم، يجب أن نعاقبهم، إنها معركة بين الجنس الأبيض، والجنس الملون، وما لم نتمكن من القضاء على السياسة الاستعمارية هذه فلن نحصل على السلام الحقيقي في المستقبل.

إن الجنس الملون يمتلك حضارة أرقى من حضارة الجنس الأبيض، وباستخدام هذه الحضارة يمكنه أن يصارع القراصنة والوحوش، والآن يتحقق النصر سريعًا، ولقد ذكرت من قبل أن المعركة بين الملونين والبيض، لكن هذا لا يعني معركة بالقنابل والمتفجرات، بل يعني كشف القناع الزائف الذي يغطي به البيض أنفسهم.. وسوف نكشف عن الوجه الحقيقي في ضوء نور الحق، والمثال الجيد هنا هو الحركة التي يتزعمها غاندي، ولننظر الآن إلى الصين، لقد صار المجتمع في الحضيض، لقد انهار ومع ذلك فالناس يستيقظون، وينهضون، وسوف يثورون حتمًا، ويمكن القول إن جميع أجناس آسيا اليوم يتوقعون أن يلمع كوكب الزهرة في سماء اليابان.

في الطابق الثالث من المبنى الذي أقيم فيه

في مدينة بومباي الممطرة، أخذت أتطلع.. أشاهد بحر العرب.

١٥ سبتمبر في المكتب الخاص بالسيد تسكاموتو

٨

«أوراشيما تارو»(١) في عصر تايشو

أخبرني أحد سكرتيري القنصل الياباني «كا جيه ياما» (بجيم قاهرية) بأن هناك يابانيًّا يعيش في المسجد في بومباي، ولهذا قمت بدعوته وتحدثت معه، وفي اليوم التالي ذهبت معه لصلاة الجمعة في المسجد الذي يطلقون عليه اسم «جمعة مسجد»(٢)، وهو مسجد واسع يمكن لخمسة آلاف أو ستة آلاف أن يصلوا فيه جماعة. وقد قام الإمام بعد ذلك بإلقاء محاضرة بعد الصلاة، تحدثنا مع بعض المسلمين، الذين دعوني بعد ذلك إلى بيوتهم، وتبادلنا كثيراً من الأحاديث، وقد التقيت بعد ذلك بشاب طموح هو السيد/ م، كان قد اعتقل وسجن، وخرج من السجن مؤخرًا، وكان خطيبًا جيداً (٣)، طلعنا فوق المئذنة وتحدثنا في هذا المكان العالي، فهنا لا يمكن أن نخاف من الشرطة، كما أنه لا يمكن لأحد أن يسمعنا، وهكذا قام السيد/ م بالتحدث معي حديثًا واضحًا، وأصر على ضرورة قيام حركة تدعو إلى الاستقلال عن بريطانيا.

---

(١) أوراشيما تارو بطل قصة شعبية أسطورية تحكي عن بطل خلص سلحفاة من يد الأطفال، وحين أرادت أن ترد له الجميل أخذته إلى البحر، حيث يوجد قصر تحت الماء فيه حوريات، ونصحته بعد أن أعطته كتاباً ألا يفتح صفحاته، لكنه حين قلب صفحات الكتاب بدأ الدخان يتصاعد منه، ووجد نفسه تحول إلى عجوز هرم – المترجمان.

(٢) ربما جامع مسجد أي المسجد الجامع الذي تصلى فيه صلوات الجمعة – المترجمان.

(٣) ربما - إن لم يكن من المؤكد - أنه يشير إلى مولانا أبي الكلام آزاد، فالصفات التي ذكرها تنطبق عليه تمامًا – المترجمان.

ذهبنا بعد ذلك إلى مطعم إسلامي، ثم توجهنا إلى حي للمسلمين، وشاهدنا استراحة (رباط) مجانية ينزل فيها السياح المسلمون، وقد ذكروا لي أن أحد التجار المسلمين الأثرياء أنفق حوالي ٤٠٠ ألف ين على بناء هذه الاستراحة، التي يمكن أن يقيم فيها نحو ٢٠٠٠ شخص، وملحق بهذه الاستراحة مسجد صغير، ومن الجدير بالذكر أن هذه الاستراحة بنيت في أكثر الأماكن المزدهرة تجاريًّا في بومباي وإذا ما شبهناها بطوكيو فإنها شبيهة بمنطقة «جنزا» (بجيم قاهرية)، ومبنى الاستراحة كبير، وهو مبني من نوع من الأحجار الجيدة، ويمكن لأي شخص أن يقيم فيها، وبالإضافة إلى هذه الاستراحة الفخمة، توجد ثلاث أو أربع استراحات صغيرة.

إذا تجولت هنا في منتصف الليل، شاهدت آلاف الناس ينامون على قارعة الطريق، وقد قامت الحكومة البريطانية ببناء بيت لهؤلاء الناس وأرادت أن تجمعهم في مكان واحد، لكن أحداً منهم لا يريد أن يقيم فيه، وهكذا فشلت بريطانيا في مثل هذه الأعمال التطوعية الزائفة.

وبالمناسبة لا أريد أن أتحدث عن الياباني الذي التقيت به في المسجد، لأن هذا سيسبب له مشكلة، ومن هنا فلن أذكر اسمه، ولن أشير إلى ما تحدثنا عنه من موضوعات، وعن أي شيء تحدثنا.

شاهدت معظم ما يمكن أن يشاهده أي شخص هنا في بومباي.

سوف تغادر السفينة لجانو مرو (بجيم قاهرية) التابعة للشركة اليابانية بومباي يوم ١٦ سبتمبر.

غادرت الهند وتمكنت من الحصول على تذكرة رخيصة جداً للسفر على ظهر هذه السفينة، وذلك بوساطة مدير هذه الشركة السيد / «دو إيه» ومدير الإدارة «كوئي شي» وقد جاء عدد قليل من المسلمين لوداعي، كما جاء أيضًا القنصل

الياباني السيد / واتانابيه، وسكرتيريوه الثلاثة، وانطلقت بي السفينة متجهة إلى سنغافوره.

رافقني من بومباي ياباني يدعى السيد «كُيمون» وهو من جزيرة «شيكوكو»، كان قد شارك في الحرب اليابانية الروسية بوصفه مراسلاً أو سكرتيراً للإدارة العسكرية، وبعد عودته سافر إلى منشوريا ليعمل مساعداً للدكتور «ن» وهو باحث في علم النبات، وبعد ذلك قدم إلى سنغافوره، وقد تنقل في وسط آسيا، بعد ذلك ذهب إلى قره قورم، ومنها إلى الهند، وظل يتجول بل يطفو فوق هذه المنطقة قرابة خمسة وعشرين عامًا، وقد دخل نور الإيمان إلى قلبه، فصار مسلمًا بحمد الله، وهو يبدأ الآن حياة جديدة.. وقد جاء ذكره أمامي ذات مرة وأنا في بكين، وقابلته بالصدفة في أحد المساجد، وها نحن الآن ذاهبان معًا إلى اليابان!

بالنسبة لي هذه معجزة غير متوقعة! وهذه ثمرة طيبة قطفتها من أغصان هذه الرحلة، فسوف أعود حاملاً هذا الرجل هدية لليابان.. لقد ظل يعيش في غربة بعيداً عن والديه وعن أخوته أكثر من عشرين عامًا.. كيف سيكون شعوره يا تُرى حين يشاهد الطبيعة اليابانية بعد هذه الغيبة الطويلة؟!

في سنغافوره كنت أصلي في مسجد «جاوه رود» وقد التقيت هناك بثمانية صينيين مسلمين قدموا من الصين، وكانوا في انتظار سفينة الحجاج ليسافروا إلى مكة في الصيف القادم، كم كان لقائي مع هؤلاء الناس ممتعًا وطيبًا!!

تحدثت كثيراً مع إمام المسجد، ولفترات طويلة.. كان ذلك مدعاة للسرور والفرح.. كانت هذه هي المرة الثالثة التي أزور فيها سنغافوره ، لهذا كان بإمكاني أن أكون مرشداً للسيد / كوم مون في سنغافوره، أقمنا في فندق «هياشي» وبالصدفة أيضًا التقينا بالسيد / هوشي زاكي مدير شركة مزرعة المطاط، كما زرت السيد / كودو بمؤسسة «نان يوهي بي» الصحفية، وقد طالعت مرة أخرى

العدد الجديد من مجلة اليابان واليابانيون، كنت سعيداً بالجهود التي يبذلها القائمون على هذه المجلة.

حين كنت أجلس في الفندق جاء لمقابلتي طالبان يابانيان، ذكرا لي أنهما من «اتحاد الطلبة الآسيويين» وهم في الأصل ثلاثة لكن أحدهم سافر إلى جاوه، وهو من جامعة «طو يو كيوكاي» أما الاثنان اللذان التقيت بهما فهما من جامعة «كئيو»، تحدثت معهم مدة ساعة ونصف الساعة، ورغم أنهما طالبان لا يزالان في مرحلة الدراسة إلا أن مجيئهم هنا في هذه المنطقة بهذه الرغبة وهذا الحماس، جعلني أشعر بالسعادة، شجعتهم كثيراً، وأثرت فيهم الحماس.

وفي الليلة نفسها تلقيت دعوة من القنصل أوكيتا، وكان معي السيد/ كُيو مون والسيد/ كودو، تحدثنا كثيراً، ولأننا كنا معًا لليلة واحدة، شعرت أنها لم تكن كافية للحديث عن كل شيء كنا نرغب في التحدث عنه.

في اليوم التالي اتجهنا إلى هونج كونج، وفي الطريق إليها تعرضت سفينتنا لطوفان شديد، وحين وصلنا إلى هونج كونج سمعنا أن سفينة يابانية تعرضت للغرق.

كان السيد/ كيو مون مغرمًا بالسفر البحري، وركوب السفن، وكنا معًا المسافرين الوحيدين على ظهر السفينة، كما لو كانت السفينة ملكًا لنا، كنا نصلي الصلوات الخمس معًا كل يوم، وكان هذا مكانًا طيبًا يتيح لنا تبادل المعارف والمعلومات فيما بيننا.

بعد الوصول إلى هونج كونج عملت مرشداً للسيد/ كيو مون، حين وصلنا إلى مكاتب الجمارك، قاموا بفحص أمتعتنا ليتأكدوا من أننا لا نحمل أسلحة محظورة أو أي كمية من الأفيون، وبالطبع لم نتعرض لمشكلة ما، وعبرنا الجمرك، شاهدت مسجداً صغيراً بالقرب من الميناء، شاهدت المسجد من الداخل، كانت جدرانه

مزينة بزخارف على الطريقة العثمانية، كنت أصلي قبل ذلك في مسجد آخر، والآن بدأت أصلي في هذا المسجد.

لا بد أن أشير هنا إلى أنه في صباح يوم الثامن من أكتوبر وقبل مغادرة هونج كونج، جاء إلى حجرتي في داخل السفينة شرطي بريطاني، ودون أن ينبس بكلمة أخذ يتفحص أمتعتي قطعة قطعة، وحين سألت القبطان لماذا يسلك هذا البريطاني معي هذا السلوك، أريد فقط أن أعرف السبب، عندها أراني الشرطي خطاب المسئولين، الذي جاء فيه ما يلي: «وصلت معلومات رسمية من المسئولين في بومباي بأن المستر/ كيو مون يحمل صندوقًا مملوءاً بالأفيون، وأنه ذاهب إلى هونج كونج، ولهذا يجب القبض عليه».

بالطبع لم أكن أنا الشخص الذي يبحث عنه، هذه طريقة وقحة، وأنا متأكد أن السيد / كيو مون لا يقبل هذا التصرف، ولم يجد الشرطي أي دليل، لهذا نزل من السفينة، ربما كان السبب الرئيس هو فحص أمتعتي أنا، للوقوف على سبب سفري، وهدفي من السفر.. هذا حمق ما بعده حمق، وغباء ما بعده غباء.

لا يمكن لمسافر ياباني أن يؤثر في موقف الحكومة البريطانية في الهند، يجب على هؤلاء البريطانيين أن ينتبهوا إلى سلوكهم أو إلى أفكارهم، بدلاً من الاهتمام بمراقبة اليابانيين، يجب أن ينتبهوا إلى أنفسهم هم وما ينتج عن تصرفاتهم.

كانت هناك سفينة بريطانية وأخرى أمريكية بالقرب من سفينتنا، وهما سفينتان تقدمان الإمدادات العسكرية، ويذكر أن اليابان قامت بتدمير جميع غواصاتها من قبل طبقًا للمعاهدة التي عقدت بين بريطانيا واليابان، وهكذا فلا يوجد لدينا هذه الأيام أسلحة بحرية، إلا أن بعض شركات الملاحة اليابانية تحاول أن تصنع سفينة تجارية ضخمة دون مساعدة الحكومة يحاولون ذلك.. ونحن الآن نترقب استكمال بناء هذه السفينة.

بعد هونغ كونغ تعرضت سفينتنا ثانية لإعصار شديد، لهذا يجب أن نبحر ببطء، وهكذا وصلنا إلى ناجاساكي (بجيم قاهرية) بعد ١٢ يومًا، وقد استغرقت الرحلة من بومباي شهراً . . وفي هذا الوقت كنا نحن الاثنان: واحد قادم من الهند والآخر قادم من الصين، نصلي معًا كل يوم، ونتناقش في أمور الدين بصفتنا مسلمين، دون إخفاء أي شيء، ودون تحفظ، كانت هذه الرحلة بالنسبة لي مملوءة بمعانٍ كثيرة . .كان السيد / «كيو مون» أو كما أدعوه «أوراشيما تارو» في عصر تايشو[١] ، كان يضع على رأسه طربوشاً تركيًا، ويحمل في يده عصا طويلة، حوالي مترين ويقف بجواري عند ميناء ناجازاكي.

بدأت الآن ما يشبه الثورة في الصين، وهذه الثورة تؤثر بالتدريج على الوضع غير الثابت في آسيا، وفي هذه الحالة يجب على اليابان أن تتحمل المسئولية تجاه هذا الموقف غير العادي. .

في ناجازاكي دعانا الدكتور «تازاكي» إلى عشاء ترحيب بينما كان «أوراشيما تارو» يستعد للذهاب إلى طوكيو. . بينما جال في خاطري - ولا أدري لماذا - منظر أحد المساجد في الصين، مغطًى بالخضرة. . حين كنت أجلس في صمت وسكون داخل هذا المسجد. . . آه. . إنني أتذكر رحلتي جيداً. . حين أسترجع الذكريات، تأتي على مخيلتي طبيعة ناجاساكي التي أمكنها ذات يوم أن تستوعب الحضارة العالمية!

٢٢ أكتوبر ١٣ تايشو في مدينة ناجازاكي

٩

قضاء الوقت

من ناجاساكي وصلت إلى طوكيو حيث تركت رفيقي المسلم، ومرة أخرى اتجهت إلى شنغهاي، وهناك التقيت بالسيد / نيتشي موتو، والسيد / سيراكاوا،

---

(١) انظر التعليق السابق عن أوراشيما تارو- المترجمان.

وناقشنا الوضع في الصين هذه الأيام.

هناك اليوم في الصين حركة تدعو إلى استعادة التقاليد والقيم التليدة، والاتجاه إلى التركيز على اللغة القومية، وتأسيس المراكز التعليمية، كنا في الحقيقة نشاهد ونلاحظ ونتوقع مستقبلاً أفضل للمجتمع الصيني..

قمت بزيارة القنصل الياباني السيد «يادا» لم ألتق إلا بهؤلاء الناس، فضلاً عن لقائي بمسلم كوري يدعي السيد/ جيوك كان ساي (بجيم قاهرية)، والسيد «جيوك» يمكنه التحدث باليابانية، وهكذا دار الحديث بيننا بالإنجليزية والصينية واليابانية، خليط من الجمل والعبارات بتلك اللغات والسيد جيوك متزوج، وأسرته هذه هي الأسرة المسلمة الوحيدة في هذه المنطقة، وهي أيضًا الأسرة الكورية الوحيدة هنا، وكان السيد جيوك قد سافر إلى أمريكا للدراسة، فدرس عن النصرانية، لكنه الآن تحول إلى الإسلام، وهو متمسك بعقيدته..

لماذا اهتم السيد جيوك بالإسلام؟ ولماذا صار مسلمًا؟ هناك الكثير لأكتبه عن هذا الشأن، لكن ليس لدي وقت!

في اليوم التالي ركبت السفينة «ساي كيو مرو» في كابينة الدرجة الثالثة، وسافرت إلى شنتاو، وهناك زرت أحد المزارات اليابانية، حيث شكرت الله على وصولي سالماً آمنًا بعد رحلة طويلة، تلك الرحلة التي تشبه رحلة سحابة بيضاء تطفو في السماء، وهي رحلة قاربت بل أوشكت على الانتهاء بعد مرور عام تقريبًا.

وفي اليوم التالي، تحدثت في مكتب المزار، أمام قراء مجلة «اليابان واليابانيون» عن تجربتي في الرحلة، وكان لهذا اللقاء مغزى ومعنى خاص بالنسبة لي.

استأجرت غرفة داخل المزار، قضيت فيها عدة أيام، وشعرت بالراحة التامة..

حدث شيء أجد نفسي مضطرًا لذكره.. قام أحد الموظفين اليابانيين الكبار بسرقة مبلغ ٧٠٠ أو ٨٠٠ ألف ين بمساعدة عشرين موظفًا، لقد ذكرت من قبل بأن مثل هذه الجريمة التي يرتكبها الموظفون الكبار، تعد أكثر جرمًا مما لو ارتكبها الموظفون الصغار، لكن وزارة الخارجية أنكرت هذا الأمر!

في يوم الحادي عشر ذهبت إلى مكان بقايا قلعة أثرية، وبعد ذلك أقام لي ياباني واحد مع عشرين صينيًا حفل ترحيب في مسجد «نان داي جي»، بعدها التقيت بماكين شو، الذي رافقني طوال رحلتي إلى مكة، كانت هذه أسعد لحظة بالنسبة لي، كان لقائي به أسعد من لقائي بأي إنسان آخر.... وقد قضيت وقتًا طيبًا مع هؤلاء جميعًا.

وفي اليوم التالي تمكنت من أن أتذوق «الحساء الياباني» «ميسو شير» كان لذيذًا للغاية..

كانت أسناني، وعيناي، تؤلمني أثناء الرحلة، لذلك قررت الذهاب إلى مستشفى «ساي تان» وهو مستشفى خاضع للإدارة اليابانية، وهناك مكثت نحو عشرين يومًا، حتى تم علاجي، وقد قام بعلاجي الدكتور كوامونو والدكتور يامازاكي، ولا بد أن أذكر أنه حتى أثناء إقامتي في المستشفى كان علي أن ألقي محاضرة ذات ليلة في أحد المساجد.

بعد مغادرتي للمستشفى، وضعت إعلاناً عن «مدرستي» على واجهة بيتي، والآن يأتي إلى مدرستي الطلاب الصينيون الشباب، يملأون بيتي، وقد زارني أيضا الدكتور «إيتشي مورا» في اليوم التالي، أنا سعيد جدًا، فهذا المكان أي بيتي، يستقبل أنماطاً كثيرة من الناس، من أماكن مختلفة.

قرأت كتاباً نشرته مؤسسة «سيه كيو» للنشر بعنوان «سياسة آسيا الكبرى

وأهل الشرق الأقصى العظماء»، بعد قراءتي لهذا الكتاب شعرت بأن التعبيرات التي وردت فيه تختلف عما هو في ذهني وفي خاطري، لكنني تمتعت بقراءته، كما أخبرني أيضًا صديقي القديم السيد «كوتاني» عن كتاب ممتع طبع هذه الأيام بعنوان «جنكيزخان شبيه بالساموارئي ميتا موتو يوشي تسونيه» ، وقد أسعدني كثيراً الاطلاع على هذه المعلومات.

في اليوم التالي ذهبت إلى تين شين مع رفيقي القديم ما كين شو، والتقيت بالسيد / تشو ساكو رين، وهناك أقمت في فندق «أون شورو» كنت أرقد على أرضية الغرفة الخشبية، وأتخيل الرسول محمد ﷺ، وبدأت صفحات التاريخ تفر أمام عيني.. جنكيزخان.. ومضات من تاريخ الصين...

التقيت فيما بعد بأحد الدارسين الصينيين يدعى "أوجاك ساي" وهو مسلم، تناولنا الطعام معًا، وتحدثنا كثيراً في أمور متنوعة..

في شوارع تين شين شاهدت إعلانات كتب عليها: حطموا الإمبريالية.. اقضوا على العسكريين... مرحباً بالمستر «سون تشو زن» وما شابه ذلك ..

الإمبريالية تخصصت فيها بريطانيا، والشيوعية ينادي بها سون بون، وهي حركة مضادة للعسكريين الصينيين الآن...!

العسكريون الصينيون هم في معظمهم من الفلاحين أصلاً وهذه ثورة يقوم بها الفلاحون، وهذه الأحداث تدور في الصين وروسيا، فهناك تشابه في مجريات الأحداث في البلدين ويمكن القول بأنه يوجد بينهما تفاهم.

فيما يتعلق بوطننا اليابان، يجب أن يركز هذا الوطن على تحقيق منجزاته من خلال ما لديه من تقاليد موروثة، ونحن نتوقع قليلاً من التضحية من أجل هذا الأمر.

عدت من تين شين إلى ساي نان، وقمت بزيارة مدرسة صينية، فقد كنت

أبحث في أسلوب التدريس، وطريقة التعليم، التقيت بناظر المدرسة، فقد كان صديقًا قديمًا، وهو يدعى «كا هو ساي» وهو من أسرة عريقة ومشهورة، تضم مدرسته نحو ٥٠٠ تلميذ، وهو يتبع أسلوب التدريس القديم.

يمكنني أن أشاهد في هذه الأيام نشاطات تقوم بها الإرساليات الأوربية أو الأمريكية، واليابان أيضًا تقلدهم، إلا أن التعليم الحقيقي للناس هنا يجب أن يكون على يد أهالي البلد أنفسهم، أعني أن مثل هذه المدرسة الخاصة التي يديرها أساتذة حقيقيون تمثل بذاتها التعليم الحقيقي للناس، وقد شاهدت أمثال هذه المدرسة حتى في الهند، شاهدت أنماطًا عديدة منها، وأدركت أن الشباب الطموح سوف ينشط ويقوم بحركة ما من خلال هذه المدارس، ومن خلال هذه المراكز التعليمية، ولهذا فنحن بحاجة إلى باحثين ومعلمين حقيقيين هنا في الصين.

مرت الأيام ونحن الآن في الخامس عشر من نوفمبر سنة ١٣ تايشو، في ظهر هذا اليوم جاء لوداعي حوالي عشرين إمامًا (شيخًا) مسلمًا، فقد سمعوا أنني على وشك الرحيل إلى اليابان، وقام أحدهم نيابة عن الجميع بإلقاء كلمة وداع، فقمت بدوري بالرد على هذه الكلمة، بعد ذلك أقمت لهم حفلة صغيرة.. مثل هذا الحدث، ومثل هذا المشهد لا يمكن أن نراه في تاريخ العلاقات بين الصين واليابان من قبل.. وأنا على يقين مما أقول.

في الليلة التالية قدم إلي كثير من الناس ليقولوا وداعًا.. جاء سيه زن، وجاء باباشيون، وجاء تشوبون زن وغيرهم كثيرون.. واصطحبت من جديد ما كين شو، ليكون رفيقًا لي، وغادرنا معًا شين تاو، فركبنا السفينة تاي زن مرو، وانطلقت مع ما كين شو إلى اليابان.. على كل حال سنصل إلى اليابان..

والآن يجب أن يتوقف قلمي عن وصف رحلتي.

١٩ نوفمبر سنة ١٣ تايشو في شين تاو

النهايــة

حين كنت أمكث في جبال هيوجا (بجيم قاهرية) في الصين.. وحين كنت أزور مقابر قدماء «تين سون».. من خلال هذه الأشياء استطعت أن أعرف الطريق إلى الله، وأنا أدرك لحظة التنوير في بلادي.. تمكنت من أن أقف على قمة جبل تاي سان اثنتي عشرة مرة، واستطعت أن أتأمل في قدرة الخالق من خلال مشاهدة خلقه.. ووسط حقول «ساي رو» كنت أفكر عن كونفوشيوس.. بعد ذلك زرت الهند، وشاهدت الناس الذين يتأملون ويمارسون اليوجا تحت الأشجار أو فوق الصخور والأحجار.. كانت لدي رغبة عارمة في أن أظل أتطلع إلى السحاب الذي يطفوا فوق مرتفعات باميل.. هذه المرة لم أستطع أن أحقق هذه الرغبة لأنني منعت من ذلك..

كنت أسافر لمدة عام.. سافرت براً، وسافرت بحراً.. إذا استعدت ذكريات هذا السفر، أدركت أنه لم يمض على وتيرة واحدة، مثلما السحاب يمضي، يتحرك هنا وهناك.

إذا وفقني الله ورعاني أريد أن أحقق رغبتي وأملي.

يوميات الحج إلى مكة

نشرت في مجلة سكاي تشي شكي (المعرفة العالمية) مجلد ٥ عدد ٥

الحج إلى مكة المكرمة ركن من أركان الإسلام، والمسلم الذي يؤدي هذه الفريضة ينال لقب «حاج» ، وفي اليابان يوجد عمل شبيه بالحج، وهو يتضمن زيارة ثلاثة وثلاثين مكانًا في غرب البلاد،وأيضًا زيارة ثمانية وثمانين مكاناً في جزيرة «شكوك» وأيضًا ما يقوم به البعض من حج وعبادة حول مزار «إيسيه»، بالإضافة إلى أنواع وأنماط مختلفة من الحج، لكن لا يمكن مقارنتها بالحج في الإسلام.

الحج في الإسلام يكون بالسفر إلى مكة، ذلك المكان المقدس، الذي ولد فيه محمد ﷺ، ومنه انبعث نور الإسلام، مكة المكرمة البلد الذي لا يمكن لغير المسلم أن يدخله، فهو حرم مقدس، وإذا ما حاول غير المسلم دخوله ولو حتى بالقوة، قد يعاقب بحد القتل، كما لا يمكن لغير المسلم أن يذهب إليه للسياحة أو ما شابه ذلك.

لقد أديت فريضة الحج بعد حدوث زلزال طوكيو الرهيب، وكنت أحلم ليل نهار بأداء فريضة الحج، وقد مر على أدائي لهذه الفريضة عشر سنوات، وللأسف لم يذهب أحد لأداء الحج من بعدي، ولهذا أشعر بضرورة الكتابة عن هذه الشعيرة.

الرحيل

(السنة الثانية عشرة من تقويم تايشو / الحادي عشر من ديسمبر١٩٢٣م)

كان سفري من طوكيو إلى منشوريا، حيث زرت المنطقة وعدة مدن في الصين، واستغرق ذلك ستة أشهر، هناك زرت مسجد «سيه شنجي Se-Shinji» وهناك التقيت بأمراء الحج، وعددهم خمسة عشر أميراً، ومن هذا المكان رحلت معهم، وفي هونغ كونغ حيث يوجد المكتب البريطاني كان علينا أن نقوم بالتطعيم ضد

الأمراض والأوبئة، وكان هذا أمرًا ضروريًّا للسفر، بعد ذلك سافرنا إلى سنغافوره، ومنها إلى جاوه، وفي هذا الطريق من سنغافوره إلى جاوه كان معنا عشرون مسلمًا صينيًّا، قدموا من مقاطعة «أون نان شي سين» الصينية، وكنا جميعًا في انتظار السفينة التي ستحملنا إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج.

قبل شهر ذي الحجة الذي يكون فيه الحج، يصوم المسلمون شهر رمضان، وقد بدأنا الآن صيام هذا الشهر، كان معظم من نقابلهم من الحجاج من الملايو، لم أر يابانيًّا واحداً مدة شهر كامل، شعرت بقوة سيطرة البريطانيين في شنغهاي وهونغ كونغ.

الحج آخر فرض يجب على المسلم أن يؤديه لرب العالمين، فكنا جميعًا ندعو الله ليوفقنا لأداء هذا الفرض ونأمل أن نؤديه في أمن وسلام، ولهذا كنا ننتظر، وننتظر السفينة، دون شكوى، ودون ملل، وشعرنا بالأخوة فيما بيننا، وبأن أواصر صداقة قوية ربطت بيننا.

سفينة الحج

الحج إلى مكة له تاريخ طويل، وقد بدأ منذ زمن بعيد، لم تكن وسائل المواصلات ميسرة مثلما هي اليوم، ولم تكن قد تطورت بشكلها الحالي، وكان المسلمون من منطقة «موكو شين كيو» الصينية أو من مناطق وسط آسيا يسافرون إلى مكة برًّا، وليس بالبحر، وذلك عن طريق العراق، وعن طريق فلسطين والمدينة المنورة أيضًا، لكننا هذه الأيام نسافر عبر سنغافوره، وبومباي، ومعظم مسلمي قارة آسيا وجزر المحيط الهندي يأخذون هذا الطريق البحري في سفرهم للحج، ويأخذون هذه السفينة التي تصل بهم إلى ميناء جدة، حيث مملكة الحجاز، وسفينتنا هذه مصنوعة في إنجلترا، وهي سفينة كبيرة جدًّا، مثل سفن البضائع، ويقولون إن نصيب كل فرد مسافر بهذه السفينة متران وسبعون سنتيمترًا فقط، وهم يقدمون لنا الماء العذب كل يوم، ونحن نحجز تذكرة الذهاب والعودة في

وقت واحد، والمسئولون على أمر السفينة يشحنون السفينة بأكبر عدد ممكن من المسافرين، ولا حدود لذلك على الإطلاق!

كان اسم السفينة التي أسافر عليها هو «كيمان»، حمولتها سبعة آلاف طن، لكنهم وضعوا فيها ٣٢٠٠ مسافر، كدّسونا بل حشرونا على سطح السفينة وفي الطابق الأسفل، وقد حصلت على مكان في الطابق الأسفل، وفرشت سجادة في المكان المخصص لي.

بدأنا الصعود إلى السفينة من الساعة الخامسة صباحًا، واستغرق ذلك حتى الساعة الخامسة مساءً.. وأخيرًا بدأت السفينة تتحرك بعد أن استغرق ركوب المسافرين نحو اثنتي عشرة ساعة.. كنا في موسم الأمطار، لهذا واجهنا عواصف شديدة، فبدأت السفينة تتحرك يمينًا وشمالاً، وبينما هي كذلك جاءت موجة عالية كالطود ضربت سطح السفينة مما أصابنا بالخوف والرعب..

كان علينا أن نقوم بالطبخ وإعداد الطعام مستخدمين كمية قليلة جدًّا من الماء، وكمية قليلة من الخشب لإشعال النار، كنت قد حملت معي إناءً صغيرًا للطهي، وكان علي مثلما كان على الآخرين أن نطهو الطعام بأنفسنا، حين بدأنا تناول الطعام كان الصينيون واليابانيون[1] يأكلون مستخدمين الأعواد الخشبية، لذلك كان الناس من حولنا، الذين جاءوا من سومطره وجاوه وبورنيه وماليزيا ينظرون إلينا بتعجب واستغراب: كيف نأكل بمثل هذه الطريقة؟! فلم يشاهدوا أحدًا من قبل يتناول طعامه هكذا..

كنا نتبادل الطعام فيما بيننا، وتناولنا الشاي معًا..

إن المسافر الياباني.. الذي يركب الدرجة الأولى حين يسافر إلى أوربا لا يمكنه

---

(١) يقصد نفسه معهم-المترجمان.

أبدًا أن يمر بمثل هذه التجربة، فمن الممتع والمشوق أيضًا، أن أشاهد أناسًا من مختلف الأجناس، وأناسًا من مختلف الأنماط، ومن مختلف الأعمار!

مضت السفينة في المحيط الهندي، ثم بحر العرب، ووصلنا إلى البحر الأحمر، ورغم أن الجو كان سيئًا للغاية، فالمطر كان ينهمر، والهواء كان يعصف بشدة، إلا أننا رغم كل هذا كنا ملتزمين بالصلاة تجاه الكعبة خمس مرات يوميًّا، لا يصيب الكسل أحدًا منا، ولا يتقاعس أحد عن أداء الصلاة، وهكذا كنا نعد الطعام بأنفسنا ونصلي الصلوات الخمس كل يوم في مثل هذه الظروف، مما جعل السفر على ظهر هذه السفينة سهلاً، وجعل الوقت يمر علينا سريعًا.

وهناك عند جزيرة كمران في البحر الأحمر كان علينا أن ننزل جميعًا مع أمتعتنا، من أجل الحجر الصحي، لتنظيفنا ورشنا بالبودرة...

حين كنت أجلس على الرمال شاهدت القمر بدرًا! يا للأسف لم يكن معي أي رفيق ياباني في تلك الليلة المقمرة، لأتحدث معه عن جمال البدر في صفحة السماء الصافية.

كان من المفروض أن نبقى هنا مدة أسبوع لكن الأمر انتهى بأسرع مما كنا نتوقع، فقد تم كل شيء في ظرف يومين، بعدها ركبنا السفينة، وبدأنا الاتجاه ناحية جدة.

حين وصلنا قبالة جدة، صدرت الأوامر بأن ننزل من السفينة، فهنا أيضًا سيتم فحصنا وفحص أمتعتنا وأوراق السفر، وهذا يتم بتدقيق شديد، وطبقًا للقواعد الإسلامية الخاصة بالحج كنا قد غيرنا ملابسنا وارتدينا ملابس الإحرام، قطعتين من القماش الأبيض، وكان يحرم علينا لبس أي مخيط، ولا شيء على الرأس، ولا حذاء، بل صندل غير مخيط، وهي ملابس بسيطة جدًّا يمكن القول بأنها بدائية!.

كنت أجلس على صخرة وقدماي في ماء البحر، أشاهد القمر في السماء،

وأتذكر اليابان.. كان ذلك بعد ٢٣ يوماً من مغادرتنا سنغافوره.

وجودي بين الحجاج المسلمين وفريضة الحج الصعبة

مرفأ جدة ليس بالكبير، لكن يمكن لخمس عشرة سفينة كبيرة أن تقف هناك في البحر على مسافة من الشاطئ، من حيث يأخذ الحجاج القوارب الصغيرة التي تحملهم إلى الشاطئ، كان هذا المنظر بديعًا جداً.. حملتنا هذه القوارب الصغيرة لعدة أميال حتى وصلنا إلى الشاطئ، ثم تحركنا إلى منطقة الشرطة لفحص الأوراق.

كانت هذه أول مرة أضع فيها قدمي على أرض جزيرة العرب !!

على الحجاج الذين قدموا من إفريقيا أو تركيا أو مراكش أو أمريكا عليهم أن يمكثوا هنا عدة أيام، لهذا فيوجد هنا نوع من الفنادق الصغيرة لإقامة الناس، ومع هذا فبعضهم يفضل أن يفترش الطرقات! !

مكثنا هنا ثلاث ليالٍ، وبعد المغرب ركبنا الشغدف الموضوع على ظهر البعير وبدأنا نتحرك عبر الصحراء.

والشغدف يوضع على الجمل ويجلس فيه شخصان : واحد على اليمين وآخر على اليسار، وأحيانًا يختل التوازن، مما يجعل الركوب لمدة طويلة أمراً صعبًا، إن لم يكن شاقًّا.

السفر في النهار صعب جداً لأن الحرارة شديدة جداً، ولهذا كنا نسافر في الليل، وكان الجمالون يحملون البنادق الطويلة، والسيوف والسهام.. كنا نشعر بالخوف.. كان جميع الحجاج يرتدون ملابس الإحرام البيضاء، وكانوا جميعًا يؤدون الصلاة في أوقاتها، وفي صمت الليل كان يمكننا أن نشاهد القافلة تمضي مثل خيط طويل ممتد!

وصلنا بحرة، وهنا بين أشجار النخيل، وبالقرب من بئر ماء سوف نبقى حتى

إلى ما بعد المغرب.. آلاف الجمال تبرك فوق الرمال.. فمها يتحرك حركة دائمة.. وهي تجتر الطعام، أو تمضغه، بينما انشغل بعض الناس بنصب الخيام، وانشغل بعض آخر في تناول الخبز أو شرب الماء، وأخذ قسط من الراحة بعد رحلة البحر الطويلة.. فقد كنا هنا وسط الصحراء، حيث الحرارة الشديدة، لذا كان الجميع دون استثناء يشعرون بالتعب والإرهاق.. كثير من الناس ماتوا من ضربة الشمس، ومن شدة حرارة الجو.. كنت أحاول أن أقوي من عزيمتي، وأشد عليها، لأكمل هذه الرحلة المقدسة، رحلة الحج.

في حوالي الساعة الخامسة مساءً تركنا بحرة متجهين ناحية الشرق، وقبل الفجر وصلنا عند بوابة مكة، يقال إن المسافة من جدة إلى مكة تبلغ نحو ستين ميلاً، ويقال إن الجزء الغربي من جزيرة العرب على طول البحر الأحمر من الشمال إلى الجنوب مساحته ١٧٠ ألف ميل مربع، ويطلق على هذه المنطقة اسم مملكة الحجاز، ومكة هي مركز هذه المنطقة، وفي شمال غرب مكة يوجد عرفات، وعلى الجانب الغربي يوجد وادي جدة، أما الكعبة فهي في مكان منخفض، وبالقرب من الصفا والمروة توجد تلال مرتفعة، قد يصل ارتفاعها ما بين ١٠٠ و٣٠٠ شاكو(١).

وقد أقيمت البيوت في مكة في أكثر الأماكن انخفاضًا، وفي أعلى الأماكن ارتفاعًا أيضًا، وهي بيوت يسكنها الناس، وهي متفرقة هنا وهناك، مما يجعل المنظر غير طبيعي وسط المنطقة الصحراوية.

أقمت في بيت يشبه الفندق الصغير يديره شخص يدعى «هاشي إين كُيو»(٢)،

---

(١) الشاكو مقياس يساوي ٣٠ سم – المترجمان.

(٢) قد يكون له اسم إسلامي لكن الكاتب لم يذكره، انظر تفاصيل الرحلة في الصفحات المعنية قبلاً – المترجمان.

وهو يدير هذا الفندق منذ وقت طويل، ويستقبل فيه الصينيين المسلمين، قمنا بالترحيب بالحجاج الذين قدموا من مناطق «كاي نان تو» و «أون نان» و «كانساي».. كنا نحيي بعضنا بتحية الإسلام: السلام عليكم ..

حين شربنا ماء زمزم من الجرار الكبيرة المصنوعة من الفخار شعرنا بالراحة والهدوء والمتعة! لكن في هذا الفندق الذي نقيم فيه، مات ثلاثة من منطقة «كانساي» شعرت بالأسى والحزن من أجلهم، لكن الموت هنا بالنسبة لهم رغبة عارمة، فالكل يتمنى أن يموت هنا في مكة، فأجره كبير عند الله.

الانطباع الأول عن مكة والانطباع الثاني عن مكة هو شدة الحرارة، فنحن في مكة كنا كما لو أننا في قدر للطبخ، لكن علينا أن نفكر بأن هذه الحرارة تطهر أجسامنا.

على حافة الموت

دون أخذ أي قسط من الراحة بدأنا الوضوء! واتجهنا إلى الكعبة، لنعلن لرب الكعبة عن وصولنا إلى بيته، ونشكره على توفيقه لنا، فقد وصلنا آمنين سالمين.. بدأنا الطواف حول الكعبة بينما كانت حرارة الشمس المحرقة تشوي الوجوه، أحياناً لم نكن نستطيع الاستمرار، لم يكن هناك غطاء على رءوسنا وكانت أشعة الشمس المحرقة تأتي مباشرة على الرءوس، فتجعلنا نشعر أحياناً «بالزغللة» وعدم رؤية ما حولنا جيداً، كنا نلف أجسامنا بقطعتين من القماش الأبيض..

حين بدأنا الطواف بدأنا من عند الحجر الأسود، وانتهينا من الطواف سبعة أشواط، كنا خلالها نشرب ماء زمزم لنطفئ حرارة العطش التي تلهب حلوقنا.

اتجهنا بعد ذلك للسعي بين الصفا والمرة، وهناك يسعى المرء سبع مرات، وبعدها قصرنا شعرنا، وهكذا انتهينا من العمرة، وحين رجعنا إلى مقر إقامتنا، دعتنا أسرة

هاشم[١] حتى نشرب ماء زمزم، فلم نتمكن من الذهاب إليهم فأرسلوا إلينا الماء، وكانوا يرسلونه كل يوم، فكنا سعداء جداً بهذا.

ورغم ما عانينا من تعب ومشقة، لكن كنا دائماً نحافظ على أداء الصلوات في أوقاتها.

في صباح اليوم الرابع وصل خمسون مسلماً من الصين، لهذا فرحنا كثيراً بوصولهم، وللأسف كان الناس أحياناً يصابون فجأة بالمرض، ويموتون على الفور، لا أزال أتذكر وفاة رجل عجوز من منطقة «شي سي إين».. كلما تذكرت آخر لحظات حياته، انهمرت الدموع من مقلتي، وأنتحب بصوت مسموع.!

أهم أعمال الحج وأوقاته تبدأ من يوم الثامن في الشهر الثاني عشر من التقويم الهجري، فإذا لم يتمكن الحاج من الوصول في هذا اليوم فهذا يعني أنه لا يستطيع أداء فريضة الحج.. الآن يمكن أن نشاهد ما يقرب من مليون حاج ! يجتمعون في مكة وفي الوقت نفسه يتجهون ناحية الكعبة يصلون ويدعون ربهم..

في اليوم التالي سوف نركب الجمال ونتجه إلى منى.. يا لها من قافلة تضم مليون حاج مسلم، ورئيس هذه القافلة هو الملك نفسه .. يا لها من قافلة فحتى الملك والشحاذ اليوم في لباس واحد يرتدي كل منهما الملابس نفسها، لا فرق بينهما.. كانت هناك فرق موسيقية تتقدم موكب الملك[٢] وموكب من الجمال والجياد والرجال الذين يحملون البنادق، وبينما كنا نمضي، كنا نصلي إذا ما حان وقت الصلاة، فقد كنا نتوقف ويقوم الملك بإمامة المصلين.. يجب أن نقيم هنا الليلة ولهذا كانت هناك خيام تنصب، وبعد ذلك سوف نتجه إلى جبل عرفات.

---

(١) كتبها المؤلف هكذا «هاشي إين» ـ المترجمان.

(٢) بعد دخول الملك عبد العزيز الحجاز أبطل هذه البدعة ـ المترجمان.

كانت الأرض صخرية، وهناك رمال، لكن لم نشاهد أي لون أخضر على الإطلاق، وكان من الصعب جداً أن نحصل على الماء، ورغم كل هذا فقد كان هناك حوالي مليون مسلم يجلسون في هدوء، تلفهم الطمأنينة ويرفرف عليهم الخشوع والسكينة.

أثناء الحج مات من بين جماعة المسلمين الصينيين بعض الناس في منى، وبعض الناس في عرفات، وكان مجموع الموتى من الحجاج نحو ١٥٠٠ حاج، وكان ذلك بسبب حرارة الجو، وأيضاً بسبب حرص البعض على أداء واجبات الحج كاملة رغم الإرهاق الشديد، مما كان يمثل صعوبة كبيرة لبعضهم، وبخاصة من كبار السن.. لا أدري كم من الناس ماتوا من أجل أداء فرض الله !!

إن غير المسلمين لا يمكنهم أن يتخيلوا بأنه حتى رغم هذا الوادي غير ذي زرع، ورغم هذه الظروف الصعبة المخيفة فإن المسلمين هنا لا يشكون أبداً ولا يتبرمون، ولا يعبرون حتى عن ألمهم أو تعبهم... وفي نهاية الليل غادرنا منى!

طريقة حياة المسلمين والحج إلى مكة

أبريل ١٩٣٠م السنة الخامسة من تقويم شوا

سلسلة مقالات نشرت في «يجي شو توك كينين جاكاي (بجيم قاهرية) كيئيو» العدد ٣٣وما بعده.

١

«طريقة حياة المسلمين والحج إلى مكة» هذا هو العنوان الذي طلب مني أن أكتب عنه هذه المرة، وليس من السهل أن أشرح هذين الموضوعين معاً، لهذا سأركز على موضوع الحج إلى مكة، وبعدها أضيف فكرة عن طريقة حياة المسلمين.

في البداية أود أن أعرف بنفسي كمسلم أنتمي إلى أمة الإسلام، فاسمي الإسلامي هو «الحاج نور محمد» هذا هو الاسم الإسلامي الذي أتسمى به، وهو في الوقت نفسه يعبر عن شخصيتي. ومعنى «حج» في اللغة العربية هو في الأساس القيام بأداء فريضة الحج، لكن الفعل يتحول إلى لقب، ويصير جزءاً من الاسم ليعني الشخص الذي أدى فريضة الحج، وهكذا تعني كلمة «حاج» بالنسبة للمسلم الشيء الكثير، فإذا وضع شخص قبل اسمه هذه الكلمة فهو شرف عظيم له، ونور يعني الضوء والكلمة الثالثة محمد سميت به ليكون لي اسمي الإسلامي وفي الحقيقة إذا إتخذ الشخص الصيني لنفسه اسماً كتبه بالكانجي هكذا (馬) أو (穆) فهذا يعني أنه مسلم، وقد نحتوا من هذا الشكل كلمة يمكن أن تنطق «محمد» ولهذا يمكن التعبير عن كلمة محمد بالحروف الصينية، وهكذا أخذت لقب «حاج» وهذا يعني أنني أديت فريضة الحج، وهذا اللقب ليس قاصراً علي وحدي، بل يناله كل شخص أدى فريضة الحج ، إلا أن هذا ليس بالأمر الهين، لأن الحج إلى مكة هو من أصعب الفروض، وليس من السهل على كل إنسان أن يؤدي هذه الفريضة، ومن هنا أبدأ بشرح كيفية هذه الصعوبة.

٢

الحج إلى مكة يفرض على الإنسان عدة التزامات أولها الالتزام بالوقت فيما يتعلق بكل شيء، وهذا يعني أن موسم الحج محدد بوقت معين، فمن يرغب في أداء فريضة الحج، عليه أن يصل إلى مكة في بداية الشهر الأخير من العام الهجري(١) ، فإذا لم يتمكن من الوصول في هذا الوقت، لا يكون له الحق في أداء الحج.

ويرتبط الشهر التاسع من السنة الهجرية(٢) بشكل أو بآخر بالحج، فهذا الشهر

---

(١) أي في بداية ذي الحجة– المترجمان.

(٢) أي شهر رمضان – المترجمان.

له قدسيته عند المسلمين، ففيه تؤدى فريضة الصوم، فالمسلمون يصومون من اليوم الأول لهذا الشهر حتى يوم الثلاثين منه، وخلال نهار هذا الشهر المبارك لا يأكل الصائم، ولا يشرب، ولو حتى قطرة ماء، ولا يمكن لأحد أن يتصور هذا الأمر إلا من خاض التجربة بنفسه، والصوم يتم مع قيام المرء بأداء واجبات الحياة الأخرى والأعمال اليومية العادية، فلا يصوم الإنسان ليبقى جالسًا أو نائمًا في بيته، فعلى الإنسان الصائم أن يؤدي عمله، وعليه أن يؤدي الصلوات المفروضة عليه، والإكثار منها في هذا الشهر الكريم، ومن هنا يكون أداء هذا الفرض بالنسبة للعجائز والضعفاء من الصعوبة بمكان.

وهذا الشهر بالنسبة للمسلمين شهر مهم جداً، وهو في الوقت نفسه الشهر الأصعب في كل عام، لكن هذا الذي لا يؤدي فريضة صوم رمضان ليس له الحق بالتالي في أداء الحج، ولهذا يجب عليه أن يؤدي هذا الفرض حتى آخر رمق من حياته، وأنا نفسي حل بي شهر رمضان أثناء السفر، وكان علي واجب الصوم في رمضان، ورغم أنني كنت أعاني بالطبع من القلق الذهني، وتعرضت لمتاعب شديدة ، وبخاصة حين دخلنا جزيرة العرب، وواجهنا شدة الحرارة ليل نهار، ورغم ذلك، كان علينا الاستمرار في أداء فريضة الصوم، واستكمال الرحلة.. كان هذا بالنسبة لنا أمر صعب جداً.

لكن هذا بالطبع لا يعني أن من لا يستطيع أن يصوم رمضان، لا يمكنه أن يؤدي الفريضة التي هي أصعب من الصوم وهي فريضة الحج، فمن بين اليابانيين حتى الآن قمت أنا والحاج كوتارو ياماوكا (عمر) في أوساكا بأداء فريضة الحج.

وياماوكا أدى الحج من قبلي، لكنه حين دخل مكة دخلها بالصدفة، فقد وجد فرصة برفقته للشيخ إبراهيم، وليس هناك من يخطط مثلي أو مثله للذهاب إلى مكة، إذ ليس لغير المسلم الحق في الدخول إلى منطقة الحرم، وهناك شاب أراد

الوصول إلى مكة، ووصل حتى بغداد، لكنه عاد أدراجه أو أُعيد من هناك، وقد جاءني بعد ذلك !!

٣

كنت في الصين.. ولحسن الحظ، وكأنني مسلم صيني، لا يفرق أحد بيني وبين المسلم الصيني، فقد كان باستطاعتي التحدث بالصينية، وهناك في الصين ينتشر المسلمون في معظم المقاطعات والمقاطعة الوحيدة في الصين التي تخلو من المسلمين هي مقاطعة «ساي زو»[(١)] وعدد المسلمين في الصين ليس بمعروف، لكن يقال بأنهم نحو أربعين أو خمسين مليون مسلم، لكن من يستطيع أداء فريضة الحج من بين هؤلاء يصل عددهم إلى ستين أو ربما خمسين فقط، وهذا هو سبب الاحترام الشديد والتقدير لكل من يعود منهم إلى الصين بعد أداء فريضة الحج.

هناك وسيلتان للوصول إلى مكة:

الأولى: بالقطار عبر آسيا من الجهة الشمالية الغربية.

والثانية: بالسفينة إلى جدة ومن جدة برًا إلى مكة.

كانت خطتي الأولى أن آخذ الطريق البري حتى وسط آسيا، وصولاً إلى بغداد، ثم أتحرك إلى مكة، لكنني رأيت أنه لو اتبعت هذا الطريق، فلن يمكنني الوصول إلى مكة في بداية شهر ذي الحجة، ولهذا قررت أن أمضي في سفري بالسفينة.

سنغافوره هي المكان الذي يتجمع فيه الراغبون في الذهاب للحج من مناطق شرق آسيا، وهم ينتظرون هنا موعد ركوب السفينة التي تقلهم إلى جزيرة العرب، ويتجمع هنا أيضًا القادمون من الملايو وبورنيه وسومطره وجزر الباسفيك أيضًا، فينضمون لأولئك الذين ينتظرون السفينة.

---

(١) وهي مقاطعة تقع في منطقة التبت -المترجمان.

ونظراً لانتماء سنغافوره الشديد للمسلمين، فهي تقع على الطريق إلى جاوه، شُيِّد هناك مسجد كبير للمسلمين وذلك في السنة الثانية عشرة من عهد «دووكو»، وفي تلك الأيام كان هناك باحث إسلامي في مقاطعة «أون نان» يدعى «ما هوك شو»(١)، ذكر بأن الناس الذاهبين إلى مكة عن طريق وسط آسيا كانوا يتعرضون لمخاطر شديدة، نظراً لأن طريق السفر كان محفوفًا بالمخاطر، ومملوءاً بالمصاعب، ولهذا بدأ المسافرون يتجهون إلى الطريق البحري، وحين كانوا يتوقفون في سنغافوره في انتظار ركوب السفينة، بنوا هذا المسجد بمساعدة رجال القبائل في المنطقة، ولا يزال هذا المسجد قائمًا، ويعد وجوده حدثاً لا يمكن أن ينسى في تاريخ مسلمي الصين.

حين كنت أنتظر موعد ركوب السفينة كنت أذهب كل يوم لأصلي في هذا المسجد، وهو مسجد فخم ومهيب، وبالإضافة إلى هذا المسجد يوجد عدد من المساجد، لكنها تختلف عن هذا المسجد تمامًا، وقبة هذا المسجد الضخمة تشبه كثيراً قبة الكنيسة الروسية (نيكو لايدو) في طوكيو، وبالإضافة إلى قبة المسجد الفخمة، توجد منارة مدببة، يسمونها مئذنة ، يصعد عليها المؤذن يوميًّا لينادي للصلاة، ويطلقون على هذا النداء مصطلح «بانك نماز»(بكاف فارسية)(٢) أي الأذان، ولتقريب الفكرة فالأذان يقوم مقام دق الناقوس في المعبد، أو ضرب الطبول في المزار ، لكن نبي الإسلام لم يشأ أن يستخدم هذه الآلات للنداء إلى الصلاة، لهذا فالمسلمون لا يستخدمون هذه الآلات أبداً للنداء إلى الصلاة، لكن هناك

---

(١) ربما يقصد ما هو تسو ١٧٩٤-١٨٧٣م الذي ترك مؤلفات عديدة منها التعريف بروح الإسلام ،وأحكام الدين، وخلاصة أصول الدين، ومقصد الحياة - المترجمان.

(٢) أي نداء الصلاة - المترجمان.

بعض جماعات من المسلمين - وهذا استثناء - يستخدمون طبلاً كبيراً للإعلان عن وقت الصلاة، لكن هذا نادر جداًّ، فالمسلمون ينادون للصلاة من فوق المآذن، ويرفعون الأذان وقت كل صلاة، وأظن أن هذا أمر شيق فيما يتعلق بتعاليم الدين، فحين يسمع صوت المؤذن ينادي للصلاة، يبدأ كل مسلم الاستعداد للصلاة، فيتوقف الرجل الذي يمضي على الطريق، وينهض الرجل الذي يرقد بجوار البيت، ويقوم من يجلس.. ويتم هذا بشكل فيه انسجام وتناغم، يجعل هذا الموقف أو هذا التصرف كما لو كان أهل اليابان يتأهبون لإنشاد النشيد القومي.

والأذان أو النداء للصلاة يكون بالكلمات التالية: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله».

وتقال هذه العبارات بلحن جميل، كما لو كانت الطيور تغرد بألحان بديعة جداًّ، وتصدح هذه الألحان، ويتردد صداها في الفضاء.

يشعر كل من يسمع نداء الأذان أنه مدعوٌّ للذهاب إلى المسجد أو منجذب تجاه المسجد، أو مشدود إليه، ويرفع الأذان للصلاة خمس مرات في اليوم: قبل شروق الشمس أي في الفجر، وعند الظهر تماماً، وبين الظهر والغروب، وبعد الغروب، وقبل النوم، وهذه النداءات الخمس تعني بالنسبة للمسلم دعوة لأداء الصلوات الخمس المفروضة عليه، فحين يسمع المسلم نداء الصلاة يتجه إلى المسجد لأداء الصلاة، والصلاة هي أساس الدين وهي عماد الإسلام، وتعد الصلاة وصوم رمضان من أهم الفروض.

وحين تبدأ الصلاة ترفع هكذا: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة حي على الفلاح، قد قامت

الصلاة، قد قامت الصلاة الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.

والله هو اسم الإله عند المسلمين، وعادة يقول الناس إله أو الّه دون التركيز على نطق الهاء، لكن الصحيح أن ينطق بتركيز على الهاء هكذا الله، فلا بد أن يكون صوت الهاء واضحًا، وأما الكلمة الثانية أكبر فمعناها عظيم، وبنطق هاتين الكلمتين يدخل المسلم إلى الصلاة، وهما لتبجيل الله واحترامه.

حين يقف المسلمون في المسجد، يصطفون بنظام كما يصطف الجند، ويصعب على القلم وصف هذه الطريقة أو هذا المنظر، ولكن يمكن القول بأننا حين نقف للصلاة فإننا نقف وأقدامنا متساوية، فنساوي ما بين المناكب والأقدام، ثم نرفع كفينا بمحاذاة الإذنين، بعدها نضع اليدين على الصدر، ثم نقوم بالركوع، ونعتدل ثم نقوم بالسجود، ويجب أن تلمس جبهتنا الأرض، وننهض وهذه تسمى ركعة، وركعة من بعد أخرى تتم الصلاة، وعدد ركعات الصلاة يعتمد على وقت كل صلاة، وهناك ركعات الفرض وركعات السنة، فالفجر الفرض مع السنة أربعة، والظهر الفرض مع السنة ١٠ والعصر الفرض مع السنة ثماني ركعات، والمغرب الفرض مع السنة خمس ركعات، والعشاء الفرض مع السنة تسع ركعات(١).

وحين نبدأ الصلاة نقرأ الفاتحة، وهناك قراءة جهرية وقراءة سرية.

وجماعة المسلمين تنقسم إلى السنة والشيعة ، لكن الشيعة قليلون، والسنة هم الأكثرية، وجماعة السنة تنقسم إلى أتباع المذهب الحنفي والشافعي، والمالكي، والحنبلي، لكن أكبر جماعة من بينها هم الأحناف، ومعظم المسلمين في الصين والهند وإفريقيا والبلاد العربية أحناف، وطبقًا للمذهب الحنفي نصلي في صمت وليس جهرًا(٢).

---

(٢) ذكر المؤلف من قبل أنه يتبع المذهب الحنفي – المترجمان.

(٢) هكذا في الأصل وربما يقصد بذلك قراءة الفاتحة خلف الإمام – المترجمان.

بالنسبة للصلاة فالمسلم يصلي لله فقط، ولا يوجد تماثيل أو أصنام في الإسلام، لكن يجب على المسلم أن يتجه ناحية ما يرمز إلى الله، وهذا الرمز هو اتجاه القبلة، فجميع المسلمين يتجهون في صلاتهم ناحية القبلة، وهذا الاتجاه هو اتجاه ناحية بيت الله، أي الكعبة ، ولهذا يتجه المسلمون في الأماكن الموجودة شرق مكة ناحية الغرب، وعلى العكس من هذا فإنه في إفريقيا حيث يكونون غرب مكة فإنهم يتجهون ناحية الشرق، حيث القبلة، كما أن المسلمين في روسيا، الموجودين في الشمال، هؤلاء يتجهون ناحية الجنوب، وهكذا فموقع القبلة مهم جداً في الصلاة، فمهما كان موقعنا على الأرض يجب أن نتجه ناحية القبلة، وبالإضافة إلى أهمية الاتجاه، فهناك أيضًا أهمية كبيرة للوقت، فمسألة الوقت مسألة دقيقة جداً، فإذا لم يكن مع الشخص ساعة، فيمكنه أن يشاهد حركة الشمس ليعرف وقت الصلاة.

حين ذهبت إلى الميناء كان وقت صلاة المغرب قد حان،كان جميع العمال الذين يعملون بجد قبل وقت الصلاة قد تركوا جميع أعمالهم، واصطفوا جميعًا على الطريق الصخري لأداء الصلاة، ومثل هذا المنظر ليس بالمنظر العادي، وهو منظر فيه مهابة، ويدعو للاحترام الشديد.

٤

وهكذا يفهم كيف أن الصلاة بالنسبة للمسلمين فريضة مهمة جداً، وهي فريضة مقدسة، قبل أداء الصلاة يجب أن نتوضأ، وفي عقيدتنا الشنتوية نفعل الشيء نفسه، ففي الشنتوية إذا لم نتطهر لا تقبل صلاتنا بالضرورة، والتطهر في الإسلام، يكون على نوعين التطهر الأكبر، ويقال التطهر من الحدث، والغسل، ثم هناك الوضوء للصلاة، والتطهر يكون طبقًا لكيفية إصابتك بالنجاسة، وعلى سبيل المثال إذا لامست زوجتك أي جامعتها، فهذا يتطلب الغسل، ومن الصعب أن

أشرح تفاصيل ذلك وبخاصة للناس الذين لم يشاهدوا هذا الأمر.

وهناك في المسجد أماكن للغسل، وأماكن أخرى للوضوء، وفي المناطق الجنوبية من الصين، يوجد أماكن للتطهر لكن بماء بارد، لكن في شمال الصين، يمكن أن تجد الماء الحار في المساجد، لكن أود الإشارة إلى أنه إذا تطلب الأمر الغسل، فإن هذا لا يعني أن الإنسان يستخدم ما يستخدمه في الحمام الياباني، فهم حين يغسلون وجوههم لا يستخدمون الكوب الخشبي، لكنهم يستخدمون الماء الجاري، وهناك ترتيب للغسل، فعليك أولاً أن تغسل العضو، وهنا يجب أن لا تستخدم يدك اليمنى، فاليد اليمنى لها احترامها، بعد ذلك تغسل يديك، ثم باليد اليمنى تنظف فمك، بعدها يستخدمون شيئًا لتنظيف الأسنان يسمونه «مسواك» له رائحة خفيفة غير قوية، بعدها باليد اليمنى تتم المضمضة ثلاث مرات، ثم غسل الأنف ثلاث مرات.. ولهذا السبب يوجد بين المسلمين قليل جداً من الناس يعانون من أمراض الفم والمعدة أو الأنف.

بعد تنظيف الأنف نستخدم اليد اليمنى لغسل الوجه والرأس والذراعين حتى الكوعين.. حتى يتم الوضوء، وآخر شيء هو وجوب شرب قطرة من الماء، تسقط من الإصبع الصغرى من اليد اليمنى(١).

هذا الترتيب يجب أن يتم كل وقت، ويمكن أن تميز بين كونك مسلماً حقيقيًّا أم أنك تقلد المسلم، من خلال الحفاظ على هذا الترتيب.

وفي أثناء رفع الحدث، أو الطهارة الكبرى، وأثناء الوضوء، ننطق ببعض العبارات، شكراً لما أنعم الله به علينا، من ماء طهور، ذلك لأن هذا الدين ظهر في مكان لا زرع فيه ولا ماء، ظهر في صحراء يندر فيها وجود الماء، ورغم أن الوضوء

---

(١) هكذا في الأصل، ولا يوجد ما يؤكد هذا في السنة- المترجمان.

أمر بسيط إذا ما قورن بالغسل، لكن يجب أن تغسل الدبر كل وقت عندما تقوم بالتطهر سواء بالغسل أو بالوضوء.

وإذا أخذت قيلولة يجب أن تنتبه، ذلك لأن المسلم إذا أحدث بخروج الريح، فإن وضوءه ينتقض، وعليه أن يتوضأ من جديد، فيجب على المسلم أن يكون نظيفًا طاهرًا، وهم يقولون بأن المسلم الذي طال به العمر، لا يعاني من مشكلة انحناء العمود الفقري، والسبب في ذلك هو أن المسلمين يصلون خمس مرات في اليوم، لمدة طويلة، وهكذا فهم طول هذا الوقت يدربون أجسامهم بالحركات التي يأتون بها في وقوفهم وركوعهم وسجودهم أثناء الصلاة، كما أنهم يهتمون أيضًا بطعامهم، وهكذا فحياة المسلم مثال للحياة الطاهرة.

معظم المسلمين الذين يتجمعون هنا في سنغافوره في انتظار السفينة يؤدون الصلوات كل يوم، وأذكر أن السفينة التي تقلهم بُنيت في إنجلترا، وأذكر أنني حين سافرت إلى مكة، ركب في السفينة نحو خمسة أو ستة آلاف، والمسلمون يفصلون بينهم وبين غير المسلم، ولهذا فهم لا يقبلون الطعام الذي يقدم لهم من غير المسلم، لأنه ليس بحلال، ومن هنا كان علينا أن نطهو الطعام بأنفسنا، ولهذا حملت معي الأواني والأطباق وموقدًا صغيرًا، وبعض الأطعمة، وفي السفينة كانوا يوزعون علينا الماء والخشب اللازم كوقود للطهي، وكنا نقوم بالطبخ على ظهر السفينة.

ويذكر أنه طول الوقت في موسم الحج تكون هناك عواصف شديدة، وكنا نعاني من العواصف والأمواج العاتية طوال ٢٤ يومًا حتى دخول السفينة البحر الأحمر، ووسط هذه الرياح الشديدة والأمواج العالية، إذا لم يحالفنا الحظ فإن الطعام سوف يتناثر، وتحمله الأمواج إلى داخل البحر، ووسط هذه الأجواء والظروف علينا أن نؤدي الصلوات كل يوم في وقتها، فقد كنا نتجمع على سطح

السفينة لأداء الصلاة جماعة، ونتجه ناحية الكعبة.

خلال هذا السفر لم يصب أي إنسان بالمرض، حين دخلنا البحر الأحمر، توقفنا عند جزيرة صغيرة تسمى « كمران » تسيطر عليها إنجلترا، وطبقاً لما قررته السياسة البريطانية تجاه المسلمين، يجب أن ننزل في هذه الجزيرة، لفحص الأوراق من جهة، وتنظيفنا من جهة أخرى! بالإضافة إلى فحص الأمتعة، ويجب أن نبقى نحو ثلاثة أو أربعة أيام في الحجر الصحي حتى الانتهاء من هذه الفحوصات والإجراءت، ولما كانت هذه الجزيرة الآن ملكًا لغير المسلمين لذا كان علينا أن نحمل هنا أيضًا معدات الطهي.

بعد الفحص والانتهاء من الإجراءات المتبعة على هذه الجزيرة تتحرك السفينة تجاه مملكة الحجاز، إلى منطقة الحرمين حيث يمنع دخول غير المسلمين، ولهذا يجب أن يفحصونا بطريقة دقيقة، ويجب أن ننزل أولاً إلى جدة حيث يتم الفحص، ومعرفة إذا ما كنا حقًّا مسلمين أم مدعين للإسلام، فإذا ما كان هناك من يتخفى متظاهراً بأنه مسلم، وإذا ما تم اكتشافه، فسوف يواجه مشكلة كبيرة!

فحصوا الأمتعة والملابس بطريقة دقيقة، وفي هذه المرة نغير ملابسنا العادية إلى ملابس الإحرام، وملابس الإحرام تتكون من قطعتين من القماش القطني الأبيض، قطعة للجزء الأسفل من الجسم، وقطعة للجزء الأعلى توضع على الكتف، ويجب عدم لبس المخيط.

إذا شاهد غير المسلم هذا المنظر، ربما ظن أن هذا منظر عجيب جداًّ وغريب أيضًا، لكنني حين كنت أجلس على الصخرة في البحر وأنا أرتدي هذه الملابس، شعرت بأنني إنسان طاهر، متطهر(١).

(١) وردت في الأصل كلمة قديس!! - المترجمان.

بعد فحص الأوراق في جدة، سُمح لنا بالدخول إلى المدينة، كما تم فحص أوراقنا مرة أخرى حين كنا نقيم في الفندق، نزلت - بوصفي مسلمًا صينيًا - مع الحجاج الصينيين في منزل مصطفى عبد الحميد لعدة أيام، وخلال إقامتنا في هذا البيت بدأت أفواج الحجاج تتوالى، وبدأ عددهم يزيد يومًا من بعد يوم.

استغرق السفر من جدة إلى مكة ليلتين تقريبًا، في كتب الجغرافيا يذكرون أن القطار يسير إلى المدينة ومكة من القدس، لكن هذه المعلومة غير صحيحة، فليس هناك قطار يوصلك حتى إلى المدينة، وبالنسبة لوسيلة النقل أو المواصلات، علينا أن نؤجر الجمال لتحملنا فوق ظهورها، ولما كان الجو في النهار شديد الحرارة لهذا كان من الصعب التحرك في النهار، ومن هنا كان تحركنا دائمًا في الليل، فكنا نبدأ كل ليلة بعد الغروب، وفي الصباح نبدأ في الراحة والنوم، وركوب الجمل، وركوب الجمل له طريق خاصة، تفرض أن يركب على ظهر الجمل شخصان، وهم يضعون على ظهر الجمل ما يسمونه «الشغدف»، وهناك مظلة على هذا الشغدف يستظل بها الركاب من أشعة الشمس.

وهناك وسيلة أخرى للركوب على ظهر الجمل يقال لها «يركب»؟![1] وهنا يركب اثنان معًا على ظهر الجمل، وفي هذا خطورة، لأن المسافر لو غلبه النوم فقد يسقط من على ظهر الجمل، أما الأمتعة فكانت تحملها جمال أخرى..

كان منظر الصحراء في ضوء القمر، وقوافل البعران تمضي فيها، يجعلني أشعر بأنني أمام استعراض فني رائع، منظر جميل وعجيب في الوقت نفسه، لا يمكن أن يشاهد مثل هذا المنظر إلا في جزيرة العرب، لكن هذا السفر وسط الصحراء بالنسبة لكثير من المسلمين، ليس بالأمر الهين، ولا بالأمر السهل، وكقاعدة شرعية

---

(١) هكذا في الأصل- المترجمان.

يجب ألا نضع فوق رءوسنا أي قبعة، كما لا يجب أن نلبس في أقدامنا أي حذاء، لهذا لا يمكن أن نتصور ما يعانيه الشخص الذي يمشي على الرمال بأقدام عارية[١]، حتى لو كان الجو ليلاً ومعتدلاً! فقد كنا في الليل نعاني من العطش، بينما كانت رطوبة أجسامنا تتلاشى من الحرارة الشديدة، فتصاب أجسامنا بالتعب، وتصير رخوة مثل قطعة قطن!!

هذا عذاب مثل عذاب جهنم!! لهذا كنا بحاجة إلى كمية كبيرة من الماء طول الوقت، ومع هذا لا يمكن أن نجد الماء دائمًا هنا أو هناك، وإذا ما كان هناك من يبيع الماء، فإنه سيطلب بالضرورة ثمنًا غاليًا جدًّا لا يصدق، فكوب الماء مثلاً وصل إلى ٢٠ سين[٢] فإذا اشتريت قربة ماء فهذا يعني أنك ستدفع أكثر من « ين » واحد، ومع هذا فالمسافرون يتسابقون على شراء الماء، ويحدث أحيانًا أن يضطر الإنسان الذي بلغ منه العطش مبلغه أن يسلب الآخرين مياههم، ليشرب حتى يبقى على قيد الحياة.

٦

خلال هذا السفر الصعب الشاق، يجب على المسلم أن يصلي بانتظام، وفي ذلك الوقت كان اتجاه القبلة صوب الجنوب، على الجميع التأكد من اتجاه القبلة، ووسط الصحراء لم يكن معنا ماء، لهذا كنا نتيمم باستخدام التراب بدلاً من الوضوء بالماء.

في وقت المغرب خاصة يوقف معظم المسلمين الجمال لأداء صلاة المغرب

---

(١) أي عارية من فوق وليس من أسفل، ويقصد هنا أن المحرم يمشي مستخدمًا الصندل أو الخف من دون الحذاء الذي يغطي القدم تمامًا–المترجمان.

(٢) عملة يابانية قديمة كانت تستخدم قبل الحرب – المترجمان.

جماعة، وهذا مشهد غير عادي.

حين الوصول إلى مكة لا يأخذ المسلمون قسطًا من الراحة بعد هذا السفر، فبعد أن سجلنا أسماءنا في سجل «لفندق» توضأنا وانطلقنا إلى الكعبة، وهذا ضروري، فإذا لم يفعلوا هذا، حوسبوا على ذلك، فيجب على الجميع الذهاب، حتى المرضى من الناس والضعفاء، أو حتى من لا يقدرون على المشي، فعليهم أن يصلوا إلى الكعبة زحفًا !!كانت أقدامنا كما لو كانت تحترق من حرارة الرمال...

الكعبة بناء مربع من الحجارة، وهو محاط بأرضية من الرخام، وعلى الناس أن يطوفوا بالكعبة سبع مرات، فوق هذا الرخام الساخن كأنه أحجار مشوية في النار!!

رغم الرحلة الطويلة والتعب الشديد كان علينا أن ننتهي من الطواف سبعة أشواط وهو عمل صعب جداً، كاد معظمنا أن يسقط على الأرض، لكن بعد الانتهاء من الطواف، وحين شربنا ماء زمزم، غمرني شعور طيب لا يمكنني أن أعبر عنه .. راحة شديدة جداً لا مثيل لها على وجه الأرض.. سعادة غامرة ما بعدها سعادة.

وهذا البئر الشهير الذي يسمى بئر زمزم له حكاية تتعلق بزوج إبراهيم هاجر وابنها إسماعيل [عليهما السلام]، وهذا الماء الذي يخرج من بئر زمزم ماء طاهر عذب، حين تذوقت هذا الماء وجدت طعمه شبيه بطعم المياه المعدنية المكونة من الصودا والراديوم.. وهذا الماء ينساب وسط هذه الصحراء على مر السنين، لم يجف أبداً، ولم يتوقف أبداً وهو من ناحية أخرى يمثل دخلاً طيبًا لشريف مكة الحسين.

وطبقًا للحكاية أو الرواية، قام إبراهيم عليه السلام وهو النبي العشرون بعد آدم[1] فاصطحب زوجه هاجر إلى وادي مكة، وشعرت هاجر بآلام الوضع، فبحثت

---

(١) هكذا في الأصل – المترجمان.

عن بئر الماء، وحدثت المعجزة حين وجدت الماء بين الصخور فجأة [1].

هذا الماء هو أصل ماء زمزم. وإبراهيم هو أهم الشخصيات المبجلة لمكة، وفي الجيل الثلاثين بعد إبراهيم ظهر محمد، وهناك ارتباط أيضاً بين إبراهيم والجيل التاسع والعشرين الذي ظهر فيه عيسى، والكعبة الحالية تم إصلاحها عن طريق محمد، والحجر الأسود الموجود عند الركن الشمالي الغربي وضعه محمد بنفسه، وربما كان هذا الحجر من السماء، ولهذا الحجر مكانة مقدسة لدى المسلمين، والناس حين يأتون للكعبة يحرصون على لمسه وتقبيله، وفي الحقيقة ليس من الواضح أصل بداية حج الناس إلى مكة.

٧

بعد أن شربنا ماء زمزم وأخذنا قسطًا من الراحة، يجب أن نخرج إلى الصفا والمروة، وهناك نسعى بين الصفا والمروة سبع مرات، وبعدها ينتهي أول واجب من واجباتنا، وهو أداء العمرة.

بعد الانتهاء من ذلك ذهبنا ثانية إلى الكعبة لنصلي ونشكر الله على إتمامنا للعمرة، والشخص الذي يقوم بهذه الصلاة ويشكر الله بالدعاء إليه يكون محظوظًا.

يسقط الناس الضعفاء أثناء الطواف وأثناء السعي بين الصفا والمروة، يسقطون بسبب شدة الحرارة، في نهاية السعي بين الصفا والمروة، نقصر شعرنا، وهكذا نتحلل من الإحرام.

قدموا لنا الطعام والماء، وأخذنا قسطاً من الراحة في الفندق، وبالطبع أثناء وجودنا في الفندق كنا نصلي الصلاة في وقتها، لكن كنا ننتبه حتى تكون الصلاة

(١) يلاحظ أن المؤلف اختصر القصة هنا حتى لا يدخل في التفاصيل – المترجمان.

تجاه القبلة، وهنا الاتجاهات ليست محددة، فيمكن الاتجاه للقبلة حسب المكان الذي توجد فيه، حين كنا نصلي جميعًا حول الكعبة كان العدد حوالي مليون!!(١).

كان هناك أربع مجموعات طبقًا للمذاهب المختلفة، فكانت الصلاة تقام طبقًا لكل جماعة، بطريقة منفصلة، وكان لكل جماعة مكان معين، وكان إمام كل جماعة يقف ليؤم جماعته، هذا النمط من الصلاة، وهذا النسق كان يتكرر كل يوم وسط هذا الجو الحار، لكن كل شيء كان يتم بنظام بديع.

في الفندق كنا نعد الطعام بأنفسنا، وكان بصحبتي سبعة من مقاطعة «شي سين» من بينهم من هم في الستين أو في السبعين من عمرهم، لم تكن أجرة الفندق غالية، لأننا كنا نعتمد على أنفسنا في طبخ الطعام، لكننا كنا حقًّا نعاني من نقص في الماء، نظرًا لحاجتنا إلى الماء للوضوء، ولهذا كانت تكلفة الماء غالية.

كانت شدة الحرارة مستمرة طول الليل والنهار لمدة ٢٤ ساعة، لهذا كان ضعاف الناس يموتون بسهولة، زملائي في الغرفة مات منهم خمسة.. وفي النهاية بقيت أنا وشخص واحد، يجب أن أهتم بحياتي هنا، لكن إذا مات الإنسان هنا، فلا يجب أن يكون حزينًا أو يحزن عليه أحد، فالموت في مكة شرف كبير يحرص عليه الجميع، وهي رغبة محببة لدى الناس.

معظم من يموتون في الحج يموتون بعد وصولهم بأسبوع واحد، فإذا مر هذا الأسبوع الأول على إنسان فيمكنه أن يعيش، فالأجسام تتدرب وتعتاد على هذه الحرارة، وحتى أشرح كيفية هذه الحرارة التي هي حقيقة، لا يمكن تصورها، وعلى سبيل المثال، كنت إذا ما تناولت حبة تفاح في منتصف الليل، وألقيت بقشرتها

---

(١) هكذا في الأصل ـ المترجمان.

على الأرض لأشاهد كيف ستصير في الصباح، كنت إذا استيقظت وجدتها وكأنها «نشارة» خشبية جافة، يمكنك أن تكسرها كأنك تكسر كسرة من لوح خشبي رقيق ! ولهذا فالمنشفة (الفوطة) تجف خلال عشرة دقائق، ولهذا كان عليّ أن أشرب كثيراً من الماء على قدر ما أستطيع، وأن ألف جسدي بفوطة مبللة بالماء، أغيرها كل عدة دقائق.

٨

كنا في بداية الشهر الثاني عشر بالتقويم الهجري أي في بداية ذي الحجة .. بدأنا الرحلة، وأعددنا الجمال، وجهزنا جماعتنا أيضًا، وارتدينا ملابس الإحرام، الحج عرفة، لذلك كانت وجهتنا عرفات،الرحيل سيكون بعد المغرب، وسوف نتوقف في الطريق في «منى» ليلة، كان الأمر المفرح والشيء الطيب هو أننا هنا نجد الماء.

هناك رجل نبيل من مصر كان متعاطفاً مع الحجاج، وجد بئر ماء هنا، فقام بتنظيم ضخ الماء من البئر، لكن لا يوجد هنا شيء آخر غير الماء، وإذا كان مع الناس نقود، فيمكنهم أن يؤجروا خيمة، لكن معظم الناس كانوا يرقدون على الأرض، سنعسكر في اليوم التالي بين التلال والصخور ونبقى ثلاثة أيام.. الجو حار جداً، كان على كل شخص أن يدبر حاجته من الماء بنفسه، ويحفظ الماء الذي يحتاجه لنفسه، لكن الماء سينفد بسرعة، دفعنا حوالي «سين»[1] يوميًا، وسوف نشتري ما بين خمسة إلى ستة لترات من الماء يوميًا، لكن كان يمكنني أن أشاهد بعض الحشرات الصغيرة في الماء، كانت تتحرك..

آه هذه الحرارة الشديدة التي لا تعقل، وقذارة الماء التي لا تقبل.. تجعل آلاف

(١) عملة يابانية قديمة – المترجمان.

الناس يموتون هنا كل يوم، وبينما كنت أقوم بالحج خلال هذه الأيام الثلاثة مات ٨٠٠٠ حاج، وقد ذكرت من قبل أن هؤلاء حين يموتون هنا يموتون في سعادة، وهنا على جبل عرفات يفرح الناس إذا ما ماتوا، فهم يشعرون أنهم سوف يعودون لأصل البشرية فعلى عرفات التقى آدم بحواء، وهكذا يموت الناس هنا بسعادة ومن مات هنا، لا يلف بكفن، بل الإحرام هو كفنه، فيدفن بالإحرام الذي يرتديه، ويذكرون أن الجسد يتحلل خلال شهر واحد بسبب الحرارة، ولو حفرنا بعد شهر فلا نجد حتى قطعة من العظام.!

بعد المبيت بمنى والوقوف بعرفة يجب أن نعود إلى منى مرة أخرى، وعلى الطريق عند المزدلفة نبقى ليلة هنا، وعادة لا ينام الناس، بل يسهرون طول الليل، وهناك من بينهم من يقوم بالوعظ في جموع الحجاج، ولهذا يشعر البريطانيون بالخوف من هذا التجمع الديني، ولا أريد أن أتكلم بالتفصيل عن هذا الأمر.

بعد المزدلفة نعود إلى منى، حيث سيحل علينا العيد، ونبدل ملابس الإحرام ونرتدي الملابس العادية، ونقوم بذبح الأضحية، فنذبح خروفًا أو جملاً، ويبارك بعضنا للبعض الآخر بالعيد وإتمام الحج، وبعد ذلك نذهب إلى مكة، فنقدم الشكر لله على توفيقه لنا في أداء الحج، ونطوف حول الكعبة طواف الوداع، وفي هذا الوقت يمكن القول بأن الحج إلى مكة قد تم.

بعد ذلك يرغب بعض الناس في الذهاب إلى المدينة المنورة، بينما يريد البعض الآخر زيارة بعض المآثر، ولا علاقة للمدينة المنورة بأداء مناسك الحج، لكن لا بد من أن أوضح أن النبي محمد ﷺ حين هاجر من مكة، ذهب إلى المدينة، وفيها مسجده، وفيها قبره، كما أن بالمدينة أيضًا مآثر وآثارًا إسلامية.

حين انتهينا من كل ما علينا بدأنا نعد العدة لرحلة العودة إلى بلادنا، البعض منا سيسافر بالبر، والبعض الآخر سيسافر بالبحر، أما عن نفسي، فقد قررت السفر

بالبحر، وهنا أذكر أنه في طريق العودة انتهى القلق الذي كان يساور الناس، ونتيجة لانتهاء القلق والشعور بالراحة، فقد يؤدي هذا إلى اضمحلال القوة الجسدية، ومن هنا قد يموت البعض في السفينة !!

وفي السفينة يتم تكفين الموتى وإلقاؤهم في البحر، ويمكن القول بأن عدداً قليلاً من الناس قد يحالفهم الحظ، ويعودون إلى بلادهم بسلام، وهذا هو السبب في أن من يعود منهم بعد أداء فريضة الحج، يعدّ في بلده شخصية عظيمة، تنال تقدير الجميع واحترامهم، وهؤلاء عادة يلفون أنفسهم بعباءة بيضاء، ويضعون على رأسهم عمامة بيضاء، ومنهم من ينال درجة عليا من التقدير، ويتم تقديمهم عادة إلى الصفوف الأولى في اللقاءات العامة.

٩

لا ندري متى بدأ الحج إلى مكة؟ وعلى الأقل فنحن نعرف أن محمداً ﷺ قد قام بإحياء التراث العربي القديم، وأعاد ترتيبه طبقًا لتعاليم الإسلام التي أمره بها الله، فحين بعث محمد إلى الناس كانت الجزيرة العربية تعيش في ظل نظام قبائلي، وكان زعماء القبائل يفقدون مكانتهم وسلطانهم، ونسوا تعاليم الرسل الذين أرسلوا من قبل محمد، وتلاشت فكرة الخلاص التي جاء بها عيسى والأديان السابقة عليه، وانتهى دور الكهنة والرهبان، وتحطمت الكعبة، وبدأ الناس يعبدون الأصنام، ويقيمون لها معابد، وحين جاء محمد لم يرض بهذا الوضع، وبدأ ذهنه يعمل من أجل إعادة البشرية إلى الطريق الصحيح، ولهذا كافح وواجه قوى الشر من أجل الإصلاح الديني، وما يستتبعه من إصلاح اجتماعي، لكنه لم يكن يريد أن يقضي تمامًا على التقاليد القبلية الصحيحة التي لا تتعارض مع الدين، ويمكن أن نمثل ذلك بما نراه في اليابان من الاتقاء من «الحسد» أو الاحتفال بمناسبات معينة في أوقات معينة من السنة، لقد أبقى محمد على مثل هذه الأمور.

يمكن للبعض أن يقول بأن الحج إلى مكة حركة بدائية، والحج إلى مكة كان موجوداً قبل محمد، وقد جاء محمد للناس بعدد الصلوات اليومية، والقبلة، لقد كان الناس قبل بعثة محمد يتجمعون حول الكعبة، وفي الأماكن الأخرى كان لديهم قبلتهم الخاصة، يسجدون أمامها، وبعد هجرة محمد إلى المدينة توقف الناس عن الاتجاه إلى الكعبة، كانوا يتجهون في صلاتهم ناحية بيت المقدس، وهذا الأمر كان يؤثر في محمد كثيراً، فظل يفكر ويفكر، كان يأمل لأن يحفظ الله لمكة قدسيتها، فأخذ يدعو الله، واستجاب الله لدعائه، فنزلت الآية الكريمة التي أشارت على المسلمين بالاتجاه في صلاتهم إلى الكعبة، وهكذا صارت الكعبة هي المكان الوحيد الذي يتجه إليه جميع المسلمين في صلاتهم.

١٠

هكذا كتبت ما أستطيع عن حياة المسلم أثناء الحج، وانتهيت تقريباً مما أردت أن أقول، لكن هذه المرة أريد أن أقول إنه في اليابان، هناك نقص في المعلومات المتعلقة بالإسلام، وهناك نقص فيما يتعلق بمصادر الإسلام، فهناك بين المسلمين عادات وتقاليد، نشاهدها ونلمسها في الشنتوية، فهناك مثلاً ما نسميه «ميزوجي» (بجيم قاهرية) Mizugi وهو يشبه الوضوء في الإسلام استعداداً للصلاة، ويقولون في الإسلام التطهر، فالإسلام دين الطهارة، فالمسلم لا يأكل الطعام الفاسد، وإذا أكل المسلم اللحم، فهو يأكل اللحم الحلال المذبوح، والمطهي على الطريقة الإسلامية، ومحرم على المسلم أن يشرب الخمر بأي شكل من الأشكال، ولم يرد في القرآن الكريم أن التدخين ممنوع، لكن المسلمين الصينيين يحرمون هذا أيضاً، ولهذا فأجسامهم قوية بسبب ذلك.

في الصين يقولون إن الجنود الجيدين معظمهم من المسلمين، وهذا يعني أن لديهم أجساماً قوية، وهم متعودون على أن يعيشوا مع الآخرين في أي مكان، لهذا

فيمكنهم التأقلم بسهولة مع أي متغيرات، وهؤلاء المسلمون - حتى في الصين، لا يتعلم أحدهم «الكتابة بالكانجي» أي الأشكال الصينية، إلا أنهم يستخدمون الحروف العربية، وهم يحافظون بشدة على دينهم، ويتبعون تعاليم دينهم، وإذا ما ظهر من بينهم من يخالف هذه التعاليم، وجب إبعاده فوراً عن جماعتهم، وقد جاء في جريدة The New World of Islam عن Lotherop- Staddord الشهيرة في لندن أن السلام الحقيقي للعالم سوف يتحقق بين الجنس الملون والجنس الأبيض، وفي كل الأحيان فإن المسلمين سوف يكونون في مركز هذا الصراع أو في مركز هذه الحروب، وفي لندن أقيم مسجد أسهم الأرستقراطيون في إقامته، يجب علينا أن نكتشف ما هي السياسة التي تتبع تجاه المسلمين في بريطانيا، وفي بلد تتمتع بثقافة واحدة مثل الصين، يوجد فيها عدد كبير من المسلمين، أرى لزاماً علينا نحن اليابانيين أن نستيقظ، وأن نعترف بالإسلام، ليس فقط على أنه دين للملونين، لكن على أنه أيضاً دين لأناس متفوقين في المجال الأكاديمي، لهذا يجب علينا أن ندرس أكثر وأكثر عن الإسلام الذي لم نتناوله بالدراسة حتى الآن.

في الحقيقة إن الصراع الذي يدور حتى الآن بين Ma Gyokusen و Shokai Seki يتعلق بثورة المسلمين، وفي الهند أيضًا هناك مشكلة بين المسلمين والهندوس والبارسيين، وهذه الأيام تثار «المسألة الشرقية» باستمرار، وهي تمثل مشكلة عربية، ومن هنا فإذا أرادت اليابان أن تكون زعيمة أو قائدة للأجناس (للشعوب) الملونة في العالم كله فمن الضروري، بل من الواجب عليها أن تفكر في الإسلام.

قبل السفر إلى وسط آسيا

يناير ١٩٣٤م السنة ٩شوا

(تقديم بقلم الصحفي في صحيفة هاتسو سيه)

السيد تناكا واحد من اثنين من مسلمي اليابان المعروفين الآن، وهو صديق مقرب للسيد كوباياشي، وهذه المرة سوف يسافر إلى وسط آسيا مع السيد ياما أوتشي ومع السيد ياماموتو، وهما تلميذاه.

في الساعة الثالثة من عصر يوم ١٥ ديسمبر بدأ رحلته بالسفينة ميازاكي مرو، وكان قد غادر طوكيو يوم الثامن من ديسمبر ليلاً وزار مزار إيسيه في اليوم نفسه، وفي يوم التاسع دعا الله من أجل أن يحفظه في رحلته، وفي اليوم نفسه الساعة الواحدة ظهراً أقمنا له حفل وداع، وفي هذا الحفل ألقى تناكا خطبة سنذكرها فيما بعد.

وصل تناكا ورفاقه إلى كولومبو في ٣ يناير ووصل إلى بومباي في ٨ يناير، ومن ممر خيبر وصل إلى كابول في ١٥ يناير، وسافر إلى مشهد وطهران في فارس وبعدها سافر إلى بغداد، وفي ٢٠ مارس وصل إلى دمشق في سوريا، كان هذا هو مخطط الرحلة التي تتوقف في هذا المكان، وبعدها يخطط للذهاب إلى مكة والمدينة، ومنها إلى أناضوليا في تركيا، وعبر بلدان أوربا سوف يصل إلى اليابان عن طريق سكة حديد سيبيريا.

متى تكون عودته ؟لا ندري وحتى رحلته إلى دمشق سوف تنشر المقالات الخاصة بها في صحيفة ماي نيتشي التي تصدر من أوساكا ...

بقلم الصحفي في جريدة هاتسو سيه[١].

شكراً جزيلاً على تقديمك لي...

---

(١) لم يرد اسم الصحفي في الأصل – المترجمان.

في السنة الماضية حين جئت هنا قبل سفري إلى منشوريا كنت أعاني من آلام في قدمي، لكن بفضل من الله سافرت إلى منشوريا مع عشرة من تلامذتي ورجعت سالمًا.

تعافت قدماي بنسبة ٨٠٪، وها أنا الآن مسافر عبر آسيا، وهو ما كنت أتوق إليه منذ مدة طويلة، والآن انا على وشك ان اغادر اليابان، ولا أريد أن أنسى بأنني ياباني، حيثما توجهت، وفي أي وقت أمضي فيه بعيداً عن اليابان، ولهذا وقبل الأمس ذهبت إلى معبد هاسيه جي، وابتهلت ودعوت الله على قدر استطاعتي، وكنت سعيداً بذلك، وأنا أدرك أهمية هذا المعبد هاسيه جي، وهناك ارتباط بين هذا المعبد وبين مزار إيسيه، ولهذا جئت إلى هذا المزار بعد زيارتي لمزار إيسيه(١)، واليوم صباحاً أثناء صلاة الناس في المزار شعرت بنوع من الإلهام، وأعتقد أنني سأكمل هذه الرحلة بسلام.

ذات مرة سافرت إلى بعض البلاد في وسط آسيا، واستطعت أن أكمل هذا السفر بسلام، والآن أشعر بالامتنان والشكر لله.

على كل حال أستطيع أن أرى خريطة آسيا الوسطى هنا، ويجب الآن ان أتكلم عن بلدان هذه المنطقة، ويمكنني بالطبع أن أتحدث بعد رحلتي، ولكن سأكون في ورطة إذا طلبتم مني أن أتحدث عن بلد لم أزره ولم أشاهده، فإذا لم أستطع الإجابة على أي سؤال عن هذا البلد الذي لم أزره، فهذا يعني أنني فشلت في الاختبار، تمامًا مثل التلميذ الذي لم يستطع أن يكمل الإجابة عن أسئلة الاختبار، فأنا أشعر أن إجابتي لن تكون كاملة أو مقنعة، لكنني لو أجبت عن جزء من الإجابة الكاملة

(١) انظر نص محاضرة بعنوان الخطاب الديني في الفكر الياباني - نظرة تاريخية لسمير عبدالحميد إبراهيم، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- المترجمان.

فآمل أن تستطيعوا فهم ذلك.

سافرت من البداية مباشرة إلى الهند، ثم ذهبت إلى كولومبو، وكما تعلمون فإن جزيرة سيلان لها علاقة بالبوذية، فهذه الجزيرة هي حلقة الوصل في انتشار أو نقل البوذية من الشرق إلى الغرب، إلا أنها تعرضت فيما بعد لسيطرة الهندوس، ثم تعرضت لدارسي البوذية البريطانيين الذين تمكنوا من استعادة مواقعهم في الجزيرة.

في هذا المكان يوجد راهب ياباني اسمه «فوجي إئي» من جماعة نيتشرين البوذية، أعتقد أن هذا الرجل مثل نجم لامع في سماء البوذية في اليابان، والسيد كاساكي يدعو إلى البوذية في منشوريا، وقد دعاني لزيارته، ولهذا فكرت في هذا الأمر، بعد ذلك وبالسفينة سافرت إلى ميناء كراتشي، ومن هناك وبالقطارانطلقت عبر ممر خيبر، حاولت الذهاب إلى تلك المنطقة من قبل ولم أتمكن، فقد حدثت هناك مشكلة، لكن هذه المرة تطورت سبل المواصلات، كما أنني هذه المرة حصلت على تصريح من بريطانيا.

في شملا كان هناك مؤتمر تجاري يضم اليابان والهند، وشملا تقع على مرتفعات جبلية، لكن هناك خط سكة حديد يصل إليها.

الجو في الهند حار جداً، وبخاصة في فصل الصيف، فالحرارة تجعل الماء يصل إلى درجة الغليان، وحتى المندوب السامي في الهند يسافر إلى المناطق الجبلية لتجنب حرارة الجو.

من هذا المكان أصل إلى كابل عاصمة أفغانستان، ويستغرق هذا ثلاثة أيام، مات ملك أفغانستان مؤخراً وورث ابنه العرش، ولا أعرف الموقف هناك، وأشير إلى أن هناك خمسة من اليابانيين دخلوا هذه البلاد مؤخراً، أما أنا، فأنا الآن في مهمة

مؤقتة من الخارجية، وهكذا فرحلتي رحلة رسمية، وهذه المرة أزور هذه البلاد، وأراقب جيداً كل ما حولي هناك، وسوف أتحرك بنشاط بقدر استطاعتي، وأنا أحمل بداخلي روح اليابان، وأريد أن أبذل بعض الجهود لتنمية التجارة بين اليابان وهذا البلد، هكذا سافرت بمثل هذه الرغبة، بعدها سوف أسافر إلى فارس التي تفصلها عن أفغانستان صحراء شاسعة، لذا ستستغرق الرحلة حوالي عشرين يوماً بالسيارة، ورغم هذا فأعتقد أن السفر صار أسهل عما ذي قبل.

كنا في فصل الشتاء، لكني لو سافرت في الصيف فإن السفر عبر الصحراء صعب جداً، بسبب الارتفاع الشديد في حرارة الجو، وفي مثل هذه الحالة لا بد أن أتحرك بعد غروب الشمس وحتى طلوع الشمس.

هناك بيت للوزير الياباني في طهران، وفارس من أقدم البلاد حضارة، فحضارتها ترجع إلى خمسة آلاف سنة، نحن نطلق عليها فارس لكنهم يطلقون على أنفسهم هذه الأيام اسم إيران، وهضبة إيران هي مركز الثقافة الإيرانية وهي تقع على ارتفاع ٦٠٠٠ شاكو عن مستوى البحر، لقد تطورت الحضارة والثقافة في هذه المنطقة منذ عهد قديم، لكن لا يوجد كثير من اليابانيين يرغبون في دراسة الثقافة الإيرانية، وقد كان المجوس ذات يوم أغلبية، لكن إيران اليوم بلد مسلم، والهند التي هي أصل البوذية صارت الهندوسية هي الغالبة فيها.

أعود الآن إلى الهند:

يوجد في الهند حوالي ١٥٠ ألف مسلم حول بومباي، والحكومة الهندية تحاول أن تفصل ما بين الهندوسية والبوذية عن طريق استخدام المسلمين، وهنا أيضاً في هذه المنطقة يمكن أن نشاهد أموراً غريبة، ومنها على سبيل المثال الجنازة التي تتولاها النسور، هذا المشهد مشهد مقزز وعجيب، فحين يموت شخص يحملون

جثته إلى الحقل، ويتركون النسور تأكل الجثة[١].

ربما تظنون أنهم ليسوا بحاجة إلى أي كاهن أو رجل دين لإكمال مثل هذه الجنازة.. هذا ليس بصحيح، فهناك قصة عن هذه الجنازة التي تتولاها الطيور، يقولون إن هذه الطيور تقوم بحماية الناس الذين يسافرون في الصحراء، فتطير من فوقهم، وتحميهم من حرارة الشمس! وتظل تدور وتدور من حولهم كأنها مروحة ضخمة ترسل إليهم الهواء، تخفف عنهم حرارة الجو، لهذا يمكن للناس السفر وسط الصحراء بسهولة..

لماذا تفعل الطيور هذا؟ إنها تريد أن تأكل لحوم هؤلاء المسافرين في القافلة، والطيور تفضل لحوم الموتى، لا تأكل لحوم المسافرين الأحياء، فالطيور تنتظر موت هؤلاء المسافرين.. وهذا هو السبب الذي يجعلها تستمر في التحليق فوق القافلة طول الوقت، تقدم للمسافرين خدمة طيبة تتمثل في الظل والتهوية، ومن هنا وجب على من يموت أن يرد الجميل لهذه الطيور... هذه هي الحكاية!!

وأعود إلى فارس ثانية:

في فارس يمكن أن تشاهد الكثير من الآثار القديمة التي تشهد على عراقة حضارة إيران القديمة وثقافتها، وفارس الآن دولة مستقلة، وهي تحاول استعادة قوتها ومكانتها، ويجب أن ندرك بأنها تتحرك بطريقة جيدة في سياستها بين كل من بريطانيا وروسيا، وهم يطورون هذه الأيام إدارات الدولة ومؤسساتها، فضلاً عن وسائل النقل والمواصلات، ويقومون بذلك بكل جهد، كما أنهم يهتمون أيضا ببناء خطوط السكك الحديدية، ويعبدون الطرق في كل البلاد، أما بالنسبة للتعليم فهم مهتمون بتعليم أبنائهم التعليم الديني ..

(١) انظر صفحات الرحلة الخاصة بمدينة بومباي حيث فصل الحديث عن هذا الأمر - المترجمان.

ومن الجدير بالذكر أن اليابان ليست مثل إيران في هذا المجال فنحن نتجاهل التعليم الديني، وأعتقد أن النتيجة غير مثمرة فيما يتعلق بمستقبل اليابان.

يبلغ عدد سكان إيران اليوم نحو ٣٥ مليون نسمة، وهناك معاهدة بين إيران واليابان، لهذا فالعلاقات بين البلدين تتعمق أكثر فأكثر، والدول المجاورة لإيران أي أفغانستان سوف تنال كامل استقلالها خلال ١٥ سنة، وأشير هنا إلى أن لديهم منتجات زراعية متنوعة، وهم يركزون بشكل خاص على منتجات الثروة الحيوانية.

نحن الجنس الأصفر بيننا وبين إيران وأفغانستان علاقات قوية، ونحن نريد أن تستمر هذه العلاقات في المستقبل، وأود أن أشير هنا إلى أن شعوب إيران وأفغانستان يتكلمون اللغة نفسها، فهم يتكلمون الفارسية، كما أنهم يدينون بدين واحد هو الإسلام، لكن في أفغانستان ينتشر المذهب السني، بينما في إيران ينتشر المذهب الشيعي، والشيعة ظهرت بعد فترة من ظهور الإسلام(١).

يوجد في الصين ٥٠ مليون مسلم، ومذهبهم مثل مذهب أهل أفغانستان أي أنهم سنيون، والعراق الآن دولة مستقلة لكنها تخضع للانتداب البريطاني، وهي دولة كبيرة تنتج النفط، وعاصمتها بغداد، ومن المعروف أن الحرب الأوربية نشبت بسبب صراع ألمانيا وبريطانيا على إقامة خط السكة الحديد بين برلين وبغداد.

لقد صارت بغداد موضع اهتمام الشئون الدولية هذه الأيام، واليابان لا تتدخل مطلقاً ولا تهتم بهذا الأمر، أما دمشق فهي عاصمة سوريا، والمنطقة من العراق إلى سوريا خاضعة لسيطرة البريطانيين، ومن هنا كان هذا أصعب مكان في رحلتنا، ومن هذا المكان لا بد أن نختار ما بين المضي نحو الجنوب، أو المضي نحو الغرب، فإذا اخترنا الجنوب وصلنا إلى القدس والقدس مشهورة بسبب عيسى المسيح، وهنا

---

(١) هكذا في الأصل - المترجمان.

يمكن أن نلاحظ الصراع بين اليهود والمسلمين، لكن لم أر ملامح هذا الصراع على صفحات الصحف، ولا أدري ما هو الموقف، لكن بالنسبة لرحلتي هذه المرة، يجب أن أراقب الأمور، وأتعرف على الظروف هناك بشكل جيد.

معظم أجناس آسيا مسلمون، ويبلغ عددهم نحو ٣٠٠ مليون مسلم، وهم يعيشون حياة جادة طبقًا لعقيدتهم، وهم ليسوا مثل البوذيين فلا يوجد فرق بين الإمام والمأمومين، وهم يعيشون حياة فاضلة ويتمسكون بتعاليم الدين، ولديهم روح قوية وإرادة قوية ويمكن أن يتعاونوا معًا، طبقًا لما يحثهم عليه دينهم، وما ترشدهم إليه عقيدتهم.

اعتاد المفكرون السابقون على القول بأن الحرب التي ستحدث في المستقبل ستكون بين الجنس الأصفر والجنس الأبيض، فإذا ما حدثت الحرب علينا- نحن اليابانيين- أن نكون قادة للجنس الملون، وأن نقود الحرب من الآن فصاعداً، يجب أن نقيم علاقة صداقة مع الأجناس الملونة، وأنا أريد أن أبذل قصارى جهدي كفرد من أفراد الأمة اليابانية، والجنس الأبيض يفكر بأن اليابانيين هم قادة الجنس الصفر، ولهذا يجب أن يقضوا على اليابانيين، ويحاول الجنس الأبيض الوصول إلى هذا سريعًا، حين انسحبت اليابان من عصبة الأمم، كانت البلدان الصغيرة للجنس الملون تنتظر ذلك، فإذا ما وجدت هذه البلدان الصغيرة الفرصة لعمل شيء، فإنها تثق في اليابان، وسوف تعمل جنباً إلى جنب مع بلدنا اليابان.

والآن أنتقل للحديث عن تركيا:

تعدّ تركيا من بلدان أوربا، وهي تنقسم إلى قسمين: قسم في آسيا وقسم في أوربا، ورغم أن هناك تركيا الآسيوية وتركيا الأوربية إلا أن الجنس واحد، واليابان تربطها بتركيا علاقات صداقة ومشاعر حب وود منذ وقت طويل، منذ عدة سنوات

غـرقت السـفـينـة التـركـيـة بـالقـرب مـن كـومـانوندا، وتم إنقـاذ الأتراك عن طريق اليـابانيين[1] ، ثم أرسلوا إلى تركـيا، ولـم ينس الأتراك هذا المعـروف حـتى اليـوم، وأنقـرة هي عـاصـمـة تركيا، ويعيد الأتراك اليوم بناء بلدهم بقيـادة زعيـمـهم البطل كمال باشا، والجنس التركي جنس تتاري، وزيادة في التفصيل فهم تركمان التتار.

وهنا أشير إلى أن القوات اليـابانيـة في منشوريا كـافحت لتحتل «ماسين زين» حيث يعـيش الجنس التتاري، وأيضًا الجنس التركـماني، ومن المعروف أن الجنس التركـماني، يتمـيز بقوته الذهنيـة والجسـدية، حين وصلت القوات اليابانيـة إلى «ما سين زين» كـان هناك ٣٠٠ ألف مسلم، وأظن أن اليـابان أمكنها أن تتـفاهـم جيـدًا، وتدرس الموقـف بشكل جـعلهـا لا تحتـاج إلى قـتـال في مـا سين زين، إلا أنـهم لـم يدرسوا شيئًا عن المسلمين وعن تاريخهـم، وكان هذا خطأ ارتكبتـه اليابان، فحين نعلن أننا نخطط لإقامة آسيا الكبرى، فإن أهم شيء يمكن أن نهتم بدراسته هو الدين، وأعني بـهذا الإسلام، نحن نتجاهل وجود الشعوب أو الأجناس المتدينة، والأجناس الأضـعف يمكن أن تتـوحد وتصبح أقـوى على أسـاس الدين، نـحن في اليـابان شعـب ينسى تمامًا أمر الدين، ويـفكر فـقط في الأمور العـسـكرية، وهذا هو السبب فيما تواجهه اليابان من مشاكل أحيانًا.

وهذه المرة أود أن أدرس الأمور التي تتعلق بالسياسة الدينية وأراقب جيدًا كل شيء أثناء رحلتي هذه.

إن الجنس الأبيض يحاول الوقوف في وجه اليابان بشتى الطرق، وإذا ما مضت اليابان قدمًا دون الاهتمام بالدين، فإن هذا يعني أن اليابان سقطت في فخ الجنس

(١) انظر الصفحات المتعلقة في كتاب الإسلام والأديان في اليابان لسمير عبد الحميد، مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض – المترجمان.

الأبيض، يجب أن أنتبه إلى هذا الأمر كثيراً في رحلتي هذه المرة.

وأتحدث الآن عن مكة:

مكة هي مكان مولد النبي محمد ﷺ وهي مكان مقدس في نظر الشعوب العربية والإسلامية، ويمكن تشبيه مكة بـ «أجي يامادا»(١) في اليابان، وتقع مكة في مكان يطلق عليه الناس الحجاز، وتوجد مدينة قريبة من مكة(٢) هي ميناء هذا البلد، حيث يمكن للسفن الكبيرة أن ترسو فيه، وفي المدينة المنورة يوجد قبر النبي محمد، ووسط الجزيرة صحراء واسعة، يمكن أن نشاهد فيها واحات خضراء.

ظهرت في جزيرة العرب جماعة دينية تنتسب إلى الحركة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب، لهذا يقال لها الجماعة الوهابية، وهي جماعة قوية جداً، توجد في نجد حيث يعيش حوالي مليون من الناس، يمتلكون المواشي التي يفوق عددها عدد الناس عدة مرات، وقد انطلق أهل نجد (بقيادة ابن سعود) إلى مكة منذ عشر سنوات، وضموا الحجاز إلى نجد، وشكلوا بذلك قوة عظيمة، ولا أدري هل اسم الجزيرة العربية يطلق على اسم البلد أم يطلق على الشعب.

وفي جنوب الجزيرة العربية، يوجد بلد اسمه اليمن، وهو يقع بالقرب من بوابة البحر الأحمر، وهناك ميناء عسكري في عدن، وهو تحت سيطرة البريطانيين، وأشير إلى أن الناس الذين يخضعون لسيطرة البريطانيين ليسوا سعداء على الإطلاق، ويحملون مشاعر العداء الشديد لبريطانيا، وهناك بلدان صغيرة مستقلة تخضع لحماية بريطانيا، إلا أن شعوبها تكن العداء لبريطانيا، ولهذا فقوة بريطانيا في المنطقة تضعف يوماً من بعد يوم، وأظن أن المشكلة في المستقبل ستكون في

---

(١) مكان مقدس لدى اليابانيين بالقرب من كيوتو- المترجمان.

(٢) يشير الكاتب إلى جدة -المترجمان.

آسيا الوسطى وفي جنوب غرب آسيا، فهذه المنطقة ستمثل فيما بعد أهمية كبرى، ويجب أن ندرك أيضًا أن هذه البلاد تمتلك وحدة دينية قوية، يجب أن نصل إلى أعماق مشاعرهم، وعلينا أن نقيم معهم علاقات ود، وأن نتصالح معهم من القلب، وإلا فلن نستطيع أن نقيم علاقة صداقة حقيقية بين شعبينا.. وأوضح هنا أنني حين ذهبت إلى إيران وجدت منهم ترحيباً شديداً، فقد كانوا ينادونني بالحاج تناكا، مهللين مسرورين، والحاج لقب يطلق على كل من أدى فريضة من فرائض الإسلام تسمى الحج، وإذا فكرت جيداً فيمكنني أن أتعامل مع الناس حتى رغم اختلاف اللغة، ولذا فأنا أظن أن هذه الرحلة هذه المرة فرصة لأقوم بهذا العمل، بدلاً من أي شخص آخر، وإذا كان لدي روح قوية وتصميم أكيد، فيمكنني أن أكمل هذه الرحلة كما هو مخطط لها.

إنني ألاحظ أن كل واحد منكم شاب يافع، وأنتم تدرسون «مكّيو» (بكسر الأول)[١]. وهذا شيء رائع، فإذا فكرتم في مستقبل بلدكم،وجب عليكم أن تفكروا في الدين ، فالأمة الحقّة، والأمة الصادقة لا يمكن أن تكون بدون دين.

سوف أنطلق مسافراً على هواي، وبداخلي رغبة في أن أعقد معاهدة مع هذه البلاد، وأن أكون صداقة مع هذه الشعوب.. إن الناس يركزون هذه الأيام على منشوريا ويقولون «مانشو.... مانشو» لكن هذا النداء لا معنى له.. فما معنى أن يذهب الناس إلى منشوريا ليتحولوا هناك إلى متسولين!

أود أن أركز على بلدان وسط آسيا بدلاً من منشوريا ، أتمنى أن تكون الشعوب الملونة تحت قيادتنا، وأنا أعتقد أنه سيأتي اليوم الذي تستيقظ فيه هذه الشعوب، وهو آت لا محالة .. وبين هذه الشعوب وبين اليابانيين أمور مشتركة كثيرة،

(١) يقصد الكاتب بوذية نيبال – المترجمان.

وبخاصة تلك التي تتعلق بطريقة التفكير.

منغوليا هذه الأيام هي مشكلة العالم، وشعب منغوليا شعب مستقل، وقد ساعدت اليابان منغوليا، وصحيح أن مساعدتهم لا تنفصل على مساعدة منشوريا، وليس لدي اهتمام أو تفكير بأن أجعل كل آسيا يابانًا موحدًا، وطبقًا للموقف الحالي هناك عدة أسباب،وإذا أردت الحديث عن هذا فقد يستغرق الأمر شهراً أو شهرين، لهذا لن أتكلم في هذا الموضع وأتوقف عن الحديث عند هذا الحد.

كل واحد منكم سيكون داعية نشطًا تحت قيادة زعيمكم «شين نيو هو شين نو»، الذي سافر إلى الصين للدراسة حين كان في السبعين من عمره ! ومن هناك كان يريد السفر إلى الهند، لكنه حين وصل إلى سنغافوره في طريقه إلى الهند، أصابه المرض، واختفى... قال بعضهم بأنه ربما أكله الأسد، لكن أحداً لا يعرف أين اختفى !!

حين نرى مثل هؤلاء الناس الذين يدرسون بشغف عن الدين، حين نراهم وقد رحلوا عن اليابان، وهم يفكرون بأنهم قد يموتون.. لماذا لا ننشط مثلهم.. إنه لأمر مؤسف جداً، الناس مثلكم لا يزالون هنا داخل اليابان حتى رغم تطور وسائل المواصلات تطوراً عظيمًا.. لقد استعارت اليابان أفكار الهند، وعلينا أن نرد لهم الجميل الذي فعلوه معنا..

لا أريد أن أتكلم عن استقلال الهند مثلما يتكلم السياسيون، لكن أريد أن أرد الجميل الذي فعلوه لنا في الأزمنة القديمة، إذا انطلقنا إلى الإمام بروح «شاكا»(١) ، فأنا على يقين أننا يمكن أن نرى في المستقبل، الضوء اللامع لكوكب الزهرة في السماء.. وإذا عملنا طبقًا لروح البوذية، فعلينا أن نرد الجميل الذي

(١) أي بوذا – المترجمان.

أسدي إلينا، ويمكننا في الوقت نفسه أن نعيد القوة إلى بلدنا، إن هذه القوة أو الروح العظيمة تعني كلمة «هو أون» أي رد الجميل..

أتعجب ماذا يفعل الدارسون الشباب هذه الأيام ؟! يتناولون القهوة في المقاهي، ولا يستمعون أبداً إلى نصائح معلميهم، إن الشخص المتدين يمكنه أن يعيد هؤلاء إلى صوابهم.. أود أن تتحركوا بنشاط من أجل اليابان والنظام الإمبراطوري، ومن أجل ما نؤمن به جميعاً،أود أن يدرك كل منكم مسئوليته تجاه البوذية في اليابان، وآمل ذلك !

إن شين نيو هو شنّوهو ولي عهد الإمبراطور هيجو الواحد والخمسين، كان يدعى كوجا كو شين نو (بجيم قاهرية) في السنة الرابعة من عصر «داي دو» حين اعتلى الإمبراطور سجا (بجيم قاهرية) العرش عين في ذلك الوقت وليًّا للعهد، لكن في السنة الأولى من عهد «كوجين» قام فوجيوارانا كاناري بخلعه، بعد ذلك ذهب إلى تلميذ الراهب كوهوتايشي فغير اسمه إلى «شين نيو»، وعاش في طوجي[1]، وفي سبتمبر السنة الرابعة من عهد «تيه» كان وصل إلى «طو» في الصين، وزار عدة أماكن، وبعد ثلاث سنوات انفصل عن التلاميذ الآخرين وذهب بمفرده إلى أون نان، بعد ذلك اتجه إلى الهند، وفي الطريق قتل في إحدى مقاطعات الصين، وهناك معابد تخلد ذكراه وهي: كوياسن هم ميه إين، وكوياسين شين نوين وياماتو أوتشي كاوا سوسن، وياماشيرو إيسيه هوجي وغيرها.

جرنال هاتسوسيه العدد رقم ٧٦ يناير (١٩٣٤م)٩ شوا

والعدد رقم ٧٧ فبراير

[المقال السابق خطبة ألقاها السيد تناكا في قاعة المؤتمرات في هاسيه جي في العاشر من ديسمبر (١٩٣٣م) سنة ٨ شوا].

---

(١) أي المعبد الشمالي-المترجمان.

رحلات في قلب آسيا

بادئ ذي بدء

مارس١٩٣٣م٨ شوا

مارس ١٩٣٤م ٩ شوا

مجلة داي نيتشي

١

كلمة قبل البداية

منذ عشر سنوات كنت أرسل مقالات إلى مجلة « اليابان واليابانيون »، كان هذا هو اسم المجلة الذي تحول فيما بعد إلى « داي نيتشي » حين كتبت ونشرت بنفسي رحلة « مسافر كسحابة بيضاء تطفو في السماء » كتبت ما يلي:

« ذات مرة حين كنت أعيش في جبل « هيوجا » بجيم قاهرية (في الصين) وحين كنت أزور آثار أسرة : تين سين »(١) استطعت أن أعرف الطريق إلى الله، واستطعت أن أعرف عظمة بلادي (وطني) وحين تسلقت جبل « تاي سين » اثنتا عشرة مرة عرفت مبادئ هذا الكون .. وحين كنت أزور مزارع « ساي رو » وحقولها، كنت أفكر في « كونفوشيوس »، وهذه المرة زرت الجزيرة العربية، وزرت المسجد الحرام، بعد ذلك ذهبت إلى الهند، وكنت أشاهد الناس الذين يتأملون في الكون وفي أنفسهم، وهم يجلسون تحت الأشجار أو فوق الصخور والأحجار، كانت لدي رغبة لأن أقف على مرتفعات باميل، وأنظر من هناك إلى السحاب الأبيض الطافي فوق صفحة السماء، لكنني لم أستطع أن أحقق رغبتي آنذاك، فقد منعت من ذلك.. ولمدة سنتين سافرت بحراً بالسفينة، وسافرت براً بالقطار، حوالي ٣٠ ألف ري، لم أندم على أي شيء مما حدث في هذه الأسفار.... إذا حفظني الله ورعاني، فأتمنى أن أحقق رغبتي في

(١) جبل يقدسه الصينيون – المترجمان.

أسرع وقت» انتهى.

في أعقاب الزلزال الكبير الذي وقع في طوكيو باليابان، غادرت طوكيو في العاشر من ديسمبر، كنت أدرس تعاليم الإسلام، وأصبحت مسلمًا، دخلت الإسلام، الذي يحتوي أساسًا، ويضم الحضارة الآسيوية العظيمة، وكنت أزور مناطق عديدة في الصين..

ذات يوم زرت منطقة جنوب المحيط الهادي، وذات يوم سافرت إلى مكة للحج، ثم ذهبت إلى مرتفعات وسط آسيا بالقرب من الهند، لكن شيئاً ما منعني من أن أذهب أبعد من ذلك، وهكذا عدت أدراجي من الهند.

وبعد عشر سنوات كانت رغبتي - التي ذكرتها في رحلتي «مسافر كسحابة بيضاء تطفو في السماء» - لا تزال كامنة بداخلي، وواتتني الفرصة مرة أخرى للسفر عبر آسيا، لأكتب رحلتي إلى آسيا.. إنني أقدر كثيراً من منحني هذه الفرصة.!

١٤ ديسمبر سنة ٨ شوا:

غادرت كوبيه بالسفينة «هاكو زاكي مرو».. لا أدري كيف كان تأثير رحلتي السابقة على الناس ؟! لكن بالنسبة لي كانت تدريبًا ذهنيًا أو تنشيطًا فكريًا، وبعد عشر سنوات أشعر بأنني محاط بجو يحتاج إلى نقاء، يجب أن أركز على إقامة الصلاة، فجميع الصراعات الداخلية في البلاد، وجميع المشاكل الدولية، يمكن أن تُحل عن طريق تطهير عقول الناس !

لم أكن أدري ماذا أتوقع بنفسي من هذه الرحلة، فقط كنت أرغب في أن أمضي كما لو كنت سحابة بيضاء تطفو في السماء.. أتحرك في المكان الذي يمكنني أن أعيش فيه في سلام وأمن، ولهذا أريد أن أحتفظ بذكرياتي هذه عن

طريق تسجيلها وكتابتها، ولهذا وضعت لها عنوان «الرحلة الآسيوية» وليس لدي إطلاقا خطة محددة.. ولا أدري إلى أي مكان أذهب !!

الثاني من ديسمبر.

٢

الحديقة المكسوة بالصقيع

الرجل الذي قدم من جزيرة العرب منذ ٢٥ سنة يدعى الشيخ «إبراهيم»، يبلغ الآن من العمر الخامسة والثمانين، ويعيش في طوكيو، قال السيد كيوما:

"كان عندي صورة التقطت في ذلك الوقت، تضمني مع السيد كواهارا، والسيد إينوكاي، والسيد ناكانو، والسيد أوهارا، وأيضًا الشيخ إبراهيم، لكن من تبقى على قيد الحياة من هؤلاء هم أنا وإبراهيم فقط.. وإبراهيم يفكر كما لو كان لا يهتم بطول العمر حين يكون الإنسان أقل من مئة سنة..

قال الشيخ إبراهيم:

«تسألني لماذا جئت إلى طوكيو ثانية؟ وكم سأعيش هنا؟.. هذا كله مرهون بمشيئة الله.. لكن.. اسمع! إذا ذهبت إلى المدينة المنورة، وزرت المسجد النبوي، وقرأت الفاتحة عند قبر محمد النبي، فأخبره بأن إبراهيم يعيش في طوكيو، وأنه يتمتع بصحة طيبة. .وقل لزوج ابنتي في إستانبول، وقل أيضًا لابني في أنجورا (بجيم قاهرية) أنني بخير».

تصافحنا.. كانت يده يد رجل شيخ طاعن في السن، لكنها كانت ضخمة كلها دفء وحنان! هناك مدرسة إسلامية في تومي جايا (بجيم قاهرية)(١)، كان يتعلم فيها عدد من الأولاد والبنات، وجوههم جميلة، ينتمون إلى جنس التتار،

(١) تقع بالقرب من شيبويا في طوكيو – المترجمان.

هناك أقاموا لي حفلة وداع، أنشد الأطفال أناشيد بلغتهم القومية، وأنشدوا أناشيد يابانيـة، وفي المدرسة شاهدت صورة لجنكيزخـان، كـانت معلقة على الحـائط.. وأخذت أتساءل مرة أخرى لماذا ذهبت مسافراً منذ عشر سنوات إلى بلدان آسيا؟! ولماذا أرحل الآن مسافراً مرة أخرى إلى بلدان آسيا ؟! كل شيء حدث بشيء طبيعي، فأنا أمضي طبقاً لمشيئة الله... وهكذا فبعد أن مكثت في القرية مدة سنتين أدرب قدمي اللتين أصابهما الضعف، أجد نفسي أستعد للسفر !!

إن علامات السنوات الخمسين على وجه إنسان تعني منجزات عظيمة في حياته.. زرت «مزار» قرية «كو جانيه إيه» (بجيم قاهرية)، التقيت عمدة القرية الذي أخبرني بما يحمله الناس لي من مشاعر وأحاسيس، وطلب مني أن أتذكر مسقط رأسي .. سوف يقوم تلميذاي السيد / ياما أوتشي والسيد / ياماموتو بمساعدتي في هذه الرحلة، وأشكرهما على ذلك..

كان ما يشغلني عند مغادرتي، هو قلقي على الخضروات التي كنت أقوم بزراعتها في حديقتي مثل: السبانخ والكرنب الصيني والفاصوليا الخضراء والطماطم والجرجير[١] وغيرها، فمن سيتولى رعايتها بعد رحيلي؟!

حين وقفت وسط هذه الحديقة المملوءة بالخضروات كنت أستطيع مشاهدة جبل فوجي من بعيد، كانت قمة الجبل مغطاة بالجليد.. آه هذه ملامح اليابان تبدو من بعيد ! وهذه روح اليابان !

أقمت حفلاً صغيراً في حديقتي الصغيرة، ودعوت مئة من أهل القرية، الكبار والصغار.. فهؤلاء الناس سينشغلون بعد مدة قصيرة بجمع الأعشاب البحرية[٢]،

---

(١) ذكر الكاتب هنا كلمة «كراشينا» وهو نبات يشبه الجرجير-المترجمان.

(٢) في الأصل النوري وهو عشب بحري يجفف ثم يقطع ويستخدم مع الأرز في الطعام الياباني-المترجمان.

كان اللقاء ممتعًا، وكان كل من حضر هذا الحفل فرحًا مسروراً، وتذكرت هذا البيت من الشعر :

إنني أفتقد الأزهار البرية
ذات اللون الأصفر
المغطاة بالصقيع
وأنا أفكر في رحلتي الآسيوية
أترك هذا الشعر..
بينما أرحل الآن من هذه القرية.
نوفمبر ٨ شوا

٣

ملامح الخمسين عامًا

أنا في الخمسين من عمري، أشعر بأنني لم أبذل جهداً كبيراً في حياتي، أود الآن أن أنسى ما مضى من حياتي، أو أن أدخل حقبة جديدة من عمري.. قبل سفري أردت أن أرتب كل شيء بطريقة جيدة، فأعدت كل ما استعرته من الآخرين إليهم، كما قمت أيضاً بمراجعة ما كتبت من أوراق، ومزقت ما لا أحتاج إليه، وحفظت ما أنا بحاجة إليه.. كما قمت بالاهتمام بالحديقة قبل رحيلي، وقمت بتسميدها بشكل كامل، فوضعت فيها السماد الذي يكفي لوقت معقول،وأعددت متاع السفر.. كان ذلك في شهر نوفمبر من السنة الثامنة من تقويم شوا.

في الخامس من نوفمبر حضرت حفل وداع أقامته لي مؤسسة « داي نيتشا » كان هناك أناس يجلسون على سبع أو ثماني طاولات، التقيت بالناس الذين يهتمون

بوطنهم ويفكرون فيه، كان يجلس معي على الطاولة نفسها السيد / تـوياما، والسيد / كانيكو، والسيد / وتانابيه، والسيد / آؤئيه والسيد / كروساوا، ورفيقاي: السيد / ياما أوتشي والسيد / ياماموتو، وعلى الطاولة المجاورة كان هناك أناس من شركة داي توشا، وشركة جون كوك كاي، وشركة دايا كين سيه تسو للإنشاءات، وعلى طاولة أخرى كان هناك شخص يقرض الشعر، وآخر يغني بعض الأغاني اليابانية، وكان هنا بعض الباحثين والدارسين.

السابع من ديسمبر، هذا هو أكثر الأيام حظًا طبقًا للتقويم الياباني .. في الصباح الباكر زرت مزار ميجي قبل أن أغادر طوكيو.. كنت أدعو الله من أجل أن يحفظني في سفري هذا.. بعد ذلك التقيت بوزير أفغانستان، ووزير إيران، وبعد ذلك زرت الوزير هيروتا، وهو قنصل اليابان في بريطانيا، كما دُعيت إلى حفل صغير أقامته شركة السفر وبعدها التقيت بالشيخ إبراهيم، وبقربان علي.

تمكنت قبل السفر من اللقاء بأهل آسيا، كان بداخلي شعور لا يمكنني وصفه أو التعبير عنه .. وبعد ذلك التقيت بأساتذة «داي تو بون كا جاكو إين» (بجيم قاهرية) وبعدها توجهت إلى ميناء طوكيو !!

حين سافرت من هذا المكان قبل عشر سنوات، لم يأت أحد لوداعي !! واليوم أيضًا ليس هناك من أحد يودعني !! المشاعر السابقة نفسها..

الآن أغادر طوكيو.. أقف تجاه قصر الإمبراطور.. تنهمر الدموع من مقلتي.. سنوات حياتي الخمسين مرت.. لست راضيًا عنها.. كان أخي قد جاء من قبل إلى شيناجاوا (بجيم قاهرية)، وكان الوداع مؤثرًا جدًا، وقد جاء أيضًا لوداعي صديقي المسلم سكاي..

ظل صوت الناس الذين جاءوا لوداعي يتردد في الليل الحزين في محطة القطار.. آه للخمسين عامًا التي مرت من عمري !!

٤

إلى المدينة المقدسة

رحلتي هذه المرة من المدينة المقدسة إلى المدينة المقدسة، دخلت إلى المدينة اليابانية المقدسة في الثامن من الشهر، استقبلني مسئولو إدارة مزار " إيسيه "، استقبلني مع زوجتي السيد / تویاما وتلميذه السيد / كوندو، وكنا قد قدمنا بالسيارة التي أرسلتها إلينا إدارة المزار، فأقمنا يوماً كاملاً في المزار.. بعد زواج ٢٥ سنة ها هي زوجة التلميذ الطافي على سطح الكرة الأرضية تسافر لأول مرة مع زوجها بالقطار، وأيضًا تجد لأول مرة الفرصة، لزيارة مزار إيسيه.

في يوم التاسع استيقظت مبكرًا، فتوضأت وانتظرت وصول السيد / توياما.. اصطحبني السيد / توياما، والسيد / يانو، والسيد / كوندو من خارج المزار إلى داخله، كانت الأمطار تتساقط.. لم أشاهد أحداً يزور المزار، واستطعت أن أكمل مراسم الزيارة الرسمية.

شاهدت الرقص الذي قامت به فتيات المزار، وبعد ذلك قرأ الكاهن الأعلى أدعية الشنتو، وشاهدت القبر الخشبي المكتوب عليه اسم الإمبراطور « جنمو Jinmu» ثم أعطيت كأسًا صغيراً به شراب الله[١]، بعد ذلك قاموا بالدعاء والصلاة من أجل سلامتي في رحلتي هذه.

أنا أعتمد كلية على الله!

إنني أغادر المكان المقدس لشرق آسيا إلى المكان المقدس لغرب آسيا.. في صباح ممطر هادئ.. مطر يطهر كل شيء في هذا العالم.. وبعد أن تمنيت أن تكون رحلتي سالمة آمنة، غادرت هذا المكان المقدس.

---

(١) هكذا في الأصل- المترجمان.

٥

معبد هاسيه جي (البوذي)

بعد أن تركت السيد توياما ذهبت لزيارة معبد (يا ما تو كوكوهاسيه جي) وهناك وجدت الراهب كوباياشي، كان يتضرع إلى الله بالصلاة، بينما كان قرع الناقوس الخشبي يحدث صلصلة يتردد صداها في المنطقة الجبلية، متداخلة مع صوت الترانيم والتراتيل.

في ليلة التاسع كنت أتحدث مع هذا الراهب، وفي اليوم التالي كنت في صالة المعبد الرئيسة الخاصة بالصلاة.. كنت أجلس أمام تمثال بوذا «الأنثوي» الذي يبلغ ارتفاعه ٢ جو و٧ شاكو[١] ، وغرقت في التأمل والتفكير، وقد أقام لنا المسئولون في هذا المعبد البوذي في الساعة العشرة صباحًا صلاة وداع، فشكرتهم كثيراً.

وفي الساعة الثانية ظهراً طلبوا مني إلقاء كلمة، فشعرت بالخجل قليلاً لأنهم كانوا جميعاً من المتدربين الذين هم على وشك التخرج، والعمل كرهبان محترفين، لهذا لم يكن لساني يطاوعني، ولم يكن يقوى على التعبير بسهولة عن أفكاري.

التقيت هنا بالسيد/ ياماموتو من أوساكا، كان يصطحب معه أمه.

في مساء يوم العاشر ودعني رهبان هذا المعبد الذي يقع فوق الجبل، وذهبت لأقيم في فندق صغير اسمه «إيه زين سو»، هذا المكان هو مسقط رأس السيد ياماموتو، وهنا غطست في الينابيع الحارة، وأنشدت هذه الأشعار :

« أنصت إلى خرير الماء

ينساب من بين شقوق الصخور

رأسي فوق الوسادة

(١) جو مقياس يساوي ١٠ شاكو أي حوالي ثلاثة أمتار، والشاكو حوالي ٣٠ سم ـ المترجمان.

أفكر في رحلتي

فمن الغد تبدأ رحلتي».

انتهت رحلتي القصيرة التي استمرت أربعة أيام، والآن يتوجب علي أن أركب السفينة " ميازاكي مرو " ويتوجب عليّ أن أضع القلم من يدي لتكون هذه آخر كلمات أسطرها الآن.

الساعة الثالثة عصر يوم ١٤ ديسمبر

٦

الرحلة بالسفينة إلى شنغهاي

كان الطقس رائعًا يوم الرابع عشر من ديسمبر، وكان الجو بديعًا، سأركب السفينة «ميازاكي مرو»، وهي سفينة ضخمة، ستتحرك في الساعة الثالثة عصراً، جاء لوداعي ما بين خمسين أو ستين شخصًا، لم يستطع الراهب «توجيه» (بجيم قاهرية) من معبد «ها سيه» أن يأتي لوداعي بسبب مرضه، لهذا طلب من مساعده أن يعبر لي عن مشاعره وأمنياته لي بالعودة سالماً من رحلتي هذه.

بعد أن تحركت السفينة لاحظت أن رفيقي كانا متعبين ومنهكين، أما أنا فقد غمرتني السعادة، وأنا أتوقع أن تحدث لي أشياء جديدة.

في الساعة التاسعة من صباح يوم الخامس عشر، وصلنا إلى مرفأ «مو جي» (في جزيرة كيوشو)، بعد أن نزلت من السفينة، أخذت القطار وذهبت إلى مدينة «ها كا تيه»، حيث زرت مزار «ميازاكي كيو»، وبعد ذلك ذهبت إلى مقهى صغير، وتمتعت بتناول مختلف أنواع الحلوى مع الشاي الياباني، وفي طريق عودتي عرجت على مزار آخر اسمه «كاسنيو كيو»، وهناك بقيت لحظات أتأمل وأفكر وأدعو الله أن يحفظني في هذه الرحلة.

في مرفأ موجي أكلنا السوكياكي، بعدها تمتعنا بتناول طبق أرز مفلفل كآخر ما نتذوق هنا على أرض اليابان، ثم عدنا مرة أخرى إلى السفينة.

بعد أن غادرت السفينة المرفأ تعرضنا لعاصفة هوجاء، فكان علينا أن نظل داخل كبائن السفينة، وفي الثامن عشر وصلت السفينة إلى مدخل «نهر»(تشوكو) كان الجو جميلاً هذا الصباح، أخبروني بأنه لا يمكن أن آخذ حمامًا في الصباح، لهذا لم أتمكن من صلاة الفجر في وقتها بسبب عدم وجود الماء !!

اليوم هو الثامن عشر من ديسمبر، وهو يطابق بالتقويم الهجري الإسلامي غرة شهر رمضان المبارك، ورغم أنه لا حرج على المسافر أو المريض، لكنني قررت أن أصوم، أن أبتعد عن مصدر الطعام، وقررت أن أصلي الصلوات في أوقاتها، وأن أواظب على الصلاة في حينها..

دخلت السفينة في نهر «تشوكو».. كان الطقس رائعًا، وكان النهر يفيض بالماء.

١٨ ديسمبر في الطريق إلى شنغهاي.

٧

شنغهاي وهونغ كونغ

وصلت السفينة إلى ميناء شنغهاي، نزل جميع المسافرين هنا لمشاهدة المدينة والتجول بها، ذهبت لمقابلة السيد/ سوجي مورا (بجيم قاهرية) ، وهو رئيس الجالية اليابانية في المدينة، حملت معي علبة من الحلوى اليابانية، وقدمتها له هدية، فسر سروراً عظيمًا، يوجد هنا أيضا السيد/ يامادا وهو رئيس شركة نشر تسمى «شنغهاي ميجزين ببليشنج كمبني»، وهذه المجلة أسسها صديقاي المتوفيان : نيتشي موتو، وشيراكاوا.. وقد مر عشرون عامًا على تأسيسها.

في ليل يوم التاسع عشر شاهدت سفينة حربية يابانية تمضي في نهر تشوكو،

كان النهر هادئًا، والليل ساكناً، سمعت أموراً عجيبة حدثت في هذه المنطقة، تتعلق بالسفينة الحربية هذه! لكني الآن لا أهتم بهذه الأمور لأنني أمضي أركز في رحلتي.

دخلت السفينة في نهر آخر صغير بالقرب من مقاطعة هوكّيين، كان المسافرون معي على ظهر هذه السفينة أنماطًا متعددة وأجناسًا متنوعة، كنت أقرأ في كل صباح كلمات الإمبراطور ميجي.

بعد يومين وصلت السفينة إلى هونغ كونغ.

٨

من هونغ كونغ إلى سنغافورة

نهار هذا اليوم هو أقصر نهار في أيام السنة، لذا يوجد بعض المسافرين يريدون الاحتفال بهذه المناسبة، وهكذا بدأوا يطلقون المرفقعات، نزلت في فندق طوكيو، وأجّرت سيارة، وتجولت مع رفيقي في مدينة هونغ كونغ، وبعد جولة سريعة في شوارع المدينة، تمتعنا ثانية بتناول السوكياكي، وتجنبنا كلية تناول الطعام الغربي، بعد ذلك شاهدت إعلانًا عن محل «تدليك ومساج» فذهبت هناك، وقامت بتدليك جسمي امرأة شابة، بدأت العمل مؤخراً، فكانت جديدة في هذا «الكار»(١) ، وهي تعمل في هذا المحل مع زوجها، فقد اضطر الاثنان إلى العمل معًا في هذه الحرفة حتى يتمكنا من دفع الإيجار والضرائب . .

لماذا احترفت المرأة هذه الحرفة؟ لأنهما في أمس الحاجة إلى المال، وعلى كل حال كانت طريقتها في التدليك أو التكنيك التي تتبعه غير جيدة، قامت بتدليك جسمي مدة ساعة وأخذت (٢) جين فضية (بجيم قاهرية)، ذكرت لي أن زبائنها

(١) أي فن التدليك ــ المترجمان.

في الأغلب من الأجانب..

بعد ذلك بحثنا عن مطعم ياباني، وهناك أكلنا المعكرونة اليابانية[1] كانت نادلة المطعم امرأة مسترجلة، وكانت تخدم زبائنها كأنها تقدم لهم الأوامر، فبدت طريقتها كأنها تأمرهم بأن ينتهوا من الطعام بسرعة، وأن يغادروا المطعم أيضًا بسرعة.

كانت ليلة الرابع والعشرين من ديسمبر ليلة «الكريسماس»، ولهذا قاموا بتعليق الأنوار الحمراء والخضراء على مدخل مطعم الفندق، شاهدت بعض اليابانيين يرتدون الملابس الغربية الرسمية السوداء Takusedu، لم أكن سعيداً برؤية هذا المنظر، لأنهم كانوا كمن يقلد الأجانب، وكانوا كما لو كانوا يُراءون الأجانب بهذا التقليد، أو كانوا كغراب يقلد حمامة.

في الخامس والعشرين من ديسمبر كان الاحتفال (بميلاد) الإمبراطور تايشو، كنت أقرأ كلمات الإمبراطور، وأنا أجلس وحيدا في غرفتي .. وسواء كنت سعيداً أم حزينًا، كان عليّ أن أظل وحيداً أفكر فيما كنت أفكر فيه.

وأشير هنا إلى أنه في ليلة يوم الخامس والعشرين من ديسمبر كان علينا أن نتناول الطعام الغربي مرة أخرى، وذلك بسبب «الكريسماس»، قال أحد المسافرين – وهو برتبة ملازم أول في الجيش:

«نظرا لأن الركاب اليابانيين في السفينة اليابانية لا يمكنهم الحصول على الطعام الياباني، وجب تخفيض سعر التذكرة لأقل من النصف، كان هناك يابانيون في الدرجة الأولى، وفي ظل الظروف التي نحن فيها أشعر بأن هذا ليس مناسبًا وأنه مضيعة للمال».

(١) وردت في الأصل كلمة أودون وهو طعام شبيه بالمعكرونة – المترجمان.

هكذا قال وهو يشكو لي الحال، وقد وافقته الرأي تمامًا.

منذ عشر سنوات كنت مسافرًا على سطح السفينة (الديك deck)، وقد سافرت على ظهر سفينة أجنبية، أتذكر هذا، وأنا أدرك تمامًا أن على شركة الملاحة اليابانية أن تفكر في كيفية التعامل مع المسافرين اليابانيين على ظهر سفنها، وأن يكون هذا التعامل نابعًا من الروح اليابانية.

وصلنا إلى سنغافوره في الساعة العاشرة صباحًا.

٩

بنان وكولومبو

في يوم الثامن والعشرين من ديسمبر، بعد مغادرة سنغافوره دخلنا إلى مرفأ بنان، وهناك نزلنا من السفينة وركبنا السيارة، زرنا المعبد الذي يقدسون فيه الثعابين، شاهدنا كثيرًا من الثعابين بألوان مختلفة: صفراء وخضراء.. ألوان جميلة زاهية، وبدت الثعابين كأنها لا تخاف الناس.. هكذا بدت للناظرين.. كان هناك قفص فيه ثعبان ضخم جدًا..

بعد أن تجولنا في المدينة ذهبنا إلى حديقة النباتات، وزرنا أحد المعابد، الذي بناه الصينيون، كان هناك تناغم واضح بين عمارة المعبد والطبيعة المحيطة به، أخذنا قاربًا صغيرًا وصلنا به إلى سفينتنا.. كان ضوء القمر يسطع من فوق رءوسنا مما جعل المنظر من حولنا مؤثرًا.

كان اليوم يوم الاحتفال بذكرى إعلان ولي العهد في اليابان، أقمنا بهذه المناسبة احتفالاً صغيرًا، انضم إليه أيضًا قبطان السفينة.

في ٣٠ ديسمبر تحركت السفينة، وانطلقت تجاه المحيط وفي اليوم التالي، وهو آخر يوم في السنة، كنا نمضي في المحيط الهادي.

في مطعم السفينة قدموا لنا المعكرونة اليابانية «الصوبا» بمناسبة هذا اليوم .. لكني في هذا اليوم لم أتمكن من سماع قرع الناقوس في المعابد، وهو ما اعتدت سماعه في نهاية كل عام!

نحن الآن في العام الجديد، بداية العام التاسع من تقويم شوا، استيقظت في الصباح الباكر، وشاهدت شروق شمس اليوم الأول من العام التاسع من عهد شوا.. وعلى كل حال استطعت أن آكل كعك الأرز على ظهر سفينة يابانية، وأنا أحتسي المشروب الياباني، وقد تجمع المسافرون جميعًا على سطح السفينة، ينشدون النشيد القومي الياباني، ويصيحون : عاش الإمبراطور، عاش الإمبراطور..

كان هذا المشهد مشهداً عجيباً بالنسبة للمسافرين الأجانب ، تمامًا مثلما كان سلوكهم بالنسبة لنا عجيبًا جدًّا ليلة «الكريسماس».

وصلنا إلى ميناء كولومبو في اليوم الثاني من السنة الجديدة، وكان وصولنا في تمام الساعة الرابعة عصراً، نزلت في فندق بناء على ترتيب من الشركة اليابانية.

في اليوم الثالث قام السيد «شيراي» باصطحابنا إلى منطقة جبلية، وكانت المسافة التي قطعناها، تساوي المسافة من طوكيو إلى هاكونيه ، زرنا معبداً بوذيًّا، كان مكتظًّا بالناس الذين جاءوا لمشاهدة أول صلاة في المعبد هذا العام، وقفنا على قمة الجبل نشاهد منظر الطبيعة الخلاب، بينما كنت أفكر في الموقف بين الصين واليابان، فيما يتعلق بشبه القارة الهندية.

غالبية الناس في كولومبو من المسلمين، وهناك نصارى، ويوجد أيضًا عبدة السماء .. في الطريق شاهدت القرى وسط الجبال، وشاهدت جداول الماء تنساب هنا وهناك، كما لفت نظري منظر الفيلة وهي تستحم.. كان منظراً ممتعًا للغاية، وأخذت أتطلع إلى صف الأشجار العتيقة وإلى غابة النخيل المترامية، وحقول الأرز الخضراء الشاسعة، والثيران تجر العربات، وحدائق النباتات الموسمية، بالإضافة إلى

حيوانات غريبة لم أعهدها من قبل .. كنت أشاهد هذه المناظر كما لو كان ذهني خاليًا من التفكير في أي شيء.

في اليوم الرابع زرت القنصل «كوروكي» وقمت بإجراء بعض المعاملات في البنك الهندي، وفي الليل تلقيت دعوة من القنصل وحرمه لتناول العشاء، وقد ذكر لي السيد/ كروكي أنه سافر إلى الشرق الأوسط، فأخذت أستمع إلى تجربته باهتمام وشغف، كانت تجربته رائعة ومشوقة.

سألت عن أحد الرهبان اسمه «فوجيئي» من جماعة نيتشرين[١] ، لكنني عرفت أنه غير موجود هذه الأيام، فقد سافر إلى بومباي.

وفي اليوم الخامس انتهيت من الاستعداد للمغادرة، وفي الساعة الثامنة مساءً انطلقت أنا ورفيقاي وأحد السنهاليين إلى بومباي.

١٠

الساعة الثامنة مساء يوم الخامس من شهر يناير غادرنا كولومبو، تضم جماعتنا الآن أربعة أفراد، كانت الأمطار تهطل بغزارة، وفي ظرف ساعتين وصلنا بمحاذاة الحدود في شبه القارة الهندية، طلب موظفو الجمارك الرشوة كما لو كانت حقًّا من حقوقهم، شعرت بأنهم أسوأ من موظفي الجمارك الصينيين.

ركبنا القطار إلى مدراس، كان القطار يتجه نحو الشمال، وفي الساعة السادسة صباحًا وصلنا إلى مدراس، كنا في يوم الأحد، وهو يوم عطلة، لذا كان رئيس محطة القطار وجماعة الموظفين يطلبون منا رشاوى، مما جعلني أشعر بالضيق الشديد من هذا السلوك، فقدت شهيتي لمشاهدة مدراس، فقررت في الحال الاتجاه إلى بومباي ..

(١) للتعرف على هذه الجماعة البوذية انظر الصفحات المتعلقة بالإسلام والأديان في اليابان– المترجمان.

عبرنا وسط شبه القارة الهندية، منطقة الدكن، لذا كان المنظر بديعًا خارج القطار، فمن نافذة القطار كنت أشاهد حقول الأرز، التي تم حصاد بعضها، ومن ناحية أخرى كنت ألاحظ أن حقول الأرز التي لم يتم حصادها كانت خضراء جدًّا.. هذا فصل الشتاء لكن هناك غابات وأشجار خضراء يانعة، وقد شاهدت أناسًا يرتدون ملابس ملونة ما بين الأحمر، والأصفر، والأزرق والأبيض وهكذا.

عبرنا منطقة حيدر آباد وهي مقاطعة خاصة بالمسلمين، كان منظر هذه المقاطعة بجبالها وأنهارها وحقولها منظرًا مهيبًا ورائعًا للغاية، حين طالعت الصحف وجدت مقالاً عن غاندي، وعن نشاطاته هذه الأيام، طالعت مقالاً مهمًّا يتناول موضوع الاتحاد بين المسلمين والهندوس في مواجهة بريطانيا، وأنا أوافق كاتب المقال رأيه في كل ما كتب.

وصلنا بومباي في الساعة العاشرة صباحًا، لا يوجد فندق ياباني هنا، ولهذا نزلنا في فندق تاج محل، كانت هناك نشاطات صغيرة يقوم بها أطفال الحضانة في المدرسة اليابانية التابعة للجمعية اليابانية، شاهدت حوالي ثلاثين طفلاً يرقصون ويلعبون.. كنت أشاهدهم وأنا أحتسي شوربة «المسو» اليابانية، وأتطلع في الوقت نفسه إلى العلم الياباني يرفرف على واجهة الفندق مع أعلام بعض الدول الأخرى.. وفي الوقت نفسه كنت أفكر في المؤتمر الهندي الذي عقد في شملا، وشاهدت جماعة من الصينيين من منطقة "سانتون" شعرت بأنهم أناس جاءوا من موطني الثاني.. إنني أعشق الصين!

أجهز نفسي بعد الهند للدخول في المنطقة الشمالية لأفغانستان، لذا سأركب القطار الذي يحملني بالقرب من ممر خيبر (خيبر رود).

صباح يوم العاشر من يناير في فندق تاج محل، بومباي.

١١

العاشر من يناير، في تمام الساعة الرابعة والنصف تحرك القطار من بومباي، سوف أنطلق إلى كابول في أفغانستان مروراً بدهلي.

في الساعة التاسعة مساء يوم الحادي عشر من يناير وصل القطار إلى محطة دهلي، التقيت بياباني كان يحضر مؤتمرًا عن العلاقات بين اليابان والهند، لقد نقلت الهند عاصمتها من كلكتا إلى دهلي، ومر على ذلك عشر سنوات، لكنهم لا يزالون رغم مرور السنوات العشر ينشئون في المدينة العاصمة ويؤسسونها.

مضينا عبر حقول البنجاب، ومررنا بمدينة شملا، شاهدت الآثار التاريخية لهذه المدينة، كما شاهدت أموراً كثيرة توضح بأن هذا المكان مركز بريطانيا الاستعمارية (الكولونية البريطانية British Colonoulism).

مررت عبر الجزء العلوي لنهر الإندوس، وشاهدت جبال الهيمالايا التي تعلوها الثلوج، وأتجه الآن إلى مرتفعات مدرجة بلون أصفر وبدرجات متفاوتة، أشعر بروعة جمال الطبيعة، أتمنى أن ينهض من هنا رجل شجاع، ويفعل شيئًا من أجل وطنه!

في الساعة التاسعة مساء وصلنا إلى مدينة بيشاور الشمالية، حيث نزلت في أحد الفنادق كان الجو بحق جوًّا شتويًّا.. قبل يومين شعرت بالصيف، لكنني الآن أشعر هنا بفصل الربيع !! كم هي صغيرة هذه الكرة الأرضية !!

يبلغ عدد سكان مدينة بيشاور نحو ٣٦٠ ألف نسمة، وهي مدينة تعج بالنشاط، كما أنها مملوءة بأجناس وأعراق مختلفة، وأسواق مملوءة بالناس في كل وقت، والأعمال التجارية مزدهرة في المدينة.

بين القسم القديم من المدينة والقسم الجديد، يوجد سور فاصل رُفع عليه العلم

البريطاني، خلال إقامتي في بيشاور، زرت المتحف الذي يركز على الحقبة البوذية، بعدها وقفت على سور القلعة أتطلع إلى بعض مرتفعات الهيملايا، وإلى جبال الهندوكوش التي أهدت مسجداً كبيراً في قلب المدينة.. آه كم هي عظيمة قوة الطبيعة مع قوة الإنسان! يا لروعة هذا المسجد!

أجرت سيارة في يوم ١٤ يناير، وركبنا ثلاثتنا مع السائق المسلم، ومضت بنا السيارة تنهب الأرض بشجاعة! إلى خارج المدينة.

وصلنا إلى جيمرادا Jimrada(١) على الحدود، قام موظف الجمرك بفحص جوازات سفرنا والتأشيرة فحصاً دقيقاً.. منذ عدة سنوات كنت على وشك أن أعبر من هنا! لكني مُنعت من العبور!!

من نقطة التفتيش عند ممر خيبر وصلنا إلى «مسجد علي»، توقفنا على الطريق، بينما كنا متجهين إلى حدود أفغانستان.. شاهدت قافلة من الجمال، صعدنا الجبال ونزلنا إلى الوادي، وعبرنا منطقة شلالات، وبعد مسافة نحو عشرة ري وصلنا إلى رانجيكوت Ranjikot حيث كان العلم البريطاني يرفرف هناك، وبعدمسافة نحو عشرين ري، رأينا مشهدالجبال الصخرية التي تخلو من أي أشجار أو نباتات خضراء، ووصلنا منطقة الحدود..

لقد عبرت الهند بسلام، أخيراً أخطو أول خطوة على تراب البلد الذي طالما حلمت بزيارته.. لا تزال السيارة تمضي بنا، كانت الأرض ابتداءً من هذه المنطقة قاحلة، عبرنا وادي كابول ووصلنا «داتوسكا» Datuska؟(٢).

---

(١) هكذا في الأصل، ويطلق الآن على منطقة العبور من باكستان إلى افغانستان اسم تورخام – المترجمان.

(٢) هكذا في الأصل، وقد كتبت بحروف الكانا اليابانية – المترجمان.

من الآن بدأ الطريق يمضي موازيًا ومحاذيًا للنهر، وبعد حوالي ٤٢ ري وصلنا إلى جلال آباد، ثم مضينا على طريق على جانبيه أشجار عتيقة، وأخذت السيارة تمضي بنا وتمضي حتى وصلنا إلى مكان يوجد فيه قصر الملك.. قطعنا الآن مسافة نحو ٩١ ري من بيشاور، ولا نزال نمضي عبر غابة مملوءة بالأشجار الخضراء، ونعبر مروجًا خضراء جميلة، ونعبر حقول الأرز، ونسمع صوت خرير الماء، ينساب من فوق الهضاب حتى وصلنا إلى منطقة وادي «نيمورا ؟!» حيث شاهدت حديقة كبيرة جدًّا فيها «فيلا أو قصر» وهي فيلا أقيمت من أجل إقامة ضيوف الحكومة الرسميين .. سوف ننزل في هذه الفيلا.. كنت سعيداً جداًّ لأنني دخلت هذا البلد الذي طالما حلمت به، كما لو كنت دخلت الجنة التي جاء ذكرها في القرآن!!

نحن الآن نقيم في منطقة مرتفعة تحيطها الجبال المغطاة بالجليد، وجداول الماء تمضي مرة بالطول ومرة بالعرض، وهناك أصوات غير عادية، لطيور غير عادية، وأزهار غير عادية تفوح بروائح زكية ، كما لو كنا فعلاً في الجنة!

نسيت كل أنواع المتاعب التي مرت بي حتى الآن، وتلاشى كل ما يمت للإرهاق بصلة.. راحة ما بعدها راحة ونعيم ما بعده نعيم!

بعد المغرب جلسنا بالقرب من ركوة نار مشتعلة، قدمت لنا بعض المشروبات لنطفئ ظمأ العطش، ولأننا كنا في شهر رمضان فلم نكن قد تناولنا أي طعام أو شربنا ماءً أو عصيراً أو غير ذلك حتى الآن.

كان من المتوقع أن تقيم هنا أسرة ألمانية كانت في طريقها إلى جلال آباد، لكن حين علموا بوجودنا هنا عبروا المنطقة بسرعة.

في صباح يوم الخامس عشر ذهبنا إلى ناحية الجبل، وأخذنا الطريق المحاذي له

متجهين إلى كابول، التي تبعد عن هنا مسافة ١٠٠ ري ، كنا نشاهد قمة الهيمالايا ونحن نعبر الوادي، وشاهدنا مدرجات مرتفعات هندوكوش، لم يكن هناك غيرنا ، فكان السائق يشير أحيانًا إلى الآثار القديمة، وقال مرة : patchisakawaruy (بادشاه أمان الله؟!)[١] ، مشيراً إلى الحدث التاريخي للملك أمان الله، وفي الطريق عبرنا طريق كوردا كابول Kurdkabul؟![٢] وقد حدث في يناير سنة ١٨٤٢م أن تعرض حوالي ١٥٠٠ رجل من كابول بما فيهم نحو ٥٠٠٠ من العسكر البريطانيين للهجوم من قبل أكبر خان وقد قتلوا جميعاً.. وهذه مأساة وقعت هنا.

وصلنا بعد ذلك إلى سور هاراهيسال harahisal؟![٣] بعد عبور هذا السور كنا بالقرب من قصر الملك في كابول، كان منظر الناس ومشهد المدينة ومنظر الحيوانات التي نشاهدها هنا غير عادي على الإطلاق، شعرت كما لو كنت في عصر إيدو![٤] .

في مساء يوم ١٥ نزلنا في فندق كابول، حيث نمنا أول ليلة، لقد صار نادر شاه ملكًا حين كان في التاسعة والعشرين من عمره ، وهو لا يزال على قيد الحياة.

نحن الآن في شهر رمضان، والجميع يصومون هذا الشهر، ويعلن عن الصلاة خمس مرات بإطلاق المدفع، كما أن صوت المؤذن يسمع وهو يجلجل في عموم المناطق الجبلية.. بالطبع لا يوجد أي ياباني في هذه المنطقة..

(١) هكذا وردت كما أثبتناها بالحروف اللاتينية ويمكن ان يكون القصد هو الملك أمان الله – المترجمان.

(٢) هكذا في الأصل وربما يقصد رود كابول آي طريق كابول ـ المترجمان.

(٣) هكذا في الأصل – المترجمان.

(٤) بدأ عصر إيدو في اليابان سنة ١٦٠٣م وانتهى سنة ١٨٦٨م وتبعه عصر ميجي الذي يطلق عليه عصر النهضة أو الاستعادة– المترجمان.

في غرفتي كنت أتذكر مسقط رأسي، وماذا حدث لي، مر شهر ونصف الشهر منذ غادرت اليابان . . في هذه المرة يندر أن أكتب رسائل إلى أحد، فقد اكتفيت بتذكر المناظر التي مرت بي والمشاهد التي رأيتها في رحلتي . . أشعر بأنني نصف معتل . . أو ربما كنت منهكًا، لهذا وجب علي طول الوقت أن أركز، وأتأمل لأقوي من عزيمتي، وأشد على نفسي . . أتمنى أن يتعاطف معي كل من يقرأ هذا المذكرات .

١٥ يناير.

١٢

وصلت إلى كابول في الخامس عشر من يناير، كان الثلج يتساقط من السماء، مكثت في فندق كابول ١٦ يومًا، غداً سنرحل متجهين إلى طهران في منطقة فارس، علينا أن نعبر مرتفعات هندوكوش، ونعبر الصحراء، سوف نقطع مسافة ١٥٠٠ ري عبر هذه المناطق الوعرة . . نحن الآن في كابل في فصل الشتاء .

هوجم نادرشاه من قبل جماعة تابعة للملك السابق أمان الله خان، لكنه لحسن الحظ نجا من الهجوم .

اهتم بنا خلال إقامتنا هنا وزير الخارجية فيض محمود، وهو رجل عظيم، حين كان يتحدث إلينا لم نكن نتمالك أنفسنا من البكاء، كان فيض محمود وزيراً للتعليم منذ عشر سنوات، وفعل أشياء كثيرة من أجل تعليم شعب أفغانستان، كان السيد توكيتا قد قدم من اليابان في تلك الأيام، وقد وجد ترحيبًا شديداً منه هنا في كابول، وأعتقد أن نشأة العلاقات اليابانية الأفغانية بدأت منذ ذلك الوقت .إنني أقدر عطفه علينا وتعاطفه معنا، وشعوره الجميل نحونا، وأجد نفسي أتساءل وأفكر لماذا لا تتحمس اليابان لبلدان آسيا، ما هو سبب برودة مشاعر اليابان

تجاه بلدان آسيا، لماذا تركز اليابان على أوربا وأمريكا ؟ لا بد أن هناك خطأ ما!

من خلال استقراء تاريخ البوذية في بلدنا نعرف أن أحد الرهبان البوذيين اليابانيين حين علا قدره وصار راهباً رفيع الدرجة والمقام اعتاد المجيء إلى هذه المنطقة، منطقة أفغانستان، وقد أقام هذا الراهب في « تشو آن » في الصين، وقد سافر إلى طشقند وسمرقند وآموداريا والبلقان Balkuniru وهندوكوش، وأخيراً وصل إلى كابول، ومن كابول سافر إلى بيشاور.. كل هذا في سبيل الحصول على شهادة أو إجازة.. كم كان هذا صعباً؟! فهذه الأيام توجد طرق ممهدة تجعل الرحلة أسهل كثيراً مما كانت عليه في الماضي البعيد.

كان هؤلاء الرهبان البوذيون يزورون « باميان » وكانوا يسافرون عبر ممر خيبر، وقد نالوا نوعاً من القوة التأملية من خلال زيارتهم لمنطقة باميان التي توجد فيها التماثيل البوذية(١).

أما فيما يتعلق بجنكيزخان فقد أخبرني صديقي السيد كوتاني بأن جنكيزخان هو ميناموتو يوشيتسونيه، فقد قام برحلة طويلة، ومضى في الطريق إلى باران أحد الصينيين المعجبين بإنجازات جنكيزخان، رغم أنه كان في السبعين من عمره، ورغم هذا صمم على السفر إلى باران حتى رغم صعوبة السفر والرحلة.

على رجال الدين البوذيين في بلدنا أن يفكروا، فيما فعله هؤلاء الناس في الماضي.. أشير هنا إلى أن مدينة كابول محاطة بالمرتفعات الجبلية التي ترتفع ٦٥٠٠ شاكو عن سطح البحر، وأنا الآن أقف وسط هذه المدينة، في ليلة هادئة جداً، حيث لا يمكنني النوم، لهذا أخذت أشاهد المنظر في الناحية الجنوبية حيث توجد شبه القارة الهندية، وأيضاً في الناحية الشمالية حيث توجد الصين وأفكر في الظروف

(١) هنا إشارة إلى التماثيل البوذية التي دمرتها حكومة طالبان في افغانستان– المترجمان.

والأحوال التي تمر بها الصين.

طلبت من أحد رفاقي وهو السيد ياماموتو البقاء في كابول، كنت أرتدي معطفًا تركستانيًّا من الفراء[١] وغطاء رأس تبريزي[٢] حين قررت الرحيل عن كابول..

ماذا سيحدث لي؟ لا أحد يدري..

١٣ يناير أفكر في تاريخ وفاة والدي

١٣

طهران عاصمة إيران

غادرت كابول في الأول من فبراير، ومررت بمدينة قندهار في صحراء كازان ومدينة فراه[٣] وهراة، ووصلت إلى الحدود بين أفغانستان وفارس، كان علينا أن نقيم ليلة وسط الجبال المغطاة بالثلوج، بعد ذلك يمكننا أن نستريح ليلة في مدينة مشهد في مقاطعة خراسان، ثم نعبر الجبال والصحراء.

في ١٧ مارس وصلنا مدينة طهران عاصمة إيران، قطعنا بالسيارة حوالي ١٧٠٠ ري، كان السفر في الشتاء صعبًا جدًّا بالنسبة لي، أريد أن أقول أشياء كثيرة، لكني لن أكتب الآن..

أصابني المرض.. أرقد طريح الفراش في فندق طهران.. أحاول أن أستريح لأعالج نفسي بنفسي..

---

(١) وردت في الأصل كلمة بوستين وهي بالباء الفارسية المثلثة، وتعني المعطف المصنوع من الفراء في منطقة تركستان – المترجمان.

(٢) نسبة إلى تبريز– المترجمان.

(٣) وردت في الأصل فالاه، وتقع فراه جنوب هراة كما تقع مقاطعة فراه جنوب مقاطعة هراة ومقاطعة غور، وشمال مقاطعتي نيروز وهلند – المترجمان.

لا أشعر برغبة في الكتابة.

في الثالث والعشرين من مارس كانت هناك إجازة بمناسبة ذكرى اعتلاء رضا شاه العرش، كنت أرغب في رؤية هذا الملك لهذا خرجت رغم مرضي لأشاهد الاحتفال.. كان احتفالاً مهيبًا، كان الوزراء الأجانب قد دعوا لحضور هذا الاحتفال، أعتقد أنه لا يوجد بلد في العالم يدعو الوزراء الأجانب لحضور مثل هذا الاحتفال سوى إيران.

نالت إيران استقلالها، منذ عشر سنوات، وعلى أي حال قام رضا شاه بجهود عظيمة لإعادة بناء البلاد حتى إنه أصلح مقبرة شاعر مشهور جدًا، وقام بإصلاحات كثيرة تهدف إلى إعادة بناء المدينة (طهران) لكن من ناحية أخرى نراه يؤسس قصراً جديداً من الرخام، أظن أنه لا يهتم بمعاناة شعبه، ولا يعطي اعتباراً لمشاعر شعبه.

في هذه البلد تكون بداية العام الجديد يوم ٢١ مارس، والوضع الاقتصادي هنا سيئ، وقد أفلست شركات كثيرة، وهم ليسوا مثل الأفغان فالناس هنا لا يعرفون عن اليابان كثيراً، وهنا أيضًا لم أشعر بين الإيرانيين بالجدية التي شعرت بها لدى الأفغانيين، كان هناك رجل يسمي Qaiem Mahigami قيوم ماهي كامي، كان جده رئيس الوزراء ذات مرة، كان يريد أن يعرف الكثير عن اليابان قبل الحرب اليابانية الروسية، وفي حجرته علق صورة الإمبراطور ميجي، كما علق صوراً أخرى عن اليابان على الحائط، وقد كتب عن تاريخ الحرب اليابانية الروسية، وهو يتذكر عن ظهر قلب أحداث تلك الأيام.

منذ عشر سنوات قدم إلى هنا أول وفد ياباني، فتولى رعاية هذا الوفد، وأخبرهم بأنه يكن لليابان ولليابانيين الحب والتقدير، وخلال فترة إقامتي في طهران دعاني إلى بيته عدة مرات، وقد ترك ذلك تأثيراً وانطباعًا طيباً في قلبي.

طهران مثل ريف فرنسا، يوجد في طهران حوالي ٢٦ يابانيًّا بمن فيهم الوزير أوكاموتو، ورجال الأعمال من شركة ميتسوبيشي شوجي، ومؤسسة كانيه بو، وشركة سان كيو للدواء.

كانوا يصدرون الأفيون من إيران لليابان وذلك لمدة ٣٠ سنة، والشركات التي ذكرتها شركات نشطة، لكن النشاطات التجارية الأخرى لا تزال في بداياتها، وأتمنى أن تنشط أكثر فأكثر.

هذا البلد بلد مسلم، فيه أغلبية شيعية، وهناك ملامح خاصة تميز المجتمع هنا، أعتقد أنني بحاجة لأن أدرس عن المنطقة أكثر نظرًا لأهميتها، حتى حضارتهم هنا حضارة عريقة تمتد لخمسة آلاف سنة، ورغم هذا فاليابان لا تزال تفكر في أن هذا البلد ضمن مجموعة الدول الأوربية. وهذا أمر سخيف للغاية، أتمنى أن يقوم أحد الشباب الطموحين بتأسيس منشأة ثقافية تاريخية تهتم بدراسة المعارف في آسيا.

لست في صحة جيدة هذه الأيام، ولكن على كل حال لا بد أن أسافر إلى الشرق الأوسط دون توقف.

٣٠ مارس.

نتائج مستنبطة
من رحلاتي إلى بلدان العالم الإسلامي

أكتوبر ١٩٣٤م٩ شوا

جريدة داي آشيا (آسيا الكبرى)

١

ما الإسلام؟

تسمى الدولة التي تدين بالنصرانية، بلد نصراني، وفي الوقت نفسه يمكن أن نطلق على الدولة التي يدين أهلها بالإسلام دولة إسلامية.

ينتشر الإسلام سريعًا، وأحيانًا ينتشر ببطء من الشرق الأقصى، ويمتد من الشرق إلى المحيط الأطلسي غرباً، وهو يغطي حوالي نصف الكرة الأرضية، ولم يتوقف انتشار الإسلام أبداً عبر التاريخ.. هذا هو الإسلام.

يقولون إن عدد المسلمين حوالي ٣٠٠ مليون نسمة.. عدد كبير، وهذه المجموعة البشرية، التي تمثلها الشعوب الإسلامية، تتكون من عناصر مهمة، ومن أجناس لها مكانتها، تقرر السلام والأمن على وجه الكرة الأرضية.

إن معرفة الإسلام على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لليابان، وبخاصة أن اليابان سوف تنتشر عبر قارات العالم ، والحقيقة التي يجب أن ندركها جميعاً، أنه يوجد في الصين نحو ٤٠ مليون مسلم، فإذا فكرنا في سياستنا تجاه الصين، فإن أول ما يجب علينا أن نفعله هو أن ننظر إلى الصين كبلد مسلم اوإذا لم نفعل هذا فلن نتمكن من الحصول على مفهوم صحيح كامل تجاه هذا البلد.

٢

حين انتقلت الحضارة القديمة في العالم من منطقة الشرق الأوسط إلى أوربا، كان البحر الأبيض المتوسط أحد الطرق التي انتقلت عبره هذه الحضارة، ومن ناحية أخرى وبالنسبة للمنطقة الشرقية فإن منطقة وسط آسيا كانت مثلها مثل البحر المتوسط في نقل الحضارة، حتى الديانة البوذية والإسلام مرًّا عبر هذا الطريق.. ولا أحد ينكر أن الصين لها حضارة عظيمة، لكن حضارة الشرق الأوسط التي نقلت عبر صحراء وسط آسيا إلى الصين، كان لها دور في جعل حياة الصين أفضل وأحسن.

لقد استخدم حكام الأسرات (أباطرة الصين) في الصين في فترات حكمهم قوة الإسلام، وتكنيك الإسلام لتطوير بلدهم، إلا أن الصين الحديثة الآن تبدو وكأنها نسيت تمامًا كل ما يتعلق بوجود الإسلام.

يمثل المسلمون في الصين نسبة ١٠٪ من مجموع السكان، والمسلمون يمثلون قوة، إلا أنهم بالنسبة للصينيين العاديين، مجرد أناس عجيبين ينظر إليهم بغرابة، كما أن الباحثين لا يهتمون كثيراً بدراسة الإسلام.

كانت آسيا الوسطى في الماضي تمثل إطار frame الحضارة الصينية، وهذه الأيام يمكن القول بأن آسيا الوسطى تمثل إطار frame المسلمين الصينيين.

إذا ما أردنا فهم الإسلام من أجل الحصول على معلومات مهمة عن الصين، وجب علينا دراسة ومراقبة وملاحظة المنطقة من شمال غرب الصين إلى جنوبها الغربي، فهذه المنطقة الواسعة جداً، كانت لها أهميتها، كما يجب أن نراقب جيداً تركستان الصين الواقعة بين الصين ووسط آسيا، فاليابان ترغب في التعرف على الوضع في هذه المنطقة، ونحن نحاول ذلك، لكن هذه المنطقة بعيدة عن اليابان،

كما أنها تفتقر إلى نظام مواصلات وطرق جيدة، كما أنها تفتقر أيضًا إلى وسائل نقل المعلومات.

حين كنت أسافر في هذه المنطقة لم يكن الهدف الأساس هو تأليف كتاب أو تسطير مقال، ولهذا لم أكتب كثيراً عن تركستان، فقط أريد أن أكتب ما لاحظته جيداً وعن قرب، وسوف أكتب خطوطًا عريضة لما لاحظته هناك.

لقد خططت لرحلتي إلى هذه المنطقة، بينما كنت أقوم بأداء شعائر الحج في مكة المكرمة في السنة الثالثة عشرة من تقويم تايشو، وكنت قد ذهبت إلى مكة من شنغهاي، لكني نزلت في كلكتا، وأردت زيارة شملا، ومنها أردت زيارة أفغانستان، لكن شيئًا ما وقف في طريقي، ومنعني من مواصلة رحلتي.. وقد أسفت كثيراً على ذلك.. وقررت أن أسافر هذه المرة إلى هذه المنطقة، ولحسن الحظ تمكنت من السفر في السنة الماضية، حين واتتني الفرصة في نهاية العام.

غادرت اليابان في ديسمبر، ودخلت أفغانستان في يناير من هذا العام عبر ممر خيبر في شبه القارة الهندية.

بعد ذلك زرت المناطق الإسلامية، لكن رغم ذلك لم أستطع أن أقوم ببحث كافٍ، ودراسة مستفيضة عن وسط آسيا في هذه المرة أيضًا، ورأيت أنه يجب أن أؤجل ذلك لسنة أخرى، وأتمنى أن يتحقق حلمي الثالث.!!

٣

كان السيد شيكا من الباحثين الأقدم مني، فهو يسبقني في الأقدمية، في عامه الأخير كان يصر على فكرة أننا لو فكرنا في مستقبل اليابان أو إمبراطورية اليابان، فيجب علينا أن نبحث عن حل لمشكلة السكان، والبترول، والإسلام اودون التفكير في هذه الأمور الثلاثة، لا يوجد طريق لأن يعيش اليابانيون على هذه

الأرض، لذا كان يدرس بنفسه الإسلام بجد وجهد، لكنه لسوء الحظ مات في منتصف الطريق فجأة.. هذه خسارة كبيرة بالنسبة لليابان!

إذا اعتبرنا الإسلام كلمة جديدة بالنسبة لليابان، فيجب أن نفكر بأن الإسلام هو مفتاح التحرك داخل الصين، إن لم يكن هو مفتاح التحكم في الصين!

إنني أقوم بهذه الرحلة الصعبة نيابة عنه، رغم أنني مريض وصحتي معتلة، لكنني أريد أن أكمل هذه الرحلة كمسلم، وأنا في طريقي لمكة، لأداء مناسك الحج للمرة الثانية.

من الممتع حقًّا أن تزور آثار العالم الإسلامي، هذا العالم الذي كان نتاج جهد الرسول محمد ﷺ، لكني هنا أود أن أكتب فقط عن الخطوط العريضة لأحوال العالم الإسلامي في هذا الوقت.

إن قوة الإسلام التي يمكن أن تشاهد من خلال الإمبراطورية العثمانية عبر القرون الماضية بدأت تضعف تدريجيًّا، في وقت بدت فيه القوة العسكرية التركية أقل في هذا القرن.. وصار هذا الوضع مقلقًا، بعد أن بدا هذا الضعف واضحًا للعيان، فمعظم البلدان التي كانت خاضعة للخلافة العثمانية في شبه جزيرة البلقان، انفصلت عنها الآن، وصارت تدور في فلك البلدان الأوربية، حتى في إفريقية نلاحظ أن الدولة العثمانية فقدت مساحة كبيرة جدًّا، ومصر فقط هي الدولة الوحيدة التي تدين بالولاء للدولة العثمانية.

تطلق البلدان الأوربية على الإمبراطورية العثمانية مصطلح «رجل أوربا المريض» وهم يريدون تحطيم الإمبراطورية العثمانية تمامًا، ومن ناحية أخرى نلاحظ أن البلدان الإسلامية مثل فارس[1] قد قسمت ما بين بريطانيا وروسيا، وأيضًا

---

(١) يقصد إيران – المترجمان.

أفغانستان صارت خاضعة للبريطانيين، كما صارت بعض البلدان الإسلامية تحت حماية الدول القوية..

ذات يوم كان الإسلام ينشر نفوذه على نصف الكرة الأرضية، لكن هذه الأيام لا نرى ولا حتى دولة واحدة تمثل هذه العظمة الماضية.

٤

يجب أن أقول إنه بعد الحرب العالمية الأولى، حدث تجديد في شكل الإسلام كلية، هناك فقط دولة واحدة من بين بلدان العالم الإسلامي شاركت في الحرب، وقد هزمت تركيا في الحرب، وبعدها ظهر كمال باشا، فكان زعيمًا لشعب تركيا، وأعاد بناء تركيا، وظهرت تركيا من جديد من بين الرماد، كما لو كانت عفريتًا لا أرجل له، ظهر من بين الدخان، لكن تركيا كانت لها أرجل، هذه الأرجل أو الأقدام تقف على الأرض بقوة وثبات أكثر من الإمبراطورية العثمانية..

ولم تستطع الدول الأوربية أن تصدق ما حدث.. لكن تجدر الإشارة هنا إلى أنه بينما كانت هذه الدول الأوربية تعيش فترة ظلام، كانت الدول الإسلامية تعيش عصر حضارة مزدهرة!

وبعد ظهور كمال أتاتورك في تركيا، ظهر سعد زغلول باشا في مصر، كان غاضبًا من بريطانيا التي كانت تحتل وطنه لمدة طويلة، فقام بمواجهة الحكومة البريطانية، وتمكن على أي حال من الحصول على إعلان بالاستقلال عن بريطانيا، وقد توفي وهو يمضي على درب الكفاح.!

لكن النحاس باشا تولى قيادة الكفاح من بعده، وورث عنه هذه الروح الوطنية.

وفي الجانب الشرقي ظهر رضا شاه في فارس (إيران) كما ظهر نادرشاه في أفغانستان، وفي الجنوب في صحراء العرب، ظهر ابن سعود، وجميعهم كانوا ضد

الدول الأوربية التي تحاول السيطرة على بلادهم، فاستمروا في النضال، وعملوا بجد على إعادة بناء أوطانهم.. يا لقوتهم التي تثير الإعجاب في النفوس!!

٥

قبل الحرب لم يكن وجود الإسلام يمثل وزنًا ما في العالم، لكن بعد الحرب استعاد الإسلام قوته، وقبل أن ندرس كيف استعاد الإسلام قوته، يجب أن ندرس لماذا صار الإسلام ضعيفًا جداً:

الحضارة الإسلامية تعتمد على أسس دينية، وفي الوقت نفسه تقوم أسس الحضارة على العلم، الذي تطور في شبه الجزيرة العربية، وكما نعلم فإن كلمات عربية مثل: الجبرا المجسطي، الكيمياء وغيرها دخلت الإنجليزية، لكن حين بدأت الحضارة العلمية تزدهر بدأت الحضارة الإسلامية تتأخر وتتراجع، ما هو سبب ذلك؟

١- كان لأوربا من وجهة النظر الجغرافية التفوق، فقد امتلكت البحر والبر، وكان لديها وسائل نقل جديدة.

٢- معظم البلدان الإسلامية تقع في المنطقة الاستوائية Tropical ولذا لم يكن الناس هناك بحاجة لأن يبذلوا نشاطًا أو جهداً أكثر مما يبذله الأوربيون في سبيل سد حاجاتهم من الملبس والمأكل، ومن هنا لم يحاولوا بذل جهد في سبيل استيعاب الحضارة الحديثة.

٣- سيطرة الملالي والشيوخ وبخاصة في البلدان التي ترتبط فيها السياسة بالدين أو الدين بالسياسة، وهؤلاء الشيوخ والملالي يمكنهم أن يحركوا عقول الناس وأجسامهم بسهولة، وهذه الظاهرة واضحة تمامًا في الإسلام.

ولهذه الأسباب مجتمعة صار المسلمون خارج منظومة الحضارة.

لكن لماذا استعادوا قوتهم الآن ؟

١- الإسلام في حد ذاته يحمل بداخله طبيعة النهضة والتطور.

٢- لدى المسلمين فرصة جيدة لاستعادة مواهبهم وقدراتهم.

ويمكن أن نشير هنا إلى هذا المثال الواضح فإن آل سعود مثلاً مع حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية في وسط جزيرة العربية مثال واضح على ذلك، فقد اتحدت حركة آل سعود مع روح الحركة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبدالوهاب، واتبعوا أسلوبًا مناسبًا، فقد كانوا يريدون لرياح الإصلاح الديني أن تهب بهدوء وببطء، وأن تمضي على النهج نفسه الذي مضى عليه الدين، في زمن السلف الصالح، وقد اشتهرت هذه الحركة وعرفت في جميع بلدان العالم الإسلامي.

وهناك مثال آخر وهو كمال باشا في تركيا، فحين دق كمال باشا ناقوس اليقظة، نهض الإسلام العظيم.

فإذا وضعنا منجزات آل سعود ومنجزات كمال باشا على محك إصلاحات الإمبراطور ميجي في اليابان، يمكننا القول بأن كمال باشا في تركيا مثل أهل «ساتسوما» وأهل «تشؤو شو»[(١)]، كذا يمكن القول بأن آل سعود مثل أهل «ميتو»[(٢)].

بعد الحرب العالمية الأولى أسست تركيا الجمهورية الحديثة، وقد مر على تأسيسها في العام الماضي عشر سنوات، وخلال هذه الفترة وتحت حكم الرئيس

---

(١) الآن مقاطعة كاجوشيما وياماجوتشي- بجيم قاهرية، وكان أهل هاتين المقاطعتين قد أسهموا في صنع حركة الإصلاح في عهد ميجي - المترجمان.

(٢) عاصمة مقاطعة إيباراكي حيث كان الناس يجتمعون في هذا المكان للبحث في وسائل نهضة اليابان - المترجمان.

كمال باشا تطورت تركيا كثيراً، ولا شك أنها صارت هذه الأيام محط أنظار العالم الإسلامي.

يجب أن نعير انتباهنا إلى هذه المنطقة، ويجب أن نهتم بها فإن تركيا كبلد مسلم قامت بما قامت به من إصلاحات، تركزت على الفصل ما بين قوة السياسة، وبين الدين، وهذا حل طيب، وقد بدأ الاهتمام في جميع أنحاء العالم بهذا الأمر، وهناك بالطبع سبب لذلك.

٦

أراد قيصر ألمانيا أن يحكم أوربا كلها، وبدأ الحرب العالمية، إلا أن خططه كانت مملوءة بالأخطاء، ومن هنا كانت النتيجة الخسارة الكاملة وعلى سبيل المثال: لم تشترك أيرلنده في الحرب بسبب المشاكل الداخلية، وبريطانيا لم تشترك في الحرب فلم يكن لديهم ميزانية للحرب، وإيطاليا كانت تريد أن تبقى على الأقل على الحياد، ولهذا كانت خطته غير متوقعة بالمرة، وكان خطأه الأكبر هو جعل تركيا دولة حليفة لألمانيا، انطلاقًا من ظنه بأن جميع مسلمي العالم سيقفون في صف ألمانيا، ورغم أن الخليفة أعلن الجهاد إلا أن الدول الإسلامية لم تشترك في الحرب، فقط كانت هذه الدول، تشاهد وتتطلع فقط إلى ما يجري وما يحدث، كما أن حسين شريف مكة كان قد خدع من قبل البريطانيين، وتناول في هدوء الطعم الذي قدمه له البريطانيون.

وأصيب القيصر بخيبة أمل شديدة، وقد أعطى هذا الحدث، أو هذا السقوط، أو الفشل درسًا عظيمًا لكمال باشا قائد الجيش التركي آنذاك، الذي أدرك بنفسه أن الجهاد كان أمراً يتناسب مع أحداث التاريخ في الماضي، وأدرك أنه يجب أن يعتمد على الجهاد لإعادة بناء الدولة أولاً وقبل كل شيء، وأن العصر الذي يحمل فيه الناس القرآن في يد، والسيف في يد، ويجاهدون هنا وهناك عصر قد مضى..

وهكذا أمسك بزمام القيادة بعد الحرب العالمية، فكان أول ما قام به هو التخلص من سيطرة الملالي والشيوخ، وفصل ما بين السياسة والدين، وأقر الدستور الذي أشار إلى أن تركيا دولة علمانية، فحذف عبارة أن الإسلام دين الدولة.

وقد أثر هذا سلبًا على قوة الشيوخ، ومنذ ذلك الوقت بدأ كثير من الشيوخ العمل ضد السياسة، لكن تم قمع هؤلاء، ولم يظهر لهم أي صوت فيما بعد.

٧

حين نلاحظ فكرة كمال باشا تجاه الدين أو تصوره للدين، نجد أنه أعطى أهمية للسياسة أكثر من إعطائه أهمية للدين، فجعل الدولة قائمة على الأهمية السياسية بدلاً من الأهمية الدينية، وفي الوقت نفسه جعل اتباع الناس للدول الناهضة المتطورة، أفضل طريقة للقضاء على قوة الملالي والشيوخ، ومن خلال هذه الفكرة يتم إعادة بناء تركيا الآن، وقد صار لتركيا اليوم ملامح وسمات مختلفة تمامًا عن ملامح الدول الإسلامية وسماتها.

لقد تم تأسيس تركيا على نظام الجمهوريات الأوربية، ولا نشاهد أي دولة إسلامية أخرى في العالم يشبه نظامها نظام تركيا، في الحقيقة يمكن القول بأن هناك ديكتاتورية يقوم بها كمال باشا، لكن نظرًا للموقف السياسي لا تعد ديكتاتورية بالمعنى الدقيق للكلمة، إلا أنه بعد إعلان الدستور الخاص بالجمهورية التركية، نشطت العلاقات الديبلوماسية بين تركيا والدول الأوربية، وصارت علاقتهم مع روسيا قوية جدًّا، وعقدوا معاهدة مع الدول التي كانت ذات يوم عدوة لتركيا في شبه جزيرة البلقان.

لقد فكر أهل تركيا أنهم سينفصلون ذات يوم عن الدول الأوربية، لكن تركيا صارت هذه الأيام أقرب إلى الدول الأوربية من أي وقت مضى..

وهكذا أقول بكل وضوح إن دولة مختلفة تمامًا عن الدول الإسلامية قد ظهرت للوجود، ويجب أن أقول إن لديهم مهمة صعبة يقومون بها من أجل بناء دولتهم ، والشيء الأساس الذي يعملون عليه الآن هو إصلاح اللغة.

ذات يوم كان يطلق على الجنس التركي القادم من وسط آسيا اسم «جنك سازي» أي الجنس الذي يمتهن القتال، ويجعله حرفته في الحياة، أو يسعى إليه، وكانت ثقافتهم ضعيفة وضحلة، لكنهم تمكنوا بالتدريج من السيطرة على العالم الإسلامي، وصاروا قادة للعالم الإسلامي، لكنهم ظلوا من الناحية الثقافية أضعف، فاستعاروا ثقافة جيرانهم ولغتهم، وهكذا استخدموا اللغة الفارسية واللغة العربية واللغات الأخرى.

من هنا أراد كمال باشا إصلاح هذا الجانب بصفته زعيمًا سياسيًّا للعالم الإسلامي، فكان أول ما فعله هو تغيير الحروف العربية، واستخدم الحروف اللاتينية لكتابة اللغة التركية بدلاً من الحروف العربية، وطالب الناس بأن يكتبوا بالحروف اللاتينية، أراد كمال باشا أن يجعل اللغة التركية خالصة، لدرجة أنه حاول أن يكتب القرآن بالحروف التركية اللاتينية..

أعتقد أن هذا عمل شاق وصعب، وهو يوضح ما كان لكمال باشا من قوة.

٨

من وجهة نظر إسلامية يعد كمال باشا شخصية غامضة، وغير مفهومة، وحتى فترة متأخرة كانت تركيا زعيمة للعالم الإسلامي، وكان الناس في جميع بلاد العالم الإسلامي ينظرون إليها نظرة احترام وتقدير وحب لكونها دولة الخلافة.. لكن تركيا الآن صارت بلداً مختلفًا من الناحية السياسية والدينية في ظل حكم كمال باشا، وتركيا في طريقها الذي رسمته من أجل التحضر والتمدن، تعتمد

على الدول الأوربية ..

من الملاحظ أنهم لن يتخلصوا من الإسلام نفسه، فنحن نشاهدهم وهم يحاولون كتابة القرآن بلغتهم الخاصة... وأنا أتعجب وأتساءل: هل ستظل تركيا في المستقبل إحدى الدول الإسلامية، أم أنها ستتحول إلى دولة غربية تمامًا؟!

يظن الناس أن كمال باشا في تركيا يمثل علامة استفهام كبيرة، لكن هناك مثال آخر لكمال باشا، وهو رضا شاه في فارس (إيران) فهو مقلد جيد لكمال باشا، وقد كان رضا شاه أساسًا رجلاً عسكريًّا، وظل يترقى حتى وصل إلى منصب قائد قوات المشاة، وكان يدير البلاد نيابة عن محمد شاه، الذي نسي واجبه تجاه بلده، وابتعد عن بلده فترة وعاش في أوربا لمدة طويلة.

تخلص رضا شاه من محمد شاه منذ عشر سنوات، وصار هو نفسه حاكمًا باسم الأسرة البهلوية، وعادت فارس لتصبح أمة حقيقية بعد مرر ٥٠٠ سنة، وهذا التحول في شكل فارس (إيران)، وما يشاهد من صور التطور، كل هذا من منجزات رضا شاه، لكن يمكن القول بأن هناك ثلاث مشاكل داخل الأسرة البهلوية:

١- شخصية الناس في إيران فهم مغرمون بحياة البهرجة، وحياة الدعة، ولا يزالون يتذكرون العصور الذهبية التي مضى عليها قرون، ولا يزال الناس يتذكرون ملوكهم القدماءمثل قورش ومثل داريوسودارا...وهم فخورون بهم، إلا أنهم من ناحية أخرى يفتقدون القوة، ويميلون إلى الخنوع.

لا يمكن أن أحكم على الناس من خلال مشاهدة الشحاذين والمتسولين، لكنني لاحظت حين دخلت إيران من أفغانستان التي لا يوجد بها متسولون أو شحاذون، بل فوجئت بوجود أعداد كبيرة من المتسولين في هذا البلد أي إيران، لاحظت بوضوح أن أفغانستان أكثر فقراً من بلاد فارس، لكن أهل أفغانستان لا يتسولون

ولا يشحذون، وهذا يدل على أن الناس في فارس يفتقرون إلى ما لدى الأفغان من اعتزاز بالنفس، واعتداذ بها .. أتعجب كيف يمكن لرضا شاه أن يعلم شعبه؟ هذا هو السؤال الملح.!!

٢ -كانت هناك بلاد تسلب فارس ثرواتها في الماضي، وكان لدى فارس تجارب سيئة مع بلدان مثل بريطانيا وروسيا، ورغم هذا فإيران تجد صعوبة في الابتعاد عن هذه البلدان، وقد جمدت روسيا مؤخرًا علاقتها مع إيران، إلا أن بريطانيا تحاول أن تمتص دماء إيران وبخاصة من منطقة البترول.

والبلاد التي تحاول أن تتبع بريطانيا في فارس هي: إيطاليا وألمانيا، كما لو كانوا جماعة نمل تسعى إلى طبق من الحلوى.

٣ -المشكلة هنا تكمن في رضا شاه نفسه، فالناس يتعجبون كيف نال مثل هذه المكانة، ورغم إعجابهم به فهم لا يشعرون بأنه كريم، أو أن لديه تعاطفًا إنسانيًّا تجاههم، لقد وصل إلى أعلى المناصب بسرعة كبيرة، لذا يقول الناس أن هناك نوعًا من سلوك العنجهية والعجرفة..

وكما ذكرت تحاول البلاد التي تسعى إلى نهب ثروات إيران إلى ملاطفته وتملقه، وخداعه بشتى الطرق، فيقدمون له في الغالب هدايا غير عادية، لقد زرت المكان الذي يطلقون عليه «كراج الهدايا» بالنسبة لي كان هذا متحفًا عالميًّا غير عادي.

أعتقد أنه من الصعوبة بمكان أن يصل الرجل إلى قلوب الناس، وأن ينال محبتهم، فالتقليد لا يمكن أن يكون مثل الأصل، وهكذا فإن رضا شاه لا يمكن أن يكون مثل كمال باشا أبدًا.

فيما يتعلق بأفغانستان جارة إيران، وكما ذكرت من قبل، فالناس لديهم اعتزاز

بأنفسهم رغم فقرهم، لكني أشعر بأن لهم مستقبلاً طيبًا كبلد مسلم، وقد كان هناك مؤخراً أزمة تتعلق بوراثة لقب الملك، إلا أن نجيب شاه ظهر، وتمكن من السيطرة على البلاد، فاستتب الأمن فيها.

وقد ظهر الملك الجديد ظاهر(١) شاه خلفًا لوالده، فحكم البلاد مثلما حكمها والده، ويرى بعض الناس أن أفغانستان قريبة من بريطانيا وروسيا، لكني لا أظن أن هذه هي الحقيقة، إنهم فقط يريدون التمتع بالاستقلال، لا أظن أنهم يمكن أن يقيموا علاقات طيبة مع روسيا، كما أن معارك كثيرة دارت بينهم وبين بريطانيا في الماضي، ولذا فاعتقد أنهم يكرهون بريطانيا، وهذه حقيقة !!

والآن أعرج على مسلمي الهند:

يبلغ عدد مسلمي الهندما بين ٧٠ و٨٠ مليون نسمة، وإذا ما نظرنا إليهم كجماعة داخل بلد واحد، فإن الهند تعد البلد الأول من حيث عدد المسلمين في العالم، ومع هذا فيمكن القول بأنه لا يمكن الحصول على شيء من أجل الإسلام من لدن المسلمين الهنود، ويرجع هذا إلى سببين اثنين :

الأول: خضوع الهند للاحتلال البريطاني.

الثاني: المسلمون في الهند أقلية أمام الهندوس، والهند تضم أجناسًا وأعراقًا مختلفة، وهذا يعني أنه حتى لو استقلت الهند عن بريطانيا، وجب على المسلمين أن يصارعوا ضد الهندوس، وحتى اليوم والهند خاضعة لسيطرة بريطانيا، فإن الصراع محتدم بين المسلمين والهندوس، وهكذا ستكون العلاقة بينهما أكثر تعقيداً بعد الاستقلال، وليس لدى المسلمين فرصة لتوجيه اهتمام أكثر للإسلام، وإعطاء أهمية أكثر للإسلام، لكنهم رغم ذلك عايشوا البريطانيين منذ مدة طويلة، ولهذا

(١) ورد في الأصل هكذا ظهير، ونظن أنه يشير إلى ظاهر شاه – المترجمان.

تطوروا أكاديميًّا، ومن هنا فيمكنهم المساعدة في مجال الطباعة والنشر والإعلام.

إنني أتعاطف أحيانًا مع المسلمين الهنود.. لا أدري أي نوع من العاطفة يحملون تجاه الإسلام ؟!

٩

والآن نلقي بنظرة على جزيرة العرب، التي هي منبع الإسلام، فهذه المنطقة كانت حتى قبل الحرب (العالمية) خاضعة للخلافة العثمانية، إلا أنه كان خضوعًا اسميًّا، فالحقيقة لم تكن الدولة العثمانية تسيطر عليها سيطرة عملية، فقد كان شريف مكة يحكم في مكة، بينما كان قادة القبائل دائمًا يتمتعون بالاستقلال، ويمكن القول بأن اليمن التي تقع في جنوب شبه الجزيرة العربية، لم تخضع أبداً لسلطان تركيا، فقد كان اليمن يتمتع بالاستقلال، بعد نشوب الحرب، فكرت بريطانيا، ووجدت أن هذه فرصة لتبسط نفوذها على شبة الجزيرة العربية، وفكروا في توحيد الجزيرة العربية تحت حكم الأسرة الهاشمية برئاسة شريف مكة.

لماذا كانت بريطانيا تركز على شبه الجزيرة العربية؟!

من المعروف أن عدن تمثل أهمية ملاحية لتأمين خطوط الملاحة لبريطانيا في طريقها إلى الهند، كما أن الحجاز وفلسطين لها أهمية بالنسبة لقناة السويس التي تمثل أهمية استراتيجية لبريطانيا، فإذا سيطروا على هذه المناطق، فهذا يعني أنه يمكنهم تأمين قناة السويس ذاتها، لكن السيطرة على الحجاز تعني السيطرة على منطقة الحرمين الشريفين والأماكن المقدسة في مكة والمدينة..

ومن المعروف أن بريطانيا تسيطر على مناطق في العالم يقطنها ١٠٠ مليون مسلم، فإذا ما سيطرت بريطانيا على هذه المنطقة، فسوف تمتلك بالتالي مفتاح السيطرة على جميع البلدان الإسلامية، كما يفكر بعض البريطانيين في السيطرة

على منطقة دجلة والفرات، وأيضًا فارس والموصل وهي المناطق الغنية بالنفط، فهم يريدون السيطرة على المنطقة الممتدة من البحر المتوسط حتى خليج فارس، للوصول بعد ذلك إلى الهند، إذ إن هذه المنطقة تتمتع بأهمية قصوى، تتعلق بالنقل والحركة، ومن هنا تكمن أهمية الجزيرة العربية لبريطانيا، وتكمن قيمتها الكبرى، وهي قيمة متعددة ومتنوعة.

وبعد الحرب.. وكما كانت بريطانيا تأمل، انفصلت جزيرة العرب عن تركيا، فبدأت بريطانيا على الفور في التخطيط، وأعلن شريف مكة نفسه ملكًا على الحجاز، وصار الابن الأكبر عبد الله ملكًا على الأردن، بينما صار الابن الثاني ملكًا على سوريا، وصارت فلسطين تحت الانتداب البريطاني لحماية اليهود، كما صارت منطقة الرافدين أيضًا تحت الانتداب البريطاني، وهكذا تحركت بريطانيا بسرعة كبيرة، وبخطة محكمة ، ويبدو أن طموحهم الشديد أوصلهم إلى ما يهدفون إليه.

إلا أن فيصل ملك سوريا كان معارضاً لفرنسا التي كانت تخضع سوريا لنفوذها فقامت بخلعه، ولهذا اضطربت بريطانيا، فقامت بتعيين فيصل ملكًا على العراق، إلا أن والده الشريف حسين أقلع هو نفسه عن تنصيب نفسه خليفة للمسلمين، ومن هنا فشلت خطة بريطانيا تمامًا، وفي هذا الوقت ظهر ابن سعود، قائداً في منطقة نجد، ووجد الفرصة مناسبة فوصل إلى مكة، وكان ذلك في العام الثالث عشر من تايشو.

بينما كنت أزور مكة، كانت قوات ابن سعود تحيط بمنطقة مكة، وبعد فترة هرب شريف مكة من مكة، وصار ابنه الأصغر علي ملكًا بدلاً منه، كان حسين شريف مكة ينشد مساعدة بريطانيا، إلا أن بريطانيا تجاهلته، وظلت بريطانيا تراقبه فقط، لم يستطع شريف مكة أن يفعل شيئاً، فذهب إلى جزيرة قبرص، وانتقل

«علي» نفسه إلى العراق، وهكذا تعثرت خطط بريطانيا ومخططاتها تمامًا، لأن وجهًا جديداً ظهر لجزيرة العرب، فقد ظهر ابن سعود إلى عالم الوجود.

ولد هذا القائد في أسرة آل سعود من نجد، واسمه عبد العزيز بن سعود، وأجداده حاولوا في القرن الثامن عشر توحيد معظم أجزاء الجزيرة العربية، لكن عبد العزيز لجأ إلى الكويت حين كان صغيراً وظل يأمل في العودة، وتحقيق حلم الأسرة، واستعادة عظمتها، وأراد أن يحقق وصية والده، وأن يوحد الجزيرة العربية تحت راية الإسلام.

خاض ابن سعود منذ صغره معارك كثيرة، وهو في شخصيته يشبه الساموراي، ولم يكن شبيهًا بالساموراي فقط بل كان سياسيًّا محنكًا وموهوبًا، كما أنه كان ديبلوماسيًّا عظيمًا.

بعد أن دخل عبد العزيز منطقة الحجاز كانت بريطانيا أول بلد اعترفت به ملكًا، ومن هذا الموقف نشعر بمرونة سياسة الديبلوماسية البريطانية، لكن من ناحية أخرى يجب أن نعترف بأن بريطانيا اعتبرت أن الملك عبد العزيز ليس بالشخص العادي، وعبد العزيز نفسه لم يكن متسرعًا على الإطلاق .. فقد أعلن نفسه ملكًا لنجد والحجاز، وحاميًا للأماكن المقدسة، وهو مختلف تمامًا عن الشريف حسين.. ولم تكن بريطانيا سعيدة وهي تشاهد قوته تزداد يومًا بعد يوم.. وهكذا لم تستطع بريطانيا أن تتدخل في أي شيء، وظلت بريطانيا تأمل فقط ألا تزداد قوته عما كانت عليه آنذاك.

وقد حدثت مؤخراً معركة ضد اليمن، وكانت النتيجة أن صارت قوة الملك ابن سعود أقوى وأقوى، وكانت بريطانيا تأمل أن تحطم قوة آل سعود، لكنها لم تستطع إلى ذلك سبيلا.

١٠

يمتد تاريخ الحرب بين السعودية واليمن إلى فترة طويلة، وإذا أردت أن أتكلم عن ذلك ببساطة، فيمكن القول بأن قائد قبائل اليمن الإمام يحيى أراد أن يبسط نفوذه وسيطرته على منطقة عسير، وكانت نجران تحت نفوذ ابن سعود، لهذا فقد عارض ذلك تمامًا، وجرت مناوشات عسكرية ومحادثات ومناقشات بين البلدين، منذ الخريف الماضي حتى هذا الربيع ، لكن لم يتوصلا إلى حل يرضي الطرفين، ولم يتوصلا إلى اتفاق مقبول، وطلب الإمام يحيى هدنة حربية، ولما كان ابن سعود رجلاً كريمًا وشهماً فقد وافق على طلب الإمام يحيى، وكان هذا في منتصف هذا الشهر، شهر مارس، لكن يحيى لجأ إلى الخداع والكذب، فلم يوقف القتال، ولم يحترم الهدنة، ولهذا اضطر ابن سعود إلى القتال بشكل جدي، وقام ولي العهد الأمير فيصل الذي تولى قيادة الجيش بمهاجمة اليمن، واستولى على صنعاء العاصمة في بداية مايو، واستسلم الإمام يحيى الذي اتبع أسلوب الخداع، واعترف بالهزيمة.. وكان هذا أمرًا طبيعيًّا لأن قوات ابن سعود تتكون من جماعة مجاهدة ومن أتباع حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فهم يتمتعون بكفاءة ذهنية وجسدية عالية، لكن قوات الإمام يحيى من أهل اليمن كانوا مجرد أناس يدمنون « تعاطي » القات، يمضغون هذه الأوراق الخضراء المنومة، ولهذا فميزان القوى بين الفريقين كان مختلفًا تمامًا.

وكانت هناك في اليمن جماعة الزيدية الشيعية، وهم يختلفون بالطبع عن الجماعة الوهابية السنية، وبالنسبة للأخيرة صار أتباعها أكثر قوة وضراوة في القتال، بل صاروا هنا أكثر شراسة في قتالهم من أي مكان آخر..

لكن يجب أن نتذكر بأنه خلال هذا الصراع كانت بريطانيا طول الوقت تحاول التدخل.

وهناك دولة أخرى هي إيطاليا التي احتلت أريتيريا، وقد بدأت تهتم هي أيضًا بهذه المنطقة، وقد كان بين اليمن وإيطاليا علاقات قوية، وخلال هذه الحرب كان هناك اثنان من القادة العسكريين الإيطاليين يعملون مع الجيش اليمني .. وقد وقعوا أسرى لدى قوات ابن سعود أثناء المعارك، وقد نشرت الصحف البريطانية هذا الخبر، إلا أن إيطاليا لم تعلق على هذا.. إلا أنه يمكن القول بوضوح أن بريطانيا كانت تحاول طول الوقت التدخل، رغم أنهم كانوا يعلنون بأنهم يرغبون في البقاء على الحياد، وخاصة أن الوزير البريطاني رايان كان طول الوقت قريبًا من ابن سعود يحاول أن يتدخل في شئونه، وبخاصة حين دخل ولي العهد فيصل اليمن منتصراً، قال رايان لابن سعود :

إلى أي مدى تريد أن تمد نفوذك وسيطرتك، إذا احتل جيش الأخوان صنعاء، إذا أردتم ضم اليمن إلى حدود المملكة العربية السعودية فإن بريطانيا لديها فكرة ما.. إلا أن هذه عادة هي طريقة بريطانيا، وقد حدثت أمثلة شبيه بهذا في الماضي، أي تقديم النصح كوسيلة من وسائل التدخل في شئون الآخرين.

وفي منتصف مايو اقترح الملك على اليمن عقد معاهدة سلام تتضمن اقتسام المناطق وتعويضات عن الحرب..

وقد وقع ابن سعود اتفاقية السلام وعارض مسألة أن يأخذ تعويضات عن الحرب من الجانب اليمني، لكن قوات ابن سعود بدأت مؤخراً وفي هذا الأيام خوض القتال مرة أخرى، لكن طبقًا لما نشرته الصحف، وقع الجانبان ثانية اتفاقية لوقف القتال.

من المعروف في أوربا أن الملك ابن سعود شخص يفعل الشيء بعد أن يفكر فيه بطريقة جيدة جداً، وتعد عمليات القتال التي تدور هذه الأيام مع اليمن عجيبة طبقًا لشخصيته هذه، وأنا أتعجب هل يقول الصحفيون الأجانب الحقيقة؟ لا أحد

يعرف، ربما هذه دعاية ضد ابن سعود..

على كل حال؛ فإن البلد الناشئ المملكة العربية السعودية يناضل أمام الدولة القوية بريطانيا، ويبسط ابن سعود سيطرته، وهذا أمر عظيم جداً، لكن لا تزال بريطانيا تمثل عائقًا كبيراً أمام توحيد الجزيرة العربية برمتها، وتكوين المملكة العربية السعودية الكبرى في شبه الجزيرة العربية، لكن من الواضح أيضًا أن ابن سعود يقف سدًّا منيعًا في وجه بريطانيا، ويمنعها من التفكير في السيطرة على جزيرة العرب، ربما تتحكم بريطانيا في العراق وسوريا وفلسطين والأردن باسم الانتداب طبقًا لمبرراتها، إلا أنه من الواضح أن شعور الناس تجاه بريطانيا صار عدائيًّا، ويزداد هذا الشعور العدائي يومًا بعد يوم.

يقول الناس بأن ابن سعود هو الشخص الذي جاء فوحد جزيرة العرب، من بعد العهد النبوي، وبالنسبة لابن سعود فإن الحرب مع اليمن شيء بسيط، فهو يفكر في أمور أخرى أعظم.

منذ وفاة الرسول ﷺ وحتى اليوم بلغ عدد مسلمي العالم ٣٠٠ مليون نسمة، وهؤلاء وجدوا اليوم القائد أو الخليفة الذي يقودهم، فقد كانوا من قبل مثل قطيع فقد الراعي، والبلد الذي نشأ على أسس الإسلام لديه اليوم قائد عظيم، يعلن عن هويته، لكن الكرسي الذي يشغله عادة قائد جميع المسلمين في العالم أي خليفة المسلمين لا يزال شاغراً.. وأنا أتعجب هل يمكن للقائد الذي ظهر من صحراء نجد أن يجلس على هذا الكرسي في المستقبل؟

كما أنني أتعجب هل سيتطور الإسلام ويمضي على النمط الذي استحدثه كمال باشا، وعلى جهوده الرامية إلى تحديث بلاده.. إلى أين سيمضي الإسلام؟ هذا ما تخفيه الأيام؟

انتهى.

الكشافات

١ـ كشاف الأعلام.

٢ ـ كشاف الأماكن.

٣ ـ كشاف الكتب في المتن.

كشاف الأعلام

* * * * * * *

كشاف الأماكن

* * * * * * * * * *

كشاف الكتب في المتن

* * * * * * * * * *
* * * * * * *
* * * *



مطبعة
مركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الإسلامية

ردمك: ٩٩٦٠-٨٩٠-٥٠-٣